

السَّعِيَّةُ فِي سَمَاءِ الْفِرْقَانِ



موسوعة الشيعة في العالم  
الشيعة في قارة أفريقيا

# الشيعة في شمال أفريقيا

جاسم عثمان مرغني

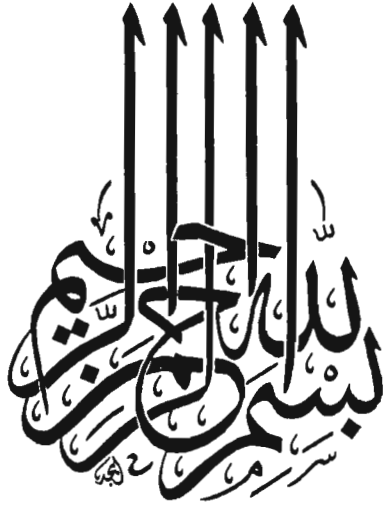
موسسة البلاغ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ  
الطبعة الأولى  
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مؤسسة البلاغ  
للطباعة والنشر والتوزيع



المكتب بنز العبد سنتر الإنماء - ط١ - ط٢ - المنسودع - حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - مقابل نادي السلطان  
ص.ب: ١١ - ٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧ - هاتف: (٠١/٥٤١٨٥٤) - (٠٣/٥١٤٩٠٥) - فاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان  
التوزيع في سوريا: دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسينين (ع) - هاتف: ٦٤٧٠٦٥٤  
الموقع الإلكتروني: [www.albalagh-est.com](http://www.albalagh-est.com)





## مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين.

خرجت إلى عالم النور المئات والمئات من الدراسات والكتب باللغة العربية وباللغات الاجنبية، حول الشيعة وظل الميدان خالياً من مؤلف واحد جامع شامل، يتعرض للشيعة في العالم، وقد قوي الشعور - عندي - بالحاجة إلى هذا المؤلف الشامل، وصممت ان أخرج الفكرة إلى حيز الواقع وهكذا خطوت خطواته الأولى على طريق الوجود والتحقيق؛ وأنا أو من بالحرية. وأؤمن بدور الكلمة على أرض الحرية ولكن - مع الأسف الشديد - كانت هناك ممارسات حقيقية ضد أفكاري وقفوا بسلاح الإرهاب - وتحت شعار الثقافة الاسلامية والحضارة - امام كاتب هو انسان يحمل سلاح الكلمة يعني سلاح الوعي والالتزام، والالتزام هنا التزام طوعي مبني على الاختيار الواعي ولا يعني بالضرورة تسجيلاً في حزب أو اتجاه، الالتزام يعني ان الكاتب يلتزم بالحقيقة.

يلتزم بالحرية والعدل وعندما تتعارض أية ممارسة مع هذا فهو في صف الحقيقة. فالكاتب جزء من المجتمع وما يمنح للمجتمع يمنح له وتأتي حرية التعبير في الطليعة.

نعم في خضم الآلاف من الكتب المتعجلة على اهميتها والدراسات

والبحوث الفردية السريعة تهيأ لي ان أُخْرِجَ إلى الوجود هذا العمل الضخم والذي احتاج الى جهود كبيرة وسنوات عمل طويلة ليرى النور. إذ تطلّب العمل في تأليف مادته وتحريرها، ومراجعتها، وتبويبها، وتصحيحها، ثم طباعتها سنوات من العمل الدؤوب سبقتها سنوات الاعداد والتهيئة، هذا العمل هو أوّل عمل اسلامي حديث يشق دربه ويمشي قدما في طرق جديدة ما وطّئها قدم عربية ولا أجنبية من قبل، اسأل الله التوفيق.

استعرضت في الجزء الأول الشيعة في مصر وفي هذا الجزء تكلمت عن الشيعة في شمال افريقيا واوليتُ الاهمية لدولة الأدارسة وهي دولة شيعية اثني عشرية وكذلك دولة الممهدين للمهدي (عج) والتي اسسها أبو عبدالله الشيعي الاثني عشري وليس الداعية الاسماعيلي!! كما تقولوا ذلك.

أما الدولة الفاطمية فإنها كانت شيعية وليست اثني عشرية وقامت أسسها على فلسفة اخوان الصفا، وهي في الأصل حركة دينية - فلسفية تكونت في البصرة ذات أهداف سياسية، نشرت سلسلة من الكتب العلمية يغلب عليها الطابع الموسوعي؛ هدفت إلى إيجاد صبغة تركيبية Sinthesis توفق ما بين المعتقدات الشيعية والفلسفة الارسطوطاليسية والفلسفة الأفلاطونية الجديدة، ووضعت علم كون cosmology معقداً، مبنياً على علم التنجيم وعلى اصطناع سحري للارقام. وكان لأخوان الصفا أثر في تفكر الغزالي.

أما الدولة الموحدية فإنها - ايضاً - كانت شيعية وليست اثني عشرية وقامت اسسها على فلسفة ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) إذ عمل في بلاد الموحدين في مراکش. وضع ثلاثة شروح على فلسفة ارسطو، وكتباً في الطب والفلسفة. هاجم



«لا عقلانية» الغزالي؛ دافع عن فكرة الحقيقة «المزدوجة»: الدينية والعقلية. عارض فكرة خلود النفس الفردية وفكرة المعجزات. اعتمد على العقل لا على الحقيقة الثيولوجية.

أما الشيعة الاثني عشرية فإنهم يعتقدون أن الفلسفة علم دخيل جاء من اليونان، والعلم الأصيل هو علم الكلام. وفي الختام أقدم الجزء الثاني للقارئ الكريم تحت عنوان «الشيعة في شمال أفريقيا».

**أسأل الله القبول**  
**جاسم عثمان مرعي**



## «افريقيا السوداء»

### اقتصادها محطم والحل بعيد

على الرغم من أن افريقيا تعتبر من القارات الغنية بالثروات المعدنية كالنفط واليورانيوم والذهب، اضافة الى الثروة الطبيعية الكائنة في الغابات التي تغطي مساحات شاسعة من القرن الافريقي، فإن معظم اقطار هذه القارة البالغ عددها ٥٢ من افقر بلدان العالم، ومستوى المعيشة فيها هو من أكثر مستويات المعيشة بين دول العالم انخفاضاً.

فباستثناء مصر والسودان ودول شمال أفريقيا ونيجيريا وجنوب افريقيا وزمبابوي، فإن الاقطار الاخرى تعاني من سوء الوضع الاقتصادي والتأخر الثقافي والصراع المستمر فيما بينها. واذا استثنينا مصر ودول شمال افريقيا (تونس، ليبيا، الجزائر، المغرب) فإن الجزء المتبقي من افريقيا أي ما يطلق عليه اسم أفريقيا السوداء أو جنوب الصحراء الافريقية، يضم ٤٧ قطر جميعها حديثة الاستقلال نسبياً. فباستثناء السودان الذي حصل على استقلاله عام ١٩٥٦ وغانا ١٩٥٧ وغينيا ١٩٥٨ فان ٣٥ قطراً حصلت على الاستقلال خلال الستينات وثمانية اقطار بين ١٩٧٤-١٩٧٧ وزمبابوي عام ١٩٨٠.<sup>(١)</sup>

١- مجلة العالم، ص ٣٥، العدد ٣، لندن، ١٤٠٤هـ.

## أوضاع المسلمين بقارة إفريقيا

الدول الإفريقية ذات الاغلبية الاسلامية، النشاط الاسلامي فيها متقدم والشباب المسلم فيها واع اكثر من الماضي، خصوصاً بعد انتشار المدارس الاسلامية، واحتكاكه بالمشرق العربي عن طريق الدراسة. وهو على العموم متيقظ للاخطار التنصيرية والصهيونية وواقف لها بالمرصاد.

ومع ذلك يمكن القول ان الاقليات المسلمة تعاني من مشاكل وبخاصة المجتمعات البدائية تتمثل في الغزو المكثف للحركات التنصيرية عن طريق توفير الدواء والغذاء وبناء المدارس، والمؤسف ان الدول الاسلامية الغنية لا تقوم بالواجب الكامل والكافي. الصهيونية تتغلغل في اوساط افريقيا السوداء عن طريق اتفاقات استشارية وامنية وثقافية. ومجلس الكنائس العالمي يرصد اموالاً طائلة لتنصير أبناء قبائل الفولاني الذين دمرهم الجفاف في الدول الساحلية وهاجروا جنوباً ويبنون لهم المدارس ويطعمهم ويكسيهم وينتقل معهم حيثما ذهبوا والمسلمون عن ذلك غافلون، وعلماؤهم لا يتواضعون لهم كما يصنع المسيحيون. كما انه يقيم الاذاعات في الاماكن الاستراتيجية في الحبشة وسيراليون وساحل العاج وكينيا باللغات المحلية لاستمالة هذه القبائل.

وعلى سبيل المثال نذكر احصائيات عام ١٤١١ هـ التي تقول ان الانجيل ترجم الى ٤٤٢ لغة افريقية كما بلغ عدد القسيسين البروتستانت العاملين في ميدان التبشير ١٠٤ آلاف قسيس منصر كما تم بناء ١٦٦٧١ معهداً كنسياً لمختلف مراحل الدراسة واكثر من ٥٠٠ جامعة وكلية ومعهد تخضع للتوجيه التبشيري وازافة إلى ٤٨٩ مدرسة لاهوتية لتخريج القسيسين، وغيرها الكثير التي لا مجال

لذكرها<sup>(١)</sup>. كما شرعت بعض الدول الافريقية في اعادة علاقاتها مع «اسرائيل» مما يساهم في تغلغل الفكرة اليهودية، حيث يتحالف اليهود والنصارى لإخراج هذه الشعوب من الإسلام.

هذا إلى جانب تشجيع النعرات القبلية المسيحية في الدول ذات الاغلبية المسلمة، لاجراج الاقلية المسيحية من حكم الدول الاسلامية. والسودان خير شاهد على ذلك.



**تصنيف الدول**

**الإفريقية الإسلامية**

**من حيث الموقع**

## أولاً: دول شمال إفريقيا الإسلامية

وعدها سبع دول هي: مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وهذه الدول هي أكثر جهات إفريقيا ازدحاماً بالسكان. وهي دول عربية إسلامية.

وقد تكلمنا عن مصر في الجزء الأول من هذه الموسوعة وسنبداً بسائر الدول الإفريقية في الجزء الثاني وعلى رأسها السودان.



## معلومات تفصيلية عن السودان

يعتبر السودان أكبر دولة أفريقية من حيث مساحته التي تمتد على ٢٥٠٥٨١٣ كيلومتر مربع.

وللسودان حدود مشتركة مع عدد كبير من الدول. فتحده من الشمال جمهورية مصر العربية، ومن الشرق الحبشة واريتريا ومن الغرب أفريقيا الوسطى وتشاد ومن الشمال الغربي ليبيا.

يصل عدد سكان السودان إلى ٢٧٤٠٠٠٠٠ نسمة.<sup>(١)</sup>

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب ٤٠٪، أفارقة ٣٠٪، غرب السودان ١٢٪، بجاه ١٢٪، نوبيون ٣٪

اللغة: العربية - الإنجليزية. وعدد قبائل السودان ٧٥٢ قبيلة يتكلمون ١١٤ لغة، والمتكلمون بالعربية أكثر من نصف السكان.

استخدام الأرض: المستزرع ٥٪، والمرعى ٢٤٪ والغابات ٢٠٪. وإمكانات السودان الزراعية ضخمة، فهناك ٢٠٠ مليون فدان لاتحتاج الماء ولا الخصب، ولكن تحتاج الأيدي العاملة ورؤوس الأموال، وهناك أيضاً ٤٠٠ مليون فدان مراعى وغابات. ويعوق التنمية الزراعية افتقار البلاد إلى شبكة من طرق

١-... قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، ص ٥١، الجزء ١٩-٢٠؟

المواصلات السريعة.

أهم المحاصيل: القطن - الذرة - الدخن - القمح - السمسم - الصمغ العربي  
وينتج منه ٩٠٪ من الإنتاج العالمي.

أهم المعادن: الكروم - النحاس - البترول - الذهب الذي اكتشف بكميات  
كبيرة في الجنوب.

أهم الصناعات: حلج القطن - النسيج، الأسمت - السكر - الجلود.

الثروة الحيوانية: الأبقار ٢٢ مليون - الأغنام ١٢ مليون - الماعز ١٥ مليون  
- الإبل ٢/٥ مليون.

أهم المعالم: الغابات الاستوائية التي تحوي العديد من الحيوانات البرية،  
وهي حدائق مفتوحة تجذب إليها السياح.<sup>(١)</sup>

ويعد السودان بلداً ذا محاصيل زراعية متنوعة. وجمهورية السودان  
الديمقراطية تشكلت في ١/٥/١٩٩٢ فهو نظام عسكري. سلطة متركزة. اتجاه  
إسلامي واضح وحرب اهلية في الجنوب.

السلطة بيد عمر حسن احمد البشير ويعاونه مجلس الثورة.<sup>(٢)</sup>

العاصمة: الخرطوم

سنة الاستقلال: ١٩٥٦م

١ - عبدالهادي، الدكتور جمال: المجتمع الاسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ٢٣.

٢ - حميده، الدكتور عبدالرحمن: الأطلس الاقتصادي للعالم الاسلامي، ص ١٧٨، ١٨١، دار

الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

## جمهورية السودان

التسمية:

أطلق العرب كلمة «السودان»، وأرادوا بها أصحاب البشرة السوداء بصفة عامة، ويشمل هذا المصطلح جغرافياً ما عرف باسم الحزام السوداني الممتد في قلب القارة الأفريقية من الشرق إلى الغرب، ولكن هذا المصطلح - كما عناه العرب - يكاد ينصب على سكان غربي أفريقيا لأن للعرب أوصافاً أخرى لأصحاب البشرة السوداء في غير هذا الجزء من القارة.

فالاصطخري، مثلاً، يصف بلدان السودان بأن سكانها ليسوا «بنوبه ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة، الا أنهم أشد سواداً من الجميع وأصفى»  
ويصف أبو الفداء التكرارة بقوله: «أنهم أشبه الناس بالزنج» وكذلك فعل ياقوت الحموي وغيره.

أما النوبة والحبشة، فهما تسميتان اطلقهما العرب على سكان بلاد النوبة جنوبي مصر شمالي جمهورية السودان الديمقراطية، وعلى سكان الحبشة. وأما العناصر السوداء الأخرى، المقيمة في الجهات الأفريقية الأخرى، فقد ميزها العرب بأسماء أخرى، مثل «الزنج» سكان جنوبي شرقي الحبشة وبعض بلاد ساحل أفريقيا الجنوبي الشرقي، ونسبوا غربي المحيط الهندي اليهم، فقالوا

عنه: «بحر الزنج». (١)

وتختلف السودان عن أي قطر عربي آخر، فيوجد حوالي ربع السكان من الزوج الوثنيين الذين لا يتكلمون العربية، ويشكلون اكثرية في مساحة معينة في الجنوب. (٢)

---

١ - علي طرخان، الدكتور إبراهيم: دولة مالي الاسلامية، ص ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢ - أحمد ياغي، الدكتور إسماعيل: تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، ٤٧/٢، مكتبة العبيكان، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

## السودان ومشكلة الجنوب في ظل الاستعمار البريطاني

عمل الاستعمار البريطاني على تشجيع التنصير في جنوب السودان، لإيقاف المد الإسلامي إلى إفريقيا المسلمة، وتحويلها تدريجياً إلى قارة نصرانية. وقد اعترف بذلك اللورد «كرومر» حيث يقول: «إنني مازلت محاصراً حصاراً عنيفاً يحيط بي من كل الجهات لكي أوافق على التنصير في السودان...» راجع في ذلك كتاب قضايا العالم الإسلامي للدكتورة فتحية النراوي ص ٢٠٨. ولإنجاح خطة التنصير بجنوب السودان اتخذت بريطانيا الإجراءات التالية:

١ - أصدرت مرسوماً عام ١٩٢٢م تعتبر فيه جنوب السودان منطقة مغلقة، لا يدخلها أحد إلا بتصريح من الحاكم البريطاني وكان الهدف من ذلك هو منع التجار المسلمين من دخول جنوب السودان، حتى لا يعوقوا عمل جماعات التنصير. كما أن قانون عام ١٩٢٢م كان يستهدف أيضاً إيقاف هجرة الجنوبيين إلى الشمال، حيث نصّ على عدم تشغيلهم هناك إلا بشروط قاسية، ومن يخالف ذلك تكون عقوبته السجن أو الغرامة. كما ضيق المستعمر فرص التزاوج بين الشماليين والجنوبيين، يمنع الأزواج الشماليين من اصطحاب أولادهم وأمهاتهم الجنوبيات إلى الشمال. وفوق هذا استغنت بريطانيا عن خدمات الموظفين الشماليين الذين يعملون بالجنوب. وقد تم ذلك بدهاء وخبث بدليل الخطاب الذي صدر من الحاكم البريطاني (ماكمايكل) إلى مدير بحر الغزال في ١١ مايو سنة ١٩٣٠م، ويقول فيه: «يجب ألا يفكر أحد في طرد هؤلاء الناس بالجملة، بل ينبغي أن يكون الابعاد فردياً، وأن يُتلمس له أسباب كافية في كل حالة...»

- والخطاب محفوظ حالياً بدار الوثائق المركزية بالخرطوم.
- ٢- عملت على تنمية اللغة الإنجليزية واللهجات المحلية. وأقامت العراقيل في وجه اللغة العربية.
- ٣- غيرت الأسماء العربية إلى أسماء أوربية أو قبلية، وكل من يرفض كان يعطي رقماً ينادى به. كما وجهت النصائح إلى زعماء القبائل وأتباعهم بأن يتخلوا عن لباسهم العربي. وأصدرت أوامر إلى التجار بعدم بيع أنماط الملابس العربية.
- ٤- مُنع المسلمون في الجنوب من ممارسة شعائر دينهم بشكل علني.
- ٥- بدأ التبشير في جنوب السودان برياض الأطفال، ثم المدارس الخاصة، ثم الجامعات التنصيرية، التي تهىء الشباب للتنصر، بإضعاف قوة الإيمان في قلوبهم، وإغراقهم في عالم الشهوات، عن طريق وسائل الاعلام المسمومة، وضروب الرياضة المنحرفة. وهكذا عهدت الحكومت البريطانية بمسؤولية التعليم في جنوب السودان إلى الجمعيات الكنسية تحت إدارة قساوسة أوربيين، في مقابل معونات تمنحها الحكومة لهم. هذا بالإضافة إلى محطة إذاعة صوت الإنجيل، التي هي أقوى إذاعة في إفريقيا، والتي تبث إرسالها من أثيوبيا بعدة لغات إفريقية، وصل عددها إلى حوالي تسعة عشر لغة.<sup>(١)</sup>
- ولعبت اسرائيل أيضاً دوراً في النشاطات الانفصالية في جنوب السودان، واستخدمت مركزها الذي كانت تتمتع به في أثيوبيا لكي تضيق الخناق على السودان بدعم حركة انيانيا الانفصالية في جنوب السودان في الستينات.<sup>(٢)</sup>

١ - عبدالهادي، الدكتور جمال: المجتمع الاسلامي المعاصر، ص ٣٥، دار الوفاء، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢ - سريّ الدّين، عايدة العلي: السودان والنيل بين مطرقة الانفصال والسندان الإسرائيلي، ص ٩٨، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

## الشيعه في السودان

يصل عدد سكان السودان - ضمن آخر إحصاء - إلى ٣٥٥٣٠٣٧١ نسمة، نسبة المسلمين ٧٥٪ ونسبة الإمامية ٨٧٥ و ١٪ وقيل أن نسبة المسلمين في السودان تصل إلى ٩٠٪، ٣٥٪ منهم شيعة.<sup>(١)</sup>

جاء في تقرير كتبه احد طلابي وكان متواجداً في السودان ضمن اطروحتة - والتي اشرفت عليها - تحت عنوان (المسلمون في السودان) بأن المذهب الشيعي الجعفري الاثنى عشري دخل السودان عن طريق اعضاء منظمة الجزيرة العربية والذين كانوا تحت اشراف سماحة السيد المرجع آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي.<sup>(٢)</sup>

والشيعه الجعفرية الاثنى عشرية يتواجدون اليوم في منطقة الحاج يوسف من ضواحي الخرطوم العاصمة.

فمن الخرطوم يجب ان تذهب إلى منطقة عمر المختار، ومن ثم إلى منطقة حي السفارات إلى أن تصل إلى منطقة الحاج يوسف.

ففي هذه المنطقة اسس الشيعه - ولاول مرة - مدرسة تدعى (مدرسة الجيل الاسلامي) حيث تخرجت الدفعة الاولى - ضمن احتفال بهيج في ساحة المدرسة - بتاريخ ٢٦/٤/١٩٩٥ م.

١ - الكرباسي، محمد صادق: دائرة المعارف الحسينية، ص ١٠٣، الجزء الثاني.

٢ - حيدري، علي: مسلمانان سودان، ص ٤٤، پايان نامه، مركز آموزش عالي، تهران، سال تحصيلي ٧٧-١٣٧٨ ش.

وبعدها اسس الشيعة اكبر مدرسة في المنطقة ذات صفوف متعددة وساحة كبيرة واسموها (مدرسة الامام علي بن أبي طالب الثانوية النموذجية للبنين) وقد تخرجت الدفعة الاولى بتاريخ ١٩٩٥/٧/٦ ضمن احتفال كبير ضمّ وزير التربية والتعليم السوداني ولهذه المدرسة مجلة شهرية تدعى «الرسالة».

وكذلك اسس الشيعة مستوصف (مركز صحي خاتم الانبياء)



## أهل البيت (عليهم السلام) في الوجدان الشعبي السوداني

انتشر حب آل البيت (عليهم السلام) في الأوساط الأفريقية منذ ظهور الاسلام فيها، وزاده الحكم الفاطمي الذي امتد الى أمكنه واسعة من افريقيا والمغرب العربي صلابه وقوة مايزال أثرها حتى الوقت الحاضر، وبالإضافة الى ذلك فقد عاشت وما برحت حتى الآن طرق صوفية متعددة، ينظرون إلى علي وأهل بيته (عليهم السلام) نظرة خاصة من التقديس والولاء بل تنتهي طرقهم كلها بعلي من خلال سلسلة معروفة من المراسم التي وضعها الصوفيون عبر قرون متعددة من تاريخهم الطويل.

وعرف السودان ألوان من أدب التصوف الإسلامي لاسيما قبل ظهور الثورة المهدية فقد انتشرت الطرق الصوفية في جميع أنحاء السودان، وشاعت فنون المدائح النبوية الشعبية والمدائح التي كانت تمجد آل البيت ومن ينتسب اليهم من مشائخ الطرق، ولهؤلاء المشائخ أنفسهم قصائد يسمونها «لسان الحضرة» وفي اصطلاح الصوفية يسمونها (بالشطحات) وهم فيها يمجدون أنفسهم ويذكرون الهبات التي أكرمهم الله بها، ولهذه القصائد ألحان راقصة توقع على حركات الذكر، كما رافقت بعض آلات الطرب مثل (الطار) والطبل والصنج والرق. وكان شعراء المدائح الشعبية من المتصوفين ينظمون قصائدهم باللغة العامية وقليل من مشائخ الطرق الصوفية من كان ينظم مدائحه باللغة العربية الفصحى ولكل قبيلة من قبائل السودان لغتها ولهجتها الخاصة، ففي شمال السودان تكاد تكون اللغة العامية متحدة إذا تجاوزنا بعض القبائل، وفي شرقه تتحد اللغة وهي البجاوية، وفي الغرب تكاد تكون متقاربة ما عدا بعض قبائل دارفور وجبال

النوبة ولكثير ما تختلف اللهجات في الجنوب، وهذه شواهد من الشعر الشعبي السوداني في الامام علي (ع)، فمنه قول محمد الحاج العاقب (١٧٠٤-١٧٧٩):

يا جليل البتول أم الحسين وحسن  
محتسب الجميع فيكم بدور عثمان

وقول حاج الماحي (١٧٩٤-١٨٦٩م):

(الكرار علي) الما بيلفا قَزُ فِي الرِيْشَةِ حَالِفٍ حَلْفًا  
الطير في وِلَادِ الغَلْفَه اِلَّا مَن الكِبُودِ يَتَكْفَا  
اسمع يا خوي قول ابن طالب رابع الخلافة الكان امره غالب  
تابع نبيه دايماً مراقب بالنسبه ليه ودَعَمَ أَقَارِبِ  
قلبو بيريد وحابو وبه عاجب فارس المشارق والمغرب  
حين شدَّ قَارْحُوْ فِي ايد وضارب على شال محارب لينحو تو كارب  
قَبْلَ (مخارق) قَزُ مِنْهُ هَارِبِ كم جاب عزيزاً بي حيلتو سارب

قتلو وعقا بوخلاه سارب

انصتو قولي يا مسلمينا بردف كلامو الكرار علينا  
باب المدينة اليعجب نينا ابوالحسين فارس حنينا  
اسد الكمين الكرفي اليمين شاييل السنينا للروس يهينا  
الكافرين دقق طحيننا كم جاب لعيناً مقبوض مهينا  
الروم تهاها وطشش جنينا دمر بناهم طوال السنينا

وقال المرحوم احمد ود سعد (١٨٣٠-١٩١٩م):

هاك يا مادحو غن فوق أبي الحسن  
فوق أبو الحسين

سـيـدي أبي الحسن	ذو القـرض الحسن
سـيـدي أبو الحسن	قـوي النسب
مـاغاب في الوسـن	قـلب أبو الحسن
خـيلو عـز كـسن	شـدو لـو وركب
مـا بـدور لـوسـن	شـامل السـنين
مـنـو كـسـكـسن	السـن الأعـدا
قـلو بـم سـوسـن	خـافـن مـنه
كـسـر الوثنـن	لـي خـبير فـتـح
جـابـن بـالـرسـن	جـابـن بـالشـعب
	ولـه أـيضاً:

الحـسن والحـسين	يـا سـادة السـبطين
يـا الاتـقيا الكـسين	يـا بـدور الدين
يـا زـين العـابدين	يـا سـليل هـذين
يـا بـضعة الامـين	يـا سـتي (فـاطمة)
يـا نـضرة المسـكين <sup>(١)</sup>	يـا سـتي (زـينب)

ومن الأدباء المعاصرين من جمهورية السودان الدكتور عبدالله الطيب، عمل مدرساً في كلية الآداب جامعة بغداد، ونظم هذه القصيدة بمناسبة زيارته لكربلاء عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م. عنوان القصيدة «وقفه عند الحسين».

١ - قرشي، محمد حسن: علي في الوجدان الشعبي السوداني، ص ٦٢٨، مجلة الموسم، العدد (٣-٢)، هولندا، ١٩٨٩م.

## وقفه عند الحسين (١)

وقفت بكربلاء فسال دمعي  
وقد دلفت قنا مُضِرِّ إليه  
حرار شفاهنَّ مُرِنقات  
إذا جسد الإله دنافويلٌ  
فمن خلق البريَّة إن تشهى  
وأكثر حبِّ هذا الناس ثوبٌ  
ومن يُظلمُ يُضْمُ الصدر منه  
وكان الزهد أفضل ما حواه  
وبالنجف النيبيل أبو تراب  
عزاء النفس في حلك المساعي  
وورد في كتب الشريف يوسف الهندي - من شعراء السودان ضمن مؤلفاته

النثرية؛ مجموعة من قصائده نذكر قصيدة (جاء منها):

الحسين والإمام والزهراء في القتام  
الكاظم للكلام والراضي بالقسام  
آل البيت يا غلام اصل الدين والنظام  
زين العابدين تمام القادات الهمام  
الهادي للأنام والباقر للظلام  
في المبدأ والختام على نيل المرام

١ - الطريحي، محمد سعيد: أجراس كربلاء، ص ٥٤، المجموعة الأولى، مؤسسة البلاغ، بيروت.

٢ - المحلأ عن الورد، الذي مُنع عنه، والسموم: الريح الحارة.

٣ - دلفت: تقدمت، والنُّسك: بضمين، من النسيكة وهي الذبيحة المتقرب بها إلى الله تعالى ثم اتسعوا فيه حتى جعلوه لموضع العبادة والطاعة.

٤ - مرِنقات: مكدرات.

وفي قصيدة ثانية له جاء:

هذا طريقي وذا سبيلي      وذاي هداي وهذا مشربي  
 هذه سكتي قديمة بها      جدودي مضوا لربي  
 منهم على كذا حسين      كذا علي وأهل سرب  
 كذا باقر وثم صادق      وكاظم الغيظ يا عرب  
 كذا تقي كذا نقي      كذا جواد وهاء لن لب  
 كذا الرضي ابنهم علي      ومن له البئر دان شرب

وفي قصيدة له تالفة جاء عن أهل البيت (عليهم السلام):

سفن النجاة للملأ بشهادة النص الأتم  
 هم النهى هم البهى هم التقى أهل الشيم  
 هم الشفاعة في غد هم السقاية في الملم  
 هم الهداية حاضرة والنور والقصد الأعم  
 الطيبون الطاهرون من سوء أرجاس اللّم

ولا يخفى على ذوي الألباب من اشارات بليغة من حذف الشاعر للصفات  
 وأسماء الفاعل وإثبات المصادر والاسماء بدلا عنها.

كما لا يخفى اعتقاد الشاعر الكامل بعصمة أهل البيت (عليهم السلام) عن  
 اللّم فضلا عن غيرها من الذنوب والكبائر وذلك واضح في قوله:

الطاهرون من سوء أرجاس اللّم

وغير هذه الأبيات عند الشاعر الكبير في مدح أهل البيت (عليهم السلام)  
 وشعر المداح السوداني غني بمدح أهل البيت وإبراز مقامهم الرفيع  
 عليهم السلام. (١)

١ - أحمد حسن، الطيب: أهل البيت (عليهم السلام): تراث المسلمين في السودان، ص ٨٨.

وهناك الكثير من شعراء الصوفية الذين تخصصوا في مدح آل البيت  
(عليهم السلام) وهذا أحدهم يسمى البرعى ومعروف في السودان يقول:

هم أهل البيت الواضح سرهم

زرهم بمحبة لتنال من برهم

سيدي الحسين الثائر دُرَّهم

وعلي زين العابدين حبرهم

جعفرنا الصادق مع موسى صدرهم

أستاذنا الباقر في العلم بحرهم

في البر وبحرهم لله دُرَّهم<sup>(١)</sup>

→

مستل من مجلة أهل البيت، العدد (١)، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

١ - حسن، عبد المنعم: بنور فاطمه اهتديت، ص ٥٠، دار المعروف للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

## أهل البيت (ع): تراث المسلمين في السودان

ان لأهل بيت النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم مكانة رفيعة وقدرًا عالياً عند المسلمين جميعاً موالاة وحباً ومودة في قلوب المؤمنين. ذلك الاجلال والحب نابع من سببين رئيسيين:

اولهما: - شهادة الله. ومن أكبر من الله شهادة. في كتابه العزيز لهم بذلك القدر والمقام الرفيع وأمر بمودتهم حيث قال: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا» آية ٣٣ سورة الاحزاب، ويقول تعالى أيضاً: «قل ما اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى» آية ٢٠ الشورى.

ثانيهما: - شهادة الرسول بأن الحق فيهم ومعهم وان التمسك بهم مؤد الى النجاة. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدأ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهم).

وهذا الحديث المعروف «بحديث الثقلين» قد ورد بلفظه المار ذكره أو بالفاظ أخرى وبذات المضمون في خمسة من الصحاح الستة مسنداً إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبطرق كثيرة في غيرها وهو يعتبر في الواقع حجة بالغة على العالمين<sup>(١)</sup>. وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة ان لحديث الثقلين

١- راجع تفسير ابن كثير ج ٤/٣١١ ط دار احياء الكتب العربية بمصر، كنز العمال ج ١/١٥٣، ١٥٤، نظم درر السمطين للدربندي الحنفي ص ٤٣٢ ينابيع المودة للسقندوزي الحنفي

طرق تزيد على العشرين وبالتتبع بلغ رواة هذا الحديث الشريف من الصحابة ٣٥ صحابياً.

بينما نجد ان الحديث الآخر (كتاب الله وسنتي) لم يرد إلا في سنن أبي داود وانما أول ما ورد في موطأ مالك مرسلًا من غير سند إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي صورة غاية في الوهن ونقله الآخرون عن موطأ مالك أيضاً مرسلًا. المسلمون في السودان ليسوا بدعا من الأمة المسلمة لذلك يعرف الكثيرون منهم اهل البيت (عليهم السّلام)، لأن أئمة أهل البيت عليهم السّلام كانوا يطرحون أنفسهم قادة لكل الأمة الاسلامية لا لطائفة بعينها من المسلمين. وربما لبعض الظروف نسي البعض أو تناسى معرفتهم لأهل البيت أو ضعف ارتباطهم وصلتهم بهم. هذا مع احتفاظ قطاع كبير بتلك المعرفة وتلك الصلة.

ان معرفة وصلة الشعب السوداني بأهل البيت (عليهم السّلام) تتجلى في عدة مظاهر منها:

#### (١) الولاء الديني والسياسي:

ان ارتباط قطاع كبير من الشعب السوداني سياسياً ودينياً بالطوائف الثلاثة الكبرى المتمثلة في الختمية والانصار والطريقة الهندية يرجع اساساً إلى اعتبار

→

ص ٤١/٣٠ و ٣٨ جامع الاصول لابن كثير ج ١/١٨٧ ط مصر. المعجم الكبير للطبراني ص ١٢٧. احياء الميت للسيوطي بهامش الاتحاف ص ١١٤. الدر المنثور ج ٦ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ الصواعق المحرقة ١٤٧ و ١٤٨ و ٢٢ المعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ١٣٥ وتاريخ الشام لابن عساكر ج ٥/٤٣٦، الجامع الصغير للسيوطي ج ١/٣٥٣ طبقات ابن سعد ج ٢/١٩٤. خصائص الامام علي للنسائي ص ٢١ مسند احمد ج ٣ ص ٢١٧ و ٢٢٦، ٥٩، ١٤ ج ٤/٣٦٦/الحاكم للنسائي ص ٢١. في المستدرک علی الصحیحین ج/١٤٨ والذهبي في التلخيص ج ٣/١٠٩ وغيرها.



أنهم ينتمون إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها لمن له ادنى المام بشئون السودان.

### ٢) بعض الأسماء المنتشرة في السودان:

ان هناك بعض الأسماء التي اختص بها أهل البيت (عليهم السّلام) دون غيرهم وارتبطت بهم ارتباطاً وثيقاً

وتناقلها اتباعهم ومحبيهم خلفاً عن سلف. وهذه الاسماء هي علي (المرتضى)، فاطمة (الزهراء) (البتول)، حسن، حسين، زين العابدين، (السجاد)، الباقر، الصادق، الكاظم، رضا. كل هذه الأسماء هي من الأسماء المنتشرة في السودان بكثرة مقارنة مع غيره من الدول العربية والاسلامية الأخرى وفي ذلك دلالة عميقة على الارتباط بأهل البيت (عليهم السّلام).

### ٣) الطرق الصوفية:

لا توجد طريقة صوفية في السودان يجهل منتسبوها أهل البيت (عليهم السّلام) بل ويكون لهم حياً واحتراماً جماً وللدلالة على ذلك نشير إلى بعض ما ورد في كتب الشريف يوسف الهندي كنموذج حي لما اسلفنا:

(أ) اللهم إنما نحمدك بجميع محامدك السنينة ونسألك بذاتك وصفاتك والكتب القديمة والأديان، ان تصلي وتسلم على محمد وآله وصحبه في كل طرفة عين، وعلى صالح آبائه وأزواجه وأبنائه والاخوان، وعلى إمام الائمة علي وسيدتنا فاطمة الذين تخيرت لنبيك منهما الذرية، وابنيهما سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي نبي هذه الامة الحنان، وعلى ائمتنا علي زين العابدين ومحمد الباقر العلوم الدينية، وجعفر الصادق و موسى الكاظم قادة الانس والجان وعلي الرضا ومحمد الجواد الهداة الهادية المهديّة، وعلي الهادي والحسن العسكري الخالص وارثي اسرار

النبوة وعلوم القرآن وامامنا المهدي صاحب البشار. الفاطمية، الذي لا خير في العيش ولا من الحياة بعده لأهل الايمان.

(ب) جاء في كتاب له آخر مايلي: «الحمد لله الذي جعل ذرية نبيه من ظهر علي وفاطمة بنيه وهم الحسين والحسينة، حتى قال عليه الصلاة والسلام: (كل نبي ذريته من صلبه وانما جعلت ذريتي من صلب علي وفاطمة) وهما السبطان. وهنا نثر درر انساب اهل بيته المطهرين من الارجاس الدنيوية ونجعلها في سلك نظم فيه انجمن الهداية لأنجم العيوق وكيوان. فأما الامامين الحسينين السبطين ولدي علي امام الائمة وصاحب الوصية.

فاطمة الزهراء سيدة نساء الآخرة والأولى وبضعة تاج الأصفياء محمد إمام أهل الإيمان، وهي التي اورثها الله من أبيها القطبانية وورثها منها ابنها الحسن وورثها منه أخوه الامام الحسين الشهيد بكر بلاء بواسطة أهل العدوان، والامامة في بني الحسين ولم يدعها أحد من بني الحسن ولا ادعاها لهم مدع من الامة الاسلامية والإمامية يعتمون في الامامة النصوص الصحيحة.... وهي معدومة في بني الحسن باتفاق أهل هذا الشأن.

ويمضي الكتاب على هذا النسق فيذكر اسماء الائمة (عليهم السلام) وأسماء امهاتهم واحداً بعد الآخر ويذكر ماآثرهم وكراماتهم حتى يصل إلى المهدي ويذكر انه هو الذي دخل السرداب وعمره بضعة أعوام...

(ج) ولم يكتف المؤلف بذكر أهل البيت (عليهم السلام) ضمن مؤلفاته الثرية بل ضمنهم مجموعة من قصائده ذكرناها في باب «أهل البيت (عليهم السلام) في الوجدان الشعبي السوداني».

(٤) انتساب بعض القبائل لأئمة أهل البيت (عليهم السلام):

ونحن اذ نورد انساب بعض هذه القبائل لايعيننا مناقشة صحة ذلك الانتساب أو عدمه في هذا المقام وإنما نورد للتدليل على صدق مدعانا حول معرفة الكثيرين من ابناء الشعب السوداني لأهل البيت (عليهم السلام). وكأمثلة على انتسابهم للأئمة الذي ذكروه وهو مثبت في بعض الكتب ونقله هنا بحرفيته:

(أ) العبدلاب: وهم الذين اقاموا اول دولة للمسلمين في السودان بالاشتراك مع الفونج بعد قضائهم على دولة علوه للمسيحية من عام ٩١٠هـ (١٥٠٤م) يذكرون ان نسبهم يرجع إلى السيد محمد التقي بن الحسن العسكري (هكذا في الأصل) بن السيد علي الهادي بن السيد محمد الجواد بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن سبط سيد الكونين مولانا وسيدنا أبي عبدالله الحسين بن بضعة خير البرية صلى الله عليه وسلم السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من الامام علي كرم الله وجهه.<sup>(١)</sup>

(ب) الركابية: وهم يذكرون ان نسبهم يرجع إلى الامام موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن سيدي الحسين بن سيدتي فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

تنتمي قبيلة الرّكائبية بالسودان إلى غلام الله بن عائذ الركابي، الوافد من اليمن إلى السودان في مرحلة متقدمة من التاريخ، وهو في الأصل - وكما تحدد شجرة النسب الموجودة بأيدي مشايخ الركائبية - لا ينتمي إلى القبائل القحطانية اليمنية وإنما ينحدر في نسبه من الأسرة الهاشمية الشريفة حيث ينتهي نسبه إلى

١ - الشريف، عون: حلفاية الملوك: التاريخ والبشر ص ٣٠٦.

سيدنا الحسين بن علي (عليهما السلام).

ومن غلام الله بن عائذ هذا انحدر جابر الذي تذكر شجرة النسب أنه أنجب أربعة أبناء ذهب أكبرهم - وهو إبراهيم - إلى الأزهر الشريف فأخذ من علمائه الفقه المالكي وعلوم العربيّة ثم عاد إلى السودان وأعطى علمه في الفقه إلى أخوته الثلاثة الباقين فانتشروا في السودان يعلمونه للناس، فكانوا بذلك السبب الأول في ذبوع المذهب المالكي في السودان.

وقبيلة الركائيّة بالسودان بطون متعددة. ووطنهم الأصلي في شمال السودان على النيل في مدينة «دبّة الفقراء» وما تاخمها من قرى مثل كَرْمُ مَكُول وقوشابي والقفاض. غير أن غالبيتهم تفرقت في أنحاء مختلفة بالسودان في غرب السودان فاستقر بعضهم في مدينة أم درمان وبعضهم في غرب السودان في منطقة بآبرة والأبيض من إقليم كردفان.<sup>(١)</sup>

#### ج) الجباراب:

وهم يذكرون ان نسبهم يرجع إلى الامام الرضا بن سيدي موسى الكاظم بن سيدي جعفر الصادق بن سيدي محمد الباقر بن سيدي علي زين العابدين بن مولانا الحسين بن الامام علي كرم الله وجهه بن أبي طالب سيف الله الضارب، اسد الله الغالب، فارس المشارق والمغرب، زوج البتول، بن عم الرسول، الصادق فيما يقول، الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، فارس بدر وحنين.

#### د) المغاربة الجديان:

وهم يسلسلون نسبهم إلى الامام الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد

١ - عثمان علي، الدكتور محمد: قبيلة الركائية بالسودان، ص ٤٠٤، مجلة الموسم، العدد الخامس عشر، هولندا، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد زين العابدين بن الحسين بن الامام علي بن أبي طالب.

هـ) الشايقية: وهم يسلسلون نسبهم إلى السيد اسماعيل بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد الامام علي زين العابدين الاصغر بن الامام الحسين شهيد كربلاء بن سيدن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه زوج السيدة فاطمة البتول بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(و) الارتقية:

يرجع نسبهم للإمام علي عن طريق محمد بن الحنفية وفي هذا الصدد يقول عنهم الاستاذ محمد صالح ضرار في كتابه (تاريخ سواكن والبحر الأحمر) هم فرع من آل أبي قشير، ويسكنون أسفل حضرموت من ذرية شمس الظهيرة الضاحية المنيرة سيدنا الامام العلوي محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد ولد في سنة ١٠ هـ وتوفي سنة ٨١ هـ بالمدينة... ومحمد بن الحنفية هو أحد الابطال الاثراء في صدر الاسلام وأمه خولة بنت جعفر الحنفية فهو ينسب إليها تمييزاً له من أخويه الحسن والحسين أبناء فاطمة الزهراء ابنة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

(ز) الكميلاّب:

وهم احدى قبائل اقليم البجة المشهورة بالشجاعة وكان الاستاذ محمد صالح ضرار يظن أنهم من ذرية مصعب بن الزبير إلى أن اقتنى كتاب (بحر الانساب) أو (المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف) للعلامة السيد محمد بن أحمد بن عمير الدين علي الحسيني النجفي النسابة. وارتأى أن ينقل النسبه التي

وجدها في كتاب (نور الانوار) من تأليف السيد حسين محمد الرفاعي الذي كان من كبار علماء الأزهر الشريف ورئيس رابطة الأشراف الكبرى العالمية بمصر. وهو يرجع نسبه إلى الامام محمد المهدي بن السيد حسن العسكري بن السيد علي الهادي بن السيد محمد الجواد بن السيد علي الرضي بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن السبط الامام الحسين بن الامام علي (ع).

(ح) الاشراف من قبائل شرق السودان:

روى السيد محمد عثمان شتقراي ان اول من نزع من مكة المكرمة إلى سواكن هو جد هم المدعو الشريف محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن محمود بن علي بن منيف بن مالك بن منيف بن شيخه بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبدالرحمن بن حسين بن علي بن احمد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ونحن في هذا المقام لا يهمنا ما يثيره البعض من التحقيق في صحة هذه الانساب أو ذاك، وإنما اردنا فقط ان نلفت الأنظار إلى مدى المكانة السامية لأئمة أهل البيت لدى المسلمين في السودان.

#### ٥- الثقافة الشعبية:

نذكر على سبيل المثال انه اذا أراد أحد في السودان ان يعبر على مدى مظلوميته و بالغ الحيف الذي وقع به فإنه يقول (مظلوم ظلم الحسن والحسين) وربما لا يدرك البعض رغم ترداده لهذه المقولة من الذي ظلم الحسن؟! ومن الذي ظلم الحسين؟! وكيف انهما ظلما؟! وانما هو يردد جزء من الموروث الثقافي الشعبي في السودان. ومن ناحيه أخرى لا يكاد أحد منا في صغره لم يسمع شيئاً

من أبويه أو جديه عن سيف الكرار وشجاعة الكرار. وشعر المدائح السوداني يفيض بهذه المعاني.

وعلى كل حال فإن معرفة الشعب المسلم في السودان لأهل البيت أيا كانت تلك المعرفة وارتباط البعض بهم أيا كان نوع الارتباط هو أمر فوق كل الشبهات.<sup>(١)</sup>

#### ٦- الشيعة نواة التصوف السوداني:

واجه التدين التقليدي السوداني ممثلاً في الطرق الصوفية في الحقبين الأخيرتين خاصة منذ منتصف السبعينات هجوماً مكثفاً من الاتجاه السلفي ممثلاً في «جماعة أنصار السنة» بقيادة رموزه البارزة كالشيخ أبو زيد والشيخ الهدية. ومن ابرز القيادات الصوفية الواعية التي تصدت لهذا التيار الشيخ علي زين العابدين<sup>(٢)</sup> الذي فتح قلبه لـ «العالم» في منزله الكائن بحلفاية الملوك بالخرطوم بحري فكان هذا الحوار:

● هناك شبهات كثيرة تثار حول التصوف الاسلامي فما هو ردكم

١. أحمد حسن، الطيب: تراث المسلمين في السودان، ص ٨٥، مجلة أهل البيت، العدد (١)، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢. ولد الشيخ علي زين العابدين في حوالي عام ١٩٢٤ في المديرية الشمالية (السودان) في منطقة تقع جنوب شرق القولد وهو ينتمي إلى اسرة عريقة في العلم والصلاح من السادة الركابية.

اكمل دراسته في الأزهر الشريف. وانهى سنوات التخصص في ١٩٤٣ ثم عمل في الخدمة المدنية في مصر.

ساهم في العديد من المؤتمرات.

صدر له من الكتب «تابع الاولياء والاولياء» و«البراءة من الاختلاق في الرد على أهل الشقاق والنفاق».

عليها؟

ان التصوف بمفهومه الحقيقي هو دين الله الاسلامي الذي شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده وارتضاه لهم ديناً إلى قيام الساعة ولكن بعد ان وقعت الفتنة بين المسلمين في العصور الاولى وكثرت فرق الضلال والزندقة وتفرقت الأمة إلى ثلاث وسبعين امة كما اخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بدأ المسلمون يتلمسون الطريق الصحيح الذي كان عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يجدوا ملجأ عند فرقة من كل هذه الفرق الا الفرقة الناجية التي كانت على ما كان عليه الرسول وأصحابه وهذه الفرقة هي فرقة أهل البيت.

#### ● اذن هنالك علاقة متينة بين التصوف والتشيع؟

نعم لم يجد الذين يتلمسون الحقيقة ملجأ الا عند أهل بيت رسول الله (ص) وهؤلاء وجدوا الحقيقة وهم الذين سمو فيما بعد بالمتصوفة وهم أنفسهم الشيعة لأنهم وقفوا إلى جانب أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم). والشيعة كانوا نواة التصوف. وتفرقت بعد ذلك الطرق الصوفية، وجميع مسالك واسانيد ودلائل الطرق الصوفية ترجع إلى أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ولابد هنا ان أذكر امراً يجهله الكثير من الناس وهو معنى كلمة «الشيعة» وسبب «التشيع». كلمة الشيعة في اللغة العربية معناها الحزب أو الجهة المناصرة. وقد سموا شيعة لأنهم وقفوا الى جانب آل البيت حين فرّ الناس عنهم وناصروهم حين حاربهم الناس والتفوا حولهم حين اعتزلهم الناس ولذلك سموهم بالشيعة وعلى مرور الزمن صار هذا الوصف علما عليهم بالغلبة.

اما سبب تشيعهم فقد ورد في كتاب الله أكثر من ثلاثمائة آية في حق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحا لهم حتى سمي حزبه بحزب الله.



أهل السنّة حقيقة هم الشيعة وان انتزع غيرهم هذا الأسم. ومعلوم ان الامام الشافعي من شدة حبه لآل البيت اتهم بالرفض ومما قاله في ذلك:  
ان كان حب محمد وآله رفض

فليشهد الثقلان اني رافض

ومعلوم أيضاً ان مالك بن انس من تلاميذ الامام جعفر الصادق وابو حنيفة من تلاميذ الامام زيد وكان زيدا ومن أجل هذا نكل به. كما أخذ عن الامام جعفر الصادق أيضاً فهو من تلاميذ أهل البيت. وما نكل به الا لاتهمه بالتشيع الخفي. اما أحمد بن حنبل فقد دلّ على تشيعه ما أورده من مناقب آل البيت في مسنده. وما افرد في المناقب العلوية كتاباً مستقلاً. وقد قال الشيخ احمد بن حنبل: «ما ورد في حق أحد من أصحاب رسول الله (ص) مثل ما ورد في حق علي كرم الله وجهه من المناقب بالاسانيد الحسان».<sup>(١)</sup>

(٧) تضامن الشعب السوداني واستنكارهم ورفضهم لاغتتيال عالم أهل البيت (ع) السيد مهدي الحكيم.

امتدت في الخرطوم يد السوء والجريمة لتغتال السيد مهدي الحكيم أحد أبرز شخصيات المعارضة العراقية في الخارج وابن المجتهد الأكبر السيد محسن الحكيم الذي توفي في العام ١٩٧٠.

بيرودة دم تم اغتيال السيد الحكيم الذي كان في زيارة للعاصمة السودانية بناء على دعوة من الجبهة الاسلامية القومية لحضور المؤتمر العام للجبهة. سيارتان عاديتان تحملان لوحيتين دبلوماسيتين توقفتا بهدوء امام الفندق الذي

١ . محمد كاني، احمد: الشيعة نواة التصوف، ص ٣٦، مجلة العالم، العدد ٢٠٩، لندن،

ينزل فيه الحكيم وتوجه القاتل إلى السيد الحكيم الذي كان خرج لتوه من صلاة العشاء وأطلق عليه الرصاص من الخلف ثم أطلق رصاصة على قدم ابن شقيقته ومرافقه عبدالوهاب الحكيم ثم رصاصة في بهو الفندق لدب الذعر والفوضى في الحاضرين، الذين في معظمهم وزراء الزراعة العرب الذين تستضيفهم الخرطوم بمناسبة انعقاد مؤتمر اللجنة الزراعية العربية، وبعدها فر القاتل بسيارته الدبلوماسية إلى مقر سفارته.

وقد ذكر شهود عيان ان السيد الحكيم كان عائداً لتوه من اجتماع عقده مع الدكتور حسن الترابي الذي كان قد انتهى ثلاثة أيام من المناقشات والمداولات التي حضرها ثلاثة آلاف مندوب و مشارك و مراقب من عدة دول و منظمات و أطراف اسلامية. وعاد السيد الحكيم إلى فندقه وتناول العشاء ثم ذهب لمركز الصلاة وعندما انتهى هم إلى منطقة استقبال الفندق لأخذ مفاتيح غرفته فأطلقت عليه رصاصات الغدر.

وأكد الشهود أن جثة المرحوم بقية ممددة على الأرض لمدة نصف ساعة حتى وصل إلى مكان الحادث نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية السوداني سيد احمد الحسيني الذي أشرف على معاينة الجثة قبل نقلها، وبعدها صرح الوزير للصحفيين بأن السودان «لن يسمح بان تتحول ساحته إلى مكانة لتصفية الحسابات». ولاحظ المراقبون ان وزير الزراعة السوداني عمر نور الدايم كان حاضراً وقت حصول الحادث اضافة إلى عدد من وزراء الزراعة العرب. ولو حظ أيضاً أن الفندق وأمكنة الاجتماعات لم تكن محاطة باجراءات امنية غير عادية التي تحصل عادة في مثل هذه المناسبات واللقاءات.

وذكر الشهود انه بعد حصول الجريمة اتخذت الحكومة سلسلة اجراءات

أمنية متشددة تمثلت في اتخاذ احترازاات أمنية على الطرقات العامة والمراكز الرسمية والفنادق وكذلك اقامة نقاط تفتيش للسيارات والجسور لالقاء القبض على المجرمين. وكذلك أقدمت الحكومة على تعطيل الملاحة الجوية لفترة قصيرة ثم فرضت رقابة على الاقلاع والهبوط منذ مساء الأحد الماضي ومنعت مغادرة الطائرات المطار الدولي الا بعد تفتيشها وتدقيق هويات المسافرين بها. ولوحظ في اليوم التالي ان معظم الصحف السودانية اليومية قدر ابرزت الخبر في صدر صفحاتها الأولى دون ان ترد اتهامات محددة لجهات معينة. وكذلك لوحظ ان ابن شقيقة المرحوم عبدالوهاب رفض الذهاب إلى المستشفى وفضل العلاج في الفندق.

وأكدت مصادر مطلعة في هذا الصدد ان الحكومة السودانية كانت منزعة جدا من حادث الاغتيال واعتبرته موجها ضدها وضد الشعب السوداني الذي يمر في مرحلة صعبة للغاية.

ونقلت مصادر مطلعة ان حكومة السودان تشعر ان العملية محاولة لضرب الاستقرار الداخلي و تحويل أرضه إلى صراعات بين الخصوم ومنطقة خصبة لتصفية الحسابات. وذهبت بعض المصادر إلى القول ان حكومة السودان منزعة لان هناك بعض الأطراف تحاول الاساءة للتجربة الديمقراطية وسياسة التعايش التعددي في إطار وحدة السودان، كما انها رأّت في الجريمة خطوة مدروسة لزعة الاستقرار الأمني الداخلي وتشويه صورة السودان الخارجية ومحاولة للتشويش على العلاقات الطيبة التي تربط الخرطوم بأكثر من جهة عربية.

والمعروف ان السيد الحكيم قد أجبر على الخروج من العراق في العام ١٩٦٩ بتهمة تدبير محاولة انقلاب وبعد توجيه التهمة اليه حول الاشتراك في

تخطيط لقلب نظام الحكم نجح في الهرب إلى الخارج واستقر في دبي وبقي فيها إلى العام ١٩٧٩ حيث توجه إلى لندن ليمارس نشاطه الثقافي والسياسي والديني من العاصمة البريطانية. وفي العام ١٩٨٣ أسس السيد الحكيم مركز «أهل البيت الاسلامي» في لندن واتخذ منه نقطة اتصال وتواصل في علاقاته السياسية وانشطته الاسلامية والثقافية. وقد كتب السيد الحكيم خلال هذه الفترة العديد من المقالات والابحاث والدراسات التي نشرها في مجلات ومطبوعات اسلامية عربية وكذلك شارح في عشرات الندوات والمؤتمرات والاجتماعات التي اتصفت بلونها الاسلامي.<sup>(١)</sup>

---

١. ....: اغتيال العلامة السيد مهدي الحكيم في الخرطوم، ص ٢٠، مجلة العالم، العدد ٢٠٦، لندن، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

## المؤسسات الشيعية

### ١- جمعية آل البيت الخيرية: (١)

تعتبر هذه الجمعية السودانية جمعية فكرية تصطبغ بمسحة وطابع روحي وتضمّ في عضويتها عدداً من المثقفين وأساتذة الجامعات، وهم ذوو مسالك صوفية.

وجاء في تعريف الجمعية: إن الجمعية حركة إسلامية تستلهم أفكارها من الكتاب والسنة، وقد اختارت الجمعية اسم آل البيت بهدف توحيد الكلمة حول محور واحد هو حبّ الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام. أثمرت نشاطات الجمعية الاجتماعية: إصدار مجلة (الهدى المحمدي).

وفي مناسبة ذكرى مولد الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها أقامت الجمعية احتفالاً رائعاً في صالة الشارقة بجامعة الخرطوم شارك فيها محبّو الزهراء عليها السلام، وقد تحدّث رئيس الجمعية الشيخ نيل أبو قرون عن مناقب سيدة نساء العالمين وتطرّق إلى حقد أعداء الاسلام على أهل البيت ومحاولاتهم الاساءة للتاريخ الإسلامي. (٢)

وكذلك أقامت الجمعية مجلس عزاء بمناسبة شهادة امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الخميس المصادف ١٢/١٢/١٩٧٢م في نادي

---

١ . حسب قوانين دولة السودان: أي نشاط أو تجمع شعبي أو ثقافي يجب ان يكون في اطار مؤسسة خيرية تلتزم بمنشورها.

٢ . مجلة رسالة الثقلين/السنة الأولى/ العدد الرابع/ص٢٢٨.

الضباط في الخرطوم حيث حضره العلماء من السودان واساتذة الجامعات من أمثال الدكتور حسين النور والدكتور عبدالوهاب سر الختم من جامعة الخرطوم تحدثا بإسهاب حول شخصية علي بن أبي طالب (عليه السلام).

أشار الدكتور سر الختم في معرض حديثه قائلاً: «إن أكثر علماء الشيعة والسنة متفقون على ان عدداً من الآيات القرآنية نزلت في شأن علي (ع) وأضاف ان الآية: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...» والذين آمنوا إشارة إلى سيدنا علي وفاطمة الزهراء. وبعدها تحدّث الشيخ نيل قائلاً: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه. يجب ان يكون حياة علي (ع) منهاجنا في الحياة».

وضمن المحاضرات كانت بعض الفرق الصوفية تنشد المدائح في رثاء أمير المؤمنين (عليه السلام).

استطاعت جمعية آل البيت ان تعقد ندوات اسبوعية لنشر الإسلام وفق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في الخرطوم وبعض الولايات الشمالية في السودان، وقد طبعت كتباً في هذا المضمار واجرت ندوات من الشاشة المتحركة السودانية. هذا وقد اقدمت الجمعية في الآونة الأخيرة ببناء مسجد آل البيت في مدينة الخرطوم وقد افتتح في شهر ربيع الأول عام ١٤١٥ هجرية.

مؤسس جمعية آل البيت هو الشيخ النيل عبدالقادر ابوقرون شيخ الطريقة في السودان، من مواليد الخرطوم عام ١٩٤٧م. اتم دراسته الجامعية في جامعة الخرطوم وعمل قاضياً في المحكمة العليا بالعاصمة السودانية، ثم وزيراً للشؤون القانونية لعدة سنوات. ونظراً لدراساته العميقة حول مذهب أهل البيت (عليهم السلام)؛ اصبح من دعاة مذهب أهل البيت (ع) في السودان.<sup>(١)</sup>

١ ... : أساس الدعوة في الإسلام، ص ٣٢، مجلة العالم، العدد ٣٢٥، لندن، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

هذا هو نص الكلمة التي القاها الشيخ النيل عبدالقادر أبو قرون، رئيس الجمعية في الإحتفال الثالث الذي أقامته جمعية آل البيت الخيرية بذكرى مولد سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء على أبيها وعليها السلام.

الجمعة ٢٠ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٩٣م دار

الشرطة ببرى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحابته المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

يا أحباب آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا أقول لكم الشكر الجزيل على حضوركم لاحتفالنا الثالث بمولد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء التي يرضى الله لرضائها ويغضب لغضبها ولكني أقول لكم البشرى بحضوركم هذا الذي هو إظهار المودة لآل بيت رسول الله. المودة التي فرضها الله علينا.

فهذا الحفل هو إظهار لقيامنا بهذه الفريضة التي يجب أن ترى في حياة المسلمين وتُحس في سلوكهم. وقد فرض الله علينا مودة آل البيت في قوله جل وعلا «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» وحينما سئل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هم قرابتك هؤلاء الذين فرض الله علينا مودتهم قال: «فاطمة وعلي وأبناهما» والأمر ليس كما يقول بعض الذين يجهلون أمر دينهم وعقيدتهم أو أولئك الذين ملئت قلوبهم بجفاء رسول الله وآله فهؤلاء

يتحدثون عن احتفالنا بمولد سيدة نساء أهل الجنة بأنه بدعة وذلك إما لجهلهم أو لفساد عقيدتهم الخالية من محبة النبي وآل بيته الأطهار إنما الأمر هو وجوب إظهار فريضة محبة آل البيت حتى ينتبه الغافلون عنها ويستبصر السالكون بها وينجو المعتصمون بها ويستيقين المستمسكون بها.

فقد عشنا زمناً طويلاً لا نعرف متى ولدت السيدة فاطمة الزهراء بضعة رسول الله التي يغضبه ما يغضبها ويؤذيه ما يؤذيها بل نجد البعض يتخرجون من ذكر السيدة فاطمة والاحتفال بمولد السيدة فاطمة كأننا نعيش في عهد اليزيد في حكم بني أمية الذين اعتبروا آل البيت معارضة لحكمهم فقتلوهم وقتلوا من يعاضدهم وتتبعوا محو سيرتهم بل جعلوا شتمهم من ملذاتهم ولعن علي (عليه السلام) على منابر المساجد أعواماً طويلة كان سنة ما أقبحها من سنة بني أمية وأصبح الناس يخافون صحبة من يمجّد آل البيت لألايتهم الرجل بمعارضة النظام فيقوده ذلك إلى الهلاك وبالتالي ابتعد الناس خوف السلطان من إظهار مودة آل بيت نبيهم المفروضة عليهم وصار الأمن الأموي بالمرصاد لكل من يقول عليه السلام للإمام علي أو يقول الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقال أنه من شيعة آل البيت ويحكم عليه بما يرى السلطان واستمر الحال كذلك في العهد الأموي والعهد العباسي وما بعد ذلك واقتصر الناس في الصلاة على النبي بقولهم (صلى الله عليه وسلم) بدلاً من قولهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذها الناس ببراء بهذه الصيغة إلى يومنا هذا كأنهم لا يزالون في عهد بني أمية. وقد آن لنا أن نتنبه وتتبع الهدى المحمدي فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم «لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء» وهي التي لا يذكر فيها الآل. وآن لنا أن نقيم من الشعائر ما يظهر صحة العقيدة فإن من خلا جوفه من محبة آل البيت فقد فسدت عقيدته والنار



مشواه لقول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) «والذي نفس محمد بيده لو أن أحداً صفن بين الركن والمقام وصلنى وصام ومات وهو مبغض لنا أهل البيت دخل النار» والمحبة تترجم بأفعال تناسبها وهي إظهار تعظيم المحبوب وآثاره وإحياء ذكره كلما سنحت سانحة.

وإننا لا نكتفي بأن نحیی في العشرين من جمادى الآخرة في كل سنة ذكرى مولد سيدة نساء العالمين التي يرضى الله برضاها ويغضب لغضبها بل نطالب الدولة الإسلامية أن تصحح يوم المرأة العالمي ليكون هو يوم ولادة السيدة فاطمة الزهراء وتشر فيه سيرتها وحياتها لتكون المثل الأعلى للمرأة المسلمة لمجتمع مسلم يتبغي وجه الله في كل توجهاته وسلوكه.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر وأكرر شكري للجنة الثقافية بدار الشرطة ببرى لتعاونهم الكريم معنا هذا لإحياء ذكرى مولد السيدة فاطمة الزهراء وهذا مما يدل على حسن توجههم وتمسكهم بمحبة نبيهم وآله بيته فداموا سنداً للتوجه الإسلامي وذخراً لحماية شرع الله.

وأشكر كذلك كل المشائخ والأحباب الذين حباهم الله بمحبة آل بيت رسول الله فتكبدوا مشاق المجيء لهذا الحفل المبارك فزادوا نوراً على نورهم وبركة على بركاتهم بفضل من تطمع أن نفوز برضاها فننيل رضا الله لأن الله يرضى لرضائها. عليها وعلى أبيها وبعلمها وأبنائها السّلام. وعلينا وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته.

٢ - جمعية الثقلين الخيرية:

استمدت شعارها من الحديث النبوي الشريف «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

ويرأس الجمعية الشيخ محمد<sup>(١)</sup> الشيخ الريح الشيخ حمد النيل من كبار الطريقة القادرية في ولاية الخرطوم والذي هداه الله واستبصر بجهود المخلصين من اتباع أهل البيت (عليهم السّلام). لهذا نراه يُعلن إخلاصه بجهوده المكثفة في نشر تعاليم أهل البيت (عليهم السّلام) إذ إنه يشرف حالياً على ثلاثين مسجداً في مدينة الخرطوم.

من جهوده في الجمعية إقامة مجالس الغزاء لسيد الشهداء الحسين بن علي

١. في عام ١٩٩١م تعرّف الأخوة الشيعة في الخرطوم على الشيخ محمد الريح وهو من العائلات السودانية المعروفة وممثل إحدى أكبر الفرق الصوفية هناك يحمل أفكاراً في ضمنها اسئلة كثيرة استوحاها من اعداء أهل البيت (عليهم السّلام)، وكان يريد لها اجوبة مقنعة.

استقبله الأخوة برحابة صدر واستمرت المناظرات ودامت المباحثات طيلة ستة أشهر خرج منها الشيخ وهو مؤمن بواقع القضية وأصبح من الموالين المخلصين لأهل البيت (عليهم السّلام).

وبمساعدة الأخوة الشيعة في الخرطوم وما قدّموه من مساعدات معنوية ومادية قام الشيخ محمد الريح بتأسيس جمعية الثقلين الخيرية استوحى اسمها من الحديث النبوي الشريف: «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وما إن تأسست الجمعية حتى انخرط أقرباء وأصدقاء والموالين للشيخ في سلك الشيعة الجعفرية الأثنى عشرية.

وبعد برهه وجيزة من الزمن قام الشيخ بإقامة أول مجلس غزاء في السودان لسبط النبي الأكبر سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السّلام) في العشرة الأولى من محرم عام ١٤١٥ هجرية وكان لها أكبر الأثر في نفوس الحاضرين والمشاركين؛ حيث القيت فيه مختلف المحاضرات التي تكشف عن المصائب التي جرت على أهل البيت (عليهم السّلام).

(عليهما السّلام) في العشرة الأولى من شهر محرم والذي بدأه من سنة ١٤١٥ هجرية.

إصدار كتاب تحت عنوان: أهل البيت (عليهم السّلام) في آية التطهير. ضمن مجلة «الثقلين».

نبذة موجزة عن حياة الشيخ محمد الريح حمد النيل  
المولد والنشأة:

ولد الشيخ محمد الريح حمد النيل بمدينة أم درمان (عام - ١٩٥٩م) في السودان.

وقبل دخوله إلى المدارس الأكاديمية، أرسله أهله إلى إحدى جلسات القرآن الكريم لتعلم وحفظ كتاب الله العزيز.

بعد ذلك تدرج في المدارس الأكاديمية حتى تخرج من معهد أم درمان العلمي العالي.

وأما في المجال الديني فهو رئيس الطريقة العركية القادرية في ولاية الخرطوم، كما أنه المؤسس والأمين العام لجمعية الثقلين الخيرية، بالإضافة إلى كونه إمام وخطيب مسجد الشيخ إسحاق في مدينة أم درمان.  
مع مؤلفاته:

للشيخ محمد الريح عدة مؤلفات منها:

أبو طالب مؤمن قريش.

المهدي (عليه السّلام).

الحجج الباهرة في العترة الطاهرة.

الفرق بين / الجزء الأول.

الفرق بين / الجزء الثاني.

الزهراء (عليها السلام).

الخطب المنبرية.

بنو هاشم وبنو أمية.

وكنموذج من مؤلفاته نتصفح الجزء الأول من كتابه الفرق بين الفرق والذي يبحث فيه مميزات الشيعة الإمامية والزيدية من جهة ومميزات أهل السنة من جهة أخرى، والفوارق بين الفريقين، ويقول في هذا الصدد:

«لا نتكلف الأمر، فنحن نعتمد أولاً على العقل السليم والفهم القويم الذي ميز به الإنسان دون غيره من المخلوقات... لا بد من إعمال العقل السليم وتمحيص الحق لتعرفه من بين ركام الباطل، ونزن الأمر بميزان العدل، فنرجح كفة المعقول...» عن كتابه الفرق بين: ج ١ ص ١.

ثم يشرح بعد ذلك بشرح معنى كلمة «الشيعة» وكيفية نشوء التشيع والآراء المطروحة حوله...، ثم يعطي أبرز الفروق والتشابهات بين الشيعة والمعتزلة، وبين الشيعة والاشاعرة. ثم يرجع إلى التعريف بالشيعة الإمامية وإعطاء الفرق المائز بينهم وبين الزيدية.

المتعة بين التحريم والتحليل:

يتناول الشيخ محمد الريح في الجزء الأول من كتاب الفرق بين الفرق إحدى المسائل الخلافية بين الشيعة والسنة، ألا وهي مسألة زواج المتعة، فالشيعة يرون حليته بينما السنة حرمته!

يعتمد السنة في تحريم زواج المتعة على تحريم عمر بن الخطاب الذي

تواتر عنه القول: «متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء».

وأدنى تدبر في هذه العبارة نجد أن هذا التحريم اجتهاد من قبل عمر مقابل النصوص القرآنية والنبوية الشريفة، وهو يضاف لاجتهاداته وابتداعاته العديدة كـ(صلاة التراويح)، حذف حي على خير العمل من الأذان إضافة للتثويب في أذان الفجر،...).

ويذكر الشيخ محمد الريح بعض المصادر التي تؤكد وجود المتعة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثم حرّمها عمر بن الخطاب فيما بعد، مثل: تفسير السيوطي: ج ٣ ص ١٤١. كنز العمال: ج ٨ ص ٢٩٢. بداية المجتهد: ج ١ ص ٢٤٦. زاد المعاد: ج ٢ ص ٢٠٥. المغني لابن قدامة: ج ٧ ص ٥٢٧. المحلى لابن حزم: ج ٧ ص ١٠٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٦٧. أحكام القرآن: ج ١ ص ٢٧٩. تفسير النيشابوري: ج ٥ ص ١٧. تفسير الفخر الرازي: ج ٢ ص ٢٠٠. تفسير القرطبي: ج ٥ ص ١٢٠. صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٤.

وأما شيعة أهل البيت (عليهم السلام) فيستندون في تحليل زواج المتعة إلى مصادر التشريع: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى:

(فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهم فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة أن الله كان عليماً حكيماً) النساء: الآية ٢٤.

وهذه الآية صريحة في جواز هذا النكاح، ولم يثبت نسخ هذه الآية لأنه لو كان ثابت لاستدل به عمر ومن نهج نهجه، ولما اعتمد هو وغيره على القوة والعنف في التحريم! وكذلك يستند الشيعة إلى السنة النبوية، يقول عبدالله بن مسعود:

«كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس لنا نساء. فقلنا: ألا

نستخصي؟ فهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالتوب إلى أجل، ثم قرأ  
عبدالله:

«يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا  
يحب المعتدين».

(صحيح مسلم. كتاب النكاح: ج ١٤٠٤ ص ١٠٢٢ بأساليب متعددة.  
صحيح البخاري: ج ٣ ص ٨٥ و ١٥٩. مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٤٢٠ باختصار.  
سنن البيهقي: ج ٧ ص ٢٠٠-٢٠٢ تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٨٧).

#### الخلاصة: (١)

يسجل الشيخ محمد الريح في كتابه خلاصة القول، بأن حكم المتعة باق و  
جار و ان الذين يحرمونه، فهم على غير هدى، بل يفضون النظر عن كثير من  
المحظورات تحت ستار المدنية في صور شتى! ولذا يجب الأخذ بما جاء في  
كتاب الله وسنة نبيه ونبذ ما سواههما، يقول تعالى:

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر: الآية ٧.

كانت للجمعيات الشيعية السودانية الأثر البالغ في توعية المثقفين من  
الجامعيين وغيرهم من المتعلمين وعلى سبيل المثال نرى السيدة الدكتورة  
خديجة كرار الاستاذة في جامعة أم درمان الاسلامية تقف بصمود وتخطب في  
يوم المرأة العالمي وبتاريخ ١٢/٥/١٩٩٣م امام الجماهير المحتشدة لتقول: «هذه  
اللحظة الآن تعطره ذكر فاطمة الزهراء بنت المصطفى(ص) التي قال عنها أنها

١. آل قطيط، هشام: المتحولون (حقائق و وثائق)، ص ١١٦، دار المحجة البيضاء، الطبعة  
الأولى، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

سيدة نساء العالمين وانها سيدة نساء الجنة فلماذا نحتفل نحن اليوم بذكرى هذه السيدة هل ميزها كونها بنت المصطفى (ص)؟ هل اعطاها ذلك فضلاً مادياً على نساء العالمين كلا اننا اذا ما وقفنا على حياة هذه السيدة الجليلة فاننا سنستشف منها مواقف هي رمز وتجسيد لمعان الدين الحنيف. لنرى ماذا قال عنها المصطفى (ص) نحن نعلم انها كانت الخليفة له في العناية والرعاية بعد وفاة السيدة خديجة (عليها السلام) وإذا كنا نريد ان نصف السيدة فلن نستطيع ان نصفها ابغ من ما وصفها به المصطفى (ص) حينما كان يناديها بأُم أبيها فالامومة تجسيد للحنان والعطف وتجسيد للتمازج بين روح الأم والابن فكانت هذه الزهراء نعم الخلق لخير سلف للسيدة خديجة (عليها السلام).

كان الرسول (ص) إذا كان مسافراً كان آخر من يرى السيدة فاطمة وكان اذا عاد من سفره اول من يرى السيدة فاطمة هل كان هذا تكريماً لامرأة عادية كلا تعالوا نقف عند موقف من حياتها يختص بهذه العادة التي اعتادها الرسول (ص)... السيدة فاطمة كانت كثيرة الدعاء لا لنفسها في عبادتها ولكن للمسلمين من حولها حتى ان ابنها مرة قال لها لماذا لا تدعين لنفسك قالت: يا بني الجار ثم الدار. هذه الروح المؤثرة تحمل همّ الامة وهمّ الرسالة في روحها وهذا يعكس جانباً انسانياً في شخصية هذه المرأة العظيمة».

## مفكرون سودانيون استبصروا وخدموا المذهب الشيعي بمؤلفاتهم

١- الشيخ النيل عبدالقادر ابوقرون

مؤسس جمعية آل البيت

٢- الشيخ محمد الريح حمد النيل

مؤسس جمعية الثقلين الخيرية

٣- الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني

مؤلف كتاب: الحقيقة الضائعة

٤- المحامي عبدالمنعم حسن

مؤلف كتاب: بنور فاطمة اهتديت

٥- المحامي محمد علي المتوكل

مؤلف كتاب: ودخلنا التشيع سجداً

٦- الاستاذ محمد الفاتح

وبما أننا تكلمنا - فيما مضى - عن الشيخ النيل عبدالقادر ابوقرون والشيخ

محمد الريح حمد النيل؛ سنبدأ بالشيخ معتصم سيد أحمد السوداني.



٣- الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني

مؤلف كتاب:

١- الحقيقة الضائعة

٢- رحلتي نحو مذهب آل البيت (ع)

٤- مقتطفات من حياتي

أيام صباي:

كانت تتناوب الرغبة منذ صغري.. وتشدني الفطرة نحو الالتزام بالدين، وكانت الصورة التي تراود ذهني وأستشف منها مستقبلي، لا تخرج عن اطار التدين فكنت ارى نفسي عبر أحلام اليقظة بطلاً وفارساً إسلامياً مجاهداً، ردّ للدين حرمة وللإسلام عزته لم أكن قد تجاوزت المراحل الأولى في المدارس الأكاديمية، ولذلك كانت أفكارى قاصرة، والمامي بتاريخ المسلمين وحضارتهم محدوداً، ولم أكن أعرف الا بعض القصص عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحروبه مع الكفار، وبطولات الامام علي (عليه السلام) وشجاعته.. وبعد دراستنا لتاريخ الدولة المهديّة في السودان، أعجبت بشخصية (عثمان دقنة) وهو أحد قواد جيش المهدي الثائر في شرق السودان، وكان يشدني جهاده عندما كان استاذنا في التاريخ يصور لنا استبساله وعظمة شخصيته، وهو مجاهد بين الجبال والوديان.. وهكذا تعلق قلبي به، وبنيت آمالي على أن اكون مثله، وبدأت أفكر بعقلي الصغير للوصول لهذا الهدف فكان طريقي الوحيد الذي كنت أتصوره أن أكون خريجاً في المستقبل من الكلية الحربية العسكرية حتى أتدرب على فنون القتال واستعمال السلاح، وعشت على هذا الهوس سنين من عمري.. حتى انتقلت

إلى المرحلة الثانوية، وفيها تفتحت مداركي وازدادت معرفتي.

### كيف كانت البداية:

كان البحث عن المنهج والفكر الناضج والثقافة المسؤولة صعباً وكانت المرحلة مريرة رغم أن بحثي كان بصورة عفوية وفطرية ففي أثناء حياتي الطبيعية كنت أسأل وأناقش وغير ذلك ولم يكن هناك تفرغ للبحث والمثابرة.

وبعد الغزو الوهابي العنيف على السودان واشتداد المناظرات والمناقشات وازدياد الاسئلة الواقعية تلك الاسئلة العفوية التي كانت تراود ذهني.

فكثر اهتمامي بالوهابية متابعاً لمناظراتهم وندواتهم التي كانت تشدني وأهم ما تعلمته منهم في تلك المرحلة هي الجرأة وتحدي الواقع ومخالفته فلقد كنت أعتقد أن الواقع مقدس لا يمكن التهجم عليه أو التعرض له رغم ملاحظاتي الكثيرة عليه التي غالباً ما كنت أستشفيها من وجداني وفطرتي فكنت أتحفظ على كثير من أفعال وممارسات المجتمع الديني.

فواصلت معهم المسير ودار بيني وبينهم كثير من المناقشات التي كانت في الواقع عبارة عن تلك الاسئلة التي كانت حائرة في ذهني فوجدت لبعضها أجوبة أرضتني في تلك المرحلة وأسئلة لم أجدها أجوبة عندهم فكان هذا كفيلاً بالنسبة لي أن أتعاطف معهم وأشد أزرهم مع بقاء بعض الملاحظات التي كانت حائلاً بيني وبين أن ألتزم تماماً بالمنهج الوهابي أولها وأهمها أنني لم أجد عندهم ما يكفيني ويلبي طموحاتي الرسالية وكان الوسواس يأخذني أحياناً بقوله: إن الذي تفكر فيه وتبحث عنه شيء مثالي لا واقع له وأن الوهابية أقرب نموذج للإسلام ولا بديل غيرها.

فكنت أنساق لهذا الوسواس وأصدقه لعدم معرفتي بالأفكار والمدارس

الأخرى ولكن سرعان ما أُنْتَبِهَ إلى أن الذي صنع العظماء في الإسلام لا يمكن أن يكون هذا الفكر الوهابي فكننت أصرخ إن الوهابية هي أقرب الطرق إلى الإسلام لما يقيمونه من أدلة ونصوص على صدق مذهبهم لم أشهداها في الطوائف الأخرى في السودان - ولكن مشكلتهم أن هذا المذهب الذي يتبنوه أشبه بقوانين الرياضيات فهو عبارة عن قواعد وقوانين جامدة تطبق من غير أن تكون لها انعكاسات حضارية واضحة في حياة الإنسان وفي فن تعامله مع هذه الدنيا في شتى الأصعدة الفردية منها أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية وحتى في كيفية العلاقة مع الله تعالى بل العكس تماماً فكثيراً ما تجعل الإنسان متوحشاً في عزلة عن المجتمع بما يحمله من صكوك التفكير لكل قطاعاته فلا يستطيع الواحد منهم أن يتعايش مع المجتمع فيتميز عنهم بلباسه وتصرفاته وفي كل جزئية من حياته لا يتألف إلا مع أقرانه فكننت أحس منهم الغرور والكبر والأنفة لأنهم ينظرون إلى الناس من شاهر عال لا يتفاعلون معهم ولا يشاركونهم في حياتهم وكيف يشاركونهم؟! وكل ما يفعله المجتمع بدعة وضلال وأنا أذكر جيداً عندما دخل المد الوهابي إلى قرينتا في مدة قليلة ومن غير دراسة ووعي انضمت مجموعة كبيرة من الشباب إلى الخط الوهابي ثم لم يستمر الزمن كثيراً حتى تخلوا عنه جميعاً وكان هذا توقعي لأن المذهب الجديد منعهم من مخالطة المجتمع وحرّم عليهم كثيراً من العادات التي تربوا عليها وهي في الواقع لا تخالف الدين.

ومن الطريف أن أذكر أن الأشياء التي كان يعاني منها الشباب المنضمون إلى الوهابية أنه كان من العادة في قرينتا أن الشباب ليالي القمر يجلسون على الرمال الصافية ويتسامرون ويقضون أوقاتهم وهي ساعة اللقاء الوحيد للشباب القرية الذين يعملون طوال النهار في مزارعهم وأشغالهم المتعددة فكان شيخهم

يمنعهم من ذلك ويحرمه عليهم بحجة أن رسول الله (ص) حرم الجلوس في الطرقات رغم أن هذه الأماكن لا تعتبر طرقات ثانياً وهي مشكلة كل الوهابية أن الواحد منهم بزم من قليل من تدينه وبقليل من العلم يصبح مجتهداً يحق له أن يفتي في أي مسألة وأذكر يوماً أن أحدهم كان جالساً معي أناقشه في كثير من الأمور وفي أثناء النقاش انتفض قائماً بعدما سمع صوت أذان المغرب في مسجدهم قلت له: مهلاً نكمل حديثنا قال: لا حديث قد حان وقت الصلاة هيا لنصلي في المسجد قلت له: أنا أصلي في بيتي - رغم التزامي بالصلاة معهم قال صارخاً: باطلة صلاتك. ذهلت من هذا القول وقبل أن أستفسر أدار ظهره ليذهب قلت له مكانك ما هو سبب بطلان صلاتي في البيت؟.

قال (بكل افتخار وعجب) قال رسول الله (ص) لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قلت له لا خلاف في أفضلية صلاة الجماعة في المسجد ولكن هذا لا يعني سلب صحة الصلاة في غير هذا الموضع والحديث ناظر لتأكيد هذه الأفضلية لا لتبيين حكم الصلاة في البيت والدليل على ذلك أننا لم نر في الفقه أن من مبطلات الصلاة الصلاة في البيت ولم يفت أحد من الفقهاء في هذه المسألة ثم ثانياً بأي حق تصدر هذه الأحكام؟! هل أنت فقيه؟! ومن الصعب جداً أن يفتي الإنسان ويبين حكماً لموضوع معين فالفقيه يقوم بدراسة كل النصوص في مثل هذا المورد ويتعرف على دلالة الأمر والنهي في النص هل يدل الأمر على الوجوب أم على الاستحباب والنهي هل يدل على الحرمة أم الكراهة فهذا الدين عميق فاوغل فيه برفق.

بدا الانكسار في وجهه وعبس وبسر ثم قال: أنت تؤول الحديث والتأويل

حرام.. وذهب..

فاحتسبت أمري لله من هذا الأحمق الذي لا يفهم شيئاً.  
 هذه العقلية المتحجرة كانت هي السبب الثاني الذي حال بيني وبين أكون  
 وهابياً رغم أنني تأثرت بكثير من أفكارهم فكنت أتبناها وأدافع عنها.  
 وبقيت على هذه الحال مدة من الزمن تائهاً لا قرار لي ولا اتجاه أقترب من  
 الوهابية حيناً وأبتعد عنها حيناً آخر ورأيت أن الحل الوحيد أمامي بدلاً من الكلية  
 العسكرية أن أدرس في كلية أو جامعة إسلامية حتى أوصل بحثي بطريقة أكثر  
 دقة وإمعاناً وبعد إمتحاني للجامعة وكانت هناك سنة رغبات من الجامعات  
 والمعاهد التي يرغب الطالب في دراستها فلم أختار غير الجامعات والكليات  
 الإسلامية وبالفعل تم قبولي في أحد الكليات الإسلامية (وهي كلية الدراسات  
 الإسلامية والعربية في جامعة وادي النيل في السودان) فطرت فرحاً وأعددت  
 العدة لهذه المرحلة الجديدة في حياتي وبعد أداء التدريب العسكري (الدفاع  
 الشعبي) الذي لا يمكن دخول الجامعة إلا بعد الفراغ منه بدأت الوفود من مختلف  
 أنحاء السودان بالمجيء إلى الجامعة وكنت أنا من أولهم. وبعدها انطلقت إلى  
 المكتبة التي حوت كثيراً من الكتب والموسوعات الضخمة فأصبحت ملازماً لها  
 ولكن المشكلة التي واجهتني هي من أين أبدا وأي شيء أقرأ؟

وبقيت على هذا الحال انتقل من كتاب إلى آخر وقبل أن أضع لنفسي  
 برنامجاً فتح لي أحد أقاربنا باباً واسعاً ومهماً في البحث والتنقيب وهو دراسة  
 التاريخ وتتبع المذاهب الإسلامية لمعرفة الحق من بينها وكان الفتح توفيقاً إلهياً لم  
 يكن في حساباني عندما التقيت بقريبي عبدالمنعم وهو خريج كلية القانون -  
 في منزل ابن عمي في مدينة عطيرة وقبل غروب الشمس رأيته في ساحة المنزل  
 يتحاور مع احد (من الأخوان المسلمين) الذي كان ضيفاً في البيت فأرهفت السمع

لأرى فيم يتحدان وأسرعت إليهم عندما علمت بطبيعة النقاش وهو في الأمور الدينية فجلست بالقرب منهم أراقب تطورات المحاوراة التي امتاز فيها عبدالمنعم بالهدوء التام رغم استفزازات الطرف الآخر وتهجمه ولم أعرف طبيعة النقاش بتمامه إلى أن قال الأخ المسلم: الشيعة كفار زنادقة<sup>(١)</sup>!!!

هنا انتهت وأمعنت النظر ودار في ذهني استفهام حائر..

من هم الشيعة؟ ولماذا هم كفار؟

وهل عبدالمنعم شيعي؟

وللإنصاف إن عبدالمنعم أفحم خصمه في كل مسألة طرحت في النقاش بالإضافة إلى لباقة منطقته وقوة حجته.

وبعد الانتهاء من الحوار وأداء صلاة المغرب انفردت بقريبي عبدالمنعم، وسألته بكل احترام هل أنت شيعي؟ ومن هم الشيعة؟ ومن أين تعرفت عليهم؟ قال: مهلاً.. مهلاً سؤال بعد سؤال.

١. بإجماع المفسرين - ماعدا القرطبي - نزلت آية الفسق في حق الوليد، ولكن مرشد الإخوان ينسبها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ يقول في تفسيره: «وفي سبب نزول هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» ترد روايتان يشترك في أحدهما علي وعبدالرحمن بن عوف من المهاجرين. وسعد بن معاذ من الأنصار... وروى ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار. حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله الدشتكي أبو جعفر. عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: «صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا، وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموا فلاناً قال: فقرأ: قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون! فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون».\*

\* سيد قطب: في ظلال القرآن، ص ٦٦٤، ص ٦٦٥، المجلد الثاني، الجزء الخامس، من سورة النساء، دار الشروق، بيروت / القاهرة، الطبعة الشرعية العاشرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

قلت له عفواً، أنا ما زلت مذهولاً مما سمعته منك.

قال: هذا بحث طويل ومجهود أربع سنوات من العناء والتعب مع الأسف لم تكن النتيجة متوقعة.

فقاطعته: أي نتيجة هذه؟

قال: ركام من الجهل والتجهيل عشناه طوال حياتنا نركض خلف مجتمعاتنا من غير أن نسأل هل ما عندنا من دين هو مراد الله تعالى وهو الاسلام؟ وبعد البحث اتضح أن الحق كان مع أبعد الطرق تصوراً في نظري وهم الشيعة. قلت له لعلك تعجلت.. أو اشتبهت...!

فابتسم في وجهي قائلاً: لماذا لا تبحث أنت بتأمل وصبر؟ وخاصة أن لكم مكتبة في الجامعة تفيدك في هذا الأمر كثيراً.

قلت (متعجباً) مكتبتنا سنوية فكيف أبحث فيها عن الشيعة؟!

قال: من دلائل صدق التشيع أنه يستدل على صحته من كتب وروايات علماء السنة فإن فيها ما يظهر حقهم بأجلنى الصور.

قلت: إذن مصادر الشيعة هي نفس مصادر أهل السنة؟!

قال: لا فإن للشيعة مصادر خاصة تفوق أضعافاً مضاعفة مصادر السنة كلها مروية عن أهل البيت (ع) عن رسول الله (ص) ولكنهم لا يحتجون على أهل السنة بروايات مصادرهم لأنها غير ملزمة لهم فلا بد أن يحتجوا عليهم بما يتقون به أي الزمومهم بما الزموا به أنفسهم.

سرنى كلامه وزاد تفاعلي للبحث قلت له إذن كيف أبدأ؟

قال: هل يوجد في مكتبتكم - صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند

أحمد والترمذي والنسائي؟

قلت: نعم عندنا قسم ضخم لمصادر الحديث.  
قال من هذه ابدأ ثم تأتي بعد ذلك التفاسير وكتب التاريخ فإن في هذه  
الكتب أحاديث دالة على وجوب اتباع مدرسة أهل البيت.  
بعد مراجعة تلك الأحاديث في البخاري ومسلم والترمذي في مكتبة  
جامعتنا تأكد لي صدق مقالته وفوجئت بأحاديث أخرى أكثر دلالة على وجوب  
اتباع أهل البيت مما جعلني أعيش في حالة من الصدمة لم نسمع بهذه الأحاديث  
من قبل؟!  
وبعد قراءة كتاب المراجعات والنص والاجتهاد وبعض الكتب الأخرى،  
اتضح لي الحق وانكشف الباطل، لما في هذين السفرين من أدلة واضحة وبراهين  
ساطعة بأحقية مذهب أهل البيت.  
وازدادت قوتي في النقاش والبحث، حتى كشف الله نور الحق في قلبي،  
وأعلنت تشييعي<sup>(١)</sup>...

١ . آل قطيط، هشام: المتحولون (حقائق ووثائق)، ص ٢٦٨، دار المحجة البيضاء، بيروت،  
الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ.



٤ - المحامي عبدالمنعم حسن

مؤلف كتاب:

(بنور فاطمة اهتديت)

ظلال التشيع في السودان

يقول المحامي الأستاذ عبدالمنعم حسن وتحت عنوان ظلال التشيع في السودان: بعد أن انتبهت من الغفلة وبدأ نور الحقيقة يكشف عن الواقع التفت إلى مجتمعي في السودان الذي يتميز بالبساطة والفضيلة والأخلاق الدينية، فوجدت أن هنالك أشياء أخرى بدأت تظهر لي بعد استبصاري وهو أن الخلفية الثقافية التي بنى عليها الشعب السوداني نمط سلوكه وطريقة تفكيره خلفية شيعية بلا أدنى شك، لاحظت ذلك في كل مفردة من مفردات الحياة العامة في الشارع السوداني بل أن معظم معتقداتهم تهتف بأن للتشيع جذوراً عميقة في السودان وأذكر أن أحد الإخوة قال لي: إن الصوفية ثمرة التشيع أو هم فرعان لأصل واحد بل الصوفية هم الشيعة في ثوب سني فقلت له: إذاً السودان بلد شيعي إنحرف به التيار.

وباطلاعي على التاريخ وجدت إشارات تبين هذه الحقيقة، وأعتقد أن الدولة الفاطمية التي قامت في مصر لها الأثر في ذلك، إذ أن حوض النيل الذي يربط بين مصر والسودان كان من العوامل المساعدة لانتقال التشيع إلى السودان في عهد الدولة الفاطمية وهي دولة شيعية.. وحب أهل البيت (ع) وما يرتبط بهم من عقائد بصورة مجملة من الثوابت الفكرية المشتركة بين مصر والسودان ومقامات أهل البيت (ع) في مصر وتسيير القوافل من السودان لزيارتها شاهد على ذلك حتى قال أحد المشايخ في السودان ويدعى محمود البرعي وله قصائد كثيرة في مدح أهل البيت (ع) في إحدى قصائده «مصر المؤمنة بأهل الله» ويقصد أنها مؤمنة بأهل البيت (ع).

ولا أحد ينكر عمق المحبة لأهل البيت (ع) في مصر والسودان، وأنا لا أستطيع أن أحصر كل تلك المظاهر ذات الجذور الشيعية ولكن ما وجدناه من آثار يدل على أن الشيعة انتقلوا إلى السودان يوماً ما وكرسوا في نفوس الأجيال محبة أهل البيت (ع) دون أن يعلنوا عن عمق معتقدتهم وربما يكون ذلك تخوفاً بعد أن تذوق الشيعة الأمرين على طول التاريخ.

ومما نستظره من كتب التاريخ أن اعتماد الدولة الفاطمية في جيشها كان على السودانيين وكان الحرس الخاص لخلفائها منهم، يقول ابن الأثير في تاريخه الكامل ١١/ص ٣٤٦ وهو يصف ما فعله صلاح الدين الأيوبي في أعوان الفاطميين إن مؤتمن الخلافة - كان من السودانيين - حاول أن يقضي على صلاح الدين الأيوبي قبل أن يسيطر تماماً على البلاد ويهلك الحرث والنسل فعلم صلاح الدين بما دبر له فتربص بمؤتمن الخلافة واسمه جوهر حتى قتله ثم يقول ابن الأثير فغضب السودان الذين بمصر لقتل مؤتمن الخلافة، فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين ألفاً وقصدوا حرب الأجناد».

وقع القتال «وكثر القتل في الفريقين فأرسل صلاح الدين إلى محللتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرّمهم فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهم زمين فركبهم السيف وأخذت عليهم أفواه السكك... (إلى أن يقول) فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد».

إذاً لقد كان للسودانيين حظوة في عهد الفاطميين ولم يكن ما حدث لهم إلا لأنهم تبنوا مشروع الدولة الفاطمية وهو الدعوة لأهل البيت (ع) ومقاومتهم لصلاح الدين الأيوبي المناويء للشيعة أكبر دليل على ذلك «وقد كانت الثورة ضد صلاح الدين من قبل الجند الفاطمي وأكثرهم من السودانيين»<sup>(١)</sup>.

١. حسن، عبد المنعم: بنور فاطمة اهتديت، ص ٤٧، دار المعروف، قم المقدسة، الطبعة الأولى،

## ٥ - المحامي محمد علي المتوكل

مؤلف كتاب:

(ودخلنا التشيع سجدا)

يقول المحامي محمد علي المتوكل: ... في هذه المرة كان عليّ أن أواجه أسرتي بقرار تهون إلى جانبه كل القرارات السابقة إذ يتعلق الأمر هذه المرة بالعقيدة والمذهب وقد كفاني الناس عناء إبلاغ أبي وأمي باختياري الجديد و ما ترتب عليه من تحول جذري في حياتي الدينية فقد تبرع بعض الأصدقاء بإبلاغهم ذلك كل بالصورة التي ارتضاها وربما أراد بعضهم الإيقاع بيني وبين أهلي بينما كان دافع آخرين هو الحرص على ديني والإشفاق علي.

أيا كانت الدوافع فقد تلقى والدي النبأ بحكمته التي أعرفها جيداً واعتماداً على ثقته بانه وكنت حينئذ بالخرطوم وتقيم اسرتي في الشمال وعند أول لقاء بيني وبين أبي لم يحدثني مباشرة عما بلغه عني من أبناء ولكن بدلا عن ذلك أخذ يسدي إليّ مجموعة من النصائح القيمة ويدعوني إلى التريث والتثبت قبل أن أخطو أي خطوة مصيرية في حياتي فهمت مراده وطمأنته على نفسي وعلى سلامة مسيرتي وقدمت له بعض كتل الدعاء المأثور عن أهل البيت (ع) فأقبل على قراءتها بشغف شديد ثم انتقى من مكتبتي مجموعة من الكتب ظلت تلازمه على الدوام منها «نهج البلاغة» للإمام علي (ع) و «كلمة الرسول الأعظم» للشهيد حسن الشيرازي وغيرها وكان كتاب «النص والاجتهاد» للسيد شرف الدين هو أخطر الكتب التي قام بمطالعتها باهتمام شديد وبعد أن فرغ من القراءة في زمن قياسي

→

فأجاني بسؤال محدد قال: أترى أن أبا بكر وعمر - هكذا - كانا محقين في تعاملهما مع الزهراء (ع) بتلك القسوة كان سؤاله مبالغتاً وكنت أفضل أن يتوصل إلى الحقيقة تدريجياً بنفسه لذلك أجبته قائلاً ذلك أمر يصعب البت فيه ولا بد من البحث والتحقيق.

أما والدتي - ذلك الإنسان البسيط ذو التدين الفطري والمعرفة المحدودة بالتاريخ والفقه وغيره من قضايا الدين - فقد بدت منزعة جداً بعد أن سمعت بعض ما تناقلته النسوة من حديث حول ابنها وكان أكثرهن لا يميز بين شيعي وشيوعي لذلك كن يستغربن كيف تحول ذلك الشاب المتدين من واعظ يدعو الناس إلى الإيمان إلى شيوعي لا دين له؟!

ومع ذلك فإن أُمِّي انتظرت ريثما تفهم الحقيقة مني ولم ترتب على كلام الناس شيئاً وما أن التقينا بعد طول افتراق بادرت باستيضاح الأمر مني فحرت في أمري إذ كيف أبين لها حقيقة التشيع وهي لا تعرف عن «التسنن»: شيئاً شأنها في ذلك شأن أكثر الناس - رجالاً ونساء - قلت لها دعيني أسألك يا أُمِّي من تعرفين من الصحابة أجابت أعرف علياً وفاطمة بنت محمد والحسن والحسين وحمزة والعباس قلت لها ذلك يكفي وكل ما في الأمر أن الناس بعد وفاة النبي (ص) انقسموا إلى قسمين قسم صار مع علي وفاطمة والحسن والحسين وأبنائهم إلى اليوم وهم الشيعة وقسم خالفهم واتبع غيرهم وهم الذين عرفوا بأهل السنة ونحن بعد أن عرفنا هذه الحقيقة رأينا الحق في إتباع أهل البيت (ع) فصرنا شيعة لهم في ذلك شيء قالت لا شيء في ذلك ونحن نحب أهل البيت ونحب من يحبهم وهكذا اطمانت الوالدة وحمدت الله أن ولدها لا زال متمسكاً بدينه كأقوى ما يكون.<sup>(١)</sup>

١. آل قطيط، هشام: المتحولون حقائق ووثائق، ص ٦٧٠، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ.

## ٦- الأستاذ محمد الفاتح

رحلة الأستاذ محمد الفاتح ضياء الدين العابد المالكي نحو مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

... السبب في انتمائه لمذهب أهل البيت (ع) ما كتب في مقالة مطوله تقتبس منها الأمور التالية:

ان جدته لأمه كانت تأمره بالصلاة الكاملة على محمد وآل محمد وكانت تحب آل البيت خصوصاً السيدة فاطمة والامام الحسن والامام الحسين. استاذه في المدرسة في حصة التربية الدينية قال في الدرس بينما كان الامام علي يغسل جثمان النبي الطاهر (ص) لم ينتظر الصحابة عودته فعقدوا الخلافة في سقيفة بني ساعدة ولم يعطوه حقه في الانتخاب وتمت البيعة والخلافة بدونه وقد اثار هذا الأمر في نفسي الشعور بمظلومية الامام علي (ع) فتعاطفت مع الامام علي (ع)<sup>(١)</sup>...

١. آل قطيط، هشام: المتحولون حقائق ووثائق، ص ٢٥٧، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

## الطائفة الختمية وآل البيت (عليهم السلام)

### أ- نشأة الختمية:

يرجع الفضل في تأسيس طائفة الختمية إلى السيد محمد عثمان «الختم» وهو ينحدر من أسرة عريقة في نسبها وعظيمة في مكائنها تصل في نهايتها إلى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

يظن الدكتور احمد محمد احمد جلي في كتابه «طائفة الختمية»: ان سلسلة المراغنة تعترتها بعض الأشكالات: ان سلسلة هذا النسب تثبت ان الحسن الخالص أو الحسن العسكري الامام الحادي عشر عند الشيعة له ابن هو (علي النقي) ومنه انحدر المراغنة وهذا ما لا يقول به الشيعة، لأنهم يعتقدون ان ابن الحسن العسكري هو (محمد المهدي) الذي اختفى وهو غلام في الخامسة أو الثالثة من عمره فضلاً عن ان بعض المؤرخين ينكرون وجود ابن للحسن العسكري الأمر الذي يقود الى الشك في تسلسل نسب المراغنة بهذه الصورة.

ان هذا النسب لو صح في بدايته فلا شك أنه في وقت متأخر قد اختلط ببعض الدماء الاعجمية، وما اسم «ميرخورد» الذي ورد أكثر من مره واسم «ميرغني» الذي يقول المراغنة انه أسم فارسي الآ اوضح دليل على ذلك.<sup>(١)</sup>

وفيما يتعلق بنسبة المراغنة الى الجد الحسن العسكري يرى السيد أحمد ابن السيد محمد عثمان الميرغني أنهم ليست الاسرة الوحيدة في العالم الاسلامي

١. احمد جلي، الدكتور احمد محمد: طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها، ص

أو في السودان التي تنسب نفسها إلى الحسن العسكري على سبيل المثال في مصر توجد اسرة السيد أحمد البدوي والتي تمت بصلة قريبي لبيت السادة الخفاب في بربر في شمال السودان مما يجعل هذه الاسرة أيضاً تنتسب إلى السيد الحسن العسكري ويعتقد السيد احمد ان البواعث السياسية وحدها هي التي دفعت بعض الجهات إلى إنكار شريفية البيت الميرغني.

ولقد جاء في اكثر من مصدر الاشارة إلى انتساب المراغنة إلى البيت النبوي فبالاضافة إلى ما ذكره المرتضى الزبيدي والجبرتي ويبدو ان احدهما قد نقل عن الآخر، هناك الشيخ عبدالله مراد ابوالخير من علماء مكة توفي عام ١٣٣٥هـ أكد هذا الأمر في كتابه «نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر» وقد ألمح إلى هذا السفر ونبه عليه السيد محمد الخليفة طه الريفي في كتابه «السادة المراغنة».

إن محاولات الميرغني في سواحل البحر الأحمر قد كتب لها الفشل نتيجة لمعارضة امبراطور الحبشة للتبشير الاسلامي وكذلك نجاح الميرغني في مصر لم يكن كبيراً وذلك لرسوخ الطرق هناك ولكن جولاته في السودان وجدت رواجاً وقبولاً منقطع النظير خاصة في شمال وشرق السودان.<sup>(١)</sup>

ب- الاصول الفكرية لطائفة الختمية وأهم تعاليمها ولاية آل البيت:

ان مبدأ ولاية أهل البيت هو الركن الأول الذي يقوم عليه اعتقاد الختمية حيث يظنون ان سلالة بيت النبي (ص) هي صاحبة الحق الأول في القيام بامر

١. أحمد عثمان، طارق: الطريقة الختمية في السودان ١٨٨١ - ١٩٥٥، ص ٣٣، الطبعة الأولى، دار مطبعة جامعة افريقيا العالمية للطباعة، ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ.

المسلمين وفي انقياد المسلمين واتباعهم لهذا النسل من بيت الرسول(ص). ان الختمية والشيعة يتفقون على هذا المبدأ ويجعلونه الأصل الأول في معتقدتهم.

يرى الختمية ان الائمة من بيت النبي(ص) لا يضلون اذا ضل الناس وسيبقون على الحق إلى يوم القيامة. ويذهب اتباع الطريقة إلى تأويل الآيات القرآنية تأويلاً يتفق مع هذا المبدأ فتفسير الآية الكريمة (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ان حبل الله مقصود به آل البيت<sup>(١)</sup> ويسوق بعضهم الادلة من الأحاديث النبوية لتعزيد موقفهم وتأييد اعتقادهم ومن أبرز هذه الأحاديث حديث غدیر خم والذي يعدونه أوضح دليل على ان الولاية اعطيت لعلي بن أبي طالب من عند الرسول(ص) فيكون هو الوصي على المسلمين بعد وفاة النبي(ص) ولقد تعلل الشيعة بنفس هذا الحديث في مسألة الولاية وقووه واعتبروه اصلاً من الاصول الدينية التي يجب العمل بها ولا يتم ايمان المرء إلا على اساسها. وكذا يرى اتباع الطريقة الختمية يقول أحد كبار علمائهم: (كان لا بد من الاخبار بولاية أمير المؤمنين وأهل البيت لان ذلك من أصول الدين لا من فروعه).<sup>(٢)</sup> ويقول أيضاً (يوم الغدير، وكانت الفرائض مفروضة والسنن مستته والحدود قائمه والحلال بيّن والحرام بيّن اذاً ما الذي كان ينقص الدين حتى نزلت هذه الآية؟ ما كان ينقص الدين إلا اعلان ولاية أمير المؤمنين وخلافته في ذلك الجمع حتى يتواتر الخبر عنه(ص) وحتى لا يطمع ذو مطمع في الخلافة عنده بعده(ص) غير الذي أعلن حقه بأمر من الله في ذلك الجمع والعتره من بعده(عليهم

١ . حامد محمد خير، محمد أحمد: براءة الشيعة من مفتريات الوهابية، ص ٢٥، بدون تاريخ.

٢ . زين العابدين، الشيخ علي: تاج الاوليا والاولياء، ص ١٢٧، الطبعة الأولى، دار مكتبة

الهلال، بيروت، ١٩٨٤م.



السلام).

وترد في كتابات الختمية أيضاً، مجموعة احاديث أخرى يتخذونها دليلاً على ما ذهبوا اليه من وجوب طاعة والتزام آل بيت النبي (ص) وعترته من بعده، من ذلك حديث: (الا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).<sup>(١)</sup>

## جدل حول مصحف فاطمة (ع) أثير في جريدة «آخر خبر» السودانية

مصحف فاطمة (عليها السلام) كتاب تثار حوله كثير من علامات الاستفهام يتخللها عديد من علامات التعجب وتبدأ علامات التساؤل من العنوان، فهل هو يعني قرآناً اختصت به السيدة الزهراء (عليها السلام) يسمّى باسمها كمصحف عائشة ونحوه؟ أم هو ليس كذلك بل كتاب آخرنسب إليها؟ ففي السودان حصل جدل في موضوع هذا المصحف في جريدة يومية اسمها «آخر خبر» وعلى مدار حلقات متتالية اتهم فيها بعض المسلمين الشيعة بأنهم يعتقدون بقرآن خاص غير القرآن المعروف اسمه مصحف فاطمة (عليه السلام)، قد سمحت الجريدة المذكورة لبعض شيعة السودان بالرد على هذه التهمة.<sup>(١)</sup>

محتوى مصحف فاطمة (عليها السلام):

نفت روايات أهل البيت (عليهم السلام) اشتمال مصحف فاطمة (عليها

السلام) على أمرين هما:

الأول: القرآن

فقد اقترن اسم مصحف فاطمة في أغلب الروايات مع نفي كونه قرآناً أو احتوائه على آيات قرآنية، ومن الملفت أن نفي القرآنية عن مصحف فاطمة ورد

١. بركات العاملي، أكرم: حقيقة مصحف فاطمة (ع) عند الشيعة، ص ١٠، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

بتعابير مختلفة، وما ذلك إلا لدفع ما قد يتوهم من لفظ مصحف بأنه قرآن.

١ - عن عبدالله بن جعفر عن موسى بن جعفر عن الوشاء عن أبي حمزة عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله». (١)

٢ - عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه الحسن بن علي بن فضال عن أبي بكير وأحمد بن محمد بن محمد بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبدالله (عليه السلام) نحوا من ستين رجلا وهو وسطنا فقال: «وعندنا مصحف اما والله ما هو بالقرآن». (٢)

### الثاني: الأحكام الشرعية

وليس مصحف فاطمة خالياً عن القرآن فقط بل ورد أنه خالٍ عن أحكام الحلال والحرام وهذا ما يؤكد أيضاً أنه ليس قرآناً لأن القرآن مشتمل على المئات من الأحكام الشرعية.

٣ - عن أحمد بن محمد بن عمر بن عبدالعزيز عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمانية وعشرين ومائة وذلك لأنني نظرت في مصحف فاطمة قال فقلت وما مصحف فاطمة (ع) فقال إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل فارسل إليها ملكاً يسأل عنها غمها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لها إذا احسست بذلك فسمعت الصوت فقولي لي فاعلمته فجعل يكتب كلما سمع حتى اثبت من ذلك مصحفاً قال ثم قال انا

١ و ٢. الصفار، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات الكبرى ص ١٧٩، ١٧١، منشورات الأعلمي، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٤.

أنه ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون. (١)

ذكرت الروايات احتواء المصحف على ما يلي:

١ - مقام النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

٤ - فقد ورد عن أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عن علي بن رثاب عن أبي عبيده قال: سأل أبا عبد الله (عليه السلام) بعض أصحابنا... عن مصحف فاطمة. قال (عليه السلام): «إن فاطمة مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة». (٢)

٢ - مستقبل ذرية الزهراء (عليها السلام):

فقد ورد في الرواية السابقة: «... ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها».

٣ - علم الحوادث:

فقد ورد عن الصادق (عليه السلام): «... أما انه ليس فيه الحلال والحرام

ولكن فيه علم ما يكون».

٤ - أسماء الأنبياء والأوصياء

٥ - أسماء الملوك وآبائهم

٦ - وصية فاطمة عليها السلام.

يحتوي كتاب وصية فاطمة (عليها السلام) على مطلبين:

١ . الصفار، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات الكبرى، ص ١٧٧.

٢ . الصفار، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات الكبرى، ص ١٧٣.

### أ - الوصية الشرعية

وهي تتحدث عن بساتين سبعة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوقفهما على ابنته فاطمة (عليها السلام)، فأرادت السيدة الزهراء (عليها السلام) في هذه الوصية جعل ولاية الوقف إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبعده الحسن (عليه السلام) ثم الحسين (عليه السلام) ثم الأكبر من ولد الحسين (عليه السلام).

### ب - الوصية السياسية

وقد نقل مضمون هذه الوصية صاحب بحار الانوار نقلاً عن زيد بن علي بعد ذكر المضمون السابق للوصية الشرعية وهذا نصّها: «... ثم إنني أوصيك في نفسي وهي أحبّ الأنفس إليّ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أنا متّ فغسّلني بيدك، وحتّطني وكفّني وادفني ليلاً، ولا يشهدني فلان وفلان، ولا زيادة عندك في وصيتي إليك، واستودعك الله تعالى حتى ألقاك، جمع الله بيني وبينك في داره، قرب جواره، وكتب ذلك علي عليه السلام بيده»<sup>(١)</sup>.

قال صاحب الذريعة: «مصحف فاطمة من ودايع الإمامة عند مولانا وإمامنا صاحب الزمان، كما روي في عدة أحاديث من طرق الأئمة (عليه السلام)»<sup>(٢)</sup>.

١ . بركات العاملي، اكرم: حقيقة مصحف فاطمة (ع) عند الشيعة، ص ٦٣.

٢ . الطهراني، آغا بزرگ: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٢٦/٢١، منشورات دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية.

## المهدي والمهدية في قارة افريقيا

إن كلمة المهدي التي يرددها الكثير من المسلمين إذا رجعنا إليها من حيث تفسيرها اللغوي العام نجدها تعبر عن كل رجل عرف بالهداية والصلاح. أما من حيث مفهومها الخاص فانها ذلك الأمل المنشود والامنية المحببة لدى المتطلعين إلى الاصلاح والرشاد على يد رجل يؤمل فيه الناس أن يكون هو ذلك المصلح المنتظر، ولهذه الفكرة على نحو هذا التفسير واقعتها التاريخي اذ أنها لم تكن وليدة عصر ما، ولا جديدة على المسلمين، بل إنما يرجع تاريخها إلى ما قبل الاسلام وقد اشارت إليها الأديان السماوية مبشرة بظهور رجل الاصلاح المنتظر سواء كان نبياً أو شخصاً آخر ينهض فيهم عندما يعم الفساد ليسلك بالناس الطريق القويم وينقذهم من براثن الظلم والجور لئلا يتولد عندهم القنوط أو تصيهم خيبة أمل من المصلحين.

ففي هذا الصدد يقول الأمير شكيب ارسلان: «اتفقت الأديان السماوية الثلاثة على ظهور واحد في آخر الزمان. فاليهود لا يزالون منتظرين المسيح الذي يجدد ملكهم قبيل انقراض الدنيا. والنصارى يرون في عيسى (عليه السلام) المسيح الذي بشرت به الأنبياء ويقولون برجوعه في آخر الوقت لإبادة الدجال الذي ينبيء به يوحنا. المسلمون أيضاً عندهم المهدي الذي يظهر قبل قيام الساعة ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ويروون عن النبي (ص) أنه قال ما معناه لا تقوم الساعة حتى يخرج من ذريتي رجل اسمه كاسمي يملأ

الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ويظهر الاسلام على الدين كله. والشيعية الامامية يقولون انه محمد الحجة ابن الحسن العسكري، بن علي النقي، بن محمد التقي، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي السجاد زين العابدين، بن الامام الحسين السبط، ابن سيدنا الامام علي (رضى الله عنه وعنهم جميعاً) (١).

والفرقة الكيسانية يجعلون المهدي محمداً بن الحنفية وينتظرونه ويقولون انه لم يمت وانه مختف في جبل رضوى، بين المدينة وينبع. والكاتب المسيحي ميشال الحايك يقول: «رفع الله عيسى اليه فاسكنه السماء الثانية وحكمه فيها، فهو صحبة الملائكة حتى الأجل الذي قطعه الله سرّاً على البشر لا يعلمونه. ومتى ازفت الساعة، ساعة نهاية الزمن، سينزله على الأرض، على ذروة جبل أفيق في اورشليم، على المنارة البيضاء، شرقي دمشق. وإن للساعة اشراطاً، وان اشدها خروج الدجال، عدو الله الكافر الذي سوف يفسد الدين ويطغي الناس ولطالما تكلم عنه التقليد الاسرائيلي والمسيحي منذراً به الناس في انتهاء الزمان.

وإذ ينزل عيسى تكون الأرض قد ملئت جوراً فيملأها عدلاً، ويقم شرع التوحيد ويحكم بسنة الاسلام.

وقد تنازع المسلمون في امر عيسى عند نزوله، فساد الاعتقاد عند الشيعة بان الموعود به لإحلال العدل النهائي هو المهدي، سليل أهل البيت من ولد فاطمة.

١. نويهض، عجاج: المهدي المنتظر (مقالة في كتاب) حاضر العالم الاسلامي، ص ١٩٤، القسم الثاني من المجلد الأول، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.

وهم مجمعون على الاعتقاد برجعة هذا الامام الغائب، وإن اختلفوا على اسمه. وقد شاركهم في ذلك بعض المتأخرين من المتصوفة كابن العربي وابن قسيّ وابن سبعين وابن أبي واصل فتوغلوا في تعيين الوقت والمكان لرجعة الامام المعصوم مستندين إلى الجفّر.

اما عند السّنة فكتب الحديث التي جمعها الترمذي وابو داود وابن ماجه وغيرهم فقد روت أحاديث المهدي ومهما يكن من امر فان عيسى سينزل قبيل انتهاء العالم، علماً لساعة الحساب الأخير»<sup>(١)</sup>.

ويتحدث الأمير شكيب ارسلان عن مسألة الانتظار عند المسيحيين قائلاً: «كان عند ملوك الصفوية في العجم عادة، وهي اسراج رأسين من الخيل معدين دائماً في القصر لاستقبال المهدي وعيسى المنتظر مجيئهما كل ساعة. وهذا يشبه عمل بعض المتهوسين من الافرنج الذين يقيمون بالقدس منتظرين مجيء السيد المسيح ويوم الدينونة. روى هوارت Huart الفرنسي صاحب تاريخ العرب المطبوع سنة ١٩١٣م أن انكليزياً ورد بيت المقدس وأقام بالوادي الذي يقال انه ستكون به الدينونة، وشرع كل صباح يقرع الطبل منتظراً الحشر وسمعت أن امرأة «انكليزية فيما أظن» جاءت القدس وكانت تغلى الشاي كل يوم لأجل أن تقدمه للسيد المسيح ساعة وصوله وحدثت لامرتين الشاعر الفرنسي العظيم في رحلته بجبل لبنان أنه زار في قرية جون السيدة استيرستانهوب ابنة أخي بيت Pitt الوزير الانجليزي الشهير فرأى عندها فرساً مسرجاً دائماً ليكون ركوبة للسيد

١. الحايك، ميشال: المسيح في الاسلام، ص ٢٤١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.



المسيح المنتظر وصوله» (١)

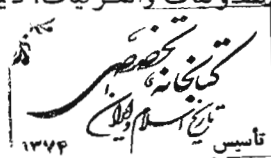
اما الاستاذ فتح الله الحيفاوي السائر بين الحقيقة والخيال يبدي رأيه قائلاً: «قيل الكثير في المهدي. والقائلون كثر، فمنهم الغث ومنهم السمين، والمهدي حسب ما جاء في السنة عن النبي (ص) هو السمين وهو ما ينفع الناس، ولقد نقل عن النبي (ص) أن المهدي حقيقة لا خيال، وأنه من أهل بيته الطاهر، وان له أوصافاً جميلة في الخلق والخلق، وان لظهوره مقدمات منها: كثرة الفتن وكثرة الزلازل، ومنها علامات في السماء ككسوف الشمس في وقت غير وقت الكسوف وكذا القمر. وأنه لا يظهر بين الناس إلا بأمر من الله يقدره، وانه يأتي قبل نزول نبي الله عيسى بن مريم لينهي كذب الصليبية ونفاقها ويقتل المسيح الدجال بباب لُدَّ قبل القدس بساعات. واليهود اليوم يبشرون ببناء قصر المسيح الدجال قرب مدينة اللد التي تبعد عن القدس بضع ساعات والمهدي يظهر في النصف الثاني من رمضان، وله صفات مأخوذة من صفات النبي محمد (ص) حيث يحبه الناس ويكون ظهوره بين الثرات والنيل - بلاد الشام - ويقود الحق والعدل في الأرض ضد الظلم والجور، وينادي به منادي من السماء فيسمع الناس به وبخبره بسرعة حيث يبايعه المؤمنون بالله واليوم الآخر، ويتعد عنه الكفار» (٢)

وعلى ضوء هذا الأمل فقد اطلق المسلمون هذه اللفظة على جماعة من

١. نويهض، عجاج: حاضر التلاميذ الاسلامي. ص ١٦٥، القسم الثاني من المجلد الأول، الطبعة الرابعة.

٢. الحيفاوي، فتح الله: هل آن الأوان لظهور المهدي (عليه السلام)، ص ٩٢، مجلة الجذور، العدد التاسع عشر، شركت الجذور لنشر الصوتيات والمرئيات، نيقوسيا - قبرص.

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م



الناس الذين شموا منهم روح العدالة الاجتماعية، والسير بهم حسب ما يقتضيه منطق الدين. إنتظاراً منهم أن يكون صاحبهم الذي وجدوا فيه هذه الخصال المحببة هو ذلك المصلح المنتظر والذي اسماه النبي (ص) بالمهدي وبشر المسلمين بظهوره.

فمن ذلك ما اطلقه البعض على عمر بن عبدالعزيز لما رأوه فيه من المشاركة الوجدانية والتسك فترى مثلاً وهب بن منبه يقول: إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبدالعزيز، والحسن البصري يقول: إن كان مهدي فعمر بن عبدالعزيز وإلا فلا مهدي، وقال ابراهيم بن ميسرة. قلت لطاووس: هو المهدي؟ يعني عمر بن عبدالعزيز - قال: هو مهدي، وليس به. إنه لم يستكمل العدل.

إذا فامارة مهديّة من يتسمى بهذا الاسم أن يستكمل العدل في حكمه للحديث الوارد عن النبي (ص): «أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وإمارة أخرى وهي أضيّق نطاقاً من سابقها كما حددها النبي (ص) في حديث لمزيد التعريف بالمهدي «أنه من ولد ابنتي فاطمة» وإمارات أخرى لم تكن متوفرة لكن من قام باستخدام هذه الفكرة سواء كان من الهاشميين أو من غيرهم.

ولسنا الآن بحاجة إلى التدليل على صحة هذه الفكرة فإنه قد كفتنا الموسوعات القديمة والمؤلفات الحديثة ومن رجع إليها وجد أن الأخبار الواردة في تاييد هذه الفكرة تبلغ حد التواتر فترى ابن حجر يذكر في صواعقه ما يزيد على الخمسين طريق في صحة حديث المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

وستحدث عنه بالتفصيل - في المستقبل - إنشاء الله.

والباعث الذي دعانا إلى هذا الحديث هو ان الكثير من الدول الاسلامية في قارة افريقيا استخدمت قضية المهدي لترويج دعواتها فالدولة الفاطمية عندما ظهرت بتونس ادعت أن عبيد الله مؤسسها هو المهدي. ومحمد بن تومرت لما قام بمصودة في المغرب قام بالدعوة إلى المهدي، وبها تأسست دولة الموحدين بني عبدالمؤمن. وقام في أيام الدولة المرينية بفاس رجل اسمه التويزري أصله من توزر من تونس وادعى أنه المهدي واعتصم برباط حصين اسمه (ماسا) بالسوس الأقصى. واعصوب حوله رؤساء صنهاجة فقتله المصامدة. وكذلك ظهر رجل آخر اسمه العباس بين سنتي ٦٩٠ و ٧٠٠ للهجرة في نواحي الريف من المغرب وقال انه المهدي وثار معه جماعة فقتل وانتهى أمره. وظهر في السنيغال سنة ١٨٢٨ ميلادية رجل ادعى أنه المهدي وأحدث ثورة ثم انكسر وذهبت ريحه ولما احتلت فرنسا مصرأ في زمن بونابرت قاتلهم بين دمنهور و رشيد رجل مغربي من طرابلس ادعى أنه المهدي ومازال يقاتلهم حتى قتل.

وبعد ثورة أحمد عرابي بمصر ظهر في السودان رجل اسمه محمد أحمد ادعى أنه المهدي ويقال ان والده كان يسمى عبدالله وأمه كانت تسمى آمنة.

وفي هذا المجال يقول الدكتور محمد سعيد القدال: «احتلت فكرة المهدي المنتظر حيزاً واسعاً في التراث الإسلامي والفكرة أساساً شيعية، ولكنها انتشرت على امتداد التاريخ الإسلامي»، ويضيف قائلاً: «وتتنعش فكرة المهدي المنتظر أيضاً عندما يكون المجتمع في حاجة إلى حركة تلم أشتاته المتنافرة، فتبرز فكرة المهدي كأوسع إطار وأشمل إطار. ففي المغرب وجدت الفكرة المناخ الديني

والسياسي الذي يتلاءم مع البيئة المغربية التي تعيش بين الصحراء والأراضي الخصبة، والجمع بين المستقرين والرحل، وبين الأغنياء والفقراء، وبين أقاليم الشمال والجنوب.

لقد وجدت فكرة المهدي المنتظر طريقها إلى كل تيارات الفكر الإسلامي الكبرى. فهي لدى الصوفية الأمل الآتي والإنقاذ، فعدت فكرة المهدي المنتظر بالنسبة للصوفية ذراعاً دنيوياً ترفع به راية العدالة الاجتماعية، كما أنها انتشرت بين أهل السنة. ولكنها عند الصوفية اتخذت طابعاً محدداً، وانتهت عند محيي الدين بن عربي إلى مؤسسة لها شروطها ومهامها»<sup>(١)</sup>.

١ . القدّال، الدكتور محمد سعيد: الامام المهدي، ص ٣٢، ص ٣٣، الطبعة الاولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

**المهدي**

**المنتظر** (عليه السلام)

**في الكتاب والسنة**

## المهدي المنتظر (عج) في الكتاب

كان الحجاج بن يوسف الثقفي، يدّعي، أنه ضليع في علوم القرآن، وكان في مجالسه كثير التبجح بذلك، ولكنه كان يقول، لازلت لم أفهم معنى قوله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً»<sup>(١)</sup>.

فرد عليه أحد الجالسين قائلاً، أتعطيني الأمان وأهديك معناها؟ قال له الحجاج لك الأمان فهات ما عندك.  
قال: إن أهل الكتاب (النصارى) سيؤمنون بالمسيح (عليه السلام) عند عودته للخروج مع المهدي (عليه السلام)، فإن الله سبحانه وتعالى يقول فيما تقدم هذه الآية:

«وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا \* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً»<sup>(٢)</sup>.

وإنه (عليه السلام) بعد ظهوره يتلحق بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ويدعو النصارى للإيمان به فيؤمنون به على دين الله والإسلام.

١. النساء، الآية ١٥٩.

٢. النساء، الآية ١٥٧، ١٥٨.

وقد قال الحجاج - وكأنه الفت إلى علم جم - أصبت حقاً ولكن من أين لك هذا.. قال اني علمته من محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام)، قال لقد أخذته من عينه.

وقد اعترض الغافلون على القول بتبعية عيسى النبي عليه السلام وهو من اولي العزم للإمام المهدي عليه السلام وهو ليس بنبي، ذلك لانهم لم يلفتوا إلى آيات من سورة الكهف تقص اتباع موسى النبي عليه السلام وهو من اولي العزم كذلك إلى الخضر عليه السلام لأمر الله تعالى ومشيتته، فليلتفت الغافلون.<sup>(١)</sup>

### البشائر في القرآن والسنة النبوية:

القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه تبيان لكل شيء، وهو آخر الكتب السماوية، كما أن الإسلام هو آخر الأديان، والرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم النبيين، أترى القرآن لا يذكر هذا الأمر العظيم والحادث الجلل، والشأن الذي يتوقف عليه مصير العالمين، على حين يخبر عن غلبة الروم على الفرس وعن قيام دولة اليهود بالتعاون مع الدول الكبرى: «ضربت عليهم الذلة أين ما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس».<sup>(٢)</sup>

أترى القرآن لا يخبر عن ظهور الإمام المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ كلا إن القرآن قد أخبر عن الظهور الشريف، عبر

١ . العيد، محمد محسن: المهدي المنتظر كونية العدالة وعدالة التكوين، ص ١٨٢، مجلة النبأ،

العدد (٥١) السنة (٦) شعبان ١٤٢١هـ .

٢ . آل عمران، الآية ١١٢.

هذه الآيات المباركات المأولة بالإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره، كما صرح بذلك أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أنزل القرآن في بيوتهم، وأهل البيت أدري بالذي فيه، واليك بعض هذه الآيات:

الآية الأولى: «ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين».<sup>(١)</sup>

المقصود من المستضعفين: هم آل محمد (عليهم السلام) فقد استضعفهم الناس وظلموهم وقتلوهم وشردوهم وصنعوا بهم ما صنعوا، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنتم المستضعفون بعدي).

وكذا بالنسبة للآية الثانية: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم».<sup>(٢)</sup>

إذ يرى بأنَّ هذا الوعد الالهي المؤكد بلام القسم ثلاث مرات وبنون التوكيد ثلاث مرات أيضاً. لم يتحقق إلى يومنا هذا، ومتى كان المؤمنون يتمكنون من الحكم على الناس وتطبيق الإسلام بكل حرية، وبلا خوف من أحد، ثم إن الدين كان ولا يزال مهجوراً ضعيفاً يحاربه كل من يستطيع محاربتة، كما يحدث مثل ذلك في الصين والاتحاد السوفياتي (السابق) وبعض البلاد الافريقية والاوربية، وواضح ما يقع في هذه البلاد من الخوف والاضطهاد على المسلمين، إذاً لا بد وأن يكون معنى هذا الوعد الالهي أن الإسلام سيحكم على الأرض أي جميع الكرة الأرضية، وأن جميع المناطق المعمورة سيسودها الإسلام فقط ولا غير، وهذا لن

١. القصص، الآية ٥.

٢. النور، الآية ٥٥.



يتم إلا على يد الإمام الحجة المنتظر، بأذن الله تعالى.  
وينفس الجهة تأول الآيه الشريفه «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن  
الأرض يرثها عبادي الصالحون».. إلى غير ذلك من الآيات الشريفه التي  
تعاضدت على معنى الظهور الشريف للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف،  
الذي به يكون صلاح المعاد والمعاش.

## المهدي المنتظر (عج)

### في السنة

بعض ما جاء عن المهدي (عج) في كتب أهل السنة:

١- كتاب «المصنف» للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ولد سنة ١٢٦ وتوفي سنة ٢١١).

٢٠٧٦٩- أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة يرفعه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: يكون إختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره، فيباعدونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فيأتيه عصابات العراق وأبدال الشام فيباعدونه، فيستخرج الكنوز ويقسم المال، ويُلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض. يعيش في ذلك سبع سنين - أو قال: تسع سنين.<sup>(١)</sup>

٢٠٧٧٠- أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن أبي هارون عن معاوية بن قرة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاءً يصيب هذه الأمة، حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي، فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها

١. الصنعاني، عبد الرزاق: المصنف، ص ٢٦، الجزء الحادي عشر، عني بتحقيق نصوصه حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، القاهرة.

شيئاً إلا صبّته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته، حتى تتمنى الأحياء الأموات. يعيش في ذلك سبع سنين، أو ثمان، أو تسع سنين.<sup>(١)</sup>

٢٠٧٧٢ - أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن مطر قال كعب: إنما سمي المهدي لأنه لا يهدي لأمر قد خفي، قال: ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية.<sup>(٢)</sup>

---

١. الصّنعاني، عبدالرزاق: المصنف، ص ٢٦.

٢. الصّنعاني، عبدالرزاق: المصنف، ص ٢٧.

٢- كتاب «سنن ابن ماجة» للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني

(٢٠٧- ٢٧٥هـ)

٤٠٨٢- حدّثنا عثمان بن أبي شيبة. ثنا معاوية بن هشام. ثنا علي بن صالح بن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بني هاشم. فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم، اغرورقت عيناه وتغيّر لونه. قال، فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه. فقال «إنا أهل بيت أختار الله لنا الآخرة على الدنيا. وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً. حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سودّ. فيسألون الخير، فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون.

فيعطون ما سألوا. فلا يقبلونه. حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً، كما ملؤها جوراً. فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حنبوا على الثلج».(١)

٤٠٨٦- حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة. ثنا أحمد بن عبد الملك. ثنا أبو المليلح الرّقي عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيّل، عن سعيد بن المسيّب؛ قال: كنّا عند أمّ سلمة. فتذاكرنا المهديّ. فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المهديّ من ولد فاطمة».(٢)

٤٠٨٧- حدّثنا هديّة بن عبد الوهاب. ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن علي بن زياد اليماميّ، عن عكرمة بن عمّار، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة،

١. القزويني، محمد بن يزيد: سنن، ص ٣٤، الجزء الثاني، حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

٢. ابن ماجة: سنن، ص ٣٦، الجزء الثاني.

عن أنس بن مالك؛ قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نحن، ولد عبدالمطلب، سادةُ أهل الجنة. أنا وحمزةُ وعليُّ وجعفرُ والحسن والحسين والمهديُّ». (١)

٣- كتاب «سُنن أبي داود» للحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المولود في سنة ٢٠٢، والمتوفى بالبصرة في شوال من سنة ٢٧٥ من الهجرة.

٤٢٨٣ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا الفضل بن دكين، ثنا فطر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لَوْ لَمْ يَبْقِ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأْتَ جُورًا». (١)

٤٢٨٤ - حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المَهْدِيُّ من عترتي من ولد فاطمة». (٢)

١ . السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث: سُنن أبي داود، ص ٤١، الجزء الرابع، راجعه

محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السُننة النبوية، القاهرة.

٢ . السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث: سُنن أبي داود، ص ٤١، الجزء الرابع .

٤ - كتاب «الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي» لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سُوْرَة (٢٠٩-٢٩٧هـ).

٢٢٣٠ - حدّثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي الكوفي قال: حدثني أبي. حدّثنا سفيان الثوري عن عاصم بن بهدلة عن زرّ عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلاً من أهل بيتي يُواطىء اسمه اسمي. (١)

٢٢٣٢ - حدّثنا محمد بن بشار. حدّثنا محمد بن جعفر. حدّثنا شعبة: سمعتُ زيداً العمّي قال: سمعتُ أبا الصّديق الناجي يُحدّث عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبيّنا حدّث فسألنا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن في أمّتي المهديّ يخرجُ يعيش خمّساً... فيجيء إليه رجلٌ فيقول: يا مهديّ: اعطني أعطني. قال: فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمّله. (٢)

١ و ٢. الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، ص ٤٨، ٤٩، الجزء الرابع، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٥- كتاب «البدء والتاريخ» لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي.

- حدثنا يعقوب بن يوسف السجزيّ حدثنا أبو موسى البغوي حدثنا الحسن بن ابراهيم البياضي بمكة حدثنا حمّاد الثقفي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف حدثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي اسماء الرحبي عن ثوبان عن رسول الله صلعم أنه قال: «إذا رأيتم الرايات السود من قبيل خراسان فاستقبلوها مشياً على أقدامكم». وإن أول انبعاث ذلك من قبل الصين من ناحية يقال لها ختن بها طائفة من ولد فاطمة عليها السلام من ظهر الحسين بن علي ويكون على مقدّمته رجل كوسج من تميم يقال له شعيب بن صالح مولده بالطالقان والله أعلم.<sup>(١)</sup>

١. البلخي، أحمد بن سهل: كتاب البدء والتاريخ، ص ٥٥، ٥٦، الجزء الأول، مع تعليقات بالفرنسية باهتمام المستشرق كلمان هوار، باريس، ١٨٩٩-١٩١٩م - طبع بالانفست في بغداد - مكتبة المثنى.



٦- كتاب «المعجم الكبير» للحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني  
(٢٦٠هـ - ٣٦٠هـ)

١٠٢١٤ - حدثنا موسى بن هارون ثنا عبدالله بن داهر الرازي ثنا عبدالله بن  
عبد القدوس عن الاعمش عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله  
بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة  
حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء<sup>(١)</sup> اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً  
كما ملئت ظلماً وجوراً». (٢)

---

١ . يواطىء: يوافق.

٢ . الطبراني، سليمان بن احمد: المعجم الكبير، ص ٧٨، الجزء العاشر، حققه حمدي  
عبدالمجيد السلفي، وزارة الأوقاف، مطبعة الوطن العربي، الجمهورية العراقية.

٧ - كتاب «معالم السنن» لأبي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي (المتوفى سنة ٣٨٨).

وهو شرح سنن أبي داود (المتوفى سنة ٢٧٥).

- قال ابو داود: حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عبدالله بن جعفر الرقي حدثنا ابو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة. (١)

- قال أبو داود: حدثنا سهل بن تمام بن بزيع حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف. (٢)

---

١ و ٢. البستي، حمد بن محمد: معالم السنن، ص ٨٨، طبعه و صححه محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

٨ - كتاب «مصاييح السنة»، أبو محمد الملقب بمحيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٤٣٦-٥١٠ أو ٥١٦)  
باب أشراف الساعة

(من الصحاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد.

وقال (عليه السلام) لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذي أنجو. وقال (عليه السلام) والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول ياليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء. \* عن أنس أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضربة بالنار. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع \* عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة. (١)

١ . البغوي الشافعي، الحسين بن مسعود: كتاب مصاييح السنة، ص ٩٢، الجزء الأول، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣١٨ هـ.

٩- كتاب «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لمجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الشافعي المشتهر بابن الأثير الجزري. (٦٠٦-٥٤٤).

٧٨١١د- علي بن أبي طالب رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو لم يَبْقَ من الدهر إلا يومٌ لَبِغْتَ اللهُ رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً» أخرجه أبو داود. (١)

٧٨١٤- (د- أبو اسحاق، عمرو بن عبد الله السبيعي) قال: قال عليّ - ونظر إلى ابنه الحسن - فقال «إن ابني هذا سيّد، كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صُلْبِه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق، لا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً» أخرجه أبو داود. (٢)

٧٨١٢د- أم سلمة رضي الله عنها) قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المهديُّ من عترتي من ولد فاطمة». (٣)

١ و ٢ و ٣. الجزري، المبارك بن محمد: جامع الاصول من أحاديث الرسول، ص ١٠٠، الجزء الحادي عشر، حققه محمد حامد الفقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٠ - مختصر سنن أبي داود للحافظ عبدالعظيم المنذري الشافعي

(٥٨١-٦٥٦)

٤١١٤ - وعن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلُؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ جُورًا»<sup>(١)</sup>.

٤١١٥ - وعن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المَهْدِيُّ مِنْ عِثْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ» وأخرجه ابن ماجه. ولفظه «المهدي من ولد فاطمة»<sup>(٢)</sup>.

٤١١٦ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجِبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ جُورًا وَظُلْمًا. يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»<sup>(٣)</sup>.

٤١١٧ - وعن صالح أبي الخليل، عن صاحب له، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يكون اختلاف عند موت خليفة. فيخرج رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة. فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه، وهو كاره، فيباعدونه بين الرُّكن والمقام، ويُبعث إليه بعثٌ من الشام فيُخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة. فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال الشام، وعصائبُ أهل العراق فيباعدونه...»<sup>(٤)</sup>

١ و ٢ و ٣ و ٤. المنذري الشافعي، عبدالعظيم، مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي، ٦/ص ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي.



من علماء

الظهور





## ١- إختبار البشر بالفتن والكوارث

يقول المتنبي:

لا يَسْلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى

حتى يُراقَ على جوانبِهِ الدُمُ

قانونُ الفتنَةِ لا بُدَّ أنْ يجريَ بكلِّ فصولِهِ وأبعادهِ في حياةِ البشريةِ بنحوِ عامٍ، وفي المجتمعِ المؤمنِ على اختلافِ مراتبه الإيمانية بنحوٍ خاصٍ. وهذا قرآنا العزيز يصدعُ في آذاننا:

«أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»<sup>(١)</sup>.

فالفتنة والإختبار سُنَّةٌ إلهيةٌ جارية. والتمحيص لا بُدَّ منه:

«وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ<sup>(٢)</sup> الْكَافِرِينَ \* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ»<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة: أنَّ الفتنَةَ والإختبارَ والتمحيصَ والإبتلاءَ إنما هي في عالم القلوب ومكنون الضمائر لتنقية تلك القلوب من شوائبها أولاً؛ ليعودَ ذلك بتنقية المجتمعِ المؤمنِ المخلصِ ثانياً.<sup>(٤)</sup>

١. سورة العنكبوت، الآية ٢، ٣.

٢. يمحَق: يُهلِك، ويُفني.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٤١ و ١٤٢.

٤. الغزّي، عبدالحليم: فتنٌ في عصر الظهور الشريف، ص ٣٥، الناشر: المؤلف، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

فالدنيا كبيرة وواسعة وبعيدة وشاسعة وهي كماء البحر من ازداد منها شرباً  
ازداد عطشاً.

فحب الدنيا هو الذي يُفرغ القلوب من حبّ الله، ويفرغ كلّ عبادة وعمل  
صالح من معناها.

فماذا يبقى من حب الله إذا استولى حب الدنيا على القلب والضمير؟  
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أصبح همّة الدنيا فليس له  
من الله شيء»<sup>(١)</sup>.

١ . المندلاوي، محمد محمود: نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان، ص ١٨، دار  
المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠١م.

## ٢- تقسيم الكوارث

حسب المناطق التي تتأثر بكل كارثة

١- كوارث الدرجة الأولى: الكارثة الأولى - يوم القيامة تؤدي إلى زعزعة نظام الكون بأسره؛ بكل النجوم، والمجرات، وعناقيد المجرات. سوف تصيب محتويات الكون كله.

٢- كوارث الدرجة الثانية: الكارثة الأولى - موت الشمس.

تؤدي إلى دمار المجموعة الشمسية فقط، بما فيها الكرة الأرضية.

٣- كوارث الدرجة الثالثة: الكارثة الأولى - تباطؤ سرعة الأرض.

كوارث تصيب الكرة الأرضية فقط، وليس كامل المجموعة الشمسية.

٤- كوارث الدرجة الرابعة: الكارثة الأولى - صراع الذكاء من البارود إلى

القنابل الذرية.

تهدد وجود البشر على الأرض، حتى لو استمرت حياة الكواكب نفسها.

٥- كوارث الدرجة الخامسة: الكارثة الأولى - نضوب الثروات والموارد.

لا تدمر حياة الانسان نفسه، ولكنها تدمر ثمرات الحضارة على الأرض.

هل سمعتم بالأسطورة التي تتكلم عن قارة (أتلانتيس) بعد ما غرقت في

قاع المحيط. تقول الأسطورة أن السبب هو أهل القارة بالذات. ولشدة ما تقدموا

علمياً إختل الميزان الطبيعي وحلّت النهاية عن طريق كارثة. الشيء نفسه قد

يحدث لحضارة البشر اليوم. هل سمعت بكارثة الأوزون؟

هذه الكارثة ليس مجرد احتمال بل بدأت بالحدوث فعلاً، فالإنسان يفسد

بيئته، والشواطيء تتلوث والغابات تتناقص والبساتين تصبح صحارى، ومناخ الأرض يتغير، إن التماذي في التناول على البيئة باسم الحضارة والتقدم يؤدي إلى تغيير سلبي في معالم كوكبنا.

ما هو الأوزون؟

يتألف الغلاف الجوي المحيط بالأرض من طبقات فالعليا منها اسمها: ستراتوسفير، والسفلى تروبوسفير. ويتواجد غاز الأوزون في الطبقة العليا، وهو هناك بنسبة محددة لا يجوز أن تقل أبداً.

الأوزون للكرة الأرضية مثل الجلد لجسم الإنسان، إنه درع واق يحمي الأرض من وصول أشعة فوق البنفسجية القادمة من أشعة الشمس. إذا خفت نسبة الأوزون و صارت طبقته رقيقة، ضعف درع الوقاية وكان ذلك دماراً للأرض.

وإذا حدث ثقب في جلد الإنسان تسربت الجراثيم من ذلك الثقب، وإذا حدث ثقب في طبقة الأوزون، تسربت الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض وتم القضاء على الحياة.

ما هي الأشعة فوق البنفسجية:

قليل من الملح ضروري للحياة، وكثيره يحمل ضرراً كبيراً، وكذلك الأشعة فوق البنفسجية، قليل منها ضروري للحياة، وكثيرها يؤدي الحياة. هذه هي أخطار تلك الأشعة: تسبب سرطان الجلد و انفصال شبكية العين و تقضي على المضادات الحيوية التي ينتجها جسم الإنسان.

ثقب في الهواء:

في دول الشمال الأوروبي: حدث ثقب في غشاء الأوزون، وبدأت أشعة فوق البنفسجية تتسرب من ذلك المكان. هذه المرة نجد كارثة حقيقية وليس مجرد احتمال.

وهكذا عقدت وكالة برامج حماية البيئة مؤتمراً في مونتريال ١٦/أيلول/١٩٨٧ حضره مندوبوا ٤٠/دولة لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة.

السبب في هذا الثقب غاز من صنع الإنسان يدعى (كلورو فلورو كربون) ويستعمل في صناعة البلاستيك والمبردات والمكيفات. قرر مؤتمر مونتريال معاهدة لتخفيض إنتاج الغازات الضرورية في صناعة التلاجات والمكيفات لأن استخدامها يُنتج غازات تفسد الجو. هل ترون كيف أن التقدم الإنساني سلاح ذو حدين، وأن الطاقة أيضاً سلاح ذو حدين.

التكنولوجيا تسبب ازدياد نسبة ثاني أكسيد الكربون في جو الأرض، وهذا يزيد الحرارة ٤ درجات كل ٤٠ سنة، وهذا يفسد الغلاف الجوي، وهذه الحرارة أيضاً تدمر طبقة الأوزون، فإما أن تصبح رقيقة، أو يحدث ثقب كما هي الكارثة اليوم في الشمال الأوروبي.

الإنسان يعبت منذ مدة طويلة بسطح الأرض، والنتيجة السيئة بدأت بالظهور الآن. إنها بداية الكارثة.<sup>(١)</sup>

السؤال: إذا كبر الثقب وتمزق معظم ثوب الأرض، فماذا يحدث؟

إن أقل ما يمكن قوله في هذه الحال هو أن حياة الإنسان تصبح على خطرٍ مرعب، إذ إن الأشعة فوق البنفسجية تعم في أنحاء الكرة الأرضية فتصيب مباشرةً أجساد البشر فتخلق لديهم أمراضاً وأوراماً خبيثةً سرطانيةً تُعدّل في وظائف الخلايا العضوية الحيوية فيها وتصبح على اضمحلال.<sup>(٢)</sup>

١. قسم التأليف والترجمة: احتمالات نهاية الكون، ص ٥، ١٩٥، مؤسسة الإيمان ودار الرشيد، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢. مراد، ميشال: نهاية العالم متى وكيف؟ ص ١٣٢، دار المجاني، بيروت.

### ٣- الرغبة في معرفة الكوارث و ماذا ينجم عنها

الرغبة في معرفة المستقبل هاجس شغل الفكر الإنساني منذ حداثة تفكيره، وجعلته يبحث ويغالي في البحث لرؤية من المستقبل حتى ولو كانت قبساً ضئيلاً. وقد استعان الإنسان العادي بالكاهن أو العرافة لقراءة مستقبله، واستشارهما في القرارات الهامة في حياته، وبنى على هذه الرؤى قراراته وتطلعاته، وكان (ولا يزال) البعض لا يبت أمراً ولا يقضي صفقة إلا بعد استشارة عرافي المستقبل. وقد استعان الكهان والعرافون بأساليب مختلفة في قراءة المستقبل لخدمة زبائنهم وطلابهم، ومن أشهر هذه الأساليب عند عرب الجاهلية الاستقسام، وقراءة الطالع (التنجيم). والاستقسام يتم بأن يخبر المستشير الكاهن في رغبته في التجارة أو في الزواج أو غير ذلك من الأمور المهمة، طالباً معرفة حظه من التوفيق في هذا الأمر، فيضع الكاهن مجموعة من سهام بدون ريش في كنانة، بعد أن يكتب على هذه السهام جميع الاحتمالات الممكنة مثل: لا، ونعم، وتمهل. ثم يسحب طالب الحل أحد السهام ويقرأ ما كتب عليه، فإن كان «نعم» ذهب في أمره، وإن كان «لا» توقف عنه وهكذا.

كما كان كهان العرب يزعمون أنهم يأخذون أخبار المستقبل عن الجن، الذين كانوا يأخذونها بدورهم عن الملائكة، وذلك بالصعود إلى السماء والتجسس على الملائكة. وقد أبطل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا النوع من التنبؤ وأحال كهنته إلى التقاعد.

إلا أن أشهر طرق التنبؤ كانت ولا تزال قراءة النجوم، وقد ابتدع هذا الفن

السومريون القدماء إلا أنه انتشر في جميع أرجاء العالم القديم، ومارسته الأمم على اختلاف حضاراتها، وكان معروفاً عند العرب قبل الإسلام بدليل استعمال تعبير (نظر في النجوم) بمعنى فكر، وقد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم، وكان ابن صياد من الذين يقرؤون الطالع في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا بد أنه توقف عن هذا بعد إعلان إسلامه ولم يمارس نشاطهم من بعد ذلك، فنقرأ أنه في عام ٣٧ من الهجرة أجمع حذاق التنجيم على أن خروج الإمام علي (عليه السلام) إلى صفين لقتال معاوية سيكون وبالاً على الإمام، ولكن الإمام انتصر على جيش معاوية ولم يخلصوا منه إلا بالحيلة. وعندما خرج الإمام لقتال الخوارج قالوا بأن القمر كان في العقرب، وهذا يعني أن الإمام سيخسر الحرب، ولكن الإمام (عليه السلام) قال: نخرج ثقة بالله تعالى، وتوكلاً عليه سبحانه، وتكديماً لقول المنجم، وانتصر الإمام في تلك الحرب.

وفي أيام الأمويين أجمع المنجمون على غلبة جيش عبيدالله بن زياد في حربه مع جيش المختار الذي قاده إبراهيم بن الأشتر، وبالرغم من أن جيش بن زياد كان أضعاف جيش بن الأشتر إلا أن ابن الأشتر انتصر انتصاراً ساحقاً وقتل ابن زياد في تلك المعركة.

واستعان العباسيون بالمنجمين حتى أن بعضهم حاز على مرتبة عالية في بلاطهم، ويقال أن المنصور عندما فرغ من بناء بغداد طلب من أحد المنجمين أن يأخذ له طالعها. فقال المنجم: أنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً، وشاع ذلك حتى قال بعض شعراء المنصور مهنتاً له:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا أن الممات بها عليك حرام  
لما قضت أحكام طالع وقتها أن لا يرى فيها يموت إمام

ولكن أول ما ظهر كذب هذه النبوءة عندما قتل الأمين بشارع باب الأنبار، فقال بعض الشعراء:

كذب المنجم في مقالته التي كان ادعاها في بنا بغداد  
قتل الأمين بها لعمرى يقتضى تكذيبهم في سائر الحسبان  
ثم مات فيها جماعة من الخلفاء منهم الواثق والمتوكل والمعتضد والناصر  
وغيرهم.

أما في مصر فقد رأى أحد الملوك رؤيا افزعته فاحضر المنجمين. فقالوا له:  
إن النجوم التي رأيتها في منامك وهي تتهاوى هي انقضاء ملكك فأخذه الهم والغم  
وفي تلك الأثناء قال أحد الشعراء:

قالوا تساقطت النجوم      لحادث فظَّ عسير  
فأجبت عند مقالهم      بجواب محتكٍ خبير  
هذي النجوم الساقطات      نجوم أعداء الأمير

أما في اليونان ومن بعدها روما فقد اعتمد المتسائلون على العرافات في  
هذا الشأن، وكان من أشهر مراكز العرافات هذه عرافة دلفي في سفح جبل  
برناسوسن في وسط اليونان، وقد استمر هذا المركز التنبئي من عام ٧٠٠ ق.م.  
وحتى عام ٣٠٠ من الميلاد. وكانت تلك العرافات يتنبأن بعد تناول أنواع مختلفة  
من الأعشاب المخدرة والمسببة للذهيان، وقد استخدم هذا المركز الاستعلامي  
الكثير من الملوك قبل شن الحروب أو عقد الأحلاف، وكان لأقوالهن الكثير من  
الاحترام الذي بقي في العهود المسيحية، بدليل أن الكثير من الأفكار المسيحية  
واليهودية قد نسبت إلى تلك العرافات فيما بعد.<sup>(١)</sup>

١ . صناديقي، الدكتور خالد: اليوم الآخر ونهاية الزمان، ص ٧، منشورات دار علاء الدين،



إذن احتلّت الرؤى الخارقة والتنجيم مكاناً مرموقاً في حياة الشعوب على مدار الأجيال، وكانت الناس ترسم من خلال علاماتها ملامح المستقبل ومصيره وقد برز العديد من المتنبيين والعرّافين الذين تطرّقوا إلى موضوع نهاية العالم سراً أو جهاراً، ومن بين هؤلاء كان نوستراداموس وادغار كايس والقديسة فاطمة وايمانويل فليكوفسكي.

### نوستراداموس

ولد نوستراداموس (١٥٠٣-١٥٦١م) في مدينة سان ريمي في فرنسا. كان جده يهودياً، وفي التاسعة من عمره اعتنق أهله الديانة المسيحية، وتلقى في صباه التعليم العبراني واللاتيني واليوناني، ثم برع في الرياضيات والطبّ وعلم الفلك والتنجيم.

أكبّ نوستراداموس بعد أن أصبح طبيباً على الكتابة، فجمع رؤاه الفلكية في كتاب دُعي «نبوءات السيد ميشال نوستراداموس». وأكمل عمله بوضع مجموعة شهيرة سمّاها «القرون» تتألف من ١١ جزءاً، ويحتوي كلّ جزء منها على ١٠٠ نبوءة.

كانت السلطة الكنسية آنذاك تحرّم تعاطي الشعوذة والسحر والتنبؤات، فاضطرّ إلى ان يدوّن نصوصه بتقسيمها إلى رباعيات شعرية غامضة. ومن تلك التنبؤات ما تحقق مثل مقتل الملك شارل الأول، وظهور نابليون وهتلر، واشتعال

الحرب العالمية الأولى والثانية، وإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناكازاكي، ومقتل جون كنيدي، ولمح إلى ان الحرب العالمية الثالثة قد تندلع من الصين.<sup>(١)</sup> والمثير في تنبؤات نوستر اداموس أن حروباً عالمية ومجاعات وكوارث طبيعية سوف تحصل حوالي سنة ٢٠٠٠ فتكون نهاية العالم، لكنه يشير إلى أن بعد هذا الغضب العظيم سيبدأ العصر الذهبي للأرض، ولم يقل لنا مع أيّ إنسان!!

### ادغار كايس

يُعرّف ادغار كايس (١٨٧٧-١٩٤٥م) بالنبيّ النائم. ولد في كنتكي، الولايات المتحدة، وترك المدرسة وهو ما يزال في الصفوف الابتدائية. كان ادغار متديناً، ولم تكن عنده أيّة معرفة طبية، ومع ذلك فإنّه كان يستطيع تحديد المرض عند المصاب به، حتى لو كان بعيداً عنه، ويكفيه معرفة اسمه وعنوانه، فكان يروح في غيبوبة عميقة ثم يصف العلاج، وكان العلاج أحياناً أدوية قديمة غير متوفرة، أو نباتات وأعشاب نادرة، وقد جاء في السجلات أنه شفى أكثر من ٣٠ حالة مرضية صعبة.

وانتقل ادغار إلى التنبؤات فأشار إلى الانهيار المالي الذي حصل سنة ١٩٢٩م في أميركا، وتنبأ بزلازل وأعاصير ضربت كاليفورنيا واليابان والفيليبين، وقال باختراع أشعة الليزر. أمّا التنبؤ الأهم الذي ذكره فهو حدوث حرب هائلة في العام ٢٠٠٠ سوف تغيّر وجه الأرض بكامله.

١ . اداموس، نوستر: تنبؤات نوستر اداموس، ص ٦٨، ترجمة: جميل حمادة، وزارة الثقافة والاعلام، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان.

## فاطمة

تجلّت في إحدى قرى البرتغال ظاهرة ظهور مريم على أولاد ثلاثة هم لوسيا وعمرها ١٠ سنوات، جنسيكا عمرها ٧ سنوات، وفرنسيسكو وعمره ٩ سنوات. حلّ الظهور الأوّل في ١٣ أيار من عام ١٩١٣م و تجلّى بانبعث أنوار مذهلة من قرب شجرة سندان بدا في وسطها صورة امرأة جميلة، فخاف الأولاد لكنّها هدأت روعهم ثم اختفت بعد أن وعدتهم بالظهور في ١٣ من كل شهر حتى تشرين الأول، ووعدهم أنّها ستكشف لهم خلال هذه المدّة عن السرّ العظيم.

لم يصدّق أحد ما جرى للأولاد الذي تعرّضوا للتحقيق على فترات متواصلة. وفي ١٣ حزيران قام الأولاد بزيارة المكان فركعوا وصلّوا، فظهرت مريم من جهة الشرق وأبلغت الأخوين جنسيكا وفرنسيسكو بأنّهما لن يعيشا طويلاً وسيكونان معها في السماء قريباً، أما لوسيا فستبقى لتنتقل الخبر.

وفي ١٣ تموز تجمّع أكثر من ٥٠٠٠ شخص، ولم ير مريم سوى الأولاد الثلاثة وقد تبيّنت يومها بكارثة عظيمة أقوى من الحرب سوف تحلّ. وفي ١٣ تشرين الأول احتشد حوالي ٨٠٠٠٠ شخص، فتكلّمت مريم عن دمار كبير سيضرب الأرض احتجاجاً على الشرّ الذي يصنعه الإنسان، ثم لمعت السماء وانطلقت منها ألوان رائعة شاهدها المتفرّجون فركعوا وأخذوا بالصلاة بينما بقي الأولاد صامتين.

بعد وقت قصير مات الصغيران بمرض الانفلونزا، ودخلت لوسيا الدير وأصبحت راهبة باسم «ماري الأحزان». وفي سنة ١٩٦٧م قابلت البابا بولس السادس وأخبرته بالسرّ. ولم يُعرف ماذا همست لوسيا في أذن راعي الكنيسة، لكن يُقال إنّ البابا لما تلقى السرّ تحوّل لون وجهه إلى الأبيض لهول ما سمع!

فهل يحتوي هذا السرّ على إشارة أو تاريخ لنهاية العالم كما يُشاع؟!

### ايمانويل فليكوفسكي

ايمانويل فليكوفسكي عالم روسي تلقى علومه في فرنسا واسكتلندا وموسكو. قام بأبحاث حول دمار العالم منذ بداية تكوينه، وتبيّن له أنّ الكرة الأرضية تعرّضت لكوارث طبيعية أدّت إلى دمارها جزئياً عدّة مرات في التاريخ. ويبرّر هذه الأحداث بأنها نتيجة تأثيرات كونية قد ذكرت في بعض القصائد اليونانية القديمة، وفي بعض الوثائق المصرية التي حُفرت على جلود الحيوانات. (١)

١. مراد، ميشال: نهاية العالم متى وكيف؟، ص ٤٢، دار المجاني، بيروت.

## ٤ - أخبار الغيب

معظم أخبار الغيب عند المسلمين نزلت وحيّاً على رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والقرآن حافل بأخبار البعث والنشور والحساب والجزاء الابدئي، والوحي - بخلاف الرؤى - وأصح الأفكار لا يحتاج إلى تأويل. وأخبار الغيب في التنزيل تعتبر من أسس العقيدة الإسلامية، وقد جمعت مع الإيمان بالله والرسول والملائكة والكتب في هذا المجال.

«ألم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...» (١).

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.» (٢).

١ . سورة البقرة، الآية ١، ٢، ٣.

٢ . سورة لقمان، الآية ٣٤.

## ٥ - من أخبار الغيب؛ افتراق الأمم

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار»<sup>(١)</sup>.

رحمة من النبي بالأمة، ورغبة منه بتبصيرها معالم الطريق، وإقامة للحجة بين الرسول للأمة كل ما كان في الامم السابقة، وما كان أثناء مرحلة بناء الدعوة والدولة، وماذا سيكون بعد موته وأن ما سيكون يمكن تجنبه تماماً إذا التزمت الأمة بتوجيهات نبيها، لأن النبي لا ينطق عن الهوى، بل يتبع ما يوحى إليه ويتكلم بالعلم الإلهي اليقيني وبيان ما كان وما سيكون هو جزء من رسالته، وهو فيض الرحمتين الإلهية والنبوية، وأكد لهم النبي أن الفتن ستزحف عليهم بعد موته وهي مشتبهة كوجوه البقر لا تدرون أيّاً من أي.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «تكون فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً تأتيكم مشتبهة كوجوه البقر لا تدرون أيها من أي».

١ . الدمشقي، ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم، ص ١٥، ضبطه وصحّحه: الاستاذ أحمد عبدالشافى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

عن مجاهد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل».<sup>(١)</sup>

---

١ . الخَزَاعِي المَرُوزِي، نُعِيم بن حَمَّاد: الفتن، ص ١٢، ١٤، ضبطه وصححه وعلّق عليه: مجدي الشوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

## ٦ - نقض عري الإسلام كلها والناقضون

لقد حذر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمنين بأنهم إن لم يتبعوا ما أمرهم به فإن عري الإسلام كلها ستنقض عروة بعد عروة، فطالما أعلن أمام أصحابه قائلاً: «لينقض الإسلام عروة عروة، فلكما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهنّ نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة». [رواه أحمد وابن حبان والحاكم، راجع كنز العمال ج ١ ص ٢٣٨]. وعملية نقض العرى لن تتم من تلقاء نفسها بل سيتولاها وينفذها فريق من المسلمين المحسوسين على الأمة، لذلك كشف رسول الله حقيقة هذا الفريق ليحذر الناس من شرورهم قبل وقوعها. قال حذيفة: «والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا بلغ من معه ثلاثمائة فأكثر، إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته». [رواه أبو داود في عون المعبود حديث ٤٢٤٣ و ٤٢٢٢]، ووضع رسول الله النقاط على الحروف، قال حذيفة: قال رسول الله: «إن في أصحابي اثني عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، [رواه الإمام أحمد والإمام مسلم، راجع كنز العمال ج ١ ص ١٦٩ ومعالن الفتن ج ١ ص ٦٧]، وقال حذيفة: أشهد أن الاثني عشر حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد [راجع صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٢٥]، وروي عن عمار بن ياسر مثل ذلك. [رواه الإمام أحمد، راجع الفتح الرباني ج ٢١ ص ٢٠٢]. إن اثني عشر مجموعة تخريبية كذبت بآيات الله واستكبرت عنها كما يستفاد ذلك من الآية ٤٠ من سورة الأعراف. واقترب الرسول من نقطة الخطر



فأعلن أمام أصحابه قائلاً: «إن هلاك أمتي على يد غلظة من قريش». [رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق، باب علامات النبوة من صحيحه ج ٢ ص ٢٨٠] ثم قال: «يهلك أمتي هذا الحي من قريش» [رواه البخاري أيضاً في كتاب بدء الخلق، باب علامات النبوة من صحيحه ج ٢، ص ٢٨٠ ومسلم في صحيحه كتاب الفتن ج ١٨ ص ٤١]، وعن ابن عباس أنه قال: قال الرسول: «ولتحمطنكم قريش على سنة فارس والروم ولتؤمنن عليكم اليهود والنصارى والمجوس». [رواه الطبراني، راجع مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٦]، وقال الرسول مرة لأصحابه: «إن هذا الحي من مضر لا تدع الله في الأرض عبداً صالحاً إلا فتنته وأهلكته». [رواه الإمام أحمد، وقال الهيثمي، رواه أحمد و البزار ورجاله رجال الصحيح الفتح الرباني ج ٢٣ ص ٢٤٠].

وعندما ذكر رسول الله الغلظة من قريش، والحي من قريش طالب الناس باعتزالهم قائلاً: «لو أن الناس اعتزلوهم». [راجع صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٨٠ وصحيح مسلم ج ١٨ ص ٤١ والفتح الرباني ج ٢٣ ص ٣٩ ومعالم الفتن ج ١ ص ٣٠٣].

ثم وقف النبي طويلاً عند بني أمية، وحذر الأمة منهم، فبين أن أكثر بطون قريش بغضاً لمحمد ولآل محمد هم بنو أمية، وبنو مخزوم... [راجع المستدرک على الصحيحين للحاكم و حلية الأولياء لأبي نعيم، وكنز العمال ج ١١ ص ١٦٩ حديث ٣١٠٧٤]، وتحدث عن الشجرة الملعونة وعن رؤى نزو الأمويين على منبره نزو القردة، وتيقن المسلمون من استياء النبي البالغ من تلك الرؤيا، [رواه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٧١، وأقره الذهبي وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٤٣، ورواه الترمذي وابن جرير والحاكم والبيهقي]

عن هشام عن جويبر عن الضحاك قال: قال لي النزال بن سبرة: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي حسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ قال: قلت: بلى، قال: سمعته يقول: لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية.

عن علي بن علقمة الأنماري قال: سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إن لكل شيء آفة تفسده، وآفة الدين بنو أمية.<sup>(١)</sup>

وتحدث النبي عن أصحاب الخطر من بني أمية، وركز عليهم واحداً واحداً، وحذّر الأمة منهم. ثم وقف النبي وقفة طويلة وخاصة عند الحكم بن العاص والد وجد الخلفاء الأمويين، فقال أمام أصحابه: «ويل لأمتي مما في صلب هذا» [رواه ابن عساکر راجع الكنز ج ١١ ص ١٦٧]، وقال أيضاً: «ويل لأمتي من هذا وولد هذا»، [الكنز ج ١١ ص ١٦٧ والإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٢٩]، وقال النبي لأصحابه عن الحكم: «إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه، وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء، وبعضكم يومئذٍ شيعة» [رواه الدارقطني الكنز ج ١١ ص ١٦٦ وابن عساکر ج ١١ ص ٣٦٠ والطبراني ج ١١ ص ٦٦٧].

وبعد أن كشف الرسول حقيقة هذا الخطر لعنه رسول الله، ولعن ولده. [قال الهيثمي، رواه أحمد و البزار والطبراني راجع الزوائد ج ٥ ص ٢٤١]. قال عبدالرحمن بن أبي بكر لمروان بن الحكم: «إن رسول الله لعن أباك» [رواه البزار ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١]، وقال الحسن بن علي لمروان: لقد لعنك الله على لسان رسوله، وأنت في صلب أبيك [رواه أبو يعلى مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٤٠]، وابن سعد وابن عساکر ج ١١ ص ٣٥٧ وابن كثير في البداية ج ٨ ص ٢٨٠. و حتى يكون الأمر معلوماً للجميع، والخطر واضحاً أمام الجميع أمر رسول الله بنفي

١ . الخُزاعي المروزي، نُعيم بن حمّاد: الفتن، ص ٨١، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الحكم بن العاص، فنفاه الرسول من المدينة وأعلن أن الحكم بن العاص عدو الله ولرسوله، وبقي الحكم منفيًا طوال عهد النبي المبارك، وبعد وفاة النبي راجع عثمان أبا بكر لإعادة الحكم فرفض ذلك أبو بكر، وبعد وفاة أبي بكر راجع عثمان عمر فرفض عمر ذلك وولما آلت الخلافة لعثمان أدخله معزلاً مكرماً، واتخذ ابنه مروان رئيساً لوزرائه، ولما مات الحكم أقام عثمان على قبره فسطاطاً تعبيراً عن حزنه وعميق مصابه بموت الحكم [راجع الإصابة ج ٢ ص ٢٩].

استمع المسلمون إلى كافة تحذيرات الرسول مما سيكون!! وتعجبوا كيف يكون ذلك!! وهل يعقل أن تنقض عرى الإسلام كلها!! فأراد الرسول أن يحذر أصحابه أنفسهم، وأن يضعهم أمام مسؤولياتهم فذكرهم أنه سينظرهم على الحوض وفاجأهم قائلاً: «... وليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم. [راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤١ كتاب الدعوات وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٣ كتاب الفضائل والفتح الرباني ج ١ ص ١٩٢]، وفي رواية عن عبدالله: «فأقول يارب أصحابي!! فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». [صحيح البخاري كتاب الدعوات ج ١ ص ١٤١ وصحيح مسلم كتاب الفضائل ج ١٥ ص ١٥٩، ورواه أحمد والبيهقي، راجع كنز العمال ج ١٤ ص ٤١٨]، وفي رواية عن أبي هريرة: «فيقال إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري». [راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٢ باب الصراط]، وفي رواية عن ابن عباس: «فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». [راجع صحيح البخاري تفسير سورة الأنبياء ج ٣ ص ١٦٠، وصحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩٤].<sup>(١)</sup>

١. يعقوب، المحامي أحمد حسين: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر، ص ١٤، ص ١٥، دار الملاك، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

## ٧- المهمة الكبرى للمهدي المنتظر (عج)

بعد انتقال النبي الأعظم إلى جوار ربه، واستيلاء بطون قريش على منصب الخلافة بالقوة والتغلب؛ حُلَّت عرى الإسلام كلها سريعاً عروة بعد عروة، ورفعت مضامينه ومفاهيمه الجوهرية من واقع الحياة تماماً! ولم يبق من الإسلام إلا اسمه والإطار العام أو الشكل اللازم لبقاء الملك، وتوسيع رقعة المملكة أو الأباطورية ولكن باسمه، أما الإسلام الحقيقي بجوهره ومضمونه فقد صار غريباً، لا يعرفه المجتمع أبداً!! ولا شيء يدل عليه أو يرمز إليه إلا الفئة المؤمنة القليلة والمتكوّنة من آل محمد وأهل بيته وقدامى المحاربين المؤمنين الذين قامت دولة النبوة على أكتافهم، وانتشرت دعوة الإسلام بسيفهم وألسنتهم، وصحبوا النبي فأحسنوا الصحبة ووالوه فأخلصوا بالولاء، واستوعبوا ووعوا علوم الإسلام، فلما مات النبي تمسّكوا بالقرآن وبأهل بيت النبوة كما أمرُوا فنقمت عليهم دولة الخلافة، وصبت جام غضبها عليهم فعزلتهم مع أهل بيت النبوة، وحرّمت عليهم تولي الوظائف العامة وكممت أفواههم، وضيق عليهم معيشتهم، ونفرت الناس منهم، فأذلوا وعزلوا تماماً وصاروا غرباء كغربة الإسلام والإيمان!!

وإذا رغب المسلمون بمعرفة من الذي فعل بهذه الأمة هذه الأفاعيل، وتسبب بدمار الإسلام والمسلمين فإن رغبتهم تصطدم مع فقه الهوى الذي أشربته قلوبهم، وحسب قواعد هذا الفقه، فإن طاعة ومحبة الذين حلّوا عرى الإسلام وجعلوه غريباً واجبة، ومعصيتهم، أو كراهيتهم، أو الخروج عليهم حرام

بالإجماع!!!! فمحببتهم واجبة وهم أموات، والاقْتداء بهم دين حتى وإن كانوا مخطئين!!

فنكون أمام مشكلة حقيقية مستعصية الحل، فلو عاش الناس مليون قرن فلن يخرجوا من هذه الدائرة التي سجنوا أنفسهم فيها، ولن تفارقهم أشباح الرعب التي تتحكم بلا شعورهم!! فنحن أمام عقبة كبرى لا يمكن أن يفتحها إلا نبي أو ولي مجرب ومدعوم إلهياً، وبما أن محمداً هو رسول الله وخاتم النبيين ولا نبي بعده، فيكون الولي العارف المجرب المطلع هو القادر على حل مشكلة المسلمين واجتياز هذه العقبة الكؤود، وإخراجهم من الدائرة التي سجنوا أنفسهم فيها.

وقد اختار الله سبحانه وتعالى عبده محمد بن الحسن ليكون هو المهدي المنتظر، لحل المشكلة العالمية من عقالها وتجاوز العقبة، وإخراج الناس من دائرة التقليد الأعمى «إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ» إلى دائرة الإبداع الملتزم! وقد وهب الله تعالى للمهدي المنتظر عمراً طويلاً، وقدرةً هائلةً على التنقل والاستيعاب، والتخفي، فهو يعيش بين الناس، ويفهم كليات وتفصيل ما يجري في العالم وهو ينتظر اكتمال الأسباب وأمر الله له بالظهور والخروج فعندما يخرج المهدي المنتظر تكون أسباب النجاح قد هيئت تماماً، فيقوم المهدي المنتظر بإعادة الأمور إلى نصابها الشرعي تماماً، ويدوس على الخلط بقدمه، ويفرز الأوراق عن بعضها البعض، ويضع النقاط على الحروف ويسمي الأشياء بأسمائها، ويقدم الإسلام على حقيقته للعالم، فتزول الغشاوات عن العيون، والريب عن القلوب، ويشكل المهدي حكومته العالمية من المؤمنين الصادقين أصحاب القوة والأمانة من رجال العالم ونسائه، ويصبح كل أبناء الجنس البشري رعايا ومواطنين في دولته تعاملهم بكل المحبة والاحترام لا فرق بين لون ولون أو بين عرق وعرق، أو بين

قوم وقوم، وتؤول إلى خزينة دولة المهدي كافة موارد العالم الاقتصادية، فيوزعها بين الناس بالسوية دون أن يميز أحداً عن أحد، لأن الحاجات الأساسية لبني البشر متشابهة، وخلال عهده تُعطي السماء كل بركاتها، وتخرج الأرض كل كنوزها و خيراتها ويقسم المهدي كل جبار في الأرض. ويتحرر الإنسان من الخوف والعوز معاً، فلا عدوان ولابغي ولا ظلم، ولا خوف، ولا مرض ولا قلق... (١)

## ٨- التشكك بأحاديث المهدي (عج)

السبب الحقيقي الذي يدفع المتشككين للتشكيك فهو كراهيتهم المطلقة لولاية آل محمد، ولقيادة أهل بيت النبوة!! وولاؤهم المطلق للواقع التاريخي والخلافة التاريخية. لأن المتشككين قد أشربوا في قلوبهم الثقافة التاريخية التي فرضت أصلاً بسطوة الدولة التاريخية ونفوذها وأحوالها، ثم تحولت إلى برامج تربوية وتعليمية ثابتة يتناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل، فصار الناس يعتقدون بصوابها، ثم تمادى هذا الاعتقاد، بألقى بروعهم أنها جزء لا يتجزأ من الدين.

نشرت مجلة الأهرام العربي في عددها ٣١١ وبتاريخ ٥ محرم ١٤٢٤ هـ وعن لسان علماء الأزهر وتحت عنوان «الوهم المنتظر» ما يلي:

رغم أن الشيخ الحنفي مفسر الأحلام في البرنامج التلفزيوني «رؤى» ينفي حدوث ما يتردد على ألسنة الناس جملة وتفصيلاً!!

ورغم أنه يتحدى أن يثبت أحد كلمة واحدة مما قاله فإن حديث الناس يدور الآن حول بداية ظهور المهدي الذي ولد بالفعل!!

العلماء أكدوا أن المهدي خرافة شيعية ولكن آخرين يدللون على حقيقته بأحاديث نبوية صحيحة ومؤكدة!

الدكتور محمد سيد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة في كلية أصول الدين كان من أبرز علماء الأزهر حيث يؤكد:

«فالشيعية يعتقدون أن شخصاً من أئمتهم اختفى وسيعود آخر الزمان، وهذا الكلام لا دليل عليه من الشرع، ولا المنطق، فهل يعقل أن إنساناً اختفى من ألف

سنة كما يزعمون ومازال حياً تحت الانتقاض أو في سرداب تحت الأرض أو في باطن الجبل، وأنه سيخرج آخر الزمان؟! هذا الكلام وهم وأساطير ولا حقيقة له شرعياً».

أما الدكتور محمد عبدالمنعم البري عميد كلية الدعوة الإسلامية في جامعة الأزهر فيؤكد أن المهدي المنتظر هو «الوهم» المنتظر، ذلك لأنه لم ترد في القرآن آية واحدة تزكى هذا الوهم.

... وعلى هذا فلا نرى مكاناً للدجل أو الأوهام أو الخيالات أو الخرافات مثل المهدي المنتظر، فهذه الخزعبلات لا مكان لها بين أهل العلم إلا في الأدمغة التافهة «ولكل ساقطة في الحي لا قطة».

أما الدكتور عبدالعزيز عزام أستاذ الفقه في كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر فيؤكد أن الاعتقاد بظهور «المهدي المنتظر» في آخر الزمان هو فكر لا يعتقده إلا بعض الغلاة في المذاهب الشيعية ولا يؤمن به السنة أو الشيعة المعتدلون .

أما الشيخ منصور الرفاعي عبيد وكيل وزارة الاوقاف المصرية السابق فإنه يؤكد أن أحاديث المهدي المنتظر لا أصل لها من الكتاب أو السنة النبوية الشريفة. ومن يصدق تلك الأوهام والدعاوي الكاذبة فهم مجانين أو مرضى نفسيون لديهم شعور بالإحباط والنقص فيحاولون تصديق مثل تلك الخرافات التي تجد متسعاً في عقول المغيبين والبعيد عن حقيقة الدين.

أجمع علماء الأزهر على خرافة ما يسمى بـ«المهدي المنتظر» ولكن الشيخ يوسف البدري جاء رأيه كمن ألقى في المياه الراكده بحجر ثقيل!!

يقول الشيخ يوسف البدري:



«وأما بشأن عدم ورود المهدي المنتظر في الحديث الصحيح فهذا كذب لأن البخاري ومسلم اللذين أغفلا الحديث عنه لا يضمنان كل الأحاديث الصحيحة باعترافهما قال البخاري: ما تركت من صحيح الأحاديث أكثر مما دونته، وهناك صحيح أكثر صحة من البخاري وهو صحيح «ابن حزيمة» إلا أنه ضاع وما بقي منه إنما هو جمع من الكتب التي روت عنه.

وفي أصول الأحاديث الأربعة ذكر صريح في أحاديث صريحة للإمام المهدي، ولقد جمعها المفسر ابن كثير في كتابه «النهاية في الفتن والملاحم» بروايات مستفيضة بلغت حد التواتر وأكثر.

ويشير البدرى إلى أن ما يجري الآن على الساحة من أحداث سياسية بشأن بتروال العراق وحرب أمريكا وتدمير آبار النفط وما يتلو ذلك من أحداث ومجيء اليهود فقد ورد كـبعض علامات المهدي في قوله (صلى الله عليه وسلم) «تصالحون الروم صلحا فتغزون أنتم وهم عدواً من دونكم فتظهرون وتضمون وترجعون فيقول رومي ألا غلب الصليب، فيقوم إليه مسلم فيدقه، فيأتونكم في ثمانين غاية (جيش) تحت كل غاية ثمانون ألفاً ثم تكون الملحمة» وقال (ص): عمران بيت المقدس خراب يثر ب وخراب يثر ب مجيء الملحمة، ومجيء الملحمة ظهور المهدي، وظهور المهدي خروج الدجال، وخروج الدجال نزول عيسى. (١)

ويردّ على علماء الأزهر المشككين؛ الدكتور عبدالودود شلبي قائلاً: «أجل الأزهر إلى أين؟ إنه لعزيز على أي مسلم غيور أن يسأل مثل هذا السؤال..

١ . عبدالخالق، محمد: الوهم المنتظر، ص ٣٧، ٣٨، ٣٩، مستل من مجلة «الأهرام العربي» - العدد ٣١١ - القاهرة، السنة السادسة - السبت ٥ محرم ١٤٢٤هـ.

فالأزهر يمثل في مصر «قدس الأقداس» ولكن ما الحيلة إذا كان رصيده قد أوشك على النفاد؟ وما الحيلة إذا كانت المحاكم في مصر المحروسة قد أدانتها بالتقصير والعجز؟!

إن الأزهر في محنة حقيقية.. دعك من هذا الكلام الذي يتشدق به المسئولون فيه... ودعك من التباهي والتفاخر بكثرة المعاهد والكلليات.. لو كان للأزهر وجود حقيقي ما ارتفعت في مصر صيحات الإلحاد والتطرف، واختفت إلى الأبد عصابات الإرهاب المسلح.. إن الأزهر يمر بمحنة حقيقية.. محنة في التعريف بدين الإسلام السمح.. ومحنة في تقويم اللسان العربي الذي يكاد يختفي حتى في الأزهر نفسه! ومحنة في الحفاظ على تاريخه ودوره وأثره.. ومحنة في الرجال الذين كانوا شمس المعرفة الإسلامية الصحيحة في جميع أنحاء العالم.

إن الأزهر الذي عرفناه لم يعد قائماً، والعلم الذي درسناه أصبح دارساً! وواجب، بل فرض على الدولة، وعلى كل مسلم ومسلمة أن يقيّل الأزهر من عثاره.. اليوم قبل الغد.. ومن الآن قبل أن نعض بنان الندم، وقبل أن تفقد مصر مكائنها بين المسلمين في جميع أنحاء العالم<sup>(١)</sup>!!

ومن المشككين المعاصرين عمارة محمد عماره يقول في كتابه «قصة النهاية»: «... وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج عليهم: اخرج يا مولانا أخرج يا مولانا يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم.

١ . شلبي، دكتور عبدالودود: من شيخ أزهري إلى شيخ الأزهر (الأزهر إلى أين؟)، دار الاعتصام، القاهرة.

ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كَلَمْتَمُوهُ بِجَهْلِكُمْ مَا آن؟  
 فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثَلِثْتُمُ الْعِنَاءَ وَالغَيْلَانَا  
 ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل. (١)

نقول له: «العار أن ينقل لنا باحثٌ خيراً دون أن يشير إلى مصدره، والآنكى من ذلك إنه كاتب ومؤرخ ولكنه لم يقرأ كتب التاريخ ليعلم ان المهدي المنتظر (عج) يظهر بين الركن والمقام لا من السرداب!!».

واسطورة السرداب اختلقها بعض اعداء الشيعة من امثال ابن خلكان (المتوفى ٦٨١) في «وفيات الاعيان» وابن بطوطة (المتوفى ٧٧٩) في الرحلة وابن خلدون المغربي (المتوفى ٨٠٨) في المقدمة وابن حجر (المتوفى ٩٧٤) في الصواعق والقرماني (المتوفى ١٠١٩) في اخبار الدول ومن المعاصرين القصيمي في «الصراع بين الاسلام والوثنية» حيث يقول في الجزء الأول من الصفحة ٣٧٤: «وان اغبى الأغبياء وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا امامهم في السرداب وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلى ذلك السرداب الذي غيبوا فيه امامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ اكثر من ألف عام».

ورَدَّ على القصيمي المرحوم العلامة الأميني في «الغدير ٣/٣٠٨» بقوله: «وفرية السرداب أشنع وان سبقه اليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطنبور نغمات بضم الحمير إلى الخيول وادعائه إطراد العادة في كل ليلة واتصالها

١ . محمد عمارة، عمارة: قصة النهاية وعلامات الساعة الصغرى والكبرى، ص ١٥٥، مكتبة ابن كثير، الكويت، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترى أن غيبة الامام في السرداب، ولا هم غيبوه فيه ولا أنه يظهر منه، وانما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم انه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: انه مغيب ذلك النور وانما هو سرداب دار الأئمة بسامراء، وان من المطرد ايجاد السرايب في الدور وقاية من قايظ الحر، وانما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وانه كان مبوأً لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السلام ومشرفهم النبي الأعظم في أي حاضرة كانت، فقد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقولون في أمر السرداب اتفقوا على رأي واحد في الاكذوبة حتى لا تلوح عليها لوائح الاقتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة في رحلته ١٩٨/٢: ان هذا السرداب المنوه في الحلة. ولا يقول القرمانى في «أخبار الدول» في بغداد. ولا يقول الآخرون: أنه بسامراء. ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوءته»<sup>(١)</sup>.

١ . الفقيه ايماني، مهدي: الامام المهدي عند أهل السنة، ص ٢٠، الجزء الأول، مكتبة الامام اميرالمؤمنين (ع) العامة، اصبهان، ايران، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.

## ٩ - المسائل المهمة المتعلقة بساعة الظهور

روى الفاضل الأربلي «قدس سره» في كشف الغمّة عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا يخرج القائم عليه السلام إلّا في وتر من السنين - سنة إحدى، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع - .

وعنه عليه السلام قال: ينادى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء - وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام - لكأنّي به في يوم السبت العاشر من المحرم، قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل عليه السلام على يده ينادي البيعة لله، فيصير إليه شيعته من أطراف الأرض، يطوى لهم طياً حتى يبايعوه، فيملاً الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وعن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كأنّي بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة قد سار إليها من مكّة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه، وهو يفرّق الجنود في البلاد.

وفي رواية مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا قام قائم آل محمد عليه السلام بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب واتّصل بيوت أهل الكوفة بنهر كربلاء.

وعن عبدالله بن عمر، قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله: يخرج المهدي من قرية يقال لها: «كرعة».

وعن حذيفة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المهدي رجل من

ولدي لونه لون عربيّ، وجسمه جسم إسرائيلي على خدّه الأيمن خال كأنه كوكب درّيّ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضي في خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في الجوّ.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المهديّ منّا أجلى الجبين أقرنى الأنف.

وفي رواية أخرى: المهديّ منّا أهل البيت رجل من امتي أشمّ الأنف يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وعن أبي امامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي ابن أربعين سنة، كأنّ وجهه كوكب درّي في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطريّتان كأنه من رجال بني إسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك.

قال الأزهري: في أعراض البحرين قرية يقال لها: قطر، واحسب الثياب القطرية نسبت إليها فكسروا القاف للنسبة وخفضوا.. إنتهى.

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة [الله] فاتبعوه.

وفي رواية أخرى: وعلى رأسه ملك ينادي هذا المهديّ فاتبعوه.

وعن الزيادة بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: صاحب هذا الأمر، ولكنّي لست بالذي أملاها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ماترى من ضعف بدني؟ وإنّ القائم هو الذي إذا خرج، [خرج] في سنّ الشيوخ ومنظر الشباب وكان قوياً في بدنه، حتّى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها،

يكون معه عصا موسى و خاتم سليمان، ذاك الرابع من ولدي يغيبه الله في ستره ماشاء، ثم يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كاني بهم آنس ما كانوا إذ نودوا نداء يُسمع من بُعد كما يُسمع من قُرب يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً للكافرين.

وعن المفضل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إذا أذن الله - جل اسمه - للقائم الخروج صعد المنبر فدعا الناس إلى نفسه وناشدهم الله ودعاهم إلى حقه وأن يسير فيهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعمل فيهم بعمله، فبيعت الله - تعالى - جبرئيل حتى يأتيه فينزل على الحطيم، يقول له إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرئيل عليه السلام، أنا أول من يبائعك أبسط يدك، فيمسح على يده وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيبائعونه ويقيم بمكة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف، ثم يسير منها إلى المدينة.

وعن محمد بن عجلان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر، فضل عنه الجمهور. وإنما سمي القائم «مهدياً» لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه، وسمي بـ«القائم» لقيامه بالحق.

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا قام القائم عليه السلام هدم المسجد الحرام حتى يردّه إلى أساسه وحول المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبه وعلّقها بالكعبة وكتب عليها: سراق الكعبة.

وعن عبدالله بن المغيرة، عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فحارب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فحارب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى - حتى يفعل ذلك ستّ مرات - قلت: ويبلغ عدد

هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليتهم.

وعن المفصّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يخرج مع القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحُكّاماً. (١)

---

١. آل عصفور، الميرزا محسن: ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة في ظل إمامة المهدي المنتظر (عج)، ص ٣٧٥، ص ٣٧٦، مكتبة الريف الثقافية، البحرين، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.



## ١٠- الحرب العالمية الثالثة في ظل النظام العالمي الجديد

إن عبارة النظام العالمي الجديد هي مفهوم جديد في التفكير الاستراتيجي، أوجدته إدارة (بوش الأب) من أجل إعادة تركيب النظام السياسي الدولي لمواجهة التحديات والحقائق المستجدة على الساحة الدولية.

### النظام العالمي الجديد: ماذا يعني؟

في هذه الأيام تدور مناقشات واسعة حول مفهوم «النظام العالمي الجديد». وهذه العبارة تعكس مفهوماً جديداً في التفكير الاستراتيجي في مجالات الدبلوماسية والاستراتيجية حسب التغييرات الأخيرة التي حدثت في العالم. لقد انفرط عقد الاتحاد السوفيتي بشكل كامل، وربما أنه لن يعود إلى ما كان عليه. وقد تمّ انحلال (حلف وارسو) في نيسان (ابريل) عام ١٩٩١م، كما أن جميع دول أوروبا الشرقية، والتي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي تقف الآن مستقلة، وتحاول أن ترسم وتخطط سبلها الخاصة بها، والتي تمكّنها من أن تصبح من المساهمين في بناء عالم الغد.

ولقد توحدت الدولتان الألمانيّتان، وكل الوقائع التاريخية تدل على أن ألمانيا الموحدة يمكنها أن تصبح من عمالقة الاقتصاد العالمي وبالتالي قوة عظمى، لأنه بشكل مبدئي وثابت، ستكون القوة الاقتصادية المتحكم الرئيس في سياسات القوى المستقبلية. اليابان أيضاً تقترب من كونها مركز قوة عالمي، حيث تريد أن تؤكد على دورها السياسي المتزايد، وتريد أن تساعد في إيجاد

نظام دولي، يعتمد على السلام والحرية والديمقراطية، ونظام سوق اقتصادية حرة.

### أصل الفكرة:

تبنت إدارة (بوش الأب) سياسة الحصار على أنها من السياسة الخارجية، وذلك في عام ١٩٨٩م وحسب ما قال «دون اوبردورفر»:

١- كان الرئيس الأمريكي (جورج بوش) أول من تكلم عن مفهوم النظام العالمي الجديد وإضافة إلى مستشاره لشؤون الأمن القومي «برينت سكو كروفت» وكان ذلك في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٩٠م، بعد الانتهاء من إجازة على المحيط الأطلسي في كيني بنكبورث، وذلك بعد الاحتلال العراقي للكويت. وكان المقصود من إطلاق هذا المفهوم التأكيد على حرية خيار الولايات المتحدة للتعامل مع أزمة الخليج - وهو الشعب والتفرع الأوسع مع ما كنا نفعله وما يمكن أن يعنيه.

٢- إشارة إلى التعليقات والكلام التاريخي للسياسة الخارجية الأمريكية، فإن «مفهوم النظام العالمي الجديد» يمكن مقارنته «بمفهوم الحصار» على حسب إدراك الولايات المتحدة لدورها العالمي ومسؤولياتها مع تخبط العالم الاشتراكي الشيوعي.

إن تمسك إدارة بوش بالنظام العالمي الجديد، قد أثار تأويلات كثيرة في العالم حول سياسة الولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة التي انتهت.

لا يستطيع أي محلل أن يوضح بشكل دقيق النظام العالمي الجديد، كما هو مقرر و مخطط له من قبل الإدارة الأمريكية، على كل حال يستطيع الآخرون أن يتنبؤوا عن ماهية النظام العالمي الجديد، من خلال التصريحات والقرارات

السياسية الصادرة عن الإدارة الأمريكية، ومن خلال التطورات الحالية. من الناحية التركيبية، سيكون النظام العالمي نظاماً سياسياً دولياً ذا ثلاثة أبعاد، وستكون فيه المكونات الرئيسية الثلاثة القوية متآلفة ومتداخلة وفاعلة، إحداها مع الأخرى، من أجل إيجاد عالم أفضل وأكثر سعادة للجميع، والمكونات الرئيسية الثلاثة لهذا النظام الجديد ستكون: الأمن والديمقراطية، والتعاون الاقتصادي، والتكامل.<sup>(١)</sup>

إذا لم تتحقق الاطروحة الآتفة الذكر للولايات المتحدة الإمريكية فسوف تقع الحرب العالمية الثالثة بين امريكا وحلفائها (الدول الأوروبية) من جهة والصين وحلفائها من جهة أخرى.

نعم، ستواجه الولايات المتحدة مقاومة شديدة جداً من تلك القوى التي تريد أن تقاوم وتعارض التغييرات المفروضة من قبل الولايات المتحدة، وخاصة في المناطق التي تستطيع أن تكون - [ولا بد أن تكون] - ذات أهمية أكبر بالنسبة للولايات المتحدة، حيث تمازج التيارات القومية الرئيسة والفرعية، والتوجهات المتطرفة الراديكالية والأصولية، واختلاف أنواع الأنظمة التي ربما لا تمثل أغلبية شعوبها، والصراعات الداخلية والفوضى الكبيرة في توزيع الأسلحة والتجهيزات العسكرية، بما فيها انتشار الأسلحة النووية، مما يشكل تحدياً لنظرية الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد.

سياسة الولايات المتحدة بشكل عام بالنسبة لقدرات الدول الأخرى النووية، هي كما وصفها وزير الدفاع الأمريكي السابق (ديك تشيني) في حديث

١ . عزيز، فريدا: النظام العالمي الجديد والقرن ٢١، ص ٣٨، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

صباحي متلفز على شبكة الآي.بي.سي، قال السيد تشيني: «الولايات المتحدة فقط لها حق الاختيار بالوقوف ضد أي دولة تملك قدرات نووية أو صواريخ ذاتية الاندفاع مع أسلحة نووية، نحن نريد أن نعمل شيئاً بشأن هذه المشكلة كما نريد أن نعمل على عدم تكاثر مصادر الأسلحة النووية، ونعتقد بأننا سوف ندافع عن أنفسنا ضد دول العالم الثالث عن طريق زيادة قدرتنا وقوتنا في العالم الثالث الذي يمكن أن تتطور فيه تلك القدرات، تخطط الولايات المتحدة على هذا الأساس، ونحن نبحث في العالم عن مناطق مختلفة حيث تحاول أن تمتلك أسلحة نووية، أو حيث الصراعات المحلية يمكن أن تشتمل على استخدام أسلحة نووية ضمن هذه الدول نفسها».<sup>(١)</sup>

عندما بدأ الاتحاد السوفييتي بالتفكك عام ١٩٨٩م قام آخر رئيس سوفييتي بتفكيك جميع الأسلحة النووية غير الاستراتيجية (باستثناء بعضها المركب على الطائرات) والصواريخ الباليستية العابرة للقارات، وبعض القاذفات، وفي حركة درامية في أيلول ١٩٩١م أمر الرئيس الأمريكي بوش بتفكيك حوالي ٤٧٠٠ سلاح، وإزالة الصواريخ المتعددة الرؤوس عن قواعدها الأرضية، وتحويل الكثير من القاذفات المتعددة الرؤوس من نووية إلى غير نووية.

وأراد الأمريكيون من روسيا أن تتخلص من صواريخها الباليستية العابرة للقارات، ووافقت موسكو على ذلك بعد أن وافقت واشنطن على الرجوع عن إقامة نظام الغواصات، وتم إنجاز وضع متعادل بالوصول إلى أقل عدد ممكن من الأسلحة.

بعد ذلك كان للقرار السياسي الأمريكي أهمية خاصة، حسب ما كشف عنه

الجنرال كولن باول رئيس الأركان المشتركة الأمريكية في عام ١٩٩٢م: [سوف يتم تخفيض المخزون الفعال من الأسلحة من حوالي ٢٠٠٠٠ سلاح نووي إلى ١٠٠٠٠ مع نهاية شهر أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١]. وبعد تخفيض الأسلحة النووية بين الولايات المتحدة وروسيا سوف يتم التفكير بالقدرات النووية الموجودة في فرنسا وبريطانيا، سياسة فرنسا معروفة، فهي تنوي الحفاظ على قوتها النووية، بينما اختارت الحكومة البريطانية أن تبقى سياستها حول الأسلحة النووية غير معلنة وهي - الآن - حليفة أمريكا في حربها ضد العراق.

### أ - حلفاء أمريكا: أوروبا الجديدة

تدل عبارة (أوروبا الجديدة) على النصف الشرقي من أوروبا الذي برز بعد تحرره من حلف وارسو، وعلى النصف الغربي من أوروبا، وهو النصف الغربي والمتقدم والذي يشكل (المجموعة الأوروبية)، وبما أن أوروبا تحوّلت بين اتحاد وانقسام على مدى العصور ومنذ معاهدة (ويست فاليا) عام ١٦٤٨م، يبدو أن الفرصة متاحة الآن للتجمع والاتحاد بعد انعقاد قمة ماستريخت عام ١٩٩١م، هناك ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر على النظام العالمي الجديد في هذا الجزء من العالم، وهي التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في أوروبا الشرقية المحرّرة حديثاً، إضافة إلى الدور السياسي والعسكري لدول أوروبا الغربية والدور المستقبلي لحلف الناتو.

الخبراء الاستراتيجيون يعتبرون أوروبا جزءاً هاماً من العالم بعد عصر النهضة، لأنها أساس الحضارة الحالية لأنها توجّهت نحو الاكتشاف العلمي

والتقدم، ولكونها موطناً لقوى استيطانية استعمارية كبيرة، ولأنّها كانت ساحة الحريين العالميتين، ولأنّ أوروبا مركز التوازن الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أثناء الحرب الباردة.

إن عبارة (أوروبا المحصّنة) هي العبارة الشائعة حالياً لدى أنصار حماية أوروبا الموحدة، يعتمد أفضل نظام لتوحيد أوروبا على التنظيم العقلاني والتحكم المركزي القوي، كما فعل نابليون بونابرت حيث تأثر بالامبراطورية الرومانية العظيمة، وكان نابليون بونابرت يرى في بريطانيا عدوّه الأول، والآن وبالنسبة للمستقبل، توجد عوامل معينة في السيناريو الأوروبي يجعل فكرة أوروبا الكبرى أمراً مرغوباً لدى الكثيرين.

الأمر الأكثر أهمية هو رغبة بعض الدول الصغيرة؛ مثل اسكتلندا وهولندا والدنمارك وإيرلندا، في أن تؤيد فكرة أوروبا الكبرى من أجل التخلص من كونها دولاً ثانوية ذات مواقف ضعيفة.

فالهولنديون يفضلون أن يكونوا أوروبيين على أن يكونوا ملحقين بالمانيا واليونانيون يريدون أن يكونوا جزءاً من الحصن الأوروبي ضد تركيا، عدوهم التقليدي، الاسكتلنديون والاييرلنديون يريدون التخلص من السيطرة البريطانية، والكثيرون من سكان شمال إيطاليا يفضلون أن يكونوا أوروبيين على أن يتأثروا بفساد الايطاليين الجنوبيين الذين يعتبرونهم مثل الأفارقة، ألمانيا الموحدة تريد أن تكون مثل سويسرا، موحدة حسب الاقتراح الفرنسي.<sup>(١)</sup>

أوروبا أصبحت اليوم موحدة من الجهات التالية:

أ- لها سوق اقتصادية مشتركة.

ب - لها كيان عسكريّ منسجم (حلف الناتو)

ج - لها عملة نقدية موحدة (اليورو)

د - رفعت الحدود السياسية واصبحت أوروبا دولة واحدة تجاه الشرق.

### ب - الصين وحلفائها

إن العنصر الأساسي في العلاقات الصينية الأمريكية، [ألا وهو العداوة تجاه السوفييت] قد مضى دون رجعة، ولذلك حلّ وقت مراجعة السياسة الخارجية لدى الطرفين. لذلك برزت موضوعات أخرى جديدة لتصبح نقاط النزاع بين البلدين، فالولايات المتحدة تتضايق من مبيعات السلاح الصيني، وتركز واشنطن على موضوع انتهاك حقوق الإنسان في الصين، وتشعر بالضيق من القيود الصينية على التجارة، ومن الجانب الصيني، فإنها تشعر بالقلق بسبب النجاح الاقتصادي في (تايوان)، والذي تعتبره بعض الدوائر نموذجاً عن اقتصاديات أوروبا الشرقية، إن هذا النجاح التايواني قد حطم أحلام بكين في «التوحيد» بعد عودة هونغ كونغ وماكاو إلى الصين الشعبية في نهاية عقد التسعينات.

إن المشكلة الصينية هي أنهم مستعدون للسير في نوع من الاقتصاد المتنوع والاتجاه التحرري، ولكن في الوقت ذاته، لا يريدون الابتعاد عن العقائدية الشيوعية. كما تعتقد بكين - بشكل راسخ - أن الطريق إلى الحفاظ على وضع المناطق ينصّب في صياغة ودعم أيديولوجية الحزب الشيوعي الصيني (ccp).

ترى هل يستطيع الحزب الشيوعي الصيني (ccp) تجاهل الاتجاه العالمي اليوم، ألا وهو الاتجاه نحو حقوق الإنسان والحريات الأساسية والصحة الاجتماعية والسياسية، والوعي الذي لم يعد ممكناً اعتقاله وحصاره بواسطة

الأفكار الايديولوجية الشيوعية، وخاصة في منطقة أهلكتها الفقر المدقع، مثل منطقة الصين.

ترى، ما هي بالضبط، السياسية الأمريكية تجاه الصين في النظام العالمي الجديد. ففي حين أنّ تلك السياسة تجاه الهند واضحة شفافة، فإن المفهوم الأمريكي للدور الصيني غير معروف تماماً، وذلك لسببين: الوضع النووي في الصين، ومستقبل الصيغة الصينية للشيوعية والاشتراكية.

ومن جانبهم، يقدم الصينيون نسخة خاصة بهم من النظام العالمي الجديد، وهم يحاولون جلب الأنصار لتلك النسخة ويقومون بحملة ترويجية من خلال وسائل الإعلام وحلقات الدراسة والاتصالات على المستوى العالمي.

هذا وتشمل النسخة الصينية للنظام العالمي الجديد على البنود التالية:

١ - يجب أن يضمن النظام العالمي الجديد السيادة الكاملة لجميع دول العالم، كما يجب أن يضمن المساواة بين جميع الدول، ويجب أن يسمح لكل دولة أن تتخذ قراراتها الخاصة بشؤونها بشكل حرّ، ويجب أن تعامل كل دولة بالاحترام الكامل.

٢ - يجب إزالة النظام القائم على القوة العظمى الواحدة، ألا وهي الولايات المتحدة، وتستبدل بعالم متعدد القوى الكبرى، وهذا سيكون ضماناً أمام السيطرة والعدوانية الأمريكية.

٣ - المبادئ الخمسة للتعايش السلمي يجب أن تكون هي مبادئ قيام النظام العالمي الجديد.

٤ - يجب أن يكون من ضمن بنود النظام العالمي الجديد إقامة نظام اقتصادي دولي جديد وهو نظام يستهدف ردم الهوة الحقيقية بين الدول الثرية



والدول الفقيرة، وخاصة في موضوع المساعدات وانتقال التكنولوجيا والاعفاء من الديون وحرية الدخول إلى السوق.

إن هذا نوع من البلاغة الخطائية، ومع ذلك، تبدو مسألة ظاهرة في هذا النظام المقترح: إنها مسألة الشعور بانعدام الأمان، والشعور بالخوف من الانهيار كما حصل للاتحاد السوفيتي.

يفهم المرء من اللهجة الخطائية الصينية أن الصين تجد صعوبة في قبول الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة تتحكم بمصير الكرة الأرضية، وهكذا ترفض الصين السياسة الأمريكية حيال تقييد مبيعات وانتقال أنواع من الأسلحة، وترفض أيضاً أهداف واشنطن في صياغة التجارة وسياسة الاستثمار في العالم بشكل يوافق خطط المؤسسات المالية الدولية الكبرى، كما ترفض الصين السياسة الأمريكية حيال إعطاء وزن أكبر لموضوعات حقوق الإنسان، أثناء عملية اختيار الأصدقاء في المسيرة تجاه القرن الحادي والعشرين ولكي تصبح الصين قوة هامة في النظام العالمي الجديد، فإنها تملك مؤهلات مقابل الهند واليابان، إن الاقتصاد في الصين صاعد، وقد بدأ بالانفتاح على العالم منذ ١٥ سنة، وتملك الصين قوة عسكرية هائلة، بما فيها السلاح النووي، وهي العضو الوحيد الدائم [غير الأبيض] في مجلس الأمن الدولي، والذي يملك حق النقض (الفيتو). أما عدد سكانها فيبلغ أكثر من مليار نسمة، وتقوم فيها العقيدة الشيوعية، أما القوى الأخرى الهامة للولايات المتحدة في هذه المنطقة فهي اليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية.

وستقوم الحرب العالمية الثالثة بسبب تاوان واندلاعها من غواصة نووية حيث سيضرب الغرب الشرق صباحاً بالقنابل الذرية والشرق سيضرب الغرب عصاراً. إنها في دقائق وتنتهي لا في يوم واحد. عندما يضرب الغرب يكون الزمان

هناك صباحاً ونظراً لكروية الأرض يكون الزمان في الشرق عصراً.  
الدخان المتصاعد من الحرب النووية سيدور حول الأرض لمدة ثلاثة أو  
سبعة أيام.

عن أبي الله الحسين بن علي (عليهما السلام)، قال: إذا رأيتُم علامةً في السماء،  
نارٌ عظيمة من قِبَل المَشْرِقِ، تطلع ليالي، فعندها فَرَجُ الناسِ، وهي قَدَامُ المهديِّ عليه  
السَّلام.

وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ (عليهما السَّلام)، أنّه قال: إذا رأيتُم ناراً من  
المَشْرِقِ، ثلاثة أيّام أو سبعة، فتوقعوا فرجِ آلِ محمد، إن شاء الله تعالى. (١)  
ومن جراء هذا القصف الذري سيهلك ثلث سكان الكرة الأرضية. وهذا ما  
وضحه الإمام الباقر (ع) بقوله: «قدام القائم موتان موت أحمر وموت أبيض حيث  
يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون». ومثله قوله (ع): «لا يكون هذا الأمر أي لا يظهر المهدي» حتى يذهب ثلث الناس،  
فقيل له: إذا ذهب ثلث الناس فما يبقى فقال عليه السَّلام: «أما ترضون أن تكونوا  
الثلث الباقي» وتلك علامة بارزة من علامات ظهور المهدي المنتظر. (٢)  
عند اندلاع الحرب العالمية الثالثة يوصي النبي (ص) بدخول الملاجيء  
واعداد طعامٍ لمدة سنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا قبلت فتنةً من المشرق،

١ . المقدسي الشافعي، يوسف: عقْدُ الدرر في أخبار المنتظر، ص ١٤٥، تحقيق الدكتور  
عبدالفتاح محمد الحلو، انتشارات مسجد مقدس جمكران، قم المقدسة، الطبعة الأولى،  
١٤١٦ هـ .

٢ . حسين يعقوب، المحامي احمد: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر، ص ٢٢٦ .

وفتنة من المغرب، والتَّقْوَا، فبطنُ الأرض يومئذٍ خيرٌ من ظهرها. فإن لم تجدوا إلا حُجْرَ عقرب فادخلوا فيه، فإنه يكون شرًّا طويلاً»<sup>(١)</sup>.

وبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها: تعني شدة الخوف وتمني الموت، ولكنها ترمي أكثر ما ترمي هنا إلى ذلك المعنى الرفيع الذي قصدت منه الأخبارُ كلِّها ذُكرت فيها (بطن الأرض) الهروب إلى الملاجئ التي يجب الاستعداد لها وحفرها اتقاءً للغارات الجوية وخطر القذائف والمتفجرات، ذهباً من القذيفة العادية والصواريخ إلى القذائف الذرية وما هو من نسخها.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - ذكره نعيم بن حماد: «ستبدو آية: عمود من نار تطلع من قبل المشرق يراها أهل الأرض فمن أدرك ذلك فليعد طعام سنة»<sup>(٢)</sup>.

كَتَبَ الحجة المنتظر عليه السَّلام لابن مهزيار، في علامة صرَّح بها، بعد أن أَلْمَحَ إليها آباؤه (ع):

«- إنه إذا فُقدَ الصينيُّ، وتحركَ المغربيُّ، وسارَ العباسيُّ، وبويعَ السفينانيُّ، أذِنَ لوليِّ الله...»<sup>(٣)</sup>

والصينيُّ هذا، الذي عرَّفه القائمُ (ع) بالألف واللام - أَل: العهدية - لا بدَّ أن يكون ذا ميزةٍ خاصة، وشهرةٍ عالميةٍ مرموقة، ممن أبرزوا اسم الصين الحديثة بمبادئها الجديدة أمثال تشانغ كاي شيك، وماوتسي تونغ وغيرهما، فعرَّفه بلفظة:

١. سليمان، كامل: يومُ الخلاص، ص ٥٧٨، مؤسسة انصار الحسين (ع) الشقافية، طهران، ١٩٩١م.

٢. الحسيني الحسيني، ابن طاووس: الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر (عج)، ص ٤٥، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣. سليمان، كامل: يومُ الخلاص، ص ٦٠٦.

الصيني.. وما أجدُّ أكثر انطباقاً لها على ماؤتسي تونغ الذي غزا أفكار الشيبيية في الشرق بمبادئه الشيوعية. فضرب الصين هو بمثابة ضرب الأفكار الشيوعية والإلحادية.

الحرب العالمية الثالثة لو وجدت فإنها لا تقضي على كل معالم الحضارة العالمية، بحيث يعود الناس إلى الشكل البدائي للحياة، وتكون الحرب الرابعة بالعصى والحجارة، كما يتصور البعض... كلا، لأنها لن تدوم طويلاً، وإنما تقضي وبسرعة، على المراكز العسكرية المهمة في العالم وعلى مصانع الأسلحة بشكل عام وعلى عواصم الدول الكبرى وبعض مدنها المهمة بما فيها العواصم. وبذلك تسبب فشل الأطراف المتحاربة كلها، وانهارها عسكرياً واقتصادياً. ولا حاجة إلى افتراض نتائج أوسع من ذلك.

... نعم، توجد قنابل لافناء البشرية في لحظة، إلا أنها لن تستعمل بطبيعة الحال، لأن الدولة (الضاربة) - أي كانت - لا تريد القضاء على نفسها بطبيعة الحال، وإنما تضرب من الأسلحة النووية، بمقدار ما تقضي به على خصمها فقط. لهذا من الإمكان بقاء المدنية (العلمية) في البشر، الأمر الذي يجعل الدولة العالمية وارثة له. (١)

### الدخان:

عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر أشراف الساعة قال فعند ذلك يظهر الدخان قال حذيفة: قلت: يا رسول الله: وما آية الدخان قال:

١. الصدر، محمد: اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني، ٦٣٢/٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

تسمع له ثلاث صيحات، ودخان يملأ ما بين المشرق والمغرب - فأما المؤمن فتصيبه زكمة - وأما الكافر فيصيبه مثل السكران - يدخل في منخره وأذنه وفيه ودبره وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب.<sup>(١)</sup>

من علامات الساعة الكبرى ظهور الدخان الذي يملأ الأرض كلها، فتصبح كبيت أوقد فيه، وهو إنذار للكافرين ببدء حلول العذاب ونزول النعمة بهم.

### أدلة ظهوره:

١ - قال تعالى: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يُغشى النَّاسَ هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) ...».<sup>(٢)</sup>

٢ - عن حذيفة بن أسيد الغفاري - في حديثه السابق: إنها - أي الساعة - لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة... الحديث [أخرجه مسلم واللفظ له، وأحمد وأبو داود والترمذي].

### تأثيره على الناس:

يراه المؤمنون فلا يضرهم، وإنما يصيبهم منه ما يشبه الزكام، ويضايق الكفار والمنافقين، فيدخل في منافذهم فينتفخون حتى يخرج من كل مسمع منهم. وعن علي - رضي الله عنه - قال: آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفذ (أي ينتفخ حتى يخرج من كل مسمع

١. الموسوي الكاشاني، محمد حسن: العالم في المستقبل، ص ٣١، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

٢. سورة الدخان: الآية ١٠، ١١.

منه] [أخرجه عبدالرزاق وابن أبي حاتم].<sup>(١)</sup>

### اسم الله الاعظم:

اسم الله الأعظم في اللغة العربية هو «الله» مكتوبة بأربعة حروف هي على التوالي الألف واللام واللام والهاء.

فإذا نظرنا إلى الحروف العربية في ترتيبها الألفبائي نجد أن حرف الألف هو أول حرف (١) وأن اللام هو الحرف الثالث والعشرون (٢٣) وأن الهاء هو الحرف السادس والعشرون (٢٦).

فإذا جمعنا الأعداد الترتيبية لمواقع الحروف المكونة لاسم الجلالة «الله» عددا عددا حصلنا على ١٩ و ١٩ كحرف الحاء «ح» وحرف القاف «ق» اللذين يعطيان لفظة «حق».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ مع الحق والحق مع عليّ». وهنا يحسن بنا أن نذكر بقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ).<sup>(٢)</sup>

١ . عبدالسلام طويلة، عبدالوهاب: المسيح المنتظر ونهاية العالم، ص ٢٩٦، دار السلام،

القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢ . سورة يس: الآية ١٢.

إن كلمة «الدخان» جاءت في القرآن مرتين فقط:  
أول مرة ارتباطاً ببداية الخلق: «ثم استوى إلى السماء وهي دُخانٌ فقال لها وللأرضِ أتتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»<sup>(١)</sup>.  
وثاني وأخر مرة كعلامة للساعة: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ  
\* يَغشى النَّاسَ هذا عذابٌ أليمٌ»<sup>(٢)</sup>.  
في كل من المرة الأولى والثانية نراها مسبوقة بكلمات مجموع حروفها  
١٩.

و«الدخان» هو الاسم الذي تحمله في المصحف السورة ٤٤. والسورة ١٩ (مريم) تحمل الرقم ٤٤ في ترتيب التنزيل؛ و«مريم» هي أم من وصفه الله بكونه «علم الساعة». كما جاء في الحديث أيضاً أن «الدخان» ونزول عيسى بن مريم (عليه السلام) من بين علامات الساعة: قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة ونزول عيسى بن مريم عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

### نتائج الحرب العالمية الثالثة:

إن هذا الموت الواسع المنتظر سوف يكون له عدّة آثار ونتائج تتعلق بظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، منها تصفية عدد كبير من الشرائع الفاسدة في المجتمع البشري والمتدنية بعيداً في مهاوي الضلال والتي تصعب هدايتها وتتعسّر

١. سورة فصلت؛ الآية: ١١.

٢. سورة الدخان؛ الآية، ١٠، ١١.

٣. قبطني، فريد: طلوع الشمس من مغربها علم للساعة، ص ١٩٧، دار البراق، بيروت،

وليس لها في علم الله عزّ وجلّ إلا الاستئصال من الجسم البشري حفاظاً على أجزائه الأخرى الأكثر سلامة كما تُستأصل الأورام الخبيثة من البدن. ومن نتائجه أيضاً تقديم الدليل العملي والواقعي الحسي للبشرية على فساد أنظمتها التي صنعتها لنفسها من شيوعية واشتراكية ورأسمالية وعلمانية حيث سيتم الدمار والخراب على يد المدينة الحديثة وبسواعد المثقفين والعلماء الغربيين والشرقيين الذين ساروا بطريق المدينة من دون إيمان وخلق يردعهم عن استغلاله لمنافعهم المادية الأنانية وتحقيق نزواتهم الشاذة عن سمو والكرامة الإنسانية.

إن الحرب العالمية الثالثة ستكون أكبر دليل على فشل الإنسان في سيره بعيداً عن الدين الإلهي وعن الفطرة الإنسانية السليمة، وستوجد في نفوس شعوب العالم المتبقية من دمارها الواسع التطلّع نحو نظام جديد وقائد مخلص لها من آلامها العميقة. (١)

### العجب كل العجب ما بين جمادي ورجب

قلنا فيما سبق إن الغبار الناشيء من الحرب النووية سيعم الكرة الأرضية وسوف تهطل امطار غزيرة ولمدة عشرون يوماً خلال شهري جمادي الآخرة ورجب هي من رحمة الله تعالى لعباده الصالحين.

يقول الشيخ يوسف محمد عمرو: «ثم يُختم بعد ذلك بأربع وعشرين مطرة متصلة فيحي الأرض بعد موتها وتظهر بركاتها، ويزول بعد ذلك كل عاهة من

١ . الهاشمي، باسم: المخلص بين الاسلام والمسيحية، ص ٦٤، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.



معتقدي الحقّ من أتباع المهديّ، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكّة، فيتوجهون إليه قاصدين لنصرته، كما جاءت بذلك الأخبار»<sup>(١)</sup>.

روى عبدالكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: كم يملك القائم عليه السّلام؟ قال: سبع سنين، تطول له الأيام والليالي حتى يكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم، فتكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه، وإذا آن قيامه مطر الناس جمادي الآخرة، وعشرة أيّام من رجب مطراً لم تر الخلاق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأنّي أنظر إليهم مقبلين من جهته ينفضون شعورهم من التراب.<sup>(٢)</sup>

وستكلم عن العلام الأخرى - الدجال والدابة وغيرها - في الاجزاء القادمة انشاء الله.

### كيف تخضع له الدول والحكومات؟

بديهي أن الحكومات والدول إنما تتكون من أفراد يشكلون الهيئة الحاكمة، ومن الطبيعي أن كل فرد منهم يدرك الأمور ويفهم الواقع.

والحكومات تعتمد على الاسلحة والعتاد، والاسلحة بيد الجيش، وهي تعتمد أيضاً على القوات المسلحة كالشرطة والجيش الشعبي والانضباط العسكري، وهذه هي الأجهزة التي تعتمد عليها الدول والحكومات وتتقوى بها

١ . محمد عمرو، يوسف: المسيح الموعود(ع) والمهدي المنتظر(ع)، ص ١٩٨، دار المؤرّخ

العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢ . آل عصفور، الميرزا محسن: ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة في ظل إمامة المهدي

المنتظر(عج)، ص ٣٧٨.

وتواجه بها الأعداء..

إن الحكومات تخاف من جيوشها أكثر من خوفها من جيوش الأعداء، إذ كيف يمكن لها أن تواجه الجيش إذا تمرد كله أو أكثره.. ولقد ذكر الرسول الأكرم (ص) في جملة أحاديثه المتواترة أن الإمام الحجة يخرج بالسيف، وهذه الكلمة اتخذها الجاهلون هزواً، وراحوا يقولون مستهزئين: ما فائدة السيف بازاء الأسلحة الفتاكة التي إن أطلقت لا تبقي ولا تذر، كالقنابل على اختلاف أنواعها والصواريخ القريبة والبعيدة المدى، وغير ذلك من أسلحة الإبادة الجوية والبرية والبحرية.

سبيل الرد على ذلك يسير، إذ قد ثبت أن الله رفع نبيه عيسى (عليه السلام) إلى السماء، بدليل قوله سبحانه وتعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ).<sup>(١)</sup> كما أن الأحاديث حول صعود عيسى بن مريم (عليه السلام) إلى السماء كثيرة، وأنه موجود في السماء حي يرزق، وقد مضى على صعوده أكثر من ألف وتسعمائة سنة، وتلك الأحاديث تصرح بأن النبي عيسى (عليه السلام) ينزل من السماء عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وأنه يقتدي بالإمام في الصلاة. فانظر إلى حكمة الله البالغة وتدييره العظيم، حيث رفع عيسى (عليه السلام) إلى السماء ليُدخره ليوم عظيم وهدف كبير.

ثم ينبغي أن لا ننسى أن عدد المسيحيين في العالم اليوم يفوق الألف مليون نسمة، فمثلاً: رؤساء وشعوب الدول الأوروبية، كلهم أو أكثرهم مسيحيون، وأكثر رؤساء وشعوب القارة الأفريقية مسيحيون أيضاً، وكذلك الدول الأمريكية

الشمالية والجنوبية، هي مسيحية على السواء، وعقيدة المسيحيين في عيسى بن مريم عليه السّلام مشهودة معروفة مذكورة في القرآن فاذا سمع المسيحيون بأن عيسى بن مريم (عليه السلام) قد نزل من السماء واقتدى بالإمام المهدي (عليه السلام) فهل تبقى في العالم حكومة مسيحية أو شعب مسيحي يحارب الإمام المهدي (عليه السلام)؟

رُوي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال - في خبر طويل -...  
فاذا اجتمع عنده عشرة آلاف رجل، فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا آمن به  
وصدّقه<sup>(١)</sup>.

إذن، بناء على ذلك.. فسوف تتعطل الأسلحة عن الاستعمال؛ إذ تنتفي الحاجة إليها..

أما اليهود فانهم يجتمعون عند الإمام المهدي (عليه السلام) فيُخرج لهم ألواح التوراة المدفونة في بعض الجبال، فيجدون فيها أوصاف الإمام وعلائمه، فلا يبقى يهودي إلا ويعتق دين الإسلام هذا وقد جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «... إنما سُمي المهدي لأنه يُهدي إلى أمر خفي، ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها إنطاكية».

وأما سائر الأديان والملل، فمن الواضح أن هذا التبدل المفاجيء العظيم الذي سوف يحصل في الدول والشعوب، سترك أثراً كبيراً على الحكومات اللادينية، كالصين والكثير من بلاد الشرق الأقصى، فهي عند ذلك لا تستطيع أن تتجاهل هذه الحقيقة التي تغيّر مجرى حياة العالم..

وأما الشيعة الذين يُقدر عددهم بنصف إجمالي عدد المسلمين في العالم،

١. الابياري، عبدالهادي: العرائس الواضحة، ص ٢٠٩.

فمن الطبيعي سيكونون في طليعة الشعوب التي تلتف حول الإمام المهدي (عليه السلام) وتنضوي تحت لوائه.. وهكذا يسود الإسلام والسلام في كافة بقاع الأرض، وتدخل الشعوب والحكومات في دين الله أفواجا، خاصة إذا تذكرنا أن الشعوب المختلفة ستتم جميع الحضارات المزيّقة، وسائر النظريات الفاشلة، لاسيما بعدما يشغل الإرهاب والدمار وشبح الإبادة كاهل هذه الشعوب التي سيؤول حالها إلى إنتظار المصلح والمخلص الذي ينتشلها من براثن الخوف والبطش والترهيب.

### حياة المجتمع في عصر الإمام المهدي (عليه السلام):

يعتبر عصر الإمام المهدي (عليه السلام) - بعد ظهوره وقيامه - من أفضل عصور الكرة الأرضية منذ خلق الله الأرض، أو منذ خلق آدم (عليه السلام).. وعصره هو عصر العلم والنور، لا العصور التي نحن نعيشها اليوم والتي هي عصور ظلمات الجهل والفقر، والانحراف والفجائع، والجور والضلالة..

وعند قيام الإمام المهدي (عليه السلام) يرحل الفقر عن المجتمع البشري ويزول الحرمان، وتنحل العقد النفسية، وتنقلب الأحزان أفراحاً، وينقلب جحيم الحياة نعيماً، والذبول المستولي على الوجوه يتبدل طراوة ونضارة، والخوف يرتفع والأمان يسود العالم والعدالة تخيم على رؤوس البشر، والظلم يتلاشى، فلا ترى ظالماً ولا مظلوماً، والمسلمون تتحقق أمنياتهم، والسلام يشمل الكرة الأرضية والإسلام ينتشر في كل بقاع الأرض.. كل ذلك ببركات نهضة الإمام المهدي (عليه السلام) وقيامه وإنجازاته، وخطواته الإصلاحية، ومشاريعه العمرانية، وتعاليمه القيمة، وتطبيقه للقوانين الالهية، وعلى الإجمال فإن الإمام

(عليه السلام) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تملاً ظلماً وجوراً.. والشق الثاني من الجملة هو علة للشق الأول كما لا يخفى.

وإلى ذلك، يستفاد من الأحاديث الشريفة الكثيرة أن تطوراً عظيماً وتبدلاً كبيراً سوف يحدث في المجتمعات كلها - في أرجاء الكرة الأرضية - وسوف تتغير صورة الحياة إلى صور أخرى رائعة، في جميع مظاهرها ومرافقها. ويشمل التطور والازدهار جميع ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية.. وغاية ما في القول أن عصر الإمام الحجة هو من أزهى وأجمل العصور التي عرفتھا البشرية منذ بداية عهدھا.<sup>(١)</sup>

١. البغدادي، أحمد: قراءة في كتاب: الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، ص ٢٠٧، ص ٢٠٩، مجلة النبأ، العدد (٥١) - السنة (٦) شعبان ١٤٢١ هـ.

## المهدي والمهدية في السودان

ان العهد التركي - المصري في اطار الدولة العثمانية قد ترك اثره البالغ في توجهات السودان المعاصر، من حيث انه فتح الباب على مصراعيه امام السودانيين ليلعبوا دوراً أكثر شمولية في افريقيا والعالم الاسلامي. اذ ان الأمر وكما تشير الدراسات التاريخية لم يتوقف عند طائفة معينة أو قبلية واحدة فقط بل ان تأثيرات الحركة الدينية والإسلامية القادمة من شمال السودان قد طبعت آثارها عند أكثر من فئة وطائفة. وها هي ثورة المهدي المعروف بـ (محمد احمد المهدي) تنطلق من غرب السودان في العام ١٨٨١م زاحفة على وسطه وشماله وشرقه تريد اعلان الخلافة الاسلامية المجددة على افريقيا ومصر وتركيا ومحاربة مملكة الاحباش وبريطانيا.

من هنا نرى ان الختمية كمثال لتيار متأثر بمصر والدولة العثمانية برز في السودان يدافع عن توجه السودان نحو العالم الاسلامي الخارجي وضرورة الارتباط به وذلك في ظل ظروف المد الوهابي القادم من «نجد» والتي تصدت له مصر وحدت من اندفاعه بعد معارك عديدة انتهت بسقوط عاصمة الوهابيين (الدرعية) في ١٨١٨/٩/٦م. وهو تاريخ وصول السيد محمد عثمان الميرغني زعيم طائفة الميرغنية «الختميين» القادم من الطائف حاملاً معه الموقف الراض للحركة الوهابية، مما يجعله يقف إلى جانب المصريين ويرضى بالدولة العثمانية حاملاً الامتنان لها بسبب موقفها المناهض للحركة المذكورة.

ثم يبرز تيار المهدي والمهدية الذي تبلور فيما بعد بحركة الأنصار (أنصار

المهدي) في وقت كانت فيه الادارة المصرية والدولة العثمانية قد بدأت تنهوى وتندحر امام هجمة الاستعمار البريطاني والضغط الاوروبي. مما يدفع محمد بن أحمد بن عبدالله المعروف بـ(المهدي) أحد زعماء منطقة شمال السودان إلى ان يذهب لغرب السودان ليجمع قبائل العرب مرة أخرى ليزحف على الخرطوم عاصمة الادارة المصرية المتخاذلة ونموذج الحكم العثماني المنهار امام الزحف الاوروبي، بنظر المهدي، ليعلم خلافة جديدة متأثرة هي الأخرى بمصر والدولة العثمانية والحضارة الاسلامية القادمة من الشمال ولكن من موقع تصحيحها لها هذه المرة.

وهكذا تتعارض الحركتان الختمية والمهدية في موقفهما من الدولة العثمانية والادارة المصرية الممثلة لها في السودان في حين تلتقي الاثنان على وقوعهما تحت تأثير الخارج الاسلامي الذي دخل أطار التركيبة السودانية.

### شخصية المهدي

ولد محمد أحمد في ٢٧ رجب سنة ١٢٦٠هـ (١٢ اغسطس سنة ١٨٤٤م) بجزيرة (لبب)، التي تبعد عن مدينة (دنقلة)<sup>(١)</sup> جنوباً بخمسة عشر كيلومتراً، وهو من سلالة عريية، وكان أبوه نجاراً، مرن على بناء السفن، ثم ضاق به العيش في دنقلة، فانتقل وأفراد عائلته إلى (كررى)<sup>(٢)</sup>، ومحمد أحمد لا يزال طفلاً، واشتغل هناك بصناعته، وتلقاها عنه أولاده، على أن محمد احمد قد مال منذ صباه إلى

١. أحمد ياغي، د. إسماعيل: تاريخ العالم العربي المعاصر، ص ٢٨٤، مكتبة العبيكان،

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢. شمالي أم درمان وعلى بعد ستة أميال منه.

العلم والتفقه في الدين، فحفظ القرآن في كتاب بالقرب من كرري، ثم تلقى بعض العلوم الدينية، ومالت نفسه إلى التصوف، وأخذ تعاليمها عن أستاذه يدعى الشيخ محمد الشريف نور الدائم، من خيار العلماء، فقربه وميزه على سائر تلاميذه، لما رأى منه التقشف والزهد.

وفي سنة ١٢٨٦هـ (١٨٧١م) رحل إخوته إلى جزيرة (آبا)<sup>(١)</sup>، لكثرة أشجارها الصالحة لصنع المراكب، فرحل معهم المترجم، وكان قد تفقه في الدين، وبلغ من العمر السادسة والعشرين، فبنى بالجزيرة مسجداً للصلاة، وخلوة للتدريس، وأقبل عليه سكان الجزيرة، يأخذون عليه العهود، وتعلمذ عليه بعضهم، فلم يرض على مقامه بها إلا القليل، حتى ذاع صيته في النواحي المجاورة، ولما كثرت أتباعه ومريدوه، واعتقد أنه المهدي المنتظر، اعتزم أن ينادي بدعوته فأسرّها أولاً في نفسه، ثم أفضى بها إلى استاذه الشيخ محمد شريف، فنهاه عنها، ولكن لم ينته، ولم يسمع له نصحاً، ورأى استاذه إصراره على دعواه، فجمع مجلساً في (آبا) من الأعيان، وأمره بحضورهم أن يرجع عن غيه، فخرج محمد احمد من المجلس لمشاورة من معه من الأصحاب، فلم يرجع، ونصح الشيخ شريف إلى قائم مقام «الكوة» بالقبض عليه وزجه في السجن، لكي لا يستفحل أمره، فلم يفعل ولو عمل برأيه لأخمد الثورة وهي في مهدها.<sup>(٢)</sup>

وفي شعبان سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م) أسرّ دعوته إلى خاصة تلاميذه ومريديه، وفي مقدمتهم عبدالله التعايشي، خليفته من بعده.

١ . بالنيل الأبيض وتبعد عن الخرطوم جنوباً بمائة وخمسين ميلاً.

٢ . الرافعي بك، عبدالرحمن: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، ص ١٠٤، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م.



وفي شعبان سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م) أخذ يذيع دعوته جهراً، فكتب إلى المشايخ من مريديه وأصدقائه أنه رأى النبي الكريم (عليه الصلاة والسلام) في المنام، وأنه عهد إليه إحياء الإسلام، ودعاهم إلى الحضور إليه في (آبا). ولعله من المفيد إيراد مقاطع من رسالته طبقاً لمنشور أصدره يعلن فيه مهديته، والتي نقلناها من الصفحة (٣٦) عن كتاب «السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل» لمؤلفه محمد ابوالقاسم الحاج محمد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم،  
وبعد فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبدالله إلى احبابه في الله  
المؤمنين بالله وبكتابه،

اما بعد، فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان  
والفطن بل احق ان يترك لذلك الأهل والوطن لاقامة الدين والسنن ولا يتوانى عن  
ذلك عاقل لكون غيرة الاسلام للمؤمن تجبره. ثم احبابي كما أراد الله في أزله وقضائه  
تفضل على عبده الحقيير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله واخبرني سيد  
الوجود صلى الله عليه وسلم بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام  
بالجلوس على كرسيه... الخ»<sup>(١)</sup>

أصيب المهدي بحمى خبيثة من نوع الالتهاب السحائي الشوكي، لم تمهله  
بضعة أيام حتى أودت بحياته، وهو في أوج قوته، وكانت وفاته يوم ٩ رمضان سنة  
١٣٠٢هـ (١٨٨٥م)، وتولى حكم السودان من بعده خليفته عبدالله التعايشي.

١. الحسيني، محمد: من الثورة المهدية إلى الاستقلال، ص ٧٨، مستل من مجلة العالم  
اللدنية، العدد ١٣٠، ٤ ذوالحجة ١٤٠٦هـ.

لم يتحمل البريطانيون هذه النهضة المنتصرة - حيث انتصر المهدي عام ١٨٨١م على القوات المرابطة في السودان - بل اعدوا لها العدة حيث سقطت أم درمان عاصمة خليفة المهدي عبدالله بيد البريطانيين عام ١٨٩٨م مما مكن البريطانيين من الانتقام وذلك عندما توجه القائد البريطاني الغازي الجنرال كتشز فور دخوله اليها لنهب جثمان المهدي، واحرق بناءً على امر منه وارسل الرأس بعد ذلك لدفنه في وادي حلفا.

لم يأخذ محمد أحمد فكرة المهدي المنتظر من بطون الكتب. ولا عثر عليها في مؤلفات ابن عربي. فالفكرة مستقرة هناك منذ قرون، ولكن أفرزتها ظروف المجتمع في ظل الحكم الأجنبي ونمو النشاط التجاري، فراجت الفكرة قبل محمد أحمد. فقد كان السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) يشير كثيراً إلى المهدي المنتظر. وهو يضع المهدي بعد الرسول (ص) ثم يليه الختم. وبهذا يكون المراغنة قد شاركوا في نشر فكرة المهدي في السودان واداعتها بين الناس، ويذكر محمد أحمد فيما بعد أن السيد الحسن الميرغني أشار مراراً وتكراراً إلى المهدي وصفاته ومكان ظهوره. (١)

وراجت الفكرة كثيراً في غرب السودان. فقد روى بابونمر الناظر السابق لقبيلة المسييرية عن جده علي الجلة الذي أصبح فيما بعد من قادة الدعوة المهدية، أن رجلاً جاءهم من الغرب واتصل بهم قبل محمد أحمد بسنوات. وكان ذلك الرجل يخرج إلى العراء ويأخذ في استنشاق الهواء. وعند سؤاله قال إنه يستنشق

١. أبو سليم، محمد إبراهيم: مخطوط تاريخ مؤسس الختمية، ص ٣٤، مجلة الدراسات السودانية، المجلد الأول، العدد الأول، يوليو عام ١٩٦٨م.

رائحة المهدي القادم<sup>(١)</sup> وتحدث يوسف ميخائيل في مذكراته عن رواج الفكرة في كردفان وفي الأبيض بالذات حتى كان يتداولها الأطفال في ألعابهم.<sup>(٢)</sup> وظهر على أيام المهدي من أءاعاها. فهناك على سبيل المثال فخر الدين حسين معلوي الذي قال بأنه المهدي المنتظر عام ١٨٨٤م، وكاتبه محمد أحمد المهدي في هذا الشأن، راجياً هدايته. وظهر بعد وفاة المهدي من رفع لواءها. وأبرز مثلين همان أبو جميزة في الغرب ومحمد آدم البرقاوي في منطقة البليات.<sup>(٣)</sup>

### مجزرة جزيرة ابا

واما في زمن الرئيس السوداني جعفر النميري حدثت مجزرة في جزيرة (آبا) ضد اتباع الامام المهدي والحادثة تبدأ من هنا:  
فقبيل انقلاب ١٩٦٩م، كان الامام الهادي المهدي زعيم الأنصار ورئيس حزب الامة المنحل، قد لجأ إلى جزيرة (ابا) المعقل التقليدي ومقر قيادة الانصار. كانت هذه الجزيرة في النيل الأبيض على بعد حوالي ٢٥٠ ميلاً جنوب الخرطوم مقر القيادة الأصلي للمهدي عندما شن حرب تحريره ضد الحكم التركي - المصري في ١٨٨١م، وقد بقيت ملكاً عائلياً منذ ذلك الوقت. وبعد انقلاب ايار

١. هذه المعلومات أدلى بها الناظر بابونمر للأستاذ الطيب محمد الطيب في مقابلة إذاعية بثتها محطة أم درمان في أبريل، عام ١٩٨٢م.

٢. القدال، الدكتور محمد سعيد: الامام المهدي (محمد أحمد بن عبدالله ١٨٤٤ - ١٨٨٥م)، ص ٣٤، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣. الحسن، موسى المبارك: تاريخ دارفور السياسي، ص ١٤٧، ص ١٦٦، بدون تاريخ. القدال، الدكتور محمد سعيد: المهديّة والحبشة، ص ٧٢، ص ٧٩، جامعة الخرطوم، ١٩٧٣م.

توجه إليها الوف من الأنصار، حتى بلغ مجموع المقيمين على القطاع الضيق من الأرض بطول ٣٠ ميلاً في أوائل ١٩٧٠م، حوالي ٤٠ ألف شخص.

ولم يسر المجلس العسكري كثيراً من التقارير الواردة من المنطقة، وقد اعتبر ترفع الامام عن السياسة في الخرطوم خطراً على نظام الحكم. وكان معظم الزعماء السياسيين، بمن فيهم الصادق المهدي، في السجن. وكان السيد محمد عثمان الميرغني الذي اصبح زعيماً لطائفة الختمية بعد وفاة والده علي الميرغني عن ٩٨ عاماً من ١٨٦٨م، قد اعترف بحكومة عوض الله الجديدة. وزعيم المعارضة الرئيس الوحيد الذي كان لا يزال قوياً وحرّاً ومستقلاً، كان الامام، في جزيرة ابا.

وفي آذار ١٩٧٠م، اعلن النميري عزمه على زيارة منطقة النيل الأبيض بما فيها جزيرة ابا، وارسل مبعوثاً ليلبغ الامام الهادي. وردّ الامام بان الجو متوتر والرأي العام يعارض زيارته. وقال انه ينصح النميري بعدم المجيء، رغم انه حاكم السودان، ويحق له ان يذهب إلى أي منطقة من البلاد. وقال أيضاً إنه إذا زار النميري منطقة النيل الأبيض فلن يكون مسؤولاً عن أي اضطرابات قد تقع. اما بالنسبة إلى زيارة جزيرة ابا، فقال الامام ان النميري لن يدخلها الا على جثته.

ومن هنا بدأ النميري انتقامه السريع الوحشي من الزعيم المهدي واتباعه على جزيرة ابا.

لقد جرحت كبرياء النميري عندما احبط الانصار محاولته النزول إلى الجزيرة. فقرر فرض سلطته بطريقة وحشية.

وفي ٢٧ آذار أمر طائرات الميغ بقصف الجزيرة بالصواريخ وفي ذلك الوقت لم يكن السودان يملك طائرات ميغ ولا طيارين يستطيعون قيادتها. مما

جعل الكثيرين مقتنعين بان القصف جرى بطائرات مصرية وطيارين مصريين.  
وجاء بيان صادر عن وزارة الخارجية الليبية في وقت لاحق ليؤكد هذا  
الاعتناع.

ظلت المقاتلات طوال يومين «تنقض» على الجزيرة وتضربها بالصواريخ  
وتغير على السكان. لقد كانت مجزرة وحشية... كانت اقصى تقتيل لا سابق له في  
تاريخنا وأوحشه.

كان يجرى حصد الناس وتفجيرهم قطعاً في الشوارع والحقول اثناء  
فرارهم للاحتماء، من دون ان يكون هناك دفاع أو حماية لهم ضد الغارات  
الجوية.

وبعد ان قضى القصف والضرب بالصواريخ على قسم كبير من السكان، غزا  
الجزيرة حوالي اربعة آلاف جندي بالدروع. غير ان المقاومة لم تكن انتهت،  
فخرج مقاتلو الامام ذوو الأتواب البيضاء من مخابثهم، فوقع قتال عنيف. وقال  
شهود عيان في وقت لاحق ان الانصار المتعصبين كانوا خلال المعارك الأخيرة  
يخرجون بالرماح لمواجهة نيران الرشاشات في اماكن مكشوفة. وكان آخرون  
يخوضون معارك بائسة بالقاء أنفسهم على المدرعات. واستسلمت الجزيرة بعد  
اربعة أيام.

هذه هي قصة مذبحه جزيرة ابا، وهي قصة تعيد إلى الأذهان ذكريات  
المقاومة الشرسة التي خاضها رجال المهدي ضد الغزاة الاجانب في اواخر القرن  
الماضي.

وما قاله المجلس العسكري عبر راديو ام درمان والمراسلين الاجانب هو  
ان الامام طلب مهلة ساعات قليلة قبل الاستسلام للذين كانوا في ذلك الوقت قد

قضوا على المعارضة الحقيقية في الجزيرة. فلبى الطلب. ولكن عندما دخل الجنود منزل الامام في النهاية، كان قد اختفى.

وفي الأول من نيسان، اعلن اللواء النميري من راديو أم درمان ان الحراس في نقطة الحدود في الكرنك على الطريق المؤدية إلى الحدود الاثيوبية امروا سيارتين بالتوقف، وان السائقين تجاهلا الاوامر وحاولا اجتياح الحاجز المقام على الطريق وفي الوقت نفسه اطلق اشخاص آخرون على السيارتين النار على الجنود السودانيين، فرد الجنود على النار ودمروا السيارتين.

وقال النميري انه عثر في وقت لاحق على جثة الامام داخل احدى السيارتين.

وفي اليوم الثاني اعلن وزير الخارجية بابكر عوض الله ان الامام دفن قرب الحدود الاثيوبية. ولم يعط تفاصيل اخرى.<sup>(١)</sup>

١ . محجوب، محمد أحمد: الديمقراطية في الميزان، ص ٢٣٩، ص ٢٤١، دار النهار، بيروت،

## نصوص غير منشورة للسيد الافغاني عن المهدي السوداني

المقالات الثلاث التي تقدمها للقارئ، والمنسوبة إلى السيد جمال الدين الافغاني، هي نصوص نشرت على ثلاث حلقات في الصحيفة الفرنسية «L'Intransigeant» أو «التصلب»، وهذه النصوص غير معروفة لدى غالبية الذين تتبعوا اعمال الافغاني كما قدمتها دوائر التحقيق إذ انها لم تنشر سابقاً بالعربية كان الافغاني قد كتبها لمجلة فرنسية في الربع الأخير من القرن الميلادي المنصرم وبالتحديد في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٣ وكان موضوع المقالة الأولى ينصب على تقييم الحركة المهدية في السودان ولكنها اقتضرت على وضع اصول فكرة المهدي في التفكير والعقيدة الاسلامية. وفي المقالتين المتمتين الثانية والثالثة نرى تعقياً مباشراً على الأحداث ورؤية عامة لمتغيرات الوضع السياسي الناجم عن ثورة المهدي.

### نص المقالة الأولى

### المهدي ليس نبياً

«الشخص الغامض، محمد احمد، الذي برز خلف اسم المهدي منذ عامين في السودان، والذي عبر قضائه شبه التام على الحملة العسكرية التي قادها الجنرال «هيكز» «Hicks» بدأ يشغل الرأي العام في أوروبا، ويستتفر بصورة خاصة الصحافة الانكليزية التي تعكس، في الوضع الراهن للامور، المشاعر الحقيقية للأمة. هذا الانتصار، الذي زرع الفوضى في وزارة الخارجية، يبدو انه

احتفظ للسيد «غلاستون» «Gladstone» في وادي النيل بنفس الثمار التي جناها اللورد «بيكونسفيلد» «Beaconsfield» في افغانستان.

ومن ناحية اخرى، فتح هذا الانتصار الباب امام مطامع الخديوي السابق اسماعيل باشا، وكذلك امام مطامع حليم باشا: فكل واحد منهما يعمل بنشاط للحصول على عطف انكلترا، ولا يتوانى الواحد منهما ان يعد الانكليز بخنق هذه الانتفاضة على شرط ان يؤكدوا له دعمهم للوصول الى عرش الخديوية. أما بالنسبة لتوفيق فهو في وضع في غاية التعقيد وفي حالة تصبح عصيبة، يوما بعد يوم. نرى هذا الأمير البائس تحت رحمة احتمالين كلاهما مشؤوم: احتلال الانكليز النهائي لمصر، او وصول المهدي إلى القاهرة. وتحت رحمة طموحين: طموح ابيه اسماعيل وطموح عمه حليم.

واني اقترح أن اقدم في مقال لاحق بعض التقديرات الشخصية للمهدي من وجهة نظر سياسية، ومن زاوية مصالح القوى الاستعمارية ومصالح تركيا، وللتحدث عن الانطباع الذي يمكن ان يولده اسم المهدي في العالم الاسلامي، كما سأحدث عن نوايا انكلترا ازاء هذه المسألة الخطيرة، وعن الريح الذي يأمل بتحقيقه الاشخاص الطامعون بالخديوية. لكنني سأكتفي الآن بتلخيص بعض الأحداث التاريخية التي هي من طبيعة تهمة الجمهور وترشده حول المهدي، حول قوته لدى المسلمين، وحول طرائق المسلمين في الاعتقاد به، الأسباب التي آلت إلى هذه المعتقدات والاحداث ذات الطبيعة المشابهة والتي حصلت في الماضي، وأخيرا سأحدث عما ينتظره الاسلام حالياً من المهدي

المهدي - كلمة عربية معناها: الملهم من الله لاتباع الصراط المستقيم - وهو ليس بنبي كما تزعم بعض الصحف؛ ولا يحظى المهدي لدى المسلمين الا باعتباره



واحداً من أبناء الرسول العظيم، تقي، ورع، تبعاً للصراط الذي رسمه جده محمد، ويتلزم بالمذهب الاسلامي بأمانة. مهمته الالهية تقوم على الغاء البدع، والمناداة بالعدالة، واقامة المساواة بين كل المؤمنين وبنشر اسم الاسلام، وجعله متصلاً في كل انحاء المعمورة. ويعبر عن المهدي بالعربية بعبارة «قائم آل محمد» وهذا معناه: هو الشخص الذي من بين المنحدرين من النبي الكبير، سوف ينهض لدعم الايمان الاسلامي. والاعتقاد بمجيء المهدي منتشر في كل الاصقاع الاسلامية دون أي تمييز بين الفرق. وهذا الاعتقاد راسخ لدى الشعوب الاسلامية الى حد انه مستمر منذ القرن الأول للهجرة.

الطبري وابن الأثير، المؤرخان الأكثر شهرة واحتراماً لدى المسلمين ذكرا في كتاباتهما ان المؤمنين خلال منتصف القرن الأول للهجرة كانوا يقولون عن عمر بن عبدالعزيز نسيب النبي وأحد خلفاء بني أمية الأكثر عدالة، بأنه اذا لم يكن المهدي المنتظر، فانه لن يكون سوى يسوع ابن مريم الذي سيخرج قبل نهاية العالم. ان انتظار مجيء المهدي يتزايد كليا عند المسلمين، في كل المرات التي يجدون فيها أنفسهم في ضيق، أو يرون أنهم مهددون في دينهم أو واقعون تحت سيطرة قوة اجنبية، وحيث يشبهون رجلاً ضالاً في ليلة حالكة الظلام وسط صحراء شاسعة، منتظراً بفارغ الصبر ظهور نجمة تقوده.

هذه المعتقدات مبنية على آيات وعلى أحاديث لا تمس وشديدة الاحترام، منسوبة إلى النبي الكبير محمد(ص). وقد وردت هذه الأحاديث في أكثر من كتاب، من بينها: المسند، للإمام أحمد بن حنبل السني، ومؤسس أحد المذاهب الاسلامية الأربعة، والصحيح للسيد علي الترمذي، ومسند «فردان» (كما ورد في النص الفرنسي في الجريدة: Firdano وابن ماجة الخ..).

كل العلماء المسلمين، باستثناء ابن خلدون في مقدمته ونفر آخر محدود من العلماء، اجمعوا على الاعتراف بأصالة هذه الأحاديث وصحتها، ويظهر للعيان من خلال هذه الكتب ان النبي العظيم محمد(ص) تكلم عن المهدي في أماكن عديدة، حيث يدعو حيناً بأسم المهدي وحيناً بأسم القائم. وقد قال: «لو لم يبق من الدنيا الا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي». (كما ورد في صحيح الترمذي، الجزء التاسع ص ٧٤ - ٧٥. وثمة اختلاف بسيط في الترجمة الفرنسية للفقرة الأخيرة). وقال في حديث آخر: «القائم (المهدي) سيكون واحد من ولدي وسيهبكم الخيرات بلا حساب». وفي حديث آخر: «سيمنحكم (المهدي) كنوز رومية وستعطيهِ الأرض جم ثرواتها». (يمكن مقارنة هذين الحديثين الأخيرين بالحديث الذي أورده ابن حنبل في مسنده «يكون في امتي المهدي (...) فتنعم امتي في زمانه نعيماً لم ينعموا مثله قط البر منهم والفاجر ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الأرض من نباتها شيئاً ويكون المال كدوساً» وفي حديث آخر (بحسب ترجمتنا للنص الفرنسي): «إذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً، وإذا أصبح المؤمن (المسلم) أكثر سوءاً من عبد، فانتظروا ان يظهر واحداً من صليبي، المهدي». (هذا الحديث يمكن مقارنته بالحديث الذي أورده ابن حنبل في مسنده: «لتملأ الأرض جوراً وظلماً فيبعث الله تعالى رجلاً مني اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي...») وقال أيضاً: «ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وقيل في موضع آخر: «إذا استولى عليكم بنو الاصفر (يلمح النبي هنا إلى قدامى الرومان) فانتظروا القائم من اهل بيتي» (لم اجد هذا الحديث بالعربية). وهذا حديث آخر أيضاً: المهدي منا، ويكون اسمه اسمي (محمد) واسم أبيه اسم أبي

(عبدالله)، واسم امه اسم امي (امينة). (لم اجد أيضاً هذا الحديث بصورة حرفية). وهناك عدة أحاديث أخرى من النوع نفسه، وتقطع، بطريقة لا تقل بداهة، باليقين بقدم المهدي. اما بالنسبة للاستشهادات التي استخدمها العديد من القديسين والتقاة، والتي تزعم أنها تلقت الوحي الالهي والتي تثبت بأن المهدي أو القائم سوف يظهر في الشرق أو من الغرب، من مكة أو من الكوفة، وتحدد هذه الاستشهادات هذه الفترة أو تلك موعداً لخروج المهدي، وهي كثيرة ومتعددة إلى حد انني لم اجد لزاماً ضرورة الاسهاب فيها.

### كل مسلم ينتظر المهدي

لقد خرج تحت اسم المهدي أو القائم مئات الاشخاص في كل القرون وفي كل البلدان الاسلامية. وان كان غالبية هؤلاء لم ينجحوا لكن ذلك لم يمنع بعضهم من تأسيس ممالك حافظ عليها الاتباع طيلة قرون عدة. ابو مسلم الخراساني الذي قضى على خلافة بني امية وشيد خلافة بني العباس، لم ينجح في حشد الجماهير وفي بناء جيش مهيب في «مرو» وفي غيرها من نواحي خراسان الا بعد ان استعمل لنفسه اسم قائم آل محمد (المهدي). وقد استطاع بهذه الوسيلة ان يلزم الجمهور باعلان أبي العباس السفاح خليفة، وهو أول خليفة من بني العباس وأحد احفاد العباس عمّ النبي الكبير محمد.

ادريس الأكبر، أحد احفاد محمد، والذي أقام مملكة الادارسة في زمن هارون الرشيد، وبنى مدينة فاس، لم ينجح في ذلك الا خلف اسم قائم آل محمد - وأيضاً عبيدالله جد الخلفاء الفاطميين، فانه بصفة المهدي هذه استطاع هذا الرجل الذي احتل القاهرة وسوريا والحجاز واليمن ان يبني ممالك واسعة وان يشيد

مدينة المهديّة التي مازالت تحمل اسمه حتى أيامنا هذه.

محمد، زعيم الموحدين - (الذين يعتقدون بوحدانية الله) - لم يستطع ان يجلب المرابطين إلى نصره قضيته ونشر فتوحاته حتى بلاد الاندلس تاركاً لخلفائه مملكة واسعة، الا عبر ادعائه بأنه المهدي.

بكلمة وجيزة، خلف هذا الاسم (المهدي)، كم من رجالات الاسلام انجزوا اعمالاً باهرة ومعتبرة، وقادوا الاوضاع إلى تغيير جدي في عالم المؤمنين. رغم كل الذين اطلقوا على انفسهم اسم المهدي وتعاقبوا وصولاً إلى أيامنا الحاضرة، فان المسلمين مازالوا ينتظرون واحداً جديداً، الشيعة الاثنا عشرية، كالفرس مثلاً، والذين يؤمنون باثني عشر اماماً منحدرين يتعاقب من محمد، فهم وان كانوا يتفقون مع السنّة حول الجزم واليقين بمجيء المهدي، الا انهم يختلفون عنهم في تعيين شخصيته. فهم (الشيعة) يقولون بأن محمد المهدي هو ابن الحسن العسكري، التاسع (بل الحادي عشر) من بني احفاد النبي الكبير، ويقولون بأن محمد المهدي ولد في سامراء (مدينة قرب بغداد)، في عهد الخليفة المتوكل العباسي. وأنه ذات يوم، وخشية من الاجراءات القاسية التي اتخذها الخليفة ضده قرر محمد المهدي وهو في الخامسة من عمره، الاختباء داخل بئر، وخلال ستين سنة بقي على اتصال بمناصريه. هذا الاختفاء يدعو الشيعة: الغيبة الصغرى. ويرى الشيعة أيضاً انه بدءاً من هذا التاريخ قام بقطع صلته مع أتباعه الذين يعتبرونه حياً حتى أيامنا. مقدرين مدة وجوده بأكثر من ألف سنة.

وتبعاً لعقيدتهم، سوف يظهر المهدي هذا بين الركن (وردت خطأ في النص الفرنسي بعبارة الكك KICK)، والمقام، في مكة، وسيجعل من الكوفة (بالقرب من بغداد) مكاناً لاقامته، وسينشر سيطرة الاسلام من الشرق إلى الغرب.

باختصار، مهما تنوعت هذه المعتقدات من ناحية الشكل، فإنه لا يقل صحة بأن كل مسلم ينتظر المهدي، ومستعد للسير خلفه وللتضحية بحياته وبكل ما يملك. المسلمون الهنود خاصة. ونظراً لمعاناتهم اللا محدودة وتحملهم أقسى العذابات وأطولها من جراء السيطرة الانكليزية، فإنهم الأكثر انتظار للمهدي بفارغ الصبر. أخيراً، فإن سطوة المهدي في أنظار المسلمين تتبع فحسب النجاح النهائي الذي يقوي على تحقيقه، على أي حال، تلك كانت حالة كل الذين سبقوه.<sup>(١)</sup>

#### نص المقالة الثانية

#### ماذا سيعني انتصار المهدي في جهاده ضد الانكليز؟

ان الهزيمة التي ألحقها محمد أحمد - بقواه غير المنظمة - منذ فترة وجيزة بالجنرال «هيكز» Hicks، اعطت نتيجتها بتبديد الشكوك التي احاطت شخصيته من قبل سكان بعض مناطق السودان. ان انتصار «العبيد» رفع من شأن سطوته في انظارهم الى درجة انهم باتوا يعتبرون ما أنجزه بمثابة معجزة. اضافة إلى ذلك، ولّد هذا الحدث لدى المصريين، الامل بالتخلص من السيطرة الانكليزية بمساعدة المهدي، ومن جهتهم، فان مشايخ جامعة الأزهر بدأوا يطلبون المغفرة في أعقاب الفتوى التي تناولت محمد أحمد كدجال. ان انتصار «العبيد» الذي كان له دويّ واسع في العالم الاسلامي، ايقظ المشاعر الدينية لدى كل شيوخ الطرق (الاخويات الدينية) مثل القادرية والنقشية (المقصود على الإرجح هو النقشبندية) والجلالية والسنوسية والشاذلية الخ...

١. الشامي، حسن (اعداد وتقديم): نصوص غير منشورة، ص ٦٠، ص ٦١، ص ٦٢، (حلقة ١) - مجلة العالم - العدد ٧٧، لندن، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

وهذه الاخويات تمارس سلطة كبيرة على اتباعها الكثيرين. هؤلاء الشيوخ لا ينتظرون سوى عمل اضافى باهر يمكن من وضعهم لحساب المهدي، كي يثوروا ويشكلوا قضية واحدة معه. من ناحية أخرى، فإن الجنود المصريين نظراً لكونهم مسلمين ويعتقدون تبعاً لذلك بالمجيء الاكيد للمهدي، واثقون أيضاً أنهم بمقاومة محمد أحمد لا يخدمون مصالحهم ولا مصالح بلدهم، وبأن انكلترا فقط هي التي ستستفيد بالطبع من أي خسارة قد يلحقونها به، لذلك لا يرغبون في أي حال من الأحوال بمقاتلة أي وحدة من وحدات المهدي المقاتلة.

قبل انجاز أي مآثرة أخرى - وتلك معجزة جديدة ليست غير ممكنة، ونظراً للانتصار الذي حققه المهدي ضد عشرة آلاف جندي نظامي، ونظراً للدعوات والنداءات التي اطلقها عن ذكاء إلى مشايخ القاهرة ومكة والمدينة - وقبل انتشار الهبات الدينية واستعداداتها في الشرق كما في الغرب، فان الاتراك، برأيي، وحدهم قادرون، تحت اسم الخلافة، ان يصبحوا أسياد الموقف، وان يستبقوا الاضطرابات الخطيرة. لكن القوى الاوروبية التي تنتهج سياسة غامضة النتيجة، وكذلك انكلترا التي لا تخفي مقاصدها، تعارض بقوة أي تدخل تركي.

واذا حقق محمد احمد - انتصاراً آخر - أي اذا احتل الخرطوم أو اقترب من تخوم مصر العليا، فانه سينجم عن ذلك هبة عامة لدى كل السكان العرب الواقعين تحت السيطرة العثمانية، وستلقى تركيا صعوبة بالغة، نظراً لضغطها الحالي، في اخماد هذه الهبة.

وبدون شك، ستنشأ حركات اخرى في عدة نقاط من الأقاليم الواقعة تحت السيطرة التركية. سأذكر هنا بدقة من هي المجموعات الاسلامية الجاهزة للانتفاض: الشيخ السنوسي واتباعه، وهم كثيرون في طرابلس وبين البدو العرب

القاطنين ساحل الحجاز - بنو حرب، وهم يشكلون قبيلة ذات شأن تقيم بين مكة والمدينة؛ - العسير، بين الحجاز واليمن، - الزيدية في صنعاء و كوكبان: - داهي (لقب) الاسماعيليين في نجران من بلاد اليمن؛ - محمد ابو (بل ابن) الرشيد في نجد وقبائل عنيزة وشمر على تخوم بغداد من الموصل حتى سوريا. كل هذه القبائل التي تهب في كل لحظة ضد تركيا بسبب عدم رضائهم عنهم، لن يطلبوا أحسن من انتهاز الفرصة التي يقدمها لهم المهدي في سبيل التخلص من الخليفة (السلطان). حينئذ، سيكون من المستحيل على العثمانيين الذين يعلنون اسم الخليفة - الوسيلة الوحيدة التي في حوزتهم لكي يحافظوا على سيطرتهم على مختلف السكان المسلمين - قلت سيكون من المستحيل على العثمانيين ان يخنقوا انتفاضة لا يمكن الاستهانة بنتائجها. فالمسلمون يعتقدون، بالفعل، ان الخلافة، شرعية كانت، أي في يد قريشي - واحد من قبيلة محمد - ام غير شرعية، أي بين يدي غاز، فانه ينبغي لها ان تزول امام ظهور المهدي، الذي سيكون الخليفة الحقيقي بالنسبة للمؤمنين.

ان مشايخ الاخويات الدينية، القادرية والشاذلية، هم أيضاً، لن يعدموا وسيلة في هذه المناسبة كي ينظموا دعاية نشيطة، سوف يستصرخون المشاعر الدينية لاتباعهم لجرهم إلى الالتزام بالالتفاف حول المهدي هذا، الذي هو بالضبط جزء من هذه الاخويات.

هذه الانتفاضة التي ستحدث بدون أدنى شك، وبمجرد حصول انتصار آخر للمهدي، في كل البلاد العربية الواقعة تحت السيطرة العثمانية - وان كانت تشبع رغبات انكلترا التي تسعى الى اضعاف هيبة الاسلام ولكنها (الانتفاضة) لن تتوانى عن وضع انكلترا في حالة استنفار. ان مقاصد الانكليز الخفية الى هذا الحد أو ذاك

هي الانهاك التدريجي لتركيا من أجل الاستيلاء بالتالي على اكبر حصة من ممتلكاتها. ان بريطانيا العظمى تغذي النوايا العازمة على تشكيل خلافة صغيرة في مكة، لصالح عشيرة بني عون وحيث ان احد اعضائها هو حالياً شريف مكة، وذلك بهدف تمكينه من حيازة وسيلة قوية للسيطرة على كافة المسلمين. ان حصول انتفاضة مشابهة لتلك التي اتوقعها، ستكون حاملة الاذى لانكلترا الى حد انها ستستدعي بالضرورة تدخل القوى الاوروبية ذات المصالح الجدية في الشرق. وعندئذ سيتاح لانكلترا ان ترى كيف ستفقد الحصنة الكبيرة التي تطمع بها عبر تقطيع أوصال الفريسة العثمانية. ولن يكون من المستحيل ان يتكون في الشرق على اثر تعقيدات معينة قد تحدث في اوروبا وتمنع القوى المعينة بالامر عن التدخل - مركز خلافة مهمة للعرب. هذان الاحتمالان لا يقلان شؤماً الواحد من الآخر بالنسبة للانكليز.

ولكن ماذا! هل تأمل انكلترا اذن باجراءاتها المعتادة، أي بالخديعة والمكر، وعبر اعلانها عن الدخول إلى كل البلاد، وعبر افصاحها المناق عن رغبتها بجعل هؤلاء السكان سعداء، وبتوفير الامان والرفاهية لهم، وذلك بعد ان غرست جذور الحقد في قلوب كل المسلمين، حين انتزعت من أيدي الاسلام أوسع وأغنى مملكة في العالم، أي هذه الامبراطورية التيمورية الهندية التي تضم حوالي ٢٥٠ مليون نفس، قلت هل تأمل انكلترا بخلق صوت المهدي، الصوت الأكثر ادهاشاً من كل الاصوات لأنه يتجاوز بالقوة حتى صوت الجهاد الذي يخرج من افواه المسلمين كافة.

هل تعتقد انكلترا بقدرتها على خنقه قبل ان يبلغ كل نواحي الشرق، من جبال هملايا الي دولاغهير Dawlaghir، من الشمال حتى الوسط، مخاطبا



مسلمي افغانستان، وبلوشستان، والسند والهند، معلناً بصوت عال مجيء المخلص الذي ينتظره بفارغ الصبر كل طفل في الإسلام: المهدي، المهدي، المهدي! وهل عن طريق ترك السودان للمهدي، كما تلمح اليه غالبية الصحف الانكليزية، وعبر اتفاق سلام يعقد بين محمد احمد والحكومة المصرية وحيث الهدف الوحيد من ذلك هو الاستيلاء لاحقاً على السودان (كما ذكره بالمناسبة قسم من الصحافة الفرنسية)، هل بهذه الطريقة تأمل انكلترا بأن تنجح في اسكات الصوت المهيبة للمهدي؟ سيكون ذلك قطعاً من نسج الوهم، لأن الشخص الذي ينهض خلف اسم ديني معلنا نفسه نبياً أو المهدي، لن يتوقف إطلاقاً في مسيرته، واثق تماماً انه اذا تراجع فان الثقة التي منحها له مناصروه سوف تأخذ بالضعف وستؤول حتماً إلى الزوال.

ان قسمة المهدي لا يمكنها ان تكون الا هذا: الموت أو تحقيق الهدف الذي رسمه لنفسه. وهل عن طريق الاستعانة بالفرق العسكرية الفرنسية، وهي بذلك تبرهن عن ضعفها الذي يجهله الشريكون، تحسب انكلترا بأنها ستخفق صوت المهدي؟ في هذه الحالة سوف تفضح ماضيها بهذه الطريقة، وستعود إلى الوضع الذي دمرته ودون ان تشاء، سوف تعطي مصير للمصريين. وهذا ما نرغبه، مع المجازفة برؤية غلاد ستون البائس وهو يسقط عن عرض السلطة. وحين تيأس انكلترا من التوصل إلى اتفاق سلمي مع المهدي، فهل ستقترح عندئذ ان تقوم بجلب الوحدات العسكرية الهندية الاسلامية إلى السودان؟ قبل كل شيء، هل هذا ممكن؟ وكيف يمكن للحكومة الانكليزية ان تتصور بأن المسلمين، وفي سبيل تمتين سلطة عدوهم الوراثةي أي الانكليزي، سيكونون قادرين على الدخول في حرب مع الرجل الذي ظهر كي يدعم ايمانهم؟

أم ان انكلترا تعتقد بأنها ستتوصل إلى مخادعة الهنود في هذه القضية، كما سبق وخدمتهم في قضية «عرابي»، حيث ستجعلهم يعتقدون هذه المرة أيضاً، بأنها لا تفعل سوى القيام بمساعدة السلطان من أجل كبح المتمردين؟ لقد بات الهنود على يقين، بعد الذي حصل في مصر، بأن انكلترا مصممة على ان تلعب تجاه تركيا نفس الدور الذي لعبته في الماضي تجاه السلطة التيمورية.

أم ان انكلترا تتصور بأنها ستستدعي جنود الشيخ و«الكوركو» Kourkou؟ لكن تدخل هذه الفئة سوف يؤدي بالنتيجة ليس فقط الى الازدياد الخطير للحقد على الانكليز من قبل المسلمين الهنود، الذين لن يروا بدون عناء وبدون مرارة ذهاب الهندوس إلى الحرب ضد منقذهم (المهدي) فإضافة إلى ذلك قد ينجم عن هذا الرهان تبعات أخرى لا تقل كارثية عن سابقتها بالنسبة إلى الانكليز: انها تهيج السكان المسلمين الهنود إلى درجة أنهم سيستفيدون بدون شك من غياب جزء من الجيش الانكليزي الموجود في الهند.

### نص المقالة الثالثة

إذا انتصر المهدي ستهب كافة الشعوب المسلمة للافلات من  
السيطرة الخارجية

المقالة الثالثة للأفغاني عن المهدي منشورة في نفس الصحيفة  
L'Intransigent بتاريخ ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٣:

إذا اردنا ان نقيم حساباً دقيقاً للمخاوف التي تعترى الانكليز من جراء الانتصارات المتلاحقة لمحمد أحمد (المهدي)، فانه لا مناص لنا من معرفة وضع الانكليز في الهند، مشاعر السكان الهنود تجاهها، واخيراً النسب الحقيقية لقوتها

العسكرية في هذا البلد.

ان عدد الجنود الاوروبيين الذين يمكن لبريطانيا العظمى ان تجهزهم لا يتجاوز الخمسين الف. والخمسون ألف هؤلاء، ينتشرون على كافة نقاط الاقليم الهندي وصولاً إلى برمانيا. ولا يسع انكلترا بأي طريقة من الطرق ان تعتمد على الجنود المسلمين والهندوس، في حال حصول انتفاضة، لأنه لم يبق في الهندوستان بيت واحد كبير لم يتعرض للهدم أو للتشويه، ولم يبق قلب لم ينقبض، دون اقامة أي تمييز بين المسلمين والهندوس. لقد انتزعت انكلترا المملكة التيمورية الواسعة من أيدي الاسلام، كما استولت عنوة على حكم «الميريت» (mirits) الذين يشكلون العدد الاكبر والافتي بين الهندوس. لقد فتنت انكلترا اشراف السند «ورجاوات» الشيخ في البنجاب. كما قضت على عظماء البنغال ولم توفر ممالك «ميسور» Mysare و«أود» Awed التي أفرغتها من السكان بواسطة المجازر. وأخيراً، قامت انكلترا بتقطيع الاقاليم التابعة لرجاوات جيپور Djeypour، ودجوبتور Djoptour وبرودا Brouda حيث استولت على القسم الأكبر منها.

اما الرجاوات وكبار النافذين وعددهم قليل جداً على كل حال، الذين مازالوا يحتفظون بممالكهم، فانهم لا يشعرون بالاطمئنان ازاء مشاريع انكلترا في المستقبل؛ ويجهلون اذا كانت انكلترا سوف تستشعر الضرورة لتركهم حائزين على املاكهم، ويتوقعون بين يوم وآخر ان يجدوا أنفسهم وقد انتزع منهم القليل الذي بقي لهم. وليس لديهم أدنى وهم حول المصير الذي تعده لهم المطامع البريطانية. ان الانكليز مقتنعون تماماً انه بمجرد حصول فتنة في الهند، فان كافة الجنود المحليين، المسلمين والهندوس على حد سواء، سيؤلفون قضية مشتركة مع

النائرين، وسيتحدون خلف الراية ذاتها، ولكونهم مدعومين من الرجاوات وكبار النافذين الذين يرفضون انتزاع ممتلكاتهم منهم، فان الجنود سيثورون ضد المسيطر عليهم ودون التفتيش عن مبرر لهذه الانتفاضة، ودون اخذ الوقت للتفكير بالفائدة التي سيجنونها، ودون اختبار النتيجة التي قد يصلون اليها.

لا يبدو ان محمد أحمد (المهدي) يجهل الوضع الحقيقي للانكليز في الهند ونواياهم المبيته بهذا القدر أو ذلك من أجل وضع اليد على مكة؛ ولا يخفي المهدي علمه بأن أول مواجهة جدية يخوضها سوف تكون ضد الانكليز في مصر. ولذا فقد ارسل بمبعوثين وبدعوات إلى علماء مكة، وبصورة خاصة إلى العلماء الذين هاجروا من هندوستان، ومن أفغانستان وبخارى، والذين استقروا في مكة.

في هذه النداءات. التي سينشر نصها في أقرب فرصة مناسبة يدعو المهدي المسلمين النهوض من أجل تأكيد الايمان الاسلامي ومن أجل نصرته في تحقيق مهمته الالهية. واذا كان هؤلاء العلماء العديدون لم يعلنوا حتى هذه الساعة عن تاييدهم لمحمد أحمد، فاني لا أشك لحظه واحدة، كما سبق وقلت، بأن هؤلاء العلماء سيقفون الى جانبه، وذلك بمجرد ان يحقق المهدي انتصاراً جديداً وجدياً والذي بدوره سوف ينجز امر انضوائهم لحسابه.

ان الانسان، بطبيعته، ميال إلى مبالغة كل الأخبار التي تأتيه من البعيد، إلى درجة أن العدد واحد المتنقل من شفة الى شفة والمتضخم بواسطة الهرج العام، لا يني ان يتحول إلى ألف، وهكذا فان الراية سوف تجرى مشاهدتها على أنها جبل. ولهذا، فان الاعلان عن ظهور المهدي، سوف يملأ قلوب الذين ينتظرون الانعتاق بالعود الكبيرة وسيفيضون املا وفرحاً.

ان أول تملل سوف يحدث على ما يبدو عند مشايخ الطرق (الاخويات)

المعروفين بالشيشتية EI-Chichtia وهم من عائلة أولران شاه OIran-Shah في بلوشستان، وكذلك عند القادرية في السند، الطقشندية والقادرية في جبال افغانستان بقيادة ابن «اهونديوات» Ahoundsiouath، وعند الوهايين المجاهدين في افغانستان وفي بلوشستان بقيادة أميرهم عبدالله. جميع هؤلاء سيلقون الدعم من جماعة «الميريت» القاطنة في «بونا» pouna والتي بلغ عدد افرادها منذ عام اكثر من ٥٠٠ ألف نفس. هذه الجماعة، هي أيضاً تنتظر بفارغ الصبر كي تهب.

ستحظى هذه الحركات المدهشة حتماً برد معاكس في الهند، اذ سيحصل نهوض عام وسيجد الانكليز صعوبة بالغة في الحصول على مبرراته. وفي كل الاحوال، وبالتأكيد لن يصل الانكليز الى قمة غايتهم كما حصل في الانتفاضة الأخيرة. ان حدوث انتصار جدي للمهدي - والذي سيكون بلا جدال بمثابة معجزة جديدة في انظار المسلمين - سيكون له كنتيجة حتمية ليس فقط اندلاع الانتفاضة في بلاد الاسلام الواقعة تحت السيطرة التركية كما في بلوشستان أيضاً وافغانستان والسند وهندوستان وبخارى وخوقند وخيفا - بل سيفضي أيضاً إلى اضطرابات في طرابلس وتونس والجزائر وصولاً إلى المغرب. لأن كل المسلمين ينتظرون المهدي الذين يعتبرون مجيئه بمثابة ضرورة مطلقة.

العلاج الوحيد، برأبي لأزالة المرض قبل أن ينتشر في كل الجسم، لا يقضي، كما تعتقد بعض الصحف الانكليزية المهمة، بالتخلي عن السودان والتوصل إلى اتفاق سلمي يعقد بين المهدي وبين الحكومة المصرية، بل بواسطة التدخل التركي، أو بتعاون الفرنسيين مع الانكليز من أجل تفادي حصول كارثة.

غير ان الانكليز بعيدون جدا عن القبول بتدخل فرنسي، ولن يتنازلوا عن

ذلك قبل أن ينغرز الخنجر الاسلامي في صميم قلبهم، وعندئذ سيكون العلاج بلا فعالية. بالفعل، فان الانكليز لم يدخلوا مصر بمفردهم و ضد امانى الفرنسيين، الا لأنهم رأوا هؤلاء قد استقروا في تونس. وقد فهموا (الانكليز) جيداً بأنه لم يبق امام فرنسا وهي احدى القوى العسكرية الاكثر ادهاشاً، للتحقيق الاستيلاء على باب الهند - وأعني بذلك مصر - سوى السيطرة على طرابلس الواقعة حالياً في الأيدي الغافلة لتركيا.

لماذا لا ترغب انكلترا، بصدد هذه القضية، بمجرد الكلام عن تدخل تركي؟ هل لأنها تهاب تركيا، أم لأنها تخشى ان تقفل عليها هذه القوة (تركيا) طريق الهند؟ لا أعتقد بأي واحدة من هاتين الفرضيتين. فتركيا، بالفعل، وحين كانت اقوى مما هي عليه الآن، وقبل شق قناة السويس، ألم تدع الجنود الانكليز يعبرون مصر لمحاربة اخوانها في الدين، أي الهنود المسلمون وانتزاع املاكهم وممتلكاتهم؟ ان مبرر موقف انكلترا لا يمكن اذن أن يكون غير الحقد الصريح على المسلمين من قبل الانكليز، وخاصة من قبل السيد غلادستون البروتستانتى المتحمس واللاهوتى المتشدد.

اذا لم تقم فرنسا وانكلترا ببذل كل طاقتهما لاستباق احتمالات معينة، فانه سينجم عن تحرك انكلترا بمفردها في هذه المسألة الخطيرة، كوارث بالغة ستلحق بهاتين القوتين.

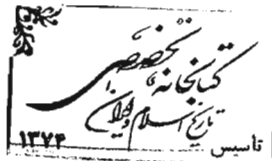
اما بالنسبة للرجلين الطامحين الى الخديوية في مصر، أي الخديوي السابق اسماعيل وحليم باشا واللذان يستفيدان من الفرصة التي يمنحها لهما المهدي من أجل الحصول على عواطف انكلترا الطيبة، فاني سأكتفى، بصددهما الآن ولكي لا أتعب القاريء، بالتحدث عن واحد منهما، وبأكبر اقتضاب ممكن.

ان صعود حلیم باشا الى عرش الخديوية، سيمنح بدون شك سرورا بالغا لكل الذين يأملون بتوسيع وتقوية السلطنة العثمانية. فحلیم، بالفعل، واحد من المقربين للسلطان، ويعده باستمرار بوضع حكومة القاهرة تحت الرعاية الكاملة لديوان الاستانة كما هي حال ولايات سوريا وحلب... الخ.. الخ.. لكن ليس لحلیم أي حزب في وادي النيل، وهو معروف بصورة قليلة جدا، والنزر اليسير من الناس الذي يعرفونه فانهم يعتبرونه ملحداً.

وندرک بسهولة ان رجلاً متهماً بالزندقة من قبل المصريين العميقي التدين، لن يكون بمقدوره أن يقف وجها لوجه امام محمد احمد الذي يخرج للناس خلف هيبه لقبه الديني أي المهدي، صحيح ان عرابي باشا ذكر اسم حلیم باشا، بل وصرح بأنه يقبل به كخديوي، ولكن لا ينبغي الاستنتاج من ذلك أن عرابي كان مناصراً لحلیم أو انه كان لهذا الأخير حزب في مصر.

فقط حين وضع عرابي امام الجدار وارغم على الافصاح عن الرجل الذي يؤيده من بين المنتطعين الى عرش الخديوية، حينذاك وبقصد أن يقوى وضعه في مصر، أعلن عرابي تأييده لحلیم.

اما بالنسبة للخديوي السابق اسماعيل، فاني سأكرس له مقالة خاصة أقيم فيها بالتوازي، النتائج المشؤومة والنتائج الطيبة التي يمكن ان يحظى بها امراً عادته إلى عرض الخديوية. (١)



١. الشامي، حسن (اعداد وتقديم): مقالات غير منشورة للأفغاني، ص ٦٠، ص ٦١ (حلقة ٢،

٣) - مجلة العالم - العدد ٧٨، لندن ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.





## المغرب العربي

### ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا

قبل أن نتكلم على إنتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب، لابد لنا من إلقاء نظرة على الواقع الجغرافي للمغرب آنذاك.

#### جغرافية المغرب:

يحتل المغرب موقعاً إستراتيجياً ممتازاً في القارة الإفريقية ويشتمل على مجموعة بلاد الشمال الإفريقي المختلفة.

وهو وطن واحد، فمن غرب الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي، ومن بحر العرب إلى السودان، كله وطن واحد لم يعرف التجزئة. فتجد زناتة وهي من قبائل المغرب الكبرى في طرابلس وتجدها في الجزائر وتجدها في المغرب الأقصى. وكانت الدول التي نشأت في المغرب الأقصى تشمل المغرب كله أو أغلب أجزائه، وكذلك ما نشأ في المغرب الأوسط يمتد إلى المغرب الأدنى وما نشأ في المغرب الأدنى قد امتد إلى المغرب الأوسط والأقصى.

أما في العصور الإسلامية فقد تعود المؤرخون أن يقسموا المغرب إلى الأقاليم التالية وهي من الشرق إلى الغرب:

- إقليم برقة ثم إقليم طرابلس، ومن هذين الإقليمين مضافاً إليهما إقليم فزان تتكون الجمهورية الليبية حالياً.

وقد كان هذان الإقليمان منفصل أحدهما عن الآخر سياسياً خلال العصور

الإسلامية، فكانت برقة إما تابعة لمصر أو غير واضحة التبعية السياسية. أما طرابلس فكانت تدخل في نطاق ما كان يعرف بإسم بلاد أفريقية وليس في ذلك ما يمس وحدة القطر الليبي وأصالته التاريخية فإن الكثير من أوطان العرب الراهنة تتألف من أجزاء كان لكل منها تاريخ أو إتجاه مستقل في الماضي، أي قبل تحقيق وحدة ذلك الوطن في العصر الحديث.

- وتلي ذلك غرباً بلاد أفريقية وكانت في العصور الوسطى تشمل إقليم طرابلس من تاورغا قرب صرت على ساحل البحر المتوسط إلى صبرة ثم إقليم أفريقية وهو يقابل تونس الحالية ثم تمتد أفريقية فتشمل الجزء الشرقي من الجمهورية الجزائرية حالياً حتى نهر صغير يسمى شلف وهو يجري هناك من الجنوب إلى الشمال حتى جنوبي مدينة الجزائر ثم يسير غرباً بحذاء الساحل ويصب في البحر المتوسط قرب وهران وهذا الجزء الشرقي من بلاد الجزائر الحالية كان يسمى إقليم الزاب وكان يعتبر جزءاً من ولاية أفريقية.

بعد ذلك هناك المغرب الأوسط ويمتد من مجرى نهر شلف حتى مجرى نهر يجري حالياً في شرق المملكة المغربية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي يسمى نهر ملوية، والمغرب الأوسط يشمل اليوم معظم الجمهورية الجزائرية وهو إقليم هضاب وجبال وسهول ساحلية والأراضي الزراعية فيه كثيرة لأن الكثير من جباله وهضابه خضراء أو منقوشة كما يقول العرب ثم أنه قطر معتدل المناخ لارتفاعه كثير الغابات والمراعي.

وينقسم المغرب الأوسط تاريخياً إلى قسمين: شرقي ويسمى إقليم تاهرت ويتميز بالجبال والغابات وغربي يسمى إقليم تلمسان ويتميز بالمراعي والسهول ويشتهر المغرب الأوسط بمناطقه العمرانية ذات الشخصية التاريخية المتميزة مثل

إقليم القبائل شرقي مدينة الجزائر الحالية وسهل المتيجة جنوبي مدينة الجزائر وإقليم السيق السهلي الساحلي جنوبي وهران وإقليم الباور واليبان والجرجر والونشريس وكلها أقاليم جبلية وعرة وإقليم الحضنة وهو إقليم جريد أي غابات نخيل يتوسطه شط الجريد وإقليم الهقار أو الهجار في الجنوب وهو إقليم صحراوي.

أما إقليم تلمسان فيتميز بجباله وسهوله ومراعيه الواسعة وقد كانت تلمسان دائماً مركزاً حضارياً وقاعدة علمية.

ويلي ذلك غرباً المغرب الأقصى الذي يعرف اليوم بالمملكة المغربية ويشمل جبال الأطلس ويضم كذلك سلسلة من السهول الساحلية بين الجبال وساحل المحيط الأطلسي، وتشق هذه السهول أنهار أو وديان تنحدر من جبال الأطلس غرباً إلى المحيط وهي من الشمال إلى الجنوب وادي لوكس يصب عند مدينة العرائش ووادي سبو بفروعه الكثيرة وقواعده الشهيرة مثل فاس ومكناس ثم وادي أبو الرقراق أو بورجراج وهو نهر مزدوج يصب في البحر بمصب واحد وعلى ضفته الشرقية عند المصب مدينة سلا وعلى ضفته الغربية مدينة رباط الفتح وهما مدينتان توأمان ثم وادي أم الربيع وقرب مصبه تقع مدينة أزموور ثم وادي تنسيفت وتقع على أحد فروعه مدينة مراكش ثم وادي السوس الذي يجري في إقليم السوس الغني وهو إقليم ذو هيئة مثلثة ينحصر بين فرعي جبال الأطلس والمحيط الأطلسي ومن أهم مدنه تارودانت وأغادير ثم وادي درعة في أقصى الجنوب. وما وراء ذلك تمتد صحاري المغرب. وتقوم جبال الأطلس حاجزاً بين المغربين الأوسط والأقصى.<sup>(١)</sup>

١. زيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٨٩، دار الامير للثقافة والعلوم،

## مدلول «المغرب العربي»

يقول الدكتور سعدون نصر الله: «وأوّل من استعمل التعبير بهذا المعنى - يعني «المغرب» - الإمام علي بن أبي طالب عليه السّلام إذ خاطب الخوارج قبل معركة النهروان بعد أن قتلوا رسوله إليهم الحرث بن مرة العبدي (... أن ابعثوا إليّ بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أترككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب)<sup>(١)</sup>. ثم تحدد بالمنطقة الواقعة غرب مصر من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً.

إذن المغرب العربي هو البلاد الممتدّة في شمالي افريقية، من غربيّ مصر إلى المحيط الأطلسي، وقد أطلق عليها اليونان قديماً اسم «ليبيا» نسبة إلى شعب اللّوبو الذي كان يعيش بين خليج السّيرت والنيل، وجاراهم في التسمية القرطاجيون والعبراتيون، ثم أطلق الرومان على سكان افريقية لقب «البربر». واحتفظ العرب من بعدهم بهذه التسمية، وكان المغرب في نظرهم يشمل افريقية الشمالية والأندلس، وعندما استقرّوا بالقيروان وتونس أطلقوا اسم افريقية على تونس وطرابلس الغرب، ثم انحصر عندهم مدلول لفظة المغرب في آخر الأمر في افريقية الغربيّة. والجدير بالذكر أن شعوباً كثيرة، قبل العرب، مدّت سلطانها

→

الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣هـ.

١. نصر الله، الدكتور سعدون، تاريخ العرب السياسي في المغرب، ص ١٣، دار النهضة العربية،

بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

ونفوذها على شمالي افريقية وتركت فيه آثاراً متعدّدة؛ فتناوب على أرضه الفينيقيّون والرومان والفندال والقوط والبيزانطيّون وغيرهم، ولكن تلك الفتوح المتوالية لم تقوَ على عادات البربر وتقاليدهم.

### الأرض المغربيّة:

يمتد المغرب العربيّ امتداد القسم الأكبر من الشاطيء الجنوبي للبحر الأبيض المتوسّط ويحاذي في قسمه الغربيّ شاطيء المحيط الأطلنطيّ، وتمتدّ في جنوبيّه الصحراء الكبرى. وهو يشمل ليبيا، وتونس، والجزائر، ومراكش، وكانوا يقسمونه إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأقصى غرباً وهو ما يعرف اليوم بالمملكة المغربيّة، والمغرب الأوسط الذي عرف قديماً ببلاد «نوميديّة» وهو اليوم الجمهوريّة الجزائريّة، والمغرب الأدنى وهو ما دون ذلك.

وإن من يلقي نظرة على مصوّر الشمال الافريقي يجده قسمين: قسماً منخفضاً يبدأ من قناة السويس وينتهي عند الحدود الطرابلسيّة الغربيّة، وقسماً مرتفعاً يبدأ من الحدود التونسيّة الشرقيّة وينتهي عند المحيط الأطلنطيّ. وتنهض في المغرب العربي سلسلتا جبال الأطلس اللتان تخترقان تونس والجزائر والمغرب الأقصى، غير ان ارتفاعهما في البلاد التونسية ينخفض شيئاً فشيئاً نحو الشمال والشرق إلى ان تصبح هضابهما في الشمال أشبه بالسهول، وهكذا يتكوّن سطح البلاد التونسية من سهول ساحليّة في الشمال والشرق، وجبال متوسّطة الارتفاع في الشمال الشرقيّ، وأراضٍ منخفضة في الوسط والداخل (السبخات والشطوط)، والصحراء في الجنوب؛ أما سطح البلاد الجزائريّة فيتكوّن من سهول ساحليّة في الشمال، وسلاسل جبليّة وهضاب في الوسط، والصحراء الكبرى في

الجنوب؛ وأما سطح البلاد المغربية فيتكوّن من مناطق طبيعيّة؛ جبال الرّيف، وحوض نهر سبو، ومرتفعات الأطلسي وجبال الأطلس (أعلى قممها التوبكالك ١٦٥م) والمغرب الشرقيّ والصحراويّ؛ وفي المغرب أنهار عدّة أهمّها أم الربيع (٥٥٥ كم)، ووادي درعة (١٢٠٠ كم)؛ وأما سطح ليبيا فجزء من الهضبة الإفريقية والصحاري تؤلّف ٨٥٪ من مساحتها، وفيها السهل الساحلي الذي تكثُر فيه الواحات، والهضبة الساحليّة التي تحف بالمتوسّط، ويعرف القسم الشمالي بـ«الجبل الأخضر».

ومناخ المغرب العربي يختلف باختلاف المناطق، فهو في ليبيا صحراويّ، وفي تونس مشبّع بالرطوبة، وهو في الجزائر والمغرب معتدل وكثير الأمطار في الشتاء. (١)

والمدن في المغرب العربي ذات شأن كبير في سير التاريخ وتكوين الحضارة ونشر المعرفة. ونحن نذكر منها فاس، ومراكش، وتطوان، وطنجة، والقيروان، وطرابلس.

### الشعب المغربي:

يتكون الشعب المغربي من عنصرين رئيسيّين هما البربر والعرب؛ والبربر سكّان الشمال الإفريقي منذ القدم؛ أمّا العرب فقد وفدوا على البلاد منذ الفتح العربيّ، واشتدّ نزوحهم إليها في عهد الفاطميّين وفي زمن انهيار الدولة العربية بالأندلس.

١. الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٢٩، دارالجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

والبربر جيل من الناس ينتسب - في نظر الباحثين - إلى سلالتين: سلالة هندو أوروبية نزحت إلى افريقية من الهند وآسية وأوربة عن طريق اسبانية، وسلالة عربية سامية. والبربر في تاريخ ابن خلدون ثلاثة أقسام: البرانس أبناء «برنس بن برين مازينغ» وهم قبائل وشعوب جبلية يستقر أكثرها في جبال الأطلس (المغرب)، ومنهم قبيلة «مصمودة» التي تفرع منها «هزغة» في جبل السوى بأقصى بلاد المغرب، ومن البرانس من تفرق في جبال الريف (غمارة) وجبال زاوية شمالي الجزائر (كتامة، صنهاجة) وجبال أوراس (أوربة ومنها كسيلة، وقبيلة جراوة)؛ ثم البتر أبناء «مادغيس الأبترا بن برين مازينغ» وهم قبائل بدوية رحالة وجمالة، ومنهم «زناتة» و«مكناسة»؛ ثم المثلثون وهم قبائل الصحراء بالجنوب، سُموا كذلك لأنهم يجعلون على وجوههم لثاماً أزرق، منهم «الطوارق» وقبائل «لمتة» و«لمتونة» و«التوات». وهم - على حد قول أحمد صفر - «أجناس من البشر كثيرة وأحياناً غير متشابهة، فهناك فرق مثلاً بين «القبائلي» الذي هو مصفح أو مستطيل الرأس، كبير القامة، أشقر الشعر، وبين «الميزابي» الذي هو أصلع أو مفلطح الرأس، صغير القامة، أسود العينين والشعر، وبين «الطارقي» من ملثمي الحجاز الذي هو طول القامة، طويل الذراعين، ضيق القفص الصدري. وهذه الفروق في الخصائص البشرية، وهذا الاختلاف في السحنة ولون الشعر والعيون، وشكل الجمجمة وحتى اللهجات أحياناً... يرجع بدون شك إلى اختلاف في أصل البربر. فقد ذهب معظم الباحثين إلى أن البربر ينتسبون إلى سلالتين: الأولى هي سلالة هندية أوروبية يافثية (منسوبة إلى يافث بن نوح عليه السلام) نزحت إلى افريقية من الهند وآسية وأوربة عن طريق اسبانية أو ربما كانت تابعة لزحف «شعوب البحر» الهندية الأوروبية التي أشارت إليها الوثائق

المصرية القديمة من عهد الفراعنة الرمسيين، أما السلالة الثانية فهي سلالة عريية سامية»<sup>(١)</sup>.

أما العرب فقد كانوا يطلقون على كل القبائل التي كانت مواطنها بلاد المغرب بأفريقية على حدود المملكة الرومانية القديمة لفظ بربر، قيل ان هذا الاسم مأخوذ من لفظ بارباري الذي كان القدماء يسمون به القبائل الغربية، ولم يكن في الأصل مختصاً بأمة واحدة. ولفظة (بارفاروس) اليونانية كلفظة (بيلوس) اللاتينية مأخوذة من اللفظ أو الصوت الذي يصدره الاثغ. ثم صار علما عند اليونان يراد به كل من لم يتكلم بلغتهم، ولهذا سموا ايطاليا بربريا، ثم اطلق الرومان هذه الكلمة على كل الطوائف التي ليست يونانية ولا تليانية، ولما أخضع الرومان الشعوب المختلفة كانوا يطلقون لفظ روماني على كل تبعتهم من أي طائفة، واسم بربري على من لم يخضع لهم ولذلك سموا كل البلاد التي لم تخضع للرومان أو خضعت ثم عصت باسم باربريكوم أي بلاد البربر ولما كان مركز الغرب الجغرافي يسمح لهم باتصالهم بأهل أفريقية الشمالية، جاروا الرومان على التسمية المذكورة وسموا سكان شمالي أفريقية باسم بربر<sup>(٢)</sup>.

### سبب دخول البربر أرض المغرب:

وسبب انتقالهم إلى برقة وأرض المغرب - على ما ذكره المؤرخون - أن بني إسرائيل لما قتلهم بخت نصر البابلي، وأخرب بيت المقدس، واستولى على خزائنه

١ . الفاخوري، حنا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٣٤.

٢ . سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دول المغرب، ص ١١، دارالفكر الحديث، بيروت،



والتابوت الذي فيه عصا موسى والسكينة وعمامة هارون - وقد كانوا يقدمونه أمامهم في الحروب فينصرون - ضعف أمرهم عن القتال وقويت عليهم شوكة البربرو فلم يزل أمر بني إسرائيل في إديبار، وأمر البربر في إقبال، حتى تنبأ أشمويل عليه السلام، فأتاه بنو إسرائيل وسألوه: سل ربك يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، فسأل، فأوحى الله إليه أني منزل عليك عصاً وقرناً فيه دهن القدس، فضع العصا والقرن حولك، فإذا دخل عليك رجل منهم وعلى دهن القدس فقسه بالعصا، فإن طابقتها فذلك ملكهم الذي يفتح لهم على يديه فصار أهل بيت الملك يدخلون عليه فلم يغل لدخول أحدهم، فلما دخل طالوت ولم يكن من بيت الملك، وإنما كان سقاه ضلّ له حمار فخرج في طلبه، فلما مر ببيت أشمويل<sup>(١)</sup> عليه السلام قال لمن معه: ألا ندخل بيت هذا الرجل الصالح لعل ببركته نجد ضالتنا، فدخلوا فغلى دهن القدس فقاسه بالعصا فطابقتها فقال: إن هذا ملككم الذي يفتح على يديه.

فكان من جوابهم ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: (... قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)<sup>(٢)</sup> و (... إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)<sup>(٣)</sup>.

وكان التابوت قد استولى عليه فلما حل بين أظهرهم تشاءموا ببقائه،

١. شمعون. وبالعربية: إسماعيل

٢. البقرة: الآية ٢٤٧.

٣. البقرة: الآية ٢٤٨.

فأخرجوه من بين أظهرهم إلى قرية أخرى، فأصبح أهلها موتى أكلت الفأرة أفئدتهم فأخرجوه ودفنوا بفلاة من الأرض، فصار كل من بال متوجهاً نحوه أصابه الحصر، فأخرجوه وجعلوه في آلة يحملها ثوران وضربهما، فأخذته الملائكة حتى أتت بهما بيت المقدس بلد أشمويل عليه السلام فلما شاهدوا ذلك أذعنوا الملكة وملكوه عليهم، وأمرهم بالتأهب لقتال البربر، فتأهب معه لقتالهم من بني إسرائيل ثلاثون ألف شاب وخرجوا لذلك، فأوحى الله سبحانه إلى أشمويل عليه السلام؛ أني مبتليهم، فابتلاهم بنهر ماء بعد قيظهم، ونهاهم عن الشرب منه وأخبرهم أشمويل عليه السلام أن من شرب منه ضعف عن لقاء عدوه فشربوا منه إلا قليلاً منهم. (١)

ولما جاوز طالوت النهر منع الشاربيين من الالتحاق معه، وسار بالقلّة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر جندياً - عدة أهل بدر - (... فلما جاوزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٢).

طلب طالوت من والد داود أن يأتيه بأولاده جميعهم لانه علم - عن طريق الوحي - أن من استوت عليه درع موسى عليه السلام منهم فهو الذي يقتل جالوت، فألبسها عليهم جميعاً فكانت تقصر على بعضهم أو تزيد، فسأله: هل بقي أحد من ولدك؟

قال: نعم، خلّفت أصغرهم يرعى الغنم.

١. لابن غلبون (المتوفى ١١٥٠ هـ): التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، ص

٢٠، مؤسسة الكتب الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

٢. البقرة: الآية ٢٤٩.

قال: عليّ به، فأرسل خلفه.

جاء داود إلى المعسكر وفي الطريق التقط أحجاراً وضعها في مخلاته، فلما حضر عند طالوت ألبسه الدرع فاستوت عليه.

ثم سار باتجاه الطاغية، وعند أول لقاء رمى داود حجراً من الأحجار التي التقطها اليمينة فانهزمت، ورمى بآخر الميسرة فانهزمت، وثالثاً رمى به جالوت فصكّ جبهته فوق ميثاً.

(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).<sup>(١)</sup>

وشكر الله تعالى لداود ذلك وهو المنعم الشكور، فوهب له النبوة والملك (يا داودُ إِنَّا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) (ص: ٢٦).<sup>(٢)</sup>

قال ابن عبدالحكم: كان البربر بفلسطين في زمن داود عليه السلام، فخرجوا منها متوجهين نحو أرض المغرب حتى انتهوا إلى لوبة ومراقية، وهما قريتان من قرى مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا ينالهما النيل، فتفرقوا هناك، فتقدمت زناتة مقبلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواتة وسكنت أنطابلس، وهي برقة، وتفرقت في المغرب، وانتشروا حتى بلغوا السوس. ونزلت هوارة مدينة لبدّة، ونزلت نفوسة مدينة صبرة، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك.<sup>(٣)</sup>

١. الأنفال: الآية ١٧.

٢. محمّد علي دخيل، علي: قصص الأنبياء، ص ٤٠٣، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٣. ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، ص ٢١.

والبربر، أهل حضر وأهل بدو كالعرب الجاهليين. وأهل الحضر منهم يسكنون قُرَى قائمة في أعالي الجبال، والقرية، لا القبيلة، هي عنوان الوحدة السياسية البربرية خلافاً لما هو عند العرب، والقرية البربرية هي جمهورية صغيرة مستقلة يدير شؤونها رئيس منتخب يسمونه الأمين، وأهم وظائف هذا الأمين أن يرأس جمعية البالغين من أهل قريته، وتتمتع هذه الجمعية بالسلطة الاشتراعية والسلطة القضائية وتقرّر شؤون السلم والحرب... وعقوبات البربر بسيطة فاضحة، ولا يعرف البربر أمر السجن، وتندر عندهم الجرائم... والمرأة البربرية على جانب كبير من الحمية، فهي تحارب أحياناً بجانب زوجها... وقد تُعدّ روح البربر قريبة جداً من روح العرب على أن يُقاس حضويّاً أولئك وبدويّهم بحضريّ هؤلاء وبدويّهم. فلطُرُق الحياة تأثير كبير في أخلاق الأمم، فإذا تماثلت طرق حياة الأمم تماثلت هذه الأمم في التفكير والسير في الغالب، فالبربريّ الحضريّ كالعربيّ الحضريّ، جَلَد على العمل صبوراً حازم وماهر، والبربريّ البدويّ، كالعربيّ البدويّ، طليقٌ معرّاب قنوع خفيف طوّاقٌ للمشاق ختار للأعداء. (١)

وهناك نظرية أخرى حول البربر وسبب دخولهم أرض المغرب حيث يعتقد البعض أن هؤلاء البربر من أصل يمني جاؤا من جنوبي الجزيرة العربية، منهم فريق توجّه لبلاد فارس و آخر جاء إلى المغرب عن طريق مصر وليبيا مستدلين على ذلك بوجود مدن بالمغرب تحمل أسماء توجد بفارس، كفاس والقيروان، كذلك فإنه ما تزال في بلاد فارس جماعة تسمى البربر وهم قوم رحّل. وإذا كان المغرب يعرف من فصائل البربر قبائل سوس فإن فارس كذلك تحتفظ بهذه الفصيلة أيضاً.

١. الفاخوري، حتّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٣٤.

وسنرى فيما بعد كيف ستبلغ العناصر الفارسية في الدور الثاني من تطور الدولة الرستمية (٢٥٨-٢٨١هـ) شأواً كبيراً حيث أن الأئمة الرستميين كانوا من أصل فارسي فأوكلوا إلى هذه العناصر قيادة الجيوش وأسمى المناصب فضلاً عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية. كما استطاعوا فيما بعد أن يقيموا القصور والمنازل حول تاهرت ويشكلوا دولة داخل الدولة الرستمية على حد قول فرّوخي.

وما يذكره النسابون من العرب والبربر معاً تتفق عليه معظم الروايات عن أصل العرب والبربر معاً. فالنسابون من ابن الكلبي إلى إن قتيبة وابن جرير الطبري والمسعودي والوراق التونسي يتفقون على نسبة البربر إلى العرب، بل إن بعض القبائل البربرية كقبيلة صنهاجة تصف نسبتها القبلية بالحميرية. ويذكر مؤلف القرطاس أن برّبن قيس وبربر بنت مجدول هي أصل قبائل سكنت الشام وجاورت العرب فامتزجت بهم.

وعلى هذا فالبتر عرب مضرّيون والبرانس عرب يمنيون. وإذا عدنا إلى النسايبين البرابرة؛ فسابق المطماطي يؤكد في نسبه عروبته ويرى أن البرانس من نسل كنعان بن حام، والبتر من برّبن قيس بن عيلان من ذرية شام.

هذا وقد لعب البربر دوراً هاماً رئيسياً في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط فأقاموا الممالك ودوّخوا الأمصار...

وعلى أرض المغرب نشأت قبائل بدوية رحّالة وقبائل مستقرة ذات حضارة، وصحراوية تفاعلت مع البيئة الجغرافية وتوغلت في الصحراء أو تناءت عنها لعوامل طبيعية كالجفاف أو لعوامل إقتصادية أو إجتماعية. ولذلك إهتم

المؤرخون المعاصرون بحركة القبائل وعلاقتها بالبيئة الجغرافية وتفاعلاتها معها. (١)

اقسام البربر:

قسم نسبة العرب البربر إلى قسمين:

- البتر: وهم البربر البدو ويتكونون من عدة قبائل وأشهرها:

زناتة - مديونة - لواتة - زواوة - نفزة - نفوسة - مطغرة - مطماطة وتسكن غالبية الساحقة في الصحراء والمناطق الرعوية ابتداء من طرابلس إلى تازا (٢) وبعضهم ينزل نجود طرابلس وجبال الأوراس.

- البرانس: وهم البربر الحضري ويشكلون أكثر من نصف البربر ويتكونون من عدة قبائل أشهرها:

صنهاجة - كتامة - أوربة - مسمودة - مسكورة - لمطة - عجيسة. وهم ينزلون في جبال الأطلس الكبير إلى المحيط الأطلسي، كما يوجدون في وسط الجزائر وجنوبها.

ويلاحظ أن هذا التقسيم ليس مطلقاً فالحضارة والبدواة متبادلة في كل من الجماعتين. كما يلاحظ ان البرانس على العموم هم أكثر تحضيراً من البتر ولكل منهما مميزات في التاريخ. فالبتر مذ كانوا وهم أحلاف الفاتحين. والبرانس كانوا أميل إلى الشيعة والعلويين سواء في أفريقية أو المغرب.

١. زبيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٩٢.

٢. هناك ممراً واسعاً بين الجزء الشمالي من جبال الأطلس وجزئها الجنوبي وهذا الممر يعرف بممر تازا. ومن سيطر على ممر تازا سيطر على الطريق الرئيسي المؤدي من الجزائر إلى المغرب الأقصى.

غير إن هذه القبائل المغربية جميعها وحدتها العقيدة الإسلامية بعد الفتح كما وحدت قبائل الجزيرة العربية من قبل بعد أن وصل إليها الإسلام على يد العرب الفاتحين في القرن السابع الميلادي، وحسن إسلام المغاربة فحملوا راية الإسلام وعبروا بها إلى أوربة وألحقوا بهم إسبانيا وقرعوا أبواب فرنسا ولم يسجل تاريخ الفتح الإسلامي مقاومة تذكر من جانب زعماء البربر إذا استثنينا الكاهنة وكُسيلة اللذين ثارا لكرامتهما الشخصية. وثورة هؤلاء لم تكن في الغالب ثورة على الاسلام نفسه وإنما كانت ثورة على عسف الولاة الأمويين الذين كان همُّ معظمهم موجَّهاً نحو الكسب والغنائم كما ينبغي أن لا ننسى إن الأمويين لم يكونوا يحسنون معاملة الفرس حتى بعد إسلامهم، وإن إعتزازهم بالجنس العربي إلى حد التعصب البغيض كان من أهم أسباب سقوطهم. فلا عجب أن تكون معاملتهم للبربر شبيهةً بمعاملتهم للفرس حتى إذا ظهرت الدعوة إلى آل بيت النبي (ص) أقبل الفرس في الشرق يعضدون العباسيين بينما أقبل البربر في المغرب يعضدون الأدارسة، ويقيمون فيما بعد دولة الفاطميين.<sup>(١)</sup>

وتؤيد الرأي السابق الدكتورة سامية توفيق عبدالله بقولها: «لقد ثار البربر في بلاد المغرب وكلفت ثوراتهم الدولة الإسلامية في العصر الأموي كثيراً من الأُنفس والأموال، واستمرت ثوراتهم في العصر العباسي»<sup>(٢)</sup>.

١. زيب، الاستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٩٣.

٢. توفيق عبدالله، دكتورة سامية: دراسات في تاريخ بلاد المغرب (من الفتح العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري)، ص ١٨، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.





**الشَّيْخَةُ**

**فِي الْمَغْرِبِ**

**الْعَرَبِيِّ**

## الإمام الصادق (عليه السلام) والدعوة الشيعية في المغرب

كانت بلاد شمال افريقيا تربة خصبة لبث الدعوة الشيعية. يضاف إلى ذلك ان بلاد المغرب كانت بعيدة عن السلطة المركزية في بغداد مما جعل من الصعب على العباسيين فرض رقابتهم التامة على تلك البلاد وتعقب العلويين فيها. ويرجع الفضل الأول في نجاح الدعوة الشيعية ببلاد المغرب إلى مؤسس دولة الأدارسة (١٧٢هـ) ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

على أن هذا الداعية لم يكن أول من دعا للشيعة بالمغرب الاسلامي، فقد سبقه في هذا المضمار دعاة آخرون مهدوا السبيل لنجاح دعوته، فيروي المقرئزي أن الإمام جعفر الصادق (ع) (ت ١٤٨هـ) أوفد إلى المغرب داعيين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بأبي سفيان وقال لهما «إن المغرب أرض بور فاذهبوا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر» فذهبا إلى هناك واخذوا يدعون الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كثير من قبيلة كتامة وغيرها وظلا هناك إلى أن ماتا. (١)

١. العبادي، الدكتور أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٣، دار النهضة العربية، بيروت.

## التَّشِيْعُ يسبق إدريس إلى المغرب:

والحقيقة أن التشيع وجد طريقه إلى المغرب قبل مقدم إدريس الأول إليه  
بزمان ويمكننا أن نستنتج ذلك من الملاحظات التالية:

إن فشل الثورات المتلاحقة التي قام بها الشيعة في مختلف المدن والأقاليم  
والتي كانت في معظمها هوجاء لا يسبقها إعداد ولا تنظيم اضطرتهم إلى تغيير  
أسلوبهم في العمل وإتباع أسلوب آخر جديد في التنظيم والإعداد فاختراروا  
أطراف العالم الاسلامي ميداناً لنشر دعوتهم وإعدادها إعداداً منظماً للعمل  
والثورة فاتجهوا نحو خراسان والديلم واليمن ثم إلى مصر والمغرب لنشر تعاليم  
المذهب وإفهام الناس أن الحق حقهم وأنهم منعوا من الوصول إليه بالقهر والقوة  
الظالمة.

ثم أن تطور الأحداث السياسية والاجتماعية التي تعرضت لها البلاد  
الإسلامية بعد قيام الدولة العباسية وما رافق ذلك من اعتماد الخلفاء على الشدة  
والقسوة أدّى بهم إلى ارتكاب الجرائم وأعمال المنكر وإهراق الدم الحرام بعد أن  
استحلوا الكبائر وارتكبوا المحارم، وهذا ما ساعد على تنامي المذهب الشيعي  
فأعطاه قوةً وزخماً وأكسبه عطفاً جماهيرياً بعيد المدى حتى أصبح التشيع سبيلاً  
يلجأ إليه دعاة الإصلاح والتطور.<sup>(١)</sup>

يكاد المؤرخون من قدامى ومعاصرين وفي غالبيتهم العظمى يجمعون على  
أن التشيع أخذ طريقه إلى المغرب منذ أيام الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذ  
بفضله دخلت الشيعة مرحلة حاسمة من مراحل تطورها الطويل من أجل تحويل

١. العدوي، الدكتور إبراهيم أحمد: المجتمع المغربي مقوماته الإسلامية والعربية، ص ٢٤٠.  
مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

الخلافة الإسلامية إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن انحرف بها العباسيون عن أصول الحكم الإسلامي الصحيح.

ففي حين أخذت جميع الثورات التي قام بها الشيعة لتصحيح هذا الانحراف وتم احتواؤها والقضاء عليها استطاع هو بما أوتيته من سلطان العلم ورجاحة العقل النير وسمو الفكر الحر أن يتصدى لهذا الانحراف ويعمل على تقويمه بالحكمة والموعظة الحسنة والإعتماد على الإقناع الفكري وإزالة الأغشية التي تحول بين الإنسان وبين الإيمان بالله، هذا الإيمان الذي يقتضي حركة منضبطة مع مبادئ الإسلام ووعياً عميقاً لها، كما يقتضي سيرة محمودةً وصله زاكيةً طيبةً بين الإنسان وخالقه تنعكس آثارها في حياته العامة أخلاقاً وسلوكاً وعملاً صالحاً وتطبيقاً تاماً لكتاب الله وامتثال أوامره في كل ساعة من ساعات الليل والنهار وتطبيق سنة نبيه العظيم على المستويين الفردي والجماعي معاً.

ومتى عرف الإنسان ربه وملأ الإيمان نفسه يستطيع أن يقف أمام النار الملتهبة ليدافع عنه. ذلك إن الإيمان يجمع بين العاملين من أجله ويطهرهم ويوحدهم ولا يقبل في صفوفه إلا المخلصين له والسائرين على هديه. لهذه الأسباب إنتصر الإمام الصادق حيث أخفق الآخرون عندما جعل من مدرسته مصنعاً لبناء الأفراد يوجه نشاطهم لخدمة الرسالة وتحقيق غاياتها ويحولهم بالإيمان إلى رجالٍ عظامٍ يطوعون الحياة لخدمة الدين ويتعاونون معاً على بناء مجتمع يعرف حدود الله. ملتزم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يعني مجاهدة كل من خالف حكم الله وأوامره ونواهيه تحقيقاً للآية الكريمة: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»<sup>(١)</sup>.

ورأى أنه لا تتم إقامة مجتمع كهذا قائم على الإيمان الديني الوطيد وعلى وضوح الرؤية الشاملة لمبادئ الإسلام وتعاليمه وعلى التعمق في فهم الدين الحنيف إذا كان أصحابه جهالاً، لذا بدأ بحملات التوعية وباشرها بنفسه فكان معلماً يأتيه الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي فينهلون من معينه ثم ينتشرون في بقاع الدنيا الإسلامية كلها.

وكان من الطبيعي أن يتأثر هؤلاء الطلاب به ويفهموا منه الإسلام الحق على صفائه وفطرته وأن يفهموا بالتالي أن التشيع إنما مذهب أهل البيت وليس مذهباً ذخيلاً على الإسلام بل هو منه في الصميم نشأ في أيامه الأولى ثم أخذ طريقه إلى القلوب والنفوس معاً وأخذ ينتشر حتى بلغ أطراف العالم الإسلامي كله. وكان من الطبيعي أيضاً أن يشكل هؤلاء الطلاب الطليعة الواعية التي عملت على نشر التشيع وترسيخ مبادئه في أرجاء البلاد التي ينتمون إليها لينطلق فيما بعد فكراً داعياً مركزاً وعقيدة قوية ثابتة وإيماناً راسخاً.

فما هي حدود مسؤولية الإمام جعفر الصادق في إنتشار التشيع في بلاد المغرب؟ وهل يعود سبب هذا الإنتشار إلى فقه هذا الإمام الجليل وتعاليمه ووصاياه فحسب أم إن هناك مسؤولية مادية للإمام نفسه وراء ذلك؟...

لا شك في أن التأثير بآراء الإمام الفقهية ودعوته الإصلاحية بيّن وجلي، فقد تتلمذ على يده رجالات الحديث وأئمة المذاهب وشيوخها وممن روى عنه من

الكبراء المذكورين بالفقه: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي<sup>(١)</sup> الذي قال: «لولا السنن لهلك النعمان» ومالك بن أنس المدني<sup>(٢)</sup> الذي قال: «ما رأيت عيني أكثر من جعفر بن محمد فضلاً وورعاً». وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وصي بن صالح وسليمان بن مهران وأيوب السختياني وعمرو بن دينار وكثير من علماء العامة حتى بلغوا أكثر من أربعة آلاف راوية رووا عنه الحديث وأخذوا علم الإسلام ومعرفة الحلال من الحرام غير أن هؤلاء وإن كانوا قد تأثروا بآراء الإمام الفقهية وأقروا له بالعلم والفضل والورع إلا أن تأثرهم هذا لم يكن ليبدل في حال من الأحوال على تشيعهم كما هو الواقع. فلا بد أن تكون هناك عوامل أخرى تهيأت لها الأسباب والظروف عملت على نشر هذا المذهب بصورة أكيدة تعاملت مع الظروف بقراءة صحيحة لها وتفاعلت مع أهداف الرسالة السمحاء ومبادئها بسلوك رشيد وبطريقة منضبطة منتظمة تبتعد معها عن ممالات أي حكم وتنأى عن الوقوع في ممارسة أي انحراف ويبرز في مقدمتها عنصران:

- أولهما وجود جماعة واعية تؤمن بمذهب أهل البيت وتلتزم بمبادئه قولاً وعملاً وتكون على قدر عظيم من الكفاءة العلمية بتعاليمه وأصوله الفقهية تنتشر بين الأهالي في المدن والقرى لتربية النفوس وبناء الأفراد على الأخلاق الفاضلة وتسليمهم بالإيمان ليقوموا بحملة علمية وتوعية شاملة ويصبحوا فيما بعد قادرين على أن يأخذوا منه صورة تنظيم سياسي وديني لمجتمع يكون الطليعة المتقدمة

١ . النعمان بن ثابت: إمام الحنفية أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. توفي سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م.

٢ . هو مالك بن أنس بن مالك الأصبغي الحميري أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية. مولده ووفاته في المدينة صنف الموطأ توفي سنة ١٧٩هـ.

لتمهيد الطريق أمام إنشاء حكم إسلامي صحيح يقيم أحكام الله ويثبت دعائم الإسلام الحق في نفوس الأفراد والجماعات.

- ثانيهما لا بد أيضاً من وجود إمام مفترض الطاعة معصوم من الجهل والظلم والباطل والضلال والفتن والبدع وكل ماله علاقه بأي شكل من أشكال الفساد والطغيان يمسك بزمام تلك الجماعة ويتولى قيادتها على أساس من الإيمان والعلم والأخلاق.

وقد توفر هذان العنصران بشكل جيد وتهيأت لهما ظروف مؤاتية فالإمام المعصوم موجود إنه جعفر بن محمد الصادق سيد البيت العلوي الإمام ابن الإمام أعلم أهل عصره وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم مكانةً وأكثرهم فضلاً وتبصراً بالأمور ومعرفة بما وراء الأحداث.

وها هم شيعته وتلاميذه وهم أكثر من أن يحصوا. وها هو المنصور الحاكم الجائر قد عمّ ظلمه وتفاقم أذاه واشتد خطره وبلاؤه لما أهرقه من دماءٍ حرامٍ ولا سيما بعد قضائه على ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن في المدينة وثورة أخيه إبراهيم في البصرة، ولما أظهره من تعسف في سياسة الناس، وها هم ولاته قد ضجت الأقاليم الإسلامية من ظلمهم ومفاسدهم. وإذن فلا بد للإمام وهو المسؤول الأول عن الأمة بما له من قوة روحية وسلطان ديني من محاربة هذا الطاغية الجائر وتقويض دعائم حكمه بأسلوب جديد لم يعهده المنصور ولا غيره من قبل، إنه أسلوب المقاومة الإسلامية المؤمنة بالعبقيدة والمنتقلة بين الأقاليم التي تستطيع إذا ما أحسن تنظيمها وإعدادها أن تنطلق ثورة كالأعصار عنيقةً تدمر الظالمين وتحطم عروشهم وتكتسح أمامها كل مقاومة معاكسة.

## لماذا التركيز على المغرب؟...

لم يكن ممكناً أن يقوم عمل كهذا في قلب العالم الإسلامي وتحت سمع الخلافة وبصرها بسبب يقظتها التامة وسرعة تحركها هناك وإمكانية مواجهتها لها بشدة وحزم لدرجة يستحيل معها تحقيق أي نجاح أو إحراز أية فائدة مرجوة، بل على العكس فإنها ستكون سبباً للإطاحة بكثير من الرؤوس وإهراق مزيد من الدماء. والإمام مدرك لهذا تماماً لهذا كان التركيز على أطراف العالم الإسلامي كما ذكرنا حيث لا يوجد هناك حكام أقوياء ولا سلطة مركزية يمكنها أن تكون عقبة أمامها أو تشكل حجر عثرة في طريقها. وتم اختيار المغرب من بين هذه الأقاليم وذلك حوالى منتصف القرن الثاني من الهجرة في سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م بالتحديد، السنة التي سالت فيها دماء الشيعة أنهاراً خاصة في المدينة والبصرة، تم اختيار المغرب ليكون الإقليم الذي يؤهل لاحتضان المذهب الشيعي ويكون منطلقاً لفكره ومبادئه وعقيدته وبصورة مدروسة ومنظمة.

وكان تلامذة الإمام الصادق عليه السلام يأتونه من مختلف الأقطار الإسلامية وكان يطلع منهم على أحوال بلادهم وما يعانیه إخوانهم المسلمون فيها من ظلم الحكام وجورهم وتعسفهم وعدم تطبيقهم للشريعة الإسلامية فيما يحكمون فيه بين الناس.

وكان سكان المغرب أكثر الناس طاعةً وولاءً لبني أمية وكانوا بالتالي أكثر الناس تعرضاً للإضطهاد والظلم لأن المغرب لم يكن يتمتع بما يفرضه الإسلام من العدالة والمساواة وحكم الشرع الإسلامي ذلك أن البربر لم يعتنقوا هذا الدين الحنيف إلا لما رأوا فيه من عدل وإنصاف وما فيه من عدم التمييز بين المؤمنين إلا بالتقوى وخير دليل على ذلك ما نجده في النصوص التاريخية التي أوردها



الطبري والتي تظهر سخط البربر في أفريقية إبتداءً من خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان.<sup>(١)</sup>

كل ذلك يجعلنا نشارك المبارك الميلي الرأي ونأخذ به عندما يقول: ولم يكن يخفى على أئمة الشيعة بالمشرق ما عليه المغرب من ضعف سياسي وقتئذٍ بسبب إنقسامه إلى أمارات<sup>(٢)</sup> وقد انتشر بينها المذهب الخارجي بقسميه الصفري والأباضي وذلك بسبب وطأة الخلافة وجور ولايتها وقد أخذت تتملل من عبء حكمهم وتهيأ للإنفصال عن جسم الدولة المركزية. أجل لم يخف وضع المغرب هذا ولم تغب أحواله السياسية المضطربة ولا ظروفه الإجتماعية الصعبة حتى ولا بعده الشاسع عن بال الإمام وكان اختيار المغرب يهدف إلى أمور منها:

- أولاً: تقويض دعائم الحكم العباسي الذي اغتصب الخلافة واستبدَّ بها وانحرف عن الحكم الإسلامي الصحيح.

- ثانياً: محاربة الخوارج الذين ظهروا على المسرح السياسي هناك وأصبحوا قوة ذات نفوذ سياسي لا يستهان به بعد قيام الدولة العباسية واستطاعوا نشر مذهبهم في المغرب ومارسوا نشاطهم فيه.

- ثالثاً: القضاء على الفتن والبدع المستحدثة التي بدأت تتسرب إلى المجتمعات الإسلامية بين قبائل البربر وتبصيرهم بالشرعية الإسلامية في مختلف

١ . المسعود الشامي، محمد: الأغالبة نظامهم الإداري والسياسي، ص ٧١، الدار التونسية، ١٩٧٠م.

«إن الإتفاق الذي تم بين هارون الرشيد وإبراهيم بن الأغلب إنطوى على تعهد من إبراهيم ببذل قسارى جهده في منع النفوذ العلوي في التسرب صوب الشرق».

٢ . الميلي، مبارك الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ١١١/٢، ص، مكتبة النهضة الجزائرية، ١٣٥٠هـ.

جوانبها العقائدية والفكرية والسياسية.

### كيف بدأ الإمام الصادق عليه السلام دعوته هناك؟...

أما كيف بدأ الإمام الصادق (ع) دعوته هناك فهذا بعض ما جاء على ألسنة الكتاب والمؤرخين قديمهم وحديثهم ممن اعتنوا بشؤون المغرب وكتبوا عن تاريخه:

- يقول المقرئزي: الحلواني وأبو سفين أنفذهما جعفر الصادق عليه السلام إلى بلاد المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة وقال لهما: «إنكما تدخلان أرضاً بوراً لم تحرث قط فاحرثاها واكرباها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه فيها».

فنزل أبو سفين من أرض المغرب مدينة مرماجنة<sup>(١)</sup> ونزل الحلواني بموضع يُسمى سوق حماد<sup>(٢)</sup> فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استملا قلوب جمع كثير من كتامة وغيرها إلى محبة آل البيت وصاروا شيعة لهم إلى أن دخل إليهم صاحب البذر أبو عبدالله الشيعي بعد مائة وخمس وثلاثين سنة وكان من أمره ما كان ونرى المقرئزي أيضاً في مكان آخر من كتابه عندما يتكلم على انتشار المذهب الشيعي وإقبال الناس عليه ومناصرتهم له يقول بالحرف الواحد: وكان باليمن من هذا المذهب كثير بعدن قوم يعرفون ببني موسى وكذلك كان

١ . مرماجنة: يطلق عليها اليوم اسم بَرْمَاجَنَة وهي بالقرب من الأريس بين مسيية ومسكيانة في الشمال الغربي من تونس الحاكمة.

٢ . سوق حماد: طراً تحريف كبير على هذا الاسم فمنهم قال سوق حماد ومنهم من قال سوق جمار وآخرون قالوا سوق حمار وهي بلد من أرض سماتة.

بأفريقية من لدن جعفر الصادق بمرماجنة وفي كتابته وفي نفزة وسماته تلقوا ذلك من الحلواني وأبو سفين.

- ونرى ابن خلدون يتفق مع المقریزی في نفس الموضوع ويكاد يورد الكلام نفسه حرفياً.

- الدكتور السيد عبدالعزيز سالم يردد أيضاً ما قاله المقریزی وابن خلدون.  
- عبدالرحمن بن محمد الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام يقول:  
ظهرت الدعوة الشيعية بالجزائر لأول مرة في وادي الرمل (سوق جمار) بنواحي قسنطينة ومرماجنة - (ما بين مرماجنة وسببيه) وكان ظهورها على يدي رجلين كلاهما جاء من المشرق موفداً من طرف جعفر الصادق لبثّ دعاية ضد الخلافة العباسية القائمة يومئذ ببغداد وخلافة الأمويين بالأندلس والمغرب ونشر مباديء الشيعة التي ترمي إلى إقامة الخلافة الإسلامية في آل البيت خاصة فقاما بهذه الأوساط المغربية يعملان على تنفيذ خطتهما إلى وفاتهما. ثم يعود فيقول عند التعريف بالحلواني والسفياني:

«ذكر ابن الأثير والمقریزی أن أبا عبدالله جعفر الصادق الإمام السادس بعث بهذين الداعيين إلى المغرب سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م وقال لهما:

«إن المغرب أرض بور لم تحرث قط فاذهبوا فاحرثوها حتى يجيء صاحب البذر» وكانت مدة هذه الفترة التي بين دخول هذين الرجلين بلاد المغرب ومجيء أبي عبدالله الشيعي إلى هذه البلاد ١٤٣ سنة.

- الدكتور إبراهيم أحمد العدوي يقول:

«إستفاد الإمام جعفر الصادق من فرصة إضطراب شؤون المغرب على عهد الولاية زمن الخليفة أبي جعفر المنصور وإتجه إلى بلاد الجزائر باعتبارها مصدر

القوة لكل راغبت في النفوذ على منافسيه في الصراع السياسي الذي ساد الدولة الإسلامية إذ ذاك وبعث حوالي سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م أي زمن خلافة المنصور العباسي إثنين من خيرة دعائه إلى بلاد المغرب وهما الحلواني وأبو سفين وقال لهما: «بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر».

وقدم هذان الداعيان مواطن كتامة للحرث أي دلالة على التمهيد لنشر الدعوة لآل البيت وإعدادها لمرحلة العمل، ونزل أحدهما لنشر دعوته بين أهالي مرماجنة من بلاد مَجَّانَة<sup>(١)</sup> والآخر في سوق جمار (وادي الرمل) بنواحي قسنطينة (بالجزائر اليوم) وهي كلها من مواطن كتامة.

- القاضي النعمان بن محمد الذي أرَّخ لهذه الأحداث بعد مرور أقل من نصف قرن على حدوثها يقول في كتابه إفتتاح الدعوة الذي انتهى من تأليفه عام ٣٦٤هـ / ٩٥٧م مايلي:

قدم إلى المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة رجلان من المشرق قيل إن أبا عبدالله جعفر بن محمد (ع) بعث بهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم وينشرا فضلهم وأمرهما أن يتجاوزا أفريقية - تونس حالياً - إلى حدود البربر ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية، فلما صارا إلى مرماجنة نزل أحدهما وكان يعرف بأبي سفين بها بموضع يقال له (تالا)<sup>(٢)</sup> فابتنى مسجداً وتزوج امرأةً واشترى أمةً وعبداً فيقال إنه كان يعمل مع عبده ويأمر امرأته

١ . مجانة: مجانة المعادن أو المطاحن وهي بتونس اليوم على مرحلة واحدة من مرماجنة وقلعة بسر قريبة منها على جبل المطاحن أو المعادن المعروف اليوم بالونزة - الدشراوي.

٢ . تالا: على بعد ٤٥ كلم من مدينة الكاف التونسية وعلى بعد حوالي ١٧ كلم إلى الشرق من الحدود الجزائرية.

فتعمل مع أمتها وكان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما قد اشتهر به ذكره وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت صلوات الله عليهم منه ويأخذونها عنه فمن قبيله تشيع من تشيع من أهل مرماجة وهي دار شيعة وهو كان سبب تشيعهم وكذلك أهل الأربس<sup>(١)</sup> ويقال إنه كان أيضاً سبب تشيع أهل نفطة<sup>(٢)</sup> أما الثاني فكان يعرف بالحلواني وأنه تقدم حتى وصل إلى سوجمار فنزل موضعاً منه يقال له الناطور فيني مسجداً وتزوج امرأة واشترى عبداً وأمةً وكان في العبادة والفضل علماً في موضعه فاشتهر به ذكره وضرب الناس من القبائل إليه وتشيع كثير منهم على يديه من كتامة ونفزة وسماتة وكان يقول لهم: «بعثت أنا وأبو سفين فقيل لنا: إذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضاً بوراً فأحرثاها وكرّباها وذلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلة فيبذر حبه فيها» فكان بين دخولهما المغرب وبين دخول صاحب البذر وهو أبو عبدالله الشيعي مئة وخمس وثلاثون سنة.

- أما الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي فبعد أن يتكلم في كتابه (عيون الأخبار وفنون الآثار) على أخبار من قام ممن انتسب إلى آل أبي طالب في أوان ابتداء دولة بني العباس يقول:

... وكل ذلك والإمام الصادق عليه السلام لابت في كهف تقية مقيم في السر دون الإعلان لأهل دعوته وهو يظهر علم شريعة جده محمد صلى الله عليه وآله

١ . الأربس: مدينة جنوب الكاف الكائنة في الشمال الغربي للقطر التونسي على طريق ثالا.

كانت مدينة مسورة ولها ريبض كبير وكانت تعرف ببلد العنبر.

٢ . نفطة: في قسطلية من بلاد الجريد قريبة من توزر بها جامع ومساجد وحمامات وجميع

أهلها شيعة وتسمى الكوفة الصغرى - الروض المعطار.

وسلم وينشره ويبيّنه للناس ويظهره ويطلع المحقّين من أهل دعوته على معاني التأويل ويبيّن لهم باطن علم الوصي والرسول وكان له من المعجزات والآيات الباهرات ما يشهد بفضله ويظهر عند العالمين عالي مقامه وشريف محله. وقد ذكرنا ما كان من حديثه للعلماء في زمانه وما أقرّوا به له من عظيم فضله حين ظهرت لهم دلائل برهانه. وأمر الإمام أبو عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليه رجلين من خلاء شيعته إلى المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة وأمرهما أن يدعوا الناس إلى ولاية أهل البيت صلوات الله عليهم وأن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد (ص) وينشرا فضلهم.

هذه باقة من أقوال المؤرخين والمفكرين والكتاب من مختلف العصور والبلاد والنزعات وغيرها كثير وكلها تشير بوضوح تام إلى الامام جعفر الصادق (ع) وتجعله المسؤول الأول والمباشر عن انتشار التشيع في بلاد المغرب وهذا ما جعلنا نميل إلى تأكيد ما أشار إليه محمد أبو زهرة عندما قال: إن الإمام جعفر الصادق كان معتزلاً للسياسة في الظاهر ومعيناً بها في الحقيقة والواقع وهذا أمر طبيعي فالإمام وهو حُجّة الله على خلقه والمسؤول الأول عن هداية الأمة وتوجيهها لا بد أن يكون أول الثائرين على الحاكم الفاسد والعاملين على تقويمه وإصلاحه.

**المراحل التي تم فيها الإنتشار:**

من جملة ما تقدم نستطيع أن نستخلص أن عملية إنتشار التشيع في بلاد المغرب

تمت على مرحلتين:

- أولاً مرحلة ما قبل العام ١٤٥هـ / ٧٦٢م وقد قام بها المغاربة أنفسهم

بصورة تلقائية عفوية وبمبادرات فردية وعلى نطاق محدود نسبياً قام بها أفراد عرفوا التشيع بفضل إتصالهم بالمشرق باحدى الطرق التالية:

- إما عن طريق الحج واختلاطهم هناك بالشيعية المنتشرين في مكة والمدينة والطائف وغيرها من المدن خاصة تلك التي كانت تسلكها قوافلهم السائرة بين مدن العراق والحجاز وهذا ما يؤكد الحسن السائح في كتابه (الحضارة المغربية عبر التاريخ) عندما يقول: ... فقد أوجبت التعاليم الإسلامية رحلة المغاربة إلى المشرق بقصد الحج حيث اتصلوا في المدينة برجال الإسلام ونقلوا مذهبهم إلى أفريقيا الشمالية.<sup>(١)</sup>

ولم يكن ليشغلهم آنذاك سوى الأمور الدينية حيث يقبلون على تعلم مبادئ دينهم ومعرفة أحكام صيامهم وصلواتهم وسائر عباداتهم وتكون مواسم الحج عندئذٍ من أشرف المناسبات وأفضلها فيجتمع المسلمون بعضهم ببعض من مختلف الأمصار والأقطار ويتداولون في أمور دينهم ودينيهم وتعد الحلقات وتتم اللقاءات والاجتماعات والمناظرات فيما بينهم.

- وإما عن طريق البعثات العلمية التي كان المغاربة يقومون بها حيث ثبت أنهم كانوا يوفدون جماعات منهم إلى الشرق للدراسة والتعلم والتمكن من معرفة أصول الدين وفروعه ومبادئ الشريعة عامة.<sup>(٢)</sup>

- وإما عن طريق إتصالهم المباشر بأئمة أهل البيت للتبرك بهم وأخذ مبادئ دينهم عنهم وكيفية تطبيق أحكام الشريعة كما وردت في القرآن الكريم

١. السائح، الحسن: الحضارة المغربية عبر التاريخ، ١/١٠١، دار الثقافة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٧٥م.

٢. السائح، الحسن: الحضارة المغربية عبر التاريخ، ١/١٠٥.

والسنة المطهرة وخاصة بعد مذبحة كربلاء المشؤومة التي كان لها صدى ألم النفوس وأدماها وأكسب أهل البيت عطفاً جماهيرياً بعيد المدى في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وقد قوي هذا الإتصال خاصة في أيام الإمام محمد الباقر وولده الإمام جعفر الصادق عليهما السلام حيث كان الطلاب يأتون إليهما بالآلاف كما ذكر المؤرخون فعرفوا المذهب على حقيقته، فإذا أضفنا إلى ذلك معرفتنا لطبائع البربر وتوقهم العظيم إلى الحرية وتعلقهم الشديد بالإستقلال وتعطشهم للعدل والمساواة وإياء الضيم ورفضهم للظلم والإضطهاد، وأن ثوراتهم الكثيرة المتعاقبة على الولاة لم تكن إلا تجسيدا لمبادئهم هذه؛ عرفنا عندها إقبالهم الشديد على التشيع وترحيبهم به لما ينطوي عليه هذا المذهب من ثورية ومناهضة للحاكم الجائر والخروج على السلطان المستبد الذي لا يلتزم بأحكام الشريعة في حكمه وخلع طاعته ومقاومته بكل الوسائل المتاحة وعدم السكوت على ظلمه وجوره أو التغاضي عنه مهما كانت النتائج ومقاتلته حتى إسقاطه وتغيير نظامه، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام مشيراً إلى ذلك: «إن في ولاية الوالي الجائر دروس الحق كله وإحياء الباطل كله وإظهار الظلم والجور والفساد وإبطال الكتب وقتل الأنبياء والمؤمنين وهدم المساجد وتبديل سنة الله وشرائعه فلذلك حرّم العمل معهم ومعاونتهم والكسب معهم إلا بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الدم والميتة»<sup>(١)</sup>.

في حين أن معظم المذاهب الأخرى إن لم يكن كلها تحرم الخروج على الحاكم الجائر وإن حكم باسم الدين.

لقد استهوت مبادئ التشيع نفوس البربر الفطرية الطيبة فأقبلوا عليه حتى



انتشر بينهم وذلك قبل ابن سفين والحلواني بزمن حيث يؤكد السيد عبدالرحمن الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام «٢٢٨/١» فيقول:

... وكان أول من نشر أفكار الشيعة بالجزائر (منيب بن سليمان المكناسي) نزل بأعمال بهرت ونواحي وانشر يس فنشرها هنالك بين العامة ثم جاء بعده ابن سفين والحلواني فنسراها أيضاً بين أهالي مرماجنة من بلاد مجانة وسوق جمار بنواحي قسنطينة، وهكذا استمرت الدعوة الشيعية في سيرها سرّاً حتى جاء أبو عبدالله الشيعي فأفشاها بهذه الأوطان.

- ثانياً مرحلة ما بعد العام ١٤٥هـ/٧٦٢م والتي استمرت إلى العام ٢٨٠هـ/٨٩٣م أي إلى حين ظهور أبي عبدالله الشيعي في أرض كتامة حيث أفشاها بين القبائل هناك كما يقول المؤرخون.

وقد امتازت هذه المرحلة عن سابقتها بكونها كانت مرحلة العمل المنظم والتوجيه المبرمج المدروس الذي خطط له تخطيطاً دقيقاً متكاملأً وأعد له إعداداً غاية في الدقة المتناهية وبوشهر بتنفيذه بصورة واعية روعيت فيها أحكام السرية المطلقة ومبادئ التكتّم الشديد.

### كيف عمل الحلواني وابن سفين على نشر التشيع؟ ...

وقد عمل على نشر التشيع في هذه المرحلة كما يتنا رجلان هما:

- الحلواني واسمه عبدالله بن علي بن أحمد.

- ابن سفين وإسمه الحسين بن القاسم.

وإن كان قد أحاط بشخصية هذين الرجلين كثير من الابهام والغموض ونسج حولهما كثير من القصص والأساطير فذلك لأن طبيعة العمل الذي قاما به

كانت تقتضي أن تغلف بالسرية المطلقة وأن يضرب عليها ستار كثيف من الحيطة والحذر والتكتم الشديد.

ومادام هذان الرجلان قد أوفدا من طرف الإمام جعفر الصادق عليه السلام كما تشير إلى ذلك معظم المصادر التاريخية كما بينا للعمل على نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام فلا بدّ لهما إذن من أن يكونا على جانب عظيم من الفضل والتقى وعلى معرفة كبيرة بالعلوم الأصولية والفرعية لهذا المذهب والتضلع منها وعلى شهرة بالدين والورع واتصاف بالعدالة وتمسك بالشرع وبعده عن حب الدنيا والتمتع بلذائذها تماماً، هذا إلى جانب تقيدهم بأمور تتفق وسياسة الإمام وتتمشى مع النهج الذي سار عليه وأكدّه في وصاياه وتوجيهاته وإرشاداته منها:

- أولاً: العمل على نشر التشيع وفق مذهب أهل البيت وهو مذهب الإماميّة الإثناعشرية المستمدة تعاليمه من القرآن الكريم وسنة نبيّه العظيم والعمل على جعل الناس يتعبدون به شرعاً ويلتزمون بمبادئه وتعاليمه وأصوله الفقهيّة حسب المناهج التي يرسمها لهما الإمام عليه السلام نفسه ويستقيها عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أن كل ما يذهب الإمام الصادق عليه السلام إلى تصويبه والوثوق بصحته من الأحكام يصبح بجملته مذهب جعفر الصادق عليه السلام. وهذا بالطبع ينفي عن هذين الرجلين إنهماهما بالعمل على نشر تعاليم المذهب الإسماعيلي في ديار كتامة كما توهم بعض المؤرخين.

- ثانياً: مراعاة مبدأ التقية بكل دقة وأحكام لضمان نجاح العمل تجاوباً مع حرص الإمام الخالص على وجوب الإلتزام بالدعوة الصامتة والعمل بمقتضاها وهذا يستتبع بالتالي أن يتوارى كل منهما خلف إسم حركي مستعار يبعد عن صاحبه الشبهه فيصبح معه أكثر قدرة على التحرك وأكثر إبتعاداً عن يد الخلافة

وعيون وولاتها في تلك الديار الجديدة البعيدة. وقد وعى هذان الرجلان الغاية من مهمتهما وعياً كاملاً وعرفا دقائقها وخفاياها معرفةً واسعة وتوجها إلى المغرب ولاعجب أن يصبحا عند توجههما مختلفين وأن يتحوّل أحدهما إلى سفياني «ابو سفين» والآخر إلى حلواني وأن يصبح القلم بيدهما محرثاً وتصير الأفكار عندهما حبوباً للبذر تزرع في كل مناطق كتامة فتنتج خيراً وبركة وعطاءً وغذاءً روحياً طيباً.

وقاما بعملهما خير قيام فحرثا الأرض جيداً ومهدّاهما بعناية فائقة وأعدا النفوس، وقد نجحا نجاحاً عظيماً في عملهما بحيث استطاعا وفي خلال فترة وجيزة أن ينشرا التشيع ويظهرا الدعوة لآل البيت عليهم السّلام وسرعان ما بدأت رقعة الدعوة تتسع شيئاً فشيئاً حتى تمكنا من أن يجمعا كتامة كلها تقريباً تحت لواء التشيع.

وكانت كتامة<sup>(١)</sup> آنذاك تشغل الأراضي التي كانت تتركز من جهة سطيف<sup>(٢)</sup> وقسنطينة وجهة القل وسكيكدة وعنّابة والقالة ثم تمتد إلى الكاف ووادي الرمل وتاله وسببية<sup>(٣)</sup> ومنها إلى مرماجنة وحيدرة ومسكيانا وبا غاية وطبنة لتعود عبر جبال بلزمة إلى ميلّة وسطيف والناطور وبجاية وغيرها. وتكثر في هذه المنطقة الجبال الوعرة والوهاد والفجاج الشديدة الانحدار الصالحة للعمل الهاديء البعيد عن العيون والأرصاد...

ونحن بالرغم من افتقارنا إلى المزيد من أخبار هذين الرجلين إلا أن الأثر

١. كتامة: إسم يطلق على الأرض والسكان وهي قبيلة بربرية شديدة البأس قوية الجانب.

٢. سطيف: إحدى مدن الجزائر وتقع بولاية قسنطينة.

٣. سببية: مدينة بتونس على طريق الكاف - سبيطلة.

الكبير الواضح الذي تركاه في الكتاميين عموماً من تعريفهم بمذهب آل البيت ونشره بينهم وجعلهم يقبلون عليه بهذا الشكل الجماعي الكثيف ويتمسكون به وينضون تحت لوائه ليعطينا دليلاً نستطيع أن ندرك معه بكثير من الوضوح أن هذين الرجلين كانا من طرازٍ فريدٍ حقاً. طراز فذٍّ يمتزج فيه الإيمان بالبطولة وتتحد فيه العزيمة بالصبر والإرادة الصلبة بالعمل المتواصل الدؤوب مضافاً إلى كل ذلك ذكاء خارق حاد وعلم واسع غزير وفضل في النفس لا يُحد وجرأة في القلب لا توصف وقوة في الشخصية مميزة أهلتها للنهوض بأعباء هذه المسؤولية العظيمة. (١)

## الإمام الصادق (عليه السلام) من أئمة المسلمين

نشرت مجلة «دعوة الحق» المغربية في العدد الثامن للسنة الخامسة عشرة مقالاً للأستاذ متفكر أحمد، عن الإمام الصادق عليه السلام، ودوره الكبير في بناء الفكر الإسلامي آثرنا نشره في هذا الباب نظراً لأهمية الموضوع.

لقد بدأت سير الرجال.. كبار الرجال العرب والمسلمين تنطلق عبر السوق وتنتصب شواهد على هذه الحقيقة. ومع ذلك ففي المكتبة العربية الإسلامية مئات من الرجال لم يرفع عنهم غبار النسيان وفي عبقرياتهم كل لون وكل اختصاص بينهم الأدباء والفقهاء والمؤرخ والمهندس والفيلسوف والفلكي والأصولي وغيرهم ممن اشتركوا في رفع بناء الحضارة الإسلامية هؤلاء كلهم ينتظرون أن يأتي دورهم ليخرجوا إلى الوعي العربي بالثوب القشيب والأسلوب الغريب والعناية البالغة والاخلاص الذي يجب أن يتوفر لكل محقق وباحث.

لذا انتهزها فرصة سعيدة لأتحدث للقارئ الكريم عما تكاد نفسي أن تنفجر عنه ولم أجد طريقاً أقرب إلى المواطن العربي من طريق الكتابة.

اكتب هذه السطور التي تشير إلى رجل اجتمعت فيه فضائل الإنسان ذي الرسالة الحضارية، إنسان ظهر فيه التوق إلى الحقيقة.. فقد كان فرعاً من شجرة هي

اكرم ما عرف النسب العربي.. ورت بها الارادة الفعالة التي لا تعترف بالهزيمة والفشل كما ورت عمق الادراك والحساسية الشديدة واخلاصه انه ورت الحافز العجيب الذي لم يجد له الدارسون بعد تفسيراً في حدود ما عرفوه من الحقائق الانسانية وجوانب النفس الخفية.. (انه الشخص الذي تظهر به عبقرية الأمة وتتجلى به طبيعتها الكامنة علماً أو نضالاً في سبيل الخير أو قيادة عسكرية أو نبلا في الخلق والضمير وقد هيات له ظروف حياته ان يكون من هذا كله موضعاً للعبريتين العلمية والخلقية).

#### عصره ومشاكله:

يمتد عصر الامام الصادق من آخر خلافة عبدالملك بن مروان الى وسط خلافة المنصور أي من سنة ٨٣هـ إلى سنة ١٤٨ فقد ادرك طرفاً كبيراً من العصر الاموي وعاصر كثيراً من ملوكهم وشاهد من حكمهم اعنف اشكاله وقضى حياته الاولى حتى الحادية عشرة من عمره مع جده زين العابدين وحتى الثانية والثلاثين مع ابيه الباقر. ونشأ في ظلهما يتغذى تعاليمه وتنمو مواهبه وتربى تربيته وتخرج من تلك المدرسة الجامعة فاختص بعد وفاة والده بالزعامة سنة ١١٤ واتسمت بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الاقطار الاسلامية.

كان العصر الذي اختص به الامام الصادق عصر فتن واضطراب في جميع البلاد الاسلامية وحروب طاحنة ونزاع بين رجال الدولة وتجاوبت البلاد بلغة الانكار على الامويين وكانت ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه هي بداية

الانطلاق لنشر الوعي الاسلامي ضد الامويين.

عاش الصادق في وسط ذلك الجو المضطرب بالفوضى والعبث والفساد وهو يحس بآلام الناس اكثر من غيره فماذا يصنع وقد طوقه الامويون برقابة شديدة وضربوا حوله دائرة ضيقة ليحصروا نفوذه فيها؟ ورغم ذلك كله راح يؤدي رسالته ليعالج اصلاح الوضع من طريق الهداية والارشاد ونشر تعاليم الاسلام. كانت مدرسة الامام الصادق ثابتة المبدأ متصلة الكفاح ووجد الناس فيها ثروة عملية وكانوا يحيون فيها حياة فكرية تهذب النفوس وتسمو بالعقول وترتقي بهم إلى اوج المعرفة والكمال. وكان غرضه المباشر هو توجيه الناس الى درجة في التفكير وافهام الناس (الامة) نظم الاسلام على الوجه الصحيح وتطبيقه بين افراد الامة عن طريق العلم وحرية التفكير ليعالج مشاكل المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة. ويدعوا الناس من طريق الهداية والارشاد الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف.

وفي عصر الامام ازدهرت المدينة المنورة وزخرت بطلاب العلم ووفود الاقطار الاسلامية وانتظمت فيها حلقات الدرس وكان بيته كجامعة اسلامية يزدهم فيه رجال العلم وحملة الحديث. من مختلف الطبقات ينتهلون موارد عمله ويقتبسون من ضياء معرفته.. وقد اغتنموا تلك الفرصة فازدحموا عليه يسألونه ايضاح ما اشكل عليهم (فحمل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في جميع البلدان).

وازدحم على بابة العلماء واقتبس من مشكاة انواره الاصفياء وكان متجها إلى العمل بما يرضى الله لا يفترعن ذكره ولا ينفك عن طاعته.

يحدث مالك بن انس وهو تلميذ الامام الصادق تردد اليه زمنا طويلا قبل ان تفصل بينهما عوامل الدولة وتحول وجهة نظر مالك عن الامام الصادق عندما رفعت من مقامه واعلت من شأنه ووجهت الانظار اليه طوعا او كرها رغبة أو رهبة يقول: «لقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير التبسم فاذا ذكر عنده رسول الله (ص) اصفر لونه و ما رأيته يحدث عن رسول الله الا على طهاره ولقد اختلفت زمانا فما كنت اراه الا على ثلاثة خصال اما مصليا أو صامتا واما يقرأ القرآن»<sup>(١)</sup>. وفي رواية الحافظ النيسابوري: «وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد فاذا قال: قال رسول الله (ص) اخضر لونه مرة واصفر اخرى حتى ينكره من يعرفه ولقد حججت معه فلما استوت به راحلته عند الاحرام انقطع الصوت في حلقه وكاد يخر من راحلته»<sup>(٢)</sup>.

### من تعاليمه:

كانت الحلقات التي تعقد في مدرسة الامام الصادق هي الصعيد الذي تنطلق عليه تعاليم الامام وارشاداته فكان يزرع الفضيلة في النفوس ويغرس الخير فيها. وكان حديثه يشمل كل امور الحياة وجوانبها فهو يهدف إلى تصفية الغرائز ويرسم طريق الصلاح والهداية ويرسم للناس سبيل الخير. وجعل هدفه الاسمي في توجيه الناس إلى الورع عن محارم الله والخوف منه والامتنال لاوامره والشعور بالمسؤولية امام الله تعالى وجعل يوم الحساب ماثلا امام اعينهم مع

١ . كتاب التسول والوسيلة لابن تيمية.

٢ . الروضة للحافظ.



حنهم على التكسب وطلب الرزق ليرفع من مستوى اخلاقهم والمحافظة على القيم الروحية.

كان رضي الله عنه يدعو إلى الاحتفاظ بالاخوة الاسلامية ويدعو إلى الالفة والتقارب وينهى عن التباعد والتباغض ويحاول تاليف القلوب بمختلف الطرق لان الحب أقوى عامل لسعادة بني الانسان. وبالحب ينتظم العالم وهو القانون الطبيعي لحياة الحياة كما ان الكراهة تبعث الشقاء وتشير الشحناء لان عين الكراهة لا تبصر المحاسن بل تتطلب إلى العيوب وان لم تجد فتقلب الحسن قبيحا فلذلك نهى الشارع المقدس عن الامور التي تشير العناء بين المسلمين وتذهب الى ابعد حدود القلق فكان من اسس نظام الدين الاسلامي هي الاخوة فلذا آخى رسول الله (ص) بين اصحابه وامر المسلمين بالمواخاة .

وعلى كل كانت حياة الصادق كلها اشعاع لا ينقطع يصوغ به الظمأ ويشيع به حب المعرفة ويشارك به في الاستنتاج المنطقي السليم والتأمل الفكري كما كانت حياته اشعاع لا ينقطع يصوغ به الحب، سخاء في اليد، وسعة في الصدر، ونبلا في النفس، وتقاء في الضمير.

لقد كانت متفوقاً في خلقه متفوقاً في حسن معاملته للناس متفوقاً في تصوير المثل الاعلى لمن كان يطلب العلم في مجالسه أو يذهب مذهبه من اتباعه أو يعجب به من هو على مذهب غيره من العلماء والفقهاء كما كان متفوقاً في سعة ادراكه وغوصه على الحقائق العلمية والفلسفية في عصره متفوقاً في مشاركته التامة العميقة في كل المعارف التي شاعت في عصره الذهبي.

لم يكن الامام متخصصاً في فرع من العلوم او ناهجاً منهجاً فلسفياً خاصاً

راغبا عن غيره او جاهلا له فلم يكن التخصص يومذاك من مذاهب كبار العلماء وجها بذتهم. (لقد كان الامام الصادق مكتبة متنقلة تنطوي في احشائها على كنوز الانسانية في كل ما ورثته من علوم الاولين وما اكتسبته بعد ذلك بتجاربها الخاصة).

ان الامام الصادق ابو عبدالله هو نموذج لانسانية المعرفة في العصر الاسلامي الذهبي بل بداية رائعة له هيات له اسباب هذه الامامة انه بالاضافة الى ذكائه الوقاد وجهوده البالغة في البحث والتأمل والدراسة كان من أولئك الملهمين الذين لا وجود التاريخ الانساني بهم الا في فترات متباعدة. (١)

متفكر احمد - مراکش

---

١ . احمد، متفكر: الأمام الصادق من ائمة المسلمين، ص ١٢٣، ص ١٢٦، مجلة الهادي، العدد الاول، السنة الثالثة، قم، ايران.

## تاريخ الدعوة الشيعية

### في المغرب العربي

أخبار فغ وخبر يحيى بن عبدالله وأخيه إدريس بن عبدالله:

كان بدوُ خروج الحسين بن علي هو أن الهادي موسى بن المهدي بن المنصور ولى إسحاق بن عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس المدينة، فكتب إسحاق إلى العمري المعروف بحبتي ماء، واسمُه عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب، يأمره أن يصلّي بالناس وأن يضبط العمل إلى قدومه.

أساء العمري إلى الطالبين، وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله بن الحسن، الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن، ووافى أوائل الحاج، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً، فنزلوا دار ابن افلح بالقيع وأقاموا بها ولقوا حسيناً وغيره، فبلغ ذلك العمري فأنكره وسلك مسلكاً آخر وهو الرقابة الشديدة على الحسينيين وقد ولى أمرها إلى رجل يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الأنصار. وهذا يقوم بدوره في عرضهم كل يوم ويراقب المتغيبين منهم. فعرضهم يوم جمعة فلم يأذن لهم بالانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد. فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر. ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم يحضر. فقال ليحيى والحسين بن علي: لتأتياني به أو لا حبسناكما فان له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ولقد خرج أو تغيب. فراده بعض المرادة. وخرج، فمضى ابن الحائك هذا ودخل على العمري فأخبره

فدعا بهما وتهدهما فتضاحك الحسين في وجهه وقال: أنت مغضب يا أبا حفص؟

فقال له العمريّ: أتتهزأ بي وتخاطبني بكنتيتي؟

فقال له: قد كان أبو بكر وعمر وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية. فقال له: آخر قولك شر من أوله. فقال: معاذ الله يا أبا الله لي ذلك ومن أنا منه. فقال له: أفانما ادخلتك إلى

لتفاخرني وتؤذيني؟

فغضب يحيى بن عبدالله فقال له: فما تريد منا؟

فقال: أريد أن تأتياني بالحسن بن محمد، فقال: لا تقدر عليه، هو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا، ثم اعرضهم رجلا رجلا، فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد انصفتنا، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية مماليكه أن لا يخلي عنه أو يجيئه به في باقي يومه وليلته، وأنه إن لم يجيء به ليركبني إلى (سويقة) فيخربها ويحرقها وليضربن الحسين الف سوط وحلف بهذه اليمين إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته.

فانصرف الحسين بن علي فركب حتى أتى (سويقة)، فبعث إلى الحسن بن محمد فجاءه واجتمع إليه، آل عبدالله بن الحسن: يحيى وإدريس وسليمان ومن حضر منهم، فقال الحسين للحسن: قد بلغك يا ابن عمّ ما كان بيني وبين هذا الفاسق، قال: فامض، جعلتُ فداك، لما أجبيت، إن أحببت جئتُ معك حتى أضع يدي في يده الساعة. فقال له الحسين: ما كان الله ليطلع على أن يكون محمد صلي الله عليه، حجيجي في دمك. ولكني أفيك بنفسي ثم نشاور القوم.

فقال الحسين بن علي ليحيى: هلّم نُبأبعك، قال له يحيى أنت أحق بالبيعة

مَيِّ لَأَنَّكَ الْمُتَّخِذُ بِهِ دُونِي، وَأَنَا لَكَ عَوْنٌ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ مِنْ أَمُورِنَا مَا هُوَ قَاضٍ. فبَايَعَهُ يَحْيَى وَإِدْرِيسَ وَسَلِيمَانَ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ الْأَفْطَسِ، وَكَانَ أَسَدَ بَنِي هَاشِمٍ وَأَشْجَعَ أَهْلِ زَمَانِهِ؛ وَبَعَثُوا إِلَى فِتْيَانِهِمْ فَأَتَوْهُ فَبَايَعَهُ جَمِيعُهُمْ، مِنْهُمْ: إِبْرَاهِيمَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، وَالْحَسِينَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، وَالْحَسَنَ وَطَاهِرَ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، وَحَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَاجْتَمَعَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ خَمْسَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، وَمِنْ مَوَالِيهِمْ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا فَصَارُوا أَحَدًا وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا. ثُمَّ جَاءَهُمْ بَعْدُ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ مِنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَمَأْتَرَةٌ نَحْوَ مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا فَصَارُوا تِسْعِينَ رَجُلًا، فَلَمْ تَمْنَعُهُمْ قَلَّتُهُمْ مِنَ النَّهْوِضِ بِمَا وَجَبَ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْبَيْعَةِ، وَالْمَدَافِعَةِ عَنِ الَّذِي وَجِبَتْ الْمَدَافِعَةُ عَنْهُ.

وجاء الحسين بن علي يستشير الإمام موسى بن جعفر (ع) فكان جواب الامام موسى بن جعفر عليه السلام له ينبض بروح التذمر والسأم من أوضاع اولئك الحكام الجائرين واليك قوله له: «يا ابن عمِّ إنَّك مقتول فأجدَّ الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويسترون شركاً وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصابة»<sup>(١)</sup>.

١. الكليني، محمد بن يعقوب: الأصول من الكافي، المجلد الأول، ص ٣٦٦، دار صعب ودار التعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ.

أرسل الحسين بن علي إلى أهل بيته الذين يشتركون معه في الفكرة فانطلقوا بعدما أذن المؤذن بالصبح حتى دخلوا المسجد ثم نادوا «أَحَدٌ أَحَدٌ» وذلك كان شعارهم. ومضى الحسين بن علي بمن معه حتى جاوز دار الإمارة، وصعد عبدالله بن الأفضس إلى المنارة التي عند رأس النبي (ص)، عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذّنْ وَقُلْ فِي أذَانِكَ «حَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» فلما نظر إلى السيف في يده أذّن بها وسمعه العمري فأحس بالشر ودهش وصاح: أغلقوا البغلة، وهو يريد الباب واطعموني حَبَّتِي ماء، فولده يعرفون بالمدينة بني حبتي ماء. ثم انه (أي العمري) اقتحم إلى دار عمر بن الخطاب وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر. ثم مضى هارباً على وجهه يسعى.

وقام الحسين فضلى بالناس الصبح ودعا بالشهود العدول الذين كان العمري أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه ودعى بالحسن وقال للشهود: هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمري وإلا والله خرجت من يميني ومما عليّ. وبعد ذلك تقدم إلى المنبر وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس: أنا ابن رسول الله (ص) على منبر رسول الله (ص) وفي حرم رسول الله، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - استنقاداً مما تعملون، أيها الناس: أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود، وتتمسحون بذلك، وتضيعون بضعة منه.» فقام الناس فبايعوه، وكانت صورة بيعته بهذا الشكل: على كتاب الله وسنة رسول الله (ص) وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فان نحن وفينا لكم وفيتم

لنا وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم»<sup>(١)</sup>.

وبينما هم في المسجد وإذا بالبريدي وقيل البربري قد جاء بخيله ورجاله - وكان قد أرسله الخليفة بمن معه إلى المدينة ليكون رداءً للوالي عند الطواريء - وقد كان معه في ذلك الوقت مائتين من الجند ولحق به العمري ومعه ناس كثير، فلما وصل البريدي إلى باب المسجد وهو الباب الذي يقال له باب جبرئيل، اختلط الفريقان فهزم أصحاب الحسين أصحاب العمري واستمروا خلفهم حتى جاؤا إلى بيت المال فوجد فيه ثلاثة ألف ألف فقسماها الحسين على الفقراء والمساكين.

بايع الحسين نحو من ثلاثين ألف رجلٍ من أهل البصائر والثبات والمشهورين بجميل الديانات وغيرهم، فتوجه الحسين بمن معه من أهل بيته وأصحابه عند وقت الحج إلى مكة، واستخلف على المدينة درباس الخزاعي. ووجه الهادي بجيوشه تترى جيشاً في إثر جيش.

وكان المتوكل لتدبير الحرب يقطين بن موسى. فعجل محمداً وجعفرًا إني سليمان، مع من حضر من آل سليمان بن علي، ومفضل الوصيف وصاعد في الميمنة؛ وجعل موسى بن عيسى وحسن الحاجب ومنازة في الميسرة؛ والعباس بن محمد في القلب. وذلك يوم التروية، وهو يوم الثامن من ذي الحجة، والتقوا واقتتلوا بفتح يومهم ذلك.

يقول إسحاق بن إبراهيم: سمعتُ الحسينَ ليلة الجمعة حين لقينا أصحابَ يقطين، فابتدأ الحسين في كلامه هذا حين لقيناهم، وهو على حمار والناس

١ . الساعدي، محمد: الحسينيون في التاريخ، الجزء الأول، ص ١٦٣، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ .

مُنْتَوْنَ لَهُ، فَقَالَ: (يا أهل القرآن، والله إنَّ خَصْلَتَيْنِ أَذْنَاهُمَا الْجَنَّةُ لِشَرِيفَتَانِ، وَإِنْ يُبْفِكُمْ اللهُ وَيُظْفِرْكُمْ لَيَعْمَلَنَّ بَكْتَابِ اللهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ، وَلِتَشْبَعَنَّ الْأَرْمَلَةُ وَالْيَتِيمَ، وَلِيَعَزَّزَنَّ مِنْ أَعَزَّهُ اللهُ وَأَوْلِيَاؤَهُ، وَلِيَذْلَنَ مَنْ أَدَّلَهُ الْحَقُّ وَلِيَحْكُمَ مِنْ أَعْدَائِهِ. وَإِنْ تَكُنِ الْخَصْلَةُ الْأُخْرَى، فَأَنْتُمْ تَبَعٌ لِسَلْفِكُمُ الصَّالِحِ تَقْدُمُونَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ دَاعُونَ إِلَيْهِمْ، رَسُولِ اللهِ وَحَمِزَةَ وَعَلِيٍّ وَجَعْفَرَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَزَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ وَيَحْيَى بْنَ زَيْدٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ وَمُحَمَّدَ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللهِ؛ فَمَنْ أَيُّ الْخَصْلَتَيْنِ تَجْزَعُونَ! فَوَاللهِ إِنْ لَوْ لَمْ أَجِدْ غَيْرِي لِحَاكَمْتُهُمْ إِلَى اللهِ حَتَّى أَلْحَقَ بِسَلْفِي.)

عن سعيد بن خنيم الهلالي قال: «كنت مع الحسين بن علي، رحمه الله، فاجتمعنا إليه قبل اللقاء فقام فينا خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا إخواني وإخواني وشيعة أبي ومجبي جدِّي رسولِ الله، صلى الله عليه، قد تبين لكم ظلم هؤلاء القوم وفسفهم وفجورهم وعداوتهم لله ولرسوله، وسيرتهم في أمة محمد وارتكابهم المحارم وتعطيلهم الحدود، وشربهم الخمر وارتكابهم الشرور وهتكهم السُّتور، واستئثارهم بالفيء، وامرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف؛ دعاهم الشيطان فأجابوه واستصرخهم فاتبعوه، يسيرون فيكم بسيرة القياصرة والأكاسرة، يقتلون خياركم ويستذلون فقهاءكم، يقضون بالهوى ويحكمون بالرُّشا، ويولون السُّفهاء ويظاهرون أهل الرِّيب والرِّدى، يُقلدون إمرة المسلمين اليهود والنصارى، جبايرة عتاة، يلبسون الحرير، وينكحون الذكور، فكيف لا يغضب أولو النهى، أم كيف يسوغ الطعام لأهل البرِّ والتقوى، قد درس الكتاب فأول على غير تأويله، وغُتِّي به على المعازف فحرِّفَ عن تنزيله، فلم يبقَ من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، فلو أن مؤمناً تقطعت نفسه قطعاً ما كان ذلك لله رضا بل كان بذلك جديراً عندي. فروحوا بنا إلى الله، واصطبروا لله، فوالله



إنّ الراحة منهم ومن المقام معهم في دارهم لراحة، والجهاد عليكم فريضةً فقاتلوهم فإنّ الله تعالى قد فرض قتالهم، واصبروا أنفسكم ف(إنّ الله يُحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنّهم بنيانٌ مرصوص) وكونوا ممّن أحبّ الله والدار الآخرة، وباين اعداءه وآثر لقاءه، عصمنا الله وإياكم).<sup>(١)</sup>

فبرز الحسين بن علي للقتال، ووجّه إليه موسى بن عيسى وإلى جميع أصحابه يعرض عليهم الأمان، فقال الحسين: وأيُّ أمانٍ لكم يا فجرة؟ المغرور من غررتموه بأمانكم، وكيف لا وأنتم تغرّونّه عن دينه بحيلة يسيرة تُطمعونه فيها، فإذا ركن إليها قتلتموه؛ أليس من وصيّة آبائكم، رَعَمْتُمْ، قَتَلُ كُلِّ مُتَّهَمٍ وَمَنْ سَأَلَ الْإِمَانَ عِنْدَ الظُّفْرِ به؟ فخرج إليه جميع من حضر من بني العباس ومواليهم والجند ونقضوا إخراجهم ولبسوا الأقبية، وشدّوا عليه عندما أسوا من خديعته بأمانهم، وحملوا عليه وعلى أصحابه حملةً شديدةً فثبتوا لهم وقُتِل منهم جماعة.

وقاتل الحسينُ وأصحابه قتالاً شديداً حتى كَثُرَ فيهم القتل في الفريقين جمعياً، ثم حملت العساكرُ بأجمعها فصبّروا لهم حتى أسيّدوا بأجمعهم وقُتِل الحسين، رحمه الله، وسط المعركة وصرع أهله حوله بعد مُنازلةٍ ومُدافعةٍ وصبرٍ عظيم.

وأصاب يحيى بن عبد الله سبعون نَشابةً بين درعه وقميصه حتى صار كالقنفذ. وجرح أخوه إدريس بن عبد الله حتى صُيغَ قميصه، وجرح الحسن بن محمد بن عبد الله وقُتِلَ عَيْثُهُ بُشابةً، وكان ممّن ارتتَّ يحيى وإدريس إينا عبد الله، وإبراهيم بن إسماعيل جدّ الإمام القاسم يُعرف بطباطبا، وعبد الله بن الحسن

١. الرازي، أحمد بن سهل (القرن الرابع): أخبار فتح، ص ١٥٠، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

الأفطس، جرحى ما فيهم حراك، فاستدركهم رجلٌ من خُزاعة من أهل اليسار، كان سيّد قومه، ويقال: لم يتحرّكوا، وتعارفوا بالليل، فجزعوا في الجبل حتى صاروا إلى هذا الخُزاعيّ، فأواهم عنده زماناً حتى صلحوا من جراحاتهم وبرئوا من كَلِمِهِمْ وسكن عنهم ألمُ ذلك، وكفّ الطلبُ وعميت أخبارُهم على من وُكِّل بإتباعهم. ثم أجمع رأيهم على الخروج إلى الحبشة إلى أن يجعل الله لهم من أمرهم مخرجاً. فركبوا البحر جائزين إلى بلاد الحبشة في مركب للخزاعي، ووجه معهم غلماناه حتى عبروا بهم من معتك إلى عيذاب.

فلما صار يحيى وأصحابه إلى ملك الحبشة، أعظمهم وأكبر أمرهم وأجزل جوائزهم، فأقاموا عنده خير إقامةٍ في أكرم منزلة.

ولما بلغ العمريّ والي المدينة وهو مختبئ فيها خبر قتل الحسين بن علي عمد على دارالحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين فهدمها وحرق النخيل وقبض أموالهم وجعلها في المقبوضة.

ولعظم أثر هذه المأساة عند الأئمة، قال الامام موسى بن جعفر عليه السلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون. مضى والله مسلماً صالحاً صوّماً قوّماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. ما كان في أهل بيته مثله». وقال الإمام الجواد عليه السلام عنها: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فح»<sup>(١)</sup>.

وانتهت تلك الفاجعة المؤلمة ببقاء جسد الحسين بن علي شهيد فح ثلاثة أيام على وجه الأرض لم يدفن ثم جيء إليه بعد ذلك ودفن بفح ولم تمض على قبره إلا مدة قصيرة حتى شيد ومرت عليه يد التعمير حتى اتصلت النوبة إلى الشريف قتادة بن ادريس فعمره وبنى عليه قبة وكذلك على الحسن بن محمد وذلك

١. الساعدي، محمد: الحسينيون في التاريخ، الجزء الأول، ص ١٦٦.

في سنة ٦٠١هـ، وكان استشهاد الحسين سنة ١٦٩ هجرية وقد رثي بشيء من الشعر فمن ذلك قول عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (ع) الذي يلقب بالمبارك:

فلاً بكين على الحسين	بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي	أثووه ليس بذئ كفن
تركوا بفخ غدوة	في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً فانقضوا	لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم	غسل الثياب من الدرن
هدى العباد بجدهم	فلهم على الناس المنن

وقال داود السلمي يرثيه أيضاً:

يا عين ابكى بدمع منك منهنن	فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
صرعى بفخ تجر الريح فوقهم	أذيالها وغواذى الدليج المزن
حتى عفت أعظم لو كان شاهداها	محمد ذب عنها ثم لم تهن
ماذا يقولون والماضون قبلهم	على العداوة والبغضاء والاحن
ماذا يقولون إن قال النبي لهم:	ماذا صنعتم بنا في سالف الزمن
لا الناس في مضر حاموا ولا غضبوا	ولا ربيعة والأحياء من يمن
يا ويحهم كيف لم يرعوا لهم حرماً	وقدرعى الفيل حق البيت ذي الركن

ثم خرج يحيى وإدريس من الحبشة، فقدا فرع المسور ليلاً، فأقاما به زمناً يتشاوران إلى أين يخرجان وأي بلدٍ يحملهم ويخفيهم وشملمهم من الخوف...

## مؤسس دولة الإدارة بالمغرب العربي

ادريس بن عبدالله (أدريس الأول)

١٧٢ - ٣٧٥هـ / ٧٨٨ - ٩٨٥م

فلما اتَّفَق رأيُ يحيى - وهو مقيم بفرع المِسْوَر - على أن يبعث دعائه في الآفاق وجّه أخاه إدريس مع رجلين نحو المغرب، يقال لأحدهما إسحاق بن راشد.

وكتب يحيى بن عبدالله إلى واضح مولى صالح بن منصور، وكان على بريد مصر وكان يتشيع ويميل إلى الطالبين ميلاً شديداً، فكتب إليه أن يتلطف بحمل إدريس إلى المغرب.

لما قدم إدريس إلى مصر يريد المغرب بلغ هارون الرشيد خبره، فجمع القواد وشاورهم، قال: حدث من أمر إدريس كذا وكذا فأشيروا عليّ في أمره؟ فقالوا: نرى أن تبعث في طلبه العساكر، فقال: ليس هذا برأي، ولكن اطلبوا لي رجلاً ثقةً ناصحاً لهذه الدولة أوليّه بريد مصر؛ فأشاروا عليه بشماخ اليمامي. فقدم شماخ مصر وعلى بريدها واضح.

أما إدريس فقد خرج من تلك الديار ومعه إسحاق بن راشد. وكان لهذا المولى (إسحاق) من الفطنة وجودة الرأي ما ساعد إدريس على التخلص من تلك الرقابة. وقد استعمل (راشد) في سبيل تعمية خبر مولاه مختلف الأساليب حتى بلغ به الحال أنه إذا مر في بعض الجهات التي يحس فيها بالخطر يطلب من إدريس

بأن يقوم معه بما يقوم به الغلام لمولاه فيأمره وينهاه تمويهاً على الآخرين ليجتازا إلى غايتهما بسلام.

ووصلا إلى مصر وموسى بن عيسى عليها. فجاء رجل إلى موسى بن عيسى، وقال: أنا أدلك على إدريس، فقال للساعي: هل عملت شريطتنا في إدريس؟ قال: ما هي أصلح الله الأمير؟ قال: إن دلتنا عليه وصدقنا عنه أمرنا لك بألف دينار، وإن طلبناه فلم نجده ضربناك في الموضوع الذي زعمت أنه فيه، كذا وكذا سوطاً، قال: قد رضيت؛ قال: ابعثوا إلى الشماخ، وجعل يبعث إلى القواد قائداً قائداً حتى شاع الخبر؛ فقال الذي كان إدريس نازلاً في داره رافعاً صوته (إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنني لك من الناصحين) فلما وقع القول في مسامع إدريس علم أنه قد رُهِقَ فطرح ثيابه واتخذ شملة وخرج في هيئة رثه تشبه هيئة السُّؤال، فجاز بالقوم فعرفه واضح فصار به إلى منزله وحمله من ساعته على البريد إلى أرض المغرب.

أمّا الرجل الساعي فجاء بهم إلى الدار التي كان يسكنها إدريس؛ فوجد آثاره ولم يوجد إدريس، فضرب الساعي على بابها وفاتهم إدريس وصاحباها. فوقعوا بأرض افريقية، وكان الغالب على أهلها الخوارج والمعتزلة. وكان أحد الرجلين اللذين مع إدريس من أهل البصرة، من شيعة أخيه إبراهيم بن عبدالله، معتزلياً بليغاً خطيباً. فكاتبهم إدريس، وكلمهم البصري وكان حسن البيان، فسارع الناس إلى إدريس واتبعوه، واتصل خبره بروح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، فوجه في طلبهم الخيل فأحاطت بالموضع الذي هو فيه، فركب إدريس وسبق إلى جبال نفوسة وهي قبيلة من قبائل البربر خوارج، فمنعوه من أن يصل إليه أصحاب رُوح ووقعت بينهم حربٌ شديدة قُتِلَ فيها عالم من الناس.

فكتب الموجة في طلبه إلى رُوح يعلمه ذلك فكتب رُوح إلى عبدالوهاب بن رُستم أن هذا إدريس بن عبدالله، وأنت عارفٌ بعداوته لك ولمن مضى من سلفك ولو ظفر بك لتقرّب بدمك إلى الله، ونحو ذلك. فلما ورد كتابه على عبدالوهاب كتب إلى أهل نفوسة يأمرهم أن يشدّوه وثاقاً ويحملوه إليه فإنّه لا تؤمن الفتنة به. وكان إدريس قد دعا أهل نفوسة إلى حقه وبين لهم خطأ ما هم عليه من البراءة من علي بن أبي طالب، فاستجاب له منهم خلق وأبى ذلك أكثرهم، فلما ورد عليهم كتاب عبدالوهاب اختلفوا، فقال المجيبون لإدريس: كيف نحمل ابن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، إلى شيطان مارد وقد استجار بنا، لاها الله ما إلى خذلانه سبيل، قال: فلما رأى أهل الرأي منهم الاختلاف خافوا أن يتفانوا فمشى بعضهم إلى بعض في أمره فاتفقوا على أن يحملوه إلى حيث يأمن، ورضي إدريس منهم بذلك.

وكان إدريس قد كاتب قبائل البربر أهل شلف وتاهرت وزناتة وزواغة وصنما وصنهاجة ولواته فاستجابوا له ووعدوه النصر والقيام حتى يبلغ ما يريد أو يموتوا عن آخرهم.

وهذه رسالته إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عند عنه، ولا إله إلا الله المتفرّد بالوحدانية، الدالُّ على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته ولطيف تدبيره، الذي لا يُدركُ إلا بأعلامه وبيّناته، سبحانه مُنزهًا عن ظلم العباد وعن السوء والفحشاء (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). وصلى الله على محمّد عبده ورسوله وخيرته من جميع خلقه، انتخبه واصطفاه، واختاره وارفضاه، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين. أما بعد، فإنّي أدعوكم إلى

كتاب الله وسُنَّة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وإلى العدل في الرعيَّة والقسم بالسَّوية، ودفع المظالم والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السُّنة وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد، فاذكروا الله في ملوك تجبروا وفي الأمانات خفروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا، ووُلد نبيِّه قتلوا، وأذكركم الله في أرامل افتقرت، ويتامى ضيَّعت، وحدود عطلَّت وفي دماء بغير حقِّ سُفكت؛ فقد نبذوا الكتاب والإسلام وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، فلم يبقَ من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، واعلموا عبادَ الله أنَّ ممَّا أوجب الله على أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليدِّ واللِّسان، فباللسان الدعاءُ إل الله بالموعظة الحسنة والنَّصيحة والتَّذكرة، والحضُّ على طاعة الله والتَّوبة عن الذُّنوب والإِنابة والإِقلاع والنُّزوع عمَّا يكرهه الله، والتَّواصي بالحقِّ والصدق والصَّبْر والرَّحمة والرِّفق، والتَّناهي عن معاصي الله كلها، والتَّعليم والتَّقويم لمن استجاب لله ولرسوله، حتى تنفذ بصائرهم، وتكمل نحلَّتهم وتجتمع كلمتهم، وتتنظَّم إفتهم؛ فذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعاً، وللظَّالمين مقاوماً، وعلى البغي والعدوان قاهراً، أظهرها دعوتهم وندبوا العباد إلى طاعة ربِّهم، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرَّم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها فإنَّ في معصية الله تلفاً لمن ركبها، وهلاكاً لمن عمل بها؛ ولا يؤيسنكم من علوِّ الحقِّ وإظهاره قلةً أنصاره، فإنَّ فيما بدىء به من وحده: النَّبيُّ، صلى اللهُ عليه، والأنبياء الدَّاعين إلى الله قبله، وتكثيره إيَّاهم بعد القلَّة، وإعزازهم بعد الدلَّة، دليلٌ بيِّن وبرهان واضح، قال الله عزَّ وجل (ولقد نصركم الله ببدر وأتم أذلة) وقال (ولينصرن الله من ينصره إنَّ الله لقويُّ عزيز) فنصر الله نبيِّه وكثَّر جنده وأظهر حزبه، وأنجز وعده، جزاءً من الله سبحانه وثواباً لفعله وصبره وإيثاره طاعة ربِّه ورأفته بعباده ورحمته وحُسن قيامه بالعدل

والقسط في بريته، ومجاهدة أعدائه وزهده فيما زهده فيه، ورغبته فيما ندبه الله إليه، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه، كما أدبه الله وأمره وأمر العباد باتباعه وسلوك سبيله، والافتداء بهدايته واقتفاء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم كما قال عز وجل (إِنَّ تَتَصَرَّوْا اللّٰهَ يَنْصَرِكُمْ وَيَثْبِتْ أَقْدَامَكُمْ) وقال (تعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقال (إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ). وكما مدحهم وأثنى عليهم إذ يقول (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقال عز وجل (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وفرض الله جلّ جلاله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان به والإقرار بمعرفته وأمر بالجهاد عليه والدعاء إليه فقال عز وجل (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق) وفرض قتال المعاندين عن الحق والباغين عليه، ممن آمن به وصدّق بكتابه حتى يعودوا إليه ويؤمنوا، كما فرض قتال من كفر به وصدّ عنه حتى يؤمن به ويعترف بدينه وشرائعه فقال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحدهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فهذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم بالتعاون على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضاً من الله واجباً وحكماً لازماً، فأين عن الله تذهبون، وأنى تؤفكون، وقد جابت الجبابرة في الآفاق شرقاً وغرباً، وأظهروا الفساد وامتلات الأَرْضُ ظلماً وجوراً، فليس للناس ملجأ ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء.

فعسى أن تكونوا معاصر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيين. فكونوا



رحمكم الله عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبيين، واعلموا معاشر البربر، أوتيتم وأنا المظلومُ الملهوفُ، الطريد الشريد الخائف الموتور الذي كثر واتروه، وقلّ ناصره، وقتل أخوته وأبوه، وجدّه وأهلوه، فأجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله، قال الله (ومن لا يُجبِ داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) أعاذنا الله وإياكم من الضلال، وهدانا وإياكم إلى سبيل الرّشاد. وأنا إدريسُ بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رسول الله صلى الله عليه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، جدّاي، وحمزةُ سيّد الشهداء وجعفر الطيّار في الجنّة عمّاي، وخديجة الصديقة وفاطمةُ ابنة أسد الشفيقة برسول الله جدّتاي، وفاطمةُ ابنة رسول الله سيّدة نساء العالمين وفاطمة ابنة الحسين سيّدة بنات ذراري التّبيين أمّاي، والحسنُ والحسين ابنا رسول الله أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبدالله المهدي والزّاكي؛ أخواي. فهذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله مالي وعليه ما عليّ، ومن أبى فحظّه خطأ، وسيرى ذلك عالمُ الغيب والشهادة أنّي لم أسفك له دمًا ولا استحللت له محرماً ولا مالاً. واستشهدك يا أكبر الشاهدين شهادةً، وأستشهد جبريلَ وميكائيل أنّي أوّل من أجاب وأناب، لبيك اللهمّ لبيك، مُزجي السحاب وهازم الأحزاب، مصير الجبال سراً بعد أن كانت صمّاً صلاباً، أسألك النصر لولد نبيّك إنك على ذلك قادر»<sup>(١)</sup>.

فخرج معه أهلُ نفوسة في ألفٍ حتى بلغوا إلى شلف مدينة يقال لها مليانه

١. الرازي، أحمد بن سهل: أخبار فتح وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله (ع)، ص ٦٠، تحقيق: عبدالرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، صعدة، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

وبعدها لحق بطنجة فنزل مدينة يقال لها (وليلة) فأجابوه وبايعوه، وكان بعضهم رآه يقاتل بفتح مع الحسين حتى خُصِبَ قميصُه بالدم، فلما رأوه عرفوه فلم يثنوا عنه وشهدوا له أنه إدريس الذي قاتل المسوِّدة هو وإخوته وبنو أبيه حتى قتلوا واجتمعوا عليه وقلدوه أمرهم فسار فيهم سيرة أهل الحق وأظهر العدل وقدم أهل الفضل ولم يستبد برأيه دونهم.

وكان رجلاً متواضعاً خاشعاً كثير الصلاة حسن التلاوة للقرآن في آناء الليل والنهار، فأنسهم ما رأوا منه وألقوا إليه مقاليد أمورهم وفرحوا به وأجمعوا عليه. (١)

١ . الرازي، أحمد بن سهل: أخبار فتح، ص ١٨١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

## إدريس بن عبدالله يَكُون أول دولة شيعية في بلاد المغرب:

بويح إدريس بن عبدالله بالإمامة ونجح في تكون أول دولة شيعية في هذا الصقع من بلاد المغرب وثبت دعائمها بسرعة هائلة مذهلة ثم خلع طاعة العباسيين وأحدث في خلافتهم هزة عنيفة زعزعت كيائها وأوجدت فيها صدعاً بليغاً بعد أن بايعه الناس على الإمارة والقيام بأمرهم والإقتداء به في صلواتهم وسائر أحكامهم وغزواتهم وجعل من تلك البقعة الممتدة من وادي ملوية بغرب الجزائر إلى وادي أم الربيع بالمغرب الأقصى مجالاً لنشر دعوته وبناء سلطانه.

حاول المذهب الشيعي في نهاية القرن الثاني الميلادي تنظيم دعايته في المغرب بالتنافس مع المذهب الخارجي، ولعل في لقب الإمام الذي منحه إدريس لنفسه دلالة على ذلك. كذلك فإن معظم المناطق التي سيطر عليها إدريس بعد فتحها اعتنقت الإسلام بسرعة وصار سكانها شيعة على نحو واضح.

لهذا يمكننا الجزم بأنه لم يكن قد مضى كبير وقت على افتتاح المسلمين لأرض المغرب حتى وطئت أقدام الشيعة تلك الأرض وأخذت تعمل على نشر أفكارها هناك وأن إدريس بن عبدالله إنما قصد المغرب إظهاراً للدعوة الطالبية هناك ورجاءً في تأسيس دولة علوية إذ آيس من ذلك بالمشرق وانقطعت ثقته بالعرب وقد رأى أن العباسيين انتصروا بالإيرانيين فبحث عن شيعة له من البربر. ولعل إدريس قد بحث في المغرب عن يجدهم متشيعين لآل البيت ومن أجل ذلك تنقل في الحواضر والبوادي حتى خبر حال صاحب (وليلي) ورأى فيه

ضالته المنشودة علماً بأن البربر كانوا يرتحلون إلى المشرق طلباً للعلم وأداءً لفريضة الحج ثم يعودون وقد حملوا معهم صوراً عن نزعات المشرق السياسية ونزعاته الدينية.

فلا بد إذن أن يكون البرابرة قد تعرفوا على المذهب الشيعي ولا بد أن يكون منهم من بلغته أحاديث إضطهاد العباسيين للعلويين فودّ لو يتقرب إلى الله بنصرة آل بيت رسوله ويحميهم من أعدائهم.

نصر البرابرة العلويين عن طواعية وحاربوا معهم بقية البربر غير المسلمين وأدخلوهم في الإسلام فتقووا بهم ثم لووا عنان قوتهم لحرب الخوارج بالمغربين الأقصى والوسط فاخرجوا منهم دولة علوية. وإلا فما معنى هذه السرعة المذهلة التي أقام بها إدريس دولته؟.. حيث استطاع في أقل من عامين أن يخضع بلاد نامسنا وتادالا لسلطانه؛ كما استطاع أن يخضع قبائل وندلاوة ومديونه وبهلولة وغياته وبلاد فازاز ثم اتجه شرقاً فاستولى على تلمسان وأخضع مغراوة وبني يفرن. ثم ما سر هذا الترحيب الحار به من صاحب مدينة (وليلي) إسحق بن عبد الحميد الأوربي الذي نزل عليه إدريس وهو أمير قومه يومذاك فبالغ في إكرامه وبرّه بعد أن عرفه بنفسه وأفضى إليه بسرّه فوافقه على مراده وأنزله معه في داره وتولى خدمته والقيام بشؤونه وما لبث أن تخلى له عن الحكم فأقام إدريس دولته وجعل من (وليلي) قاعده لها. ثم لماذا هذا الترحيب البالغ من عموم عشيرة أوربة التي كانت يومئذٍ من أعظم القبائل البربرية المسلمة بالمغرب الأقصى قوةً وأكثرها عدداً؟.. ثم تلتها قبائل زناتة ومكناسة وغمارة وكافة قبائل البربر بالمغرب الأقصى فأطاعوه وعظّموه وقدّموه على أنفسهم وأقاموا معه مغتبطين

بطاعته ومنتشرفين بخدمته طول حياته، بعد أن عرفوا نسبه وهو الحفيد الرابع لفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وزوجة الإمام علي بن أبي طالب (ع) وذلك حسبما جاء في رسالته التي وجهها إليهم بعد المبايعة له فضمنها دعوته والتزاماته وظهر فيها شيعياً واضحاً.

إن هذا الترحيب الحار به وإجماع الكلمة عليه إن دلا علي شيء فإنما يدلان على أن هؤلاء المغاربة التفوا حول هذا الزعيم العربي المسلم بعد أن رأوه يصل إليهم وحيداً لا تسانده قوة ولا يحف به جيش وبعد أن خبروا صلاحه ورأوا فيه بركة الهدى والتقى ووثقوا من نواياه، وكانت مبايعتهم له مبايعة للإسلام الصحيح الحق البريء من العصية الجاهلية والنزوات القبلية فتعلقت به القلوب وأجمعت عليه الصفوف ليكون الإمام الذي يخلصهم من ويلات الإنشقاق والعصيان المقتية، وكان انخارطهم في جيشه ليكون الجيش المغربي المسلم الذي أعاد للعقيدة صفاءها وللشريعة قدسيّ أحكامها مما أعانه على تشكيل أوّل دولة مغربية إسلامية، دولة تحررت من الزيغ العقائدي وقضت على بقايا الوثنية.<sup>(١)</sup>

إذن فقد وجد المغاربة ضالّتهم المنشودة في بني فاطمة الزهراء والذي كان العالم الإسلامي كله يتطلع إلى خلافة بني فاطمة دون أن يستطيع أحد أن يحقق شيئاً من ذلك طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظاً أعلى من بين مختلف أقاليم المملكة الإسلامية الكبرى المترامية الأطراف فعلاصيت المغرب في العالم الإسلامي لأنه عثر على رجل من آل البيت النبوي الشريف، فما كان من هارون

١. زيبب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١١٠، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

الرشيد الذي كان يحرص على استمرار نفوذ الخلافة في إفريقية وبهاجس اسود اوحى به وزيره جعفر البرمكي: ان لا وسيلة للاستعانة بالجيوش مهما كانت لاختضاع ادريس، وان الطريق الوحيد للتخلص من الدولة الناشئة هو في إرسال مبعوث يختلط بالامام ليجهز عليه عندما تسنح له الفرصة وهكذا صمم في إرسال الشماخ اليمامي، مولى المهدي، إلى ادريس بن عبدالله، فاتاه وأظهر أنه من شيعتهم، وعظمته، وآثره على نفسه، فمال إليه ادريس، وأنزله عنده، ثم إن ادريس شكاه إليه مرضاً في أسنانه، فوصف له دواء، وجعل فيه سمّاً، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر، فأخذه منه، وهرب الشماخ؛ ثم استعمل الدواء، فمات منه، فولّى الرشيد الشماخ بريد مصر. (١)

ويقول داود بن القاسم الجعفري وقد كان حاضراً قصة ادريس وسمه: والله ما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجهاً. وقال فيه الامام الرضا عليه السلام: «ادريس بن عبدالله من شجعان أهل البيت والله ما ترك فينا مثله» وقد عدّه علماء الأمة من أصحاب الامام الصادق عليه السلام ومن الرواة عنه، ولما توفي على أثر ذلك السم قام راشد بدفن مولاه ومعه البربر فدفنوه في جبل (زرهون) بقرب فاس.

وقد ذكر له بعض المؤرخين شعراً منه هذه الأبيات:

لَوْ مُدَّ صَبْرِي بِصَبْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ  
لَكَلَّ فِي رَوْعَتِي أَوْ ضَلَّ فِي جَزْعِي

١. مهتاً، عبدالأمير: أخبار المصلوبين وقصص المعذبين في العصرين الأموي والعباسي، ص ٢٢١، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

بَانَ الْأَجِبَّةَ فَاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَهُمْ  
هَمًّا مُقِيمًا وَشَمَلًا غَيْرَ مُجْتَمِعِ  
كَأَنِّي، حِينَ يُجْرِي الْفِكْرَ ذِكْرَهُمْ  
عَلَى ضَمِيرِي، مَجْبُولٌ عَلَى الْفَزَعِ  
تَأْوِي هُمُومِي إِذَا حَرَّكَتْ ذِكْرَهُمْ

إِلَى جَوَارِحِ جَسْمِ دَائِمِ الْجَزَعِ  
ولم يترك ادريس خلفه من العقب شيئاً سوى جنين في بطن أمه فاحتفظ له  
البربر بالولاية وقام راشد مولاه بالامر حتى ولد الجنين فاذا به غلام فبايعوه  
بالخلافة سنة ١٧٧ هـ - وسمي ادريس كاسم أبيه وهو ادريس الأصغر. (١)  
ومكان دفن إدريس يعرف حتى اليوم باسم (مولاي ادريس) وفيه تجري  
الاحتفالات بعيد المولد النبوي ويشارك فيها ملك المغرب بنفسه. من أشعار  
إدريس الأول:

يذكر لنا ابن الأبار في كتابه (الحلة السراء) مقتطفات من رسالة وجهها  
إدريس الأول إلى إبراهيم الأغلب مؤسس دولة الأغالبة يدعوه لطاعته.  
أرسل إليه رسالة يدعوه إلى طاعته أو الكف عن ناحيته، ويذكره قرابته من  
رسول الله (ص)، وفي أسفل كتابه هذان البيتان:

اذكر إبراهيم حق محمد وعترته، والحق خير مقول  
وادعوه للأمر الذي فيه رشد وما هو لولا رأيته بجهول

فإن آثر الدنيا فإن أمامه زلازل يوم للعقاب طويل<sup>(١)</sup>  
وعندما وصل نبأ اغتيال ادريس بالسم إلى بغداد؛ قال شاعر من شيعة بني  
العباس<sup>(٢)</sup>:

أتظن يا إدريس إنك مفلت كيد الخليفة أو يقيق فرار  
ملك كان الموت يتبع أمره حتى يقال تطيعه الأقدار

---

١ . حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا، الجزء السابع، ص ١٣٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.  
٢ . عبدالحسين النجم، مهدي: ثورات العلويين وأثرها في نشوء المذاهب الإسلامية، ص ٣١٦، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



## ادريس بن ادريس (١٧٧-٢١٣هـ). ادريس الثاني ١٩٢ هـ (٨٠٨م)

لقد استطاع ادريس الأول خلال خمس سنوات وهي مدة ولايته ان يوصل الاسلام إلى الأماكن التي لم يكن قد وصل إليها وان يقيم ملكا وطيدا دعامته العدل وانصاف الناس ثم اختفى فجأة دون ان يترك خليفة له مما كان يمكن ان يعجل بانهيار ما كان قد بناه.

وكان إدريس قد تزوج بربرية اسمها كنزة ولما توفي كانت حاملا فاقترح راشد على رجال الحل والعقد ان ينتظروا المولود فان كان ذكرا آل الأمر إليه وان كان انثى تصرفوا بما يرون فوافقوا على ذلك.

واشرف راشد على تسيير الدفة بنفسه. وبعد شهرين وضعت كنزة ولدا سُمي باسم ابيه وتولى الوصاية عليه راشد حتى وفاته سنة ١٨٦ هـ (٨٠٢) فانتقل الأمر إلى أبي خالد العبدي.

ولما بلغ إدريس الثاني الثالثة عشرة بايعه الناس. ثم بويع من جديد في عاصمته الجديدة (فاس) سنة ١٩٢ هـ (٨٠٨).

وازدادت الدولة تمكنا يوما بعد يوم واستقام امر المغرب لادريس الثاني وعظم سلطانه وكثرت جيوشه واتباعه. وتميز عهده بأنه لم يعد يركز على البربر وحدهم بل اقبل عليه العرب من افريقية والاندلس وغيرهم وصاروا وزراء وقضاته وهنا ضاقت العاصمة (وليلي) عن استيعاب وجود الدولة الناشئة فبنى ادريس مدينة (فاس) وانتقل إليها ثم توسع في ملكه فدخل مدينة (نفيس)

ومدينة (اغمات) وفتح سائر بلاد المصامدة.

ويذكر المؤرخون ان بناء فاس انما كان بسبب ضيق (وليلي) بالعرب النازحين اليها من الاندلس والقيروان وبذلك صارت على عهد ادريس الثاني عاصمة عربية، بل اهم العواصم العربية بالمغرب الأقصى، تضم عرب الاندلس من ناحية وعرب القيروان من ناحية أخرى.

وتوفي إدريس الثاني سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م ودفن بفاس وقد انتظمت له كلمة البربر ومحا دعوة الخوارج وقطع المغرب عن دعوة العباسيين وضرب السكة باسمه.

يقول (حنا الفاخوري): «لدينا عدّة مقطوعات من الشعر الغزلي منسوبة إلى هذه الحقبة من تاريخ المغرب منها المقطوعة التالية، وهي منسوبة إلى المولى ادريس الثاني: (١)

لَوْ مُدَّ صَبْرِي بِصَبْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ      لَكَلَّ فِي رَوْعَتِي أَوْضَلَّ فِي جَزَعِي  
بَانَ الْأَحْبَبَةُ فَاسْتَبَدَّتْ بَعْدَهُمْ      هَمًّا مُقِيمًا وَشَمَلًا غَيْرَ مُجْتَمِعِ  
كَأَنِّي، حِينَ يُجْرِي الْفِكْرَ ذِكْرُهُمْ      عَلَيَّ ضَمِيرِي، مَجْبُولٌ عَلَى الْفَرَعِ  
وَكَيفَ يَصْبِرُ مَطْوِيٌّ هَضْمَاتِهِ      عَلَيَّ وَسَاوَسَ. هَمٌّ غَيْرَ مُنْقَطِعِ  
إِذَا الْهَمُّ تَوَافَتْ بَعْدَ هَجْعَتِهِ      كَرَّتْ عَلَيْهِ بِكَأْسِ مُرَّةِ الْجُرْعِ

## محمد بن ادريس (٢١٣ - ٢٢١ هـ)

لما مات ادريس الثاني قام بالامر بعده ابنه محمد بعهد منه ولما تولى قسم المغرب بين اخوته باشارة جدته، وكان له احد عشر اخا؛ اختص القاسم منها بطنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان وما انضم لذلك من القبائل والبلاد. واختص عمر بقبائل صنهاجة وغمارة وغيرهما واختص داود ببلاد هواره وتازه وقبائل مكاسة وغيرها. واختص يحيى بأصيلة والعرائش وبلاد ورغة وغير ذلك، واختص عيسى بسلا وشالة وآزمور وتامستا وما انضم اليهما من القبائل، واختص حمزة بمدينة ويلي وأعمالها واختص احمد بمدينة مكناسة وغيرها واختص عبدالله باجمات وجبال المصامدة والسوس الاقصى، وبقيت تلمسان لولد عمه سليمان بن عبدالله واستمرت بأيديهم إلى أن تلاشى أمرهم بدخول العبيديين. ثم أقام محمد بن ادريس بدار ملكه من فاس واخوته ولاة على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وآمنوا سبلها. ثم حصلت الفتن بعد ذلك بين الاخوة فافترقوا وتحاربوا.<sup>(١)</sup>

حيث خرج على محمد بن ادريس اخوه عيسى بمدينة آزمور، ونبذ طاعته، وطلب الأمر لنفسه، فكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك، وقال معتذراً عن ذلك:<sup>(٢)</sup>

سَأْتَرُكَ لِلرَّاعِبِ العَرَبِ نَهْبًا وَإِنْ كُنْتُ فِي العَرَبِ قَيْلًا وَنَدْبًا

١. سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُول المغرب، ص ٣٣.

٢. الفاخوري، حنًا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٥٤.

وَأَسْمُو إِلَى الشَّرْقِ فِي هِمَّةٍ يَعْزُّ بِهَا رُتْباً مَنْ أَحَبَّ  
 وَأَتْرَكَ عَيْسَى عَلَى رَأْيِهِ يُعَالِجُ فِي الْغَرْبِ هِمًّا وَكَرْبًا  
 وَلَوْ كَانَ قَلْبِي عَلَى قَلْبِهِ لَكُنْتُ لَهُ فِي الْقَرَابَةِ قَلْبًا  
 وَإِنْ أَحَدَتْ الدَّهْرُ مِنْ رَيْبِهِ شِقَاقًا عَلَيْنَا وَأَحَدَتْ حَرْبًا  
 فَلِإِنِّي أَرَى الْبُعْدَ سَتْرًا لَنَا يُجَدِّدُ شَوْقًا لَدَيْنَا وَحُبًّا  
 وَلَمْ نَجُنْ قَطْعًا لِأَرْحَامِنَا نَلَاقِي بِهِ آخِرَ الدَّهْرِ عَتْبًا  
 وَتَبْقَى الْعِدَاوَةُ فِي عَقْبِنَا وَأَكْرَمُ بِهِ حِينَ نُعَقِبُ عَقْبًا  
 وَأَوْفَقُ مِنْ ذَاكَ جَوُوبُ الْفَلَاةِ وَقَطْعُ الْمَخَارِمِ نُقْبًا فَتُنْقَبَا

فكتب محمد إلى أخيه عمر صاحب تيكساس بمثل ما كتب به إلى القاسم فامتثل أمره وزحف إلى عيسى في قبائل البربر، وأمدّه محمد بألف فارس من زناتة، وفأوقع عُمر بعيسى وهزمه وطرده من عمله، وكتب إلى الأمير محمد بالفتح، فشكر له ذلك وولاه على ما فتحه من عمل عيسى، وأمره مع ذلك بالمسير إلى قتال القاسم الذي عصى أمره أولاً، فزحف عمر إلى القاسم، ونزل عليه بظاهر طنجة، فخرج إليه القاسم، ودارت بينهما حرب شديدة كان النصر فيها لعمر، واستولى عمر على ما بيد القاسم من بلاد.

ثم صفا الأمر لمحمد بعد ذلك إلى أن مات بمدينة فاس (٢٢١هـ) بعد أن عهد بالأمر لابنه علي بن محمد المعروف بحيدرة وقام من بعده.

## علي بن محمد بن ادريس (٢٢١ - ٢٣٤هـ)

لما مات محمد بن ادريس كان علي بن محمد صغير السن فقام بأمره الأولياء والحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفالته وطاعته، وسار بسيرة أبيه وجدته في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة وكانت وفاته (٢٣٤هـ) وعهد بالامر لآخيه يحيى.

## يحيى بن محمد بن ادريس (٢٣٤ - ٢٥٠هـ)

لما جلس يحيى على تخت بني ادريس امتد سلطانه وعظمت دولته واستمر  
عمران مدينة فاس وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت خارجها الرياض  
ورحل اليها الناس من البلاد البعيدة وفي زمنه بني مسجد القرويين الشهير بمدينة  
فاس وقام من بعده.

## يحيى بن يحيى (٢٥٠ - ٢٩٢هـ)

لما مات يحيى الأول قعد يحيى الثاني على تخت الادارسة فأساء السيرة، فثاروا عليه وأخرجوه من قصره وأشارت عليه زوجته بالاختفاء بعدوة الاندلس، ريثما تسكن الفتنة فتوارى بها فمات من ليلته اسفا على ما صنع بنفسه وكتبت زوجته إلى ابيها علي بن عمر بن ادريس صاحب الريف والسواحل تعلمه الخبر وتستدعيه، واستدعاه أيضاً أهل الدولة من العرب والبربر والموالي. فجمع حشمه وجيشه وجاء إلى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعد هذا تارة يكون في عقب عمر بن ادريس صاحب الريف وتارة يكون في عقب القاسم بن ادريس. ولما دخل علي بن عمر مدينة فارس بايعه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له بجميع المغرب إلى ان ثار عليه عبدالرزاق الفهري من الخوارج الصفرية، وحصل بينه وبين علي بن عمر حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرزاق، فانهزم علي وفرّ بنفسه. ودخل عبدالرزاق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتنع عنه اهل عدوة القرويين وبعثوا إلى يحيى بن القاسم ويعرف بالعوام فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم. ثم قاتل عبدالرزاق حتى اخرجه من عدوه الاندلس فدخلها وبايعه اهلها. وكان للامير يحيى بن القاسم حروب كثيرة مع الصفرية. ثم اغتاله الربيع بن سليمان (٢٩٢هـ). وفي زمنه حدث قحط شديد ببلاد المغرب وغلاء بالاندلس والمغرب وأفريقية ومصر والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام، وحدثت زلزلة عظيمة تهدمت منها المباني وانحطت منها الصخور من الجبال، وعمت هذه الرجفة

جميع بلاد الاندلس وجميع بلاد العدو، واستمرت المجاعة والوباء إلى (٢٨٥هـ) ولما قتل يحيى العوام ولي الامر من بعده يحيى الثالث بن ادريس وخطب له بفاس. وامتد ملكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابره وكان يحيى هذا واسطه عقد البيت الإدريسي أعلاهم قد راوا بعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزهم فضلا وأوسعهم ملكا وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان بطلا شجاعا ذا دين وورع لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه في الدولة والسلطان، الى أن طما على ملكه عباب العبيدين القائم بأفريقية فأغرقه. وذلك ان عبيدالله المهدي أول الخلفاء العبيدين لما استولى على أفريقية اراد تملك المغرب الاقصى فأغزاه قائده مصالة بن حبوس فزحف الى المغرب الاقصى (٣٠٥هـ) وانتهى الى فاس فبرز اليه يحيى بن ادريس لمدافعته في جموع العرب والبربر، والتقوا بقرب مكناسة فانهمز يحيى وعاد إلى فاس. ثم تقدم مصالة إل فاس وحاصرها إلى أن صالحه يحيى على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدي، فقبل يحيى الشرط وأبقى عليه مصالة في سكن فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية المكناسي على ما سوى ذلك من بلاد المغرب. وبذلك دخل المغرب الاقصى في يد العبيدين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم (٣٠٧هـ). ثم ان موسى أوغر صدر مصالة على يحيى فقبض عليه وقيده بالحديد واستصفى أمواله ثم نفاه الى أصيلا. ثم ساءت حالته بعد ذلك وافتقر ومات بالمهدية (٣٣٢هـ). ثم خرج من الادارسة شخص يقال له الحسن بن محمد ويعرف بالحجام وطرد عامل العبيدين على المغرب واستولى على فاس. فاجتمع الناس على بيعته ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر وكانت دولتهم اخذت في الانحلال ودولة عبيدالله المهدي في الاقبال فملك الحسن المذكور عامين، ولم



يتم له مطلب، وانقرضت دولتهم في جميع المغرب الاقصى وحمل اغلب الادارسة الى المهدي المذكور وولده الامن اختفى بالجبال (٣١٣هـ). وبعد (٣٤٠هـ) ثار ادريس من ولد محمد بن القاسم فأعاد الامامة لهذا البيت ثم تغلب على بر العدو عبدالملك بن المنصور بن أبي عامر الاندلسي وخطب في تلك البلاد لبني امية بالاندلس، ثم رجع عبدالملك إلى الاندلس فاضطربت دولة بر العدو فتغلب على فاس بنو أبي العافية الزناتيون حتى (٣٦٣هـ). ثم ظهر يوسف بن تاشفين واستولى على تلك البلاد واستأصل ذرية ابن أبي العافية بالمغرب وكانت دولة ابن أبي العافية بالمغرب ١٤٠ سنة (٣٠٥ - ٤٤٥هـ) وكانوا متمسكين بدعوة الشيعة فكانوا كنواب عنهم بالمغرب الاقصى.

وكان للادارسة ببلاد الريف دولة صغيرة لبثت على سبيل الاستقلال، كما كانت لهم أولا بفاس بالمغرب، انما كانوا فيها تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب، أما من الشيعة أصحاب أفريقية، واما من المروانيين أصحاب الاندلس، وبقيت بلاد الريف بيد بني ادريس يتوارثونها. فلما انقرضت دولتهم بفاس على يد موسى بن أبي العافية انحاز من بقي منهم إلى بني عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقلعة يقال لها حجر النسر وبقوا هناك إلى أن ذهب رياستهم تماما (٣٦٣هـ). ومن أشهر أمرائهم ابوالعيش أحمد بن القاسم. وعلى ذلك تكون مدة الادارسة بالمغرب من يوم بويج ادريس بن عبدالله (١٧٢هـ) إلى ان قتل الحسن بن كانون، قتله المنصور بن أبي عامر الاندلسي (٣٧٥هـ)، مائتي سنة وثلاث سنين وشهرين تقريبا. وكان عمالهم بالمغرب من السوس الاقصى إلى مدينة وهران وقاعدة ملكهم مدينة فاس وكان ينازعهم الملك دولتان عظيمتان: دولة العبيديين بأفريقية ودولة بني أمية بالاندلس وكانوا يزاحمون الخلفاء إلى ذروة الخلافة

ويعقدهم عنها ضعف سلطانهم وقلة مالهم. (١)

والأدراسة أول من نقلوا الحضارة الإسلامية إلى المغرب، وقد نشروا الإسلام وراء نهر ابن رقرق في مناطق لم تستطع الجيوش الرومانية من قبل أن تصل إليها، ودخلت تلك المناطق الإسلام. (٢)

والحقيقة ان قيام الدولة الادريسية في المغرب ادى إلى نتائج جلييلة، فان ما اصاب تلك الرقعة لم يثبت قدم الاسلام فيها وحال دون انتشاره انتشارا واسعا، ففضل الادارسة انتشر الاسلام حتى بلغ كل مكان وبفضلهم قامت الحركات العلمية فانشئت المدارس والمكتبات، كما توسع العمران واستت المدن مما ادى الى التوسع في تحضير البلاد وازدهار المدينة.

ولولا الظروف القاهرة التي احاطت بهم فحصرت جهودهم وشلت همهم لكان لهم شأن أبعد من هذا الشأن.

والعمل الاكبر الذي يتوج كفاح الادارسة هو تعميمهم الاسلام بين القبائل البربرية وترسيخ قدمه فيها، حتى اصبحت من اشد قبائل المغرب الأقصى شكيمة واحسنها بلاء في الدفاع عن بيضة الاسلام، وكان اكثرها على غير ملة الإسلام، لان الحكام الفاتحين قبل ذلك كانوا يعاملون البربر اسوأ معاملة، ولما وصل ادريس الأكبر الى المغرب اقام في بلادهم وتزوج اليهم وولد له ثم لأولاده من أمهات بربريات اندمجواهم واحفادهم من بعدهم في القبائل البربرية، ويقول غير واحد من المؤلفين والمؤرخين في هذا الصدد، - أي في صدد اندماج اعقاب

١ . سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُول المغرب، ص ٣٦.

٢ . الهمشري، محمدعلي: انتشار الاسلام في افريقيا، ص ٤٣، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

ادريس الاول في قبائل البربر «تبربر ولده» وهم - أعني هؤلاء الادارسة المندمجين في البربر - الذين قاموا بنشر الدعوة الى الدين الحنيف في تلك الاقطار الشاسعة فانشاؤا دولتين من أشهر الدول الاسلامية في تلك البلاد.

ومن أكبر العوامل التي ساعدت على نجاح دعوة الادارسة واعتناق البربر للاسلام اعتناقا عاما على ايديهم ما كان يلقاه البربر من عمال الامويين والعباسيين من الظلم الفادح والاستغلال البشع مما يتنافى مع الاسلام ويصوره بأبشع الصور، لذلك المغرب كله، الاقصى منه (دولة المغرب) والأوسط (الجزائر) والادنى (تونس) في ثورات دائمة لا يقر له قرار، وكان احاراره يفتشون عن متنفس لهم، فكثيراً ما كانوا يؤيدون دعوة الخوارج ويشورون معهم، وللدلالة على فساد الحكم الاموي وسوء المعاملة التي كان الامويون يعاملون بها الرعايا ومنهم قبائل البربر فيبعدونهم بذلك عن الاسلام ويدفعونهم للثورات نقصُ بعض مارواه المؤرخون مما كان مظهر الحكم يومذاك، فمن هذا ان يزيد بن أبي مسلم دينار (مولى الحجاج الثقفي) جعله الحجاج كاتبه وصاحب شرطته، وفي عهد يزيد بن عبد الملك ولاء يزيد على بلاد المغرب، فسار هناك بسيرة الحجاج، ومن افعاله ان الحجاج كان قد وضع الجزية على رقاب الذين اسلموا من أهل السواد وامر بردهم إلى قراهم ورساتيقيهم على الحالة التي كانوا عليها قبل الاسلام. واران يزيد بن أبي مسلم ان يفعل عين ما فعله الحجاج ويطبق ذلك على البربر.

فاستفزع البربر هذا الأمر ولم يصبروا عليه فتآمروا فيه واجمعوا على قتله

فقتلوه.

وفي عهد هشام بن عبد الملك، كان عمر بن عبد الله المرادي واليا على طنجة والمغرب الاقصى، فأساء السيرة في البربر وأراد أن يخمس من اسلم منهم وزعم

انه الفيء فنفرت قلوب البربر واحسوا انهم طعمة للعرب وقد كان الولاية بعامة يرهقون البربر بما يطالبونهم به من المطالب الظالمة، فمن ذلك مثلاً انه كانت تشوقهم الجلود العسلية اللون، فكانوا يتغالون في جمع ذلك حتى كان القطيع من الغنم يهلك ذبحاً لا لشيء الا لاتخاذ الجلود العسلية من سخالة ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه، فكثرت عبثهم بذلك في أموال البربر فاجمعوا على الانتفاض.

فلما وصل ادريس الأكبر وقامت دولة الادارسة عرف البربر ان الاسلام الصحيح ليس هو الذي كان يمثله اولئك الحكام الطغاة، وانه ليس الا عدلاً وتسامحاً ورحمة فأقبلوا يدخلون فيه افوجاً على أيدي الادارسة احفاد محمد وعلي (١).

١. الأمين، حسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، الجزء الرابع، ص ١١، بيروت،

## نهاية دولة الادارسة

كان هدف المولى ادريس منذ اللحظة الاولى هونشر الاسلام على نطاق واسع بين مختلف قبائل البربر المغربية اذ ان اكثرهم كان لا يزال يدين باليهودية والنصرانية؛ ولكن اعقاب المولى ادريس واجهوا في سبيل نشر دعوتهم والاعلان عنها عراقيل كثيرة وصعاب جمة فقد كثرت الاضطرابات والقلاقل من كل جانب بعد ان وزعت المملكة بينهم، واستفاد المتربصون شرا والطامعون في احتلال البلاد. فالامويون في الاندلس يحاولون باصرار بسط نفوذهم على المغرب والسيطرة على دولته، ويستخدمون لذلك جميع الوسائل ليضطروا حكامه الى الخضوع حتى انهم سلطوا عليهم احد المعادين لآل البيت موسى ابن ابي العافيه - وكما ذكرنا آنفاً - الذي كان يحقد عليهم اشد الحقد وأراد استئصالهم من المغرب نهائياً، وظل لهم بالمرصاد إلى آخر ايامهم حتى أجلوا عن اوطانهم ورحلوا الى الاندلس.. الى جانب هذا كان على مسرح المغرب في المرحلة الحساسة لتكامل دولتهم نشوء الدولة الفاطمية بتونس ومزاحمتها لهم في تزعم هذه الحركة.

ومع ذلك فقد تخللت فترة الشرفاء الادارسة للمغرب اوقات أعلن فيها الحكم الشيعي الصريح ومذهبه حيث سمحت الفرصة بالبوح بعقيدتهم. ذلك أن هذه الدولة كانت تشهد على حدودها الشرقية مولد اول دولة شيعية هي الدولة الفاطمية بتونس، وسرعان ماتم الأمر لهذه الدولة وبدأت توسع رقعة سلطانها بالمغرب من جهة وتتطلع الى مصر من الجهة الأخرى ففي سنة ٣٠٥هـ توجه مبعوث عبدالله مصالة بن حبوس المكناسي قائد عبيدالله المهدي الى المغرب

ووصل الى فاس حاضرة الادارسة فحاصرها وكان اميرها يحيى بن ادريس الادريسي الامير الذي ملك جميع بلاد المغرب وبلغت الدولة الادريسية في عهده اعلى مقام واصبحت الحال على وشك الاستقرار. فشدد الحصار إلى ان صالحه هذا الامير بقبول طاعة عبيدالله الشيعي، فأبقاه على حكمه لفاس من قبل الفاطميين، وترك لموسى بن أبي العافية حكم باقي البلاد المغربية وكان من الجائز ان تسير امور الادارسة والفاطميين على احسن مايرام، وان ينمو هذا الاتجاه الجديد في العقيدة المغربية يآزر احدهما الآخر ويعينه لو لم يدب الحقد والحسد إلى ابن أبي العافية فيوغر صدر مصالة على يحيى الادريسي ويوقع بينهما وهو يظهر النصح للشيعة والاخلاص لهم والتمسك بدعوتهم. وهنا يتحول اهتمام الادارسة فينصرفون الى الانشغال بمبارزة العدا الذي يواجههم، وتتم المؤامرة فيعزل يحيى ولكن أهل فاس لا يقبلون ربحان بديله عليهم من قبل العبيديين، ثم لا يلبث ان يثور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس سنة ٣١٠هـ ولكنه يلقي حتفه بسبب خيانة عامل فاس سنة ٣١٣هـ. وهنا ينتهي عهد الادارسية بفاس حيث يعتصمون بحجر النسر بالريف، ذلك المعقل الذي بناه اخو الحسن الحجام ابراهيم سنة ٣١٧هـ وظل ابن أبي العافية متحكما في المغرب من طرف العبيديين الى سنة ٣٢٠هـ حيث خلع طاعتهم ودعا للامويين فحاربه الفاطميون، وخرج اذ ذاك الادارسة من حصنهم حجر النسر بعد ان ظلوا به اربعة اعوام، وانضموا اليهم في قتال موسى بن أبي العافية حتى قضوا عليه.. ولكن البلاد بقيت مع ذلك في قبضة الامويين الى سنة ٣٢٣هـ حيث قدم ميسور الفتى إلى المغرب من لدن أبي القاسم عبدالله المهدي على اثر وفاة والده، وحاصر مدينة فاس إلى ان تمكن منها، وبقيت هذه المدينة تحت امرة الفاطميين حتى سنة ٣٣٥هـ أي مدة

ثمان عشرة سنة. فتولى الادارسة جميع البلاد قائمين بدعوة أبي القاسم الشيعي. ويظهرانه تم بذلك اجتماع هاتين الحركتين وبدا الانسجام بينهما.. فوجد الادارسة في هذه المرحلة يظهران ولائهم للقاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الثاني الملقب بكنون حيث قام بدعوة الشيعة. حسب ما جاء في كتاب «الانيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب ومدينة فاس لابن أبي زرع. ج ١ ص ١٢٧» غير ان القوة التي كانت تجاورهم من الشمال كانت تهددهم باستمرار فما ان توفي القاسم سنة ٣٢٧ هـ وتولى ابنه ابو العيش احمد بن القاسم حتى دعا إلى الامويين وبايع لعبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٧٧) ويمتاز هذا الأمير بأنه كان يتوق الى الجهاد في بلاد الاندلس وبها مات سنة ٣٤٣ هـ، فما لبث الفاطميون ان اعادوا الكرة سنة ٣٤٩ هـ وردوا الامور في المغرب إلى نصابها. وبعد هذا ظهر آخر ملوك الادارسة وهو اخو ابو العيش، الحسن بن كنون مبايعا للعبديين ثم للامويين «خوفا منهم لاحبا فيهم» كما يقول ابن أبي زرع في كتابه القرطاس؛ ج ١ ص ١٣٨ إلى ان دارت عليه الدائرة فابعد واهله عن المغرب، وانتهى الأمران حاربهم وقتل وهو يحاربهم سنة ٣٧٥ هـ وبذلك انقرضت الدولة الادريسية وهي تصارع المعارك.<sup>(١)</sup>

لقد ملكت هذه الدولة العلوية الشريفة بلاد المغرب زهاء ٢٠٣ مائتين وثلاث سنين، وبسطت نفوذها من السوس الاقصى إلى مدينة وهران. وبالرغم من هذه المدة الطويلة فانها لم تتمتع بالاستقرار الذي يمكنها خوض المعارك الفكرية والعقائدية التي كانت على اهبة القيام بها بعد المعارك السياسية.

١. رغم زوال الدولة الادريسية فان المذهب الشيعي ظل رائجاً في المغرب كله إلى اواسط القرن الخامس الهجري كما يظهر من كلام صاحب الاستقصاء. ج ١ ص ١٣٨.

يقول الدكتور عبداللطيف السعداني: «على ان هناك في رأينا عاملان اساسيان اخريان كان من شأنهما ان لايشجعا على ظهور التشيع بالمغرب، يجب ان يضافا الى ما تقدم. فبالرغم من ان المغرب قد عرف ظهور دولة المذهب الشيعي ومبادئه، فان ازدهار هذا المذهب وبلوغ الدولة الفاطمية شأوا كبيرا تم بعيدا عن البلاد المغربية في مصر، وقد كان هذا من الاهداف التي جعلت الفاطميين ينقلون دولتهم من المغرب إلى مصر. كما ازدهر الفكر الشيعي في البلاد الشرقية، حيث كانت هذه البلاد مستعدة فكريا لقبول العقائد الشيعية والخوض فيها لما عرفته من قبل ذلك من فلسفات وعلوم ومعارف، كما انها كانت مستعدة روحيا لذلك بعدما عاشت الصراع السياسي الذي خاضه ائمة البقيع. وهذا كله لم يكن يتوفر في البلاد المغربية التي كانت وماتزال عقيدتها الاسلامية بسيطة وايمانها بهذه العقيدة ساذجا.

وثاني السببين في عدم تمذهب الادارسة وغيرهم من الاسر الشريفة التي حكمت المغرب في دعوتهم لآل البيت هو ان جميع هؤلاء الشرفاء حسنيون يرجع نسبهم إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فلم تتجسم فيهم تلك العقيدة الشيعية التي ظهرت في اعقاب سيدنا الحسين رضي الله عنه الولد الثاني لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي يعد الامام بعد ابيه ومنه استمرت هذه الدعوة في أعقابه.<sup>(١)</sup>

ومهما يكن من امر فقد بذل المغاربة للادارسة الولاء ودانوا لهم بالطاعة الكاملة اخلاصا منهم في محبة آل البيت ووضح دليل على هذا التفاني في

١. السعداني، الدكتور عبداللطيف: حركة التشيع في المغرب ومظاهرها، مجلة الموسم، العدد التاسع عشر، ص ٩١، هولندا، (١٩٩٤م - ١٤١٤هـ).



الاخلاص لهم أنهم كانوا دائما معهم يؤيدونهم في كل حالاتهم، في متابعتهم للمروانيين، وفي مبايعتهم للعبيديين.

كاد اثر دولة الادارسة ينمحي، او هكذا ظن اعداؤهم الامويون بعد ان اجلوهم عن معاقلهم بالريف الذي كان يدين لهم بالحب، وجبال غمارة التي ظلت تنقاد لهم وتعظمهم وبعد ابعادهم عن بلادهم حتى لم يبق منهم بالعدوة رئيس ونفيهم إلى الاندلس، غيران التشيع الموروث لاولاد ادريس<sup>(١)</sup> خلد هذه الدولة إلى الأبد في نفوس المغاربة والبربر عامة، فلم تخب دولتهم ولازال امرها بل سرعان ما انتقلت الى الاندلس لتزيل دولة بني امية وت خلفها، وكانت حركة اولئك النازحين الى هذه البلاد من تلك الاسرة الادريسية الذين استقروا سنة ٣٦٤هـ بقرطبة تحت رعاية ملكها الحكم الاموي الرمز الاول لهذا الانتقال. كما انتقلت مع البربر الفاتحين للاندرلس في ذلك العهد الذين حفظوا للشرفاء عهد المحبة والولاء فما ان ظهر احفاد للادارسة على مسرح الحياة السياسية بالاندلس حتى التفوا حولهم ودعوا لهم.. كان ذلك عندما عبر اثنان من اعقاب الادارسة إلى بلاد الاندلس في خدمة سليمان بن الحكم الاموي وهما القاسم وعلي ابنا حمود بن علي بن عبيدالله بن عمر ادريس الثاني بن ادريس الأول.

وكان أول امرهما ومبدؤ نشأة الدولة في أسرتهما ان وليا قائدين على المغاربة في الاندلس، ثم وكل سليمان القاسم امور الجزيرة الخضراء، وعليا وهو الاصغر امور سبته وطنجة<sup>(٢)</sup>. وقد كانت لقبائل صنهاجة وزناته يفرن بتاكرونه

١. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤ ص ٣٣٠.

٢. المراكشي، عبدالواحد بن علي (المتوفى سنة ٦٤٧هـ): المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٢، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ.

وبرغواطة اليد البيضاء في مدهم بالمساعدة وشد أزرهم حتى قال الشاعر ابو عبدالله الرعيني في مدح القاسم:

ولما دعى الشيطان في الخيل حزبه واقبل حزب الله فوق خيوله  
 كتائب من صنهاجة وزنانة تضايقن في عرض الفضاء وطوله  
 ويكفي دليلاً على هذه الصلة الوثيقة التي كانت تشد بين هذه الاسرة  
 الهاشمية وبين برابرة المغرب، هي ان زوال ظلهم عن قرطبة يعني إلى ما أخذه  
 عليهم أهل هذه البلاد من ميلهم الى البربر.<sup>(١)</sup>

ولم يخف بعض الناصحين لملك سليمان من البربر المواليين للامويين من  
 تولية هذين العلويين الطالبين اذ سيظل هذا الحق مطلوباً مادام فيهم عرق ينبض،  
 ولم يمض زمن يسير حتى بدت رايات الدعوة العلوية يقودها أحد ذنك  
 النازحين الحموديين الى الاندلس علي بن حمود سنة ٤٠٧ هـ، واستجابت الرغبة  
 الدفينة في قلوب مواطنيهم الذين كانوا يسكنون قرطبة فسمى ذكرهم. ومنذ ذلك  
 الحين تكونت هذه الدولة. أطلق البعض عليهم الحسينيون وسماهم البعض الآخر  
 العلويون او العلويون الادارسة وسموهم الفاطميون، ومهما تكن التسمية فان هذه  
 الدولة قامت لارجاع الحق المغصوب لآل البيت من أسرتهن، ونلاحظ ان الظروف  
 كانت تفرض قيام من يدافع عن هذا المبدأ إذ ان الشيعة كانوا يمرون باوقات  
 عصية، فقد ساءت حالهم بتونس ولاقوا التقتيل والتعذيب، وقامت الفتن بين  
 السنة والشيعة على اشدها في العراق بواسطة.<sup>(٢)</sup>

من ذلك نستبين الهدف الذي قصدت اليه هذه الدولة، وقد كان أمرين

١. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٨٢.

٢. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٩ ص ٢٩٥.

اساسيين:

اولهما مناهضة الحكم الاموي في الاندلس.

وثانيهما الدعوة للدولة العلوية وللمذهب الشيعي.

أما الهدف الاول فقد أصابت منه الكثير حتى ذكروا انهم كانوا سبب زوال الامويين من الاندلس والقضاء على دولتهم<sup>(١)</sup> وأما الدعوة للدولة في آل البيت فانهم نجحوا في القيام بها الى حد بعيد فكونوا دولة بجميع مظاهرها وتلقبوا بالقب الخلاقة مثل «الناصر لدين الدولة» و«المأمون» و«المستنصر» و«المتأيد» وملكوا الجزيرة الخضراء وقرطبة واشيلية وغرناطة والمرية وقرمونة ورندة واعمالها ومن مدن المغرب طنجة وسبتة. وخطب لهم في جميع هذه البلاد وضربت السكة باسمهم.

وأما تشيعهم فقد ظهر عليهم اثر لذلك ولكن المصادر التي بين ايدينا وهي مصادر في اغلبها تؤيد المذهب السني اكتفت بالقول بأنهم «تشيعوا ولم يظهروا ذلك ولا غيروا على الناس مذهبهم»<sup>(٢)</sup> ولن تعقب على ذلك ولا علقت عليه مما يكاد يحس معه من الاشارات العابرة أنها أغفلت الحديث عن هذا الامر، وغضت الطرف عنه ولم تذكر الا ما اضطرت اليه اضطرار عن نقل شعر لاحد شعراء الاندلس في هذه الفترة مثلا، اذ كان من اللازم الاشارة إلى الشعر الشيعي وقد بلغ في هذا العصر شأوا عاليا. على اننا يجب ان لا نغفل ما يكون قد ركن اليه دعاة هذه الدولة من «السرية» التي تحتمها الظروف القاسية التي تواجه كل عقيدة

١. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤ ص ٢٢٨.

٢. المراكشي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص ٣٠٠.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩ ص ٢٧٤.

تحاول الظهور في محيط جديد.

ومع ذلك نستطيع ان نتبين الجو الذي خلفه وصولهم إلى الحكم وآمال الناس فيهم.

يقول ابو عبدالله الرعيني الاعمى من قصيدة في القاسم بن حمود يذكر فيها خيران الصقلي وقتل المرتضى المرواني وفتح غرناطة:

لك الخير خيران مضى لسبيله واصبح ملك الله في ابن رسوله  
وفرق جمع الكفر واجتمع الورى علي ابن حبيب الله بعد خليله  
وقام لواء النصر فوق ممنع من العز جبريل امام رعيه  
واشرقت الدنيا بنور خليفة به لاح بدر الحق بعد افوله

على ان أهم ما كان الناس يمجدون به هذه الدولة وما يرجون منه كل الخير هو نسبهم الهاشمي، لذلك كان هؤلاء الامراء يسلكون نهج اجدادهم في اعطاء صورة لتلك العهود التي يروجونها بوجودهم.<sup>(١)</sup>

١ . السعداني، الدكتور عبداللطيف: حركة التشيع في المغرب ومظاهرها، ص ٩٣، مجلة الموسم، العدد ١٩، ١٤١٤هـ.

## ملاحظات وآراء حول الدولة الإدريسية:

وجد المغاربة ضالتهم المنشودة كما يقول الطاهر بن عبد السلام اللهيوي في بني فاطمة الزهراء والذي كان العالم الإسلامي كله يتطلع إلى خلافة بني فاطمة دون أن يستطيع أحد أن يحقق شيئاً من ذلك طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظاً أعلى من بين مختلف أقاليم المملكة الإسلامية الكبرى المترامية الأطراف فعلاصيت المغرب في العالم الإسلامي لأنه عثر على رجل من آل البيت النبوي الشريف، فما كان من هارون الرشيد الذي كان يحرض على استمرار نفوذ الخلافة في أفريقية إلا أن أقرّ قيام الدولة الأغلبية عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م لتحول دون زوال هذا النفوذ ولتقف حاجزاً أمام خطر الدولة الإدريسية. في حين كان الهدف الرئيسي من تأسيس هذه الدولة وإسنادها إلى الوالي القوي إبراهيم بن الأغلب هو تثبيت أفريقية على ولائها للخلافة. غير أن هذه الدولة لم تحقق للعباسيين الغاية التي أنشأوها من أجلها وظل ما يملكه العباسيون لا يبعد أكثر من إقليم الزاب وما لم يملكوه فهو ما وراء الزاب من بلاد المغرب.<sup>(١)</sup>

١. زيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١١٠.

## الأهداف التي قصدها دولة الأدارسة:

- ١) مناهضة الحكم الأموي في الأندلس، وهو ما تحقق بالفعل.
- ٢) الدعوة للدولة العلوية وللمذهب الشيعي، وتأكيداً لحق آل البيت الهاشمي المحمدي في حكم المسلمين، وهنا نجحوا في القيام بها إلى حد بعيد فكوّنوا دولة بجميع مظاهرها وتلقبوا بألقاب الخلافة والإمامة مثل (الناصر لدين الله) و(المأمون) و(المستنصر) و(المتأيد)، وبسطوا نفوذهم على كثير من بلاد الأندلس، فكانت عاصمتهم مالقة، وملكوا الجزيرة الخضراء وقرطبة واشبيلية وغرناطة والمرية وقرمونة ورندة وأعمالها، ومن مدن المغرب الأخرى.
- ٣) إحياء ذكرى واقعة طف كربلاء الدامية وقضية استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فكما يروي المؤرخون والمؤلفون، فإن شرق الأندلس، بلنسية وماجاورها كانت تقيم المآتم الحسينية في محافل مهيبة ليالي عاشورا، من كل سنة، عبر صور ومراسيم متنوعة ذات تأثير عاطفي وحماس مثير في وقع النفوس.
- ٤) كما هو الهدف في نصرة الشيعة والعلويين و تخليصهم من مسلسل الاضطهاد والقمع والقتل، فإن إدريس بن عبدالله والأدارسة قصدوا من حركتهم ودولتهم هذه تحرير قبائل البربر أيضاً مما تعانیه من سوء معاملة واضطهاد من الحكام الفاتحين، وبالذات من عمال الأمويين والعباسيين.

## نتائج قيام الدولة الأدرسية:

(١) بفضل الأدارسة انتشر الإسلام في هذه المنطقة، التي لم يكن يستقر قدم الدين فيها، وقد بلغ كل مكان.

(٢) قيام الحركة العلمية، حيث أنشأت المدارس والمكتبات.

(٣) توسيع حركة العمران وتأسيس المدن، مما أدى إلى التوسع في تحضير البلاد وازدهار المدينة.

(٤) تعميمهم الإسلام بين القبائل البربرية وترسيخ أواصره فيها، حتى أصبحت من أشد قبائل المغرب الأقصى شكيمة واحسنها بلاءً في الدفاع عن بيضة الإسلام، في حين كان الحكام الفاتحين قبل ذلك يعاملون البربر أسوأ معاملة، كما إن الأدارسة تزوجوا من نساء البربر بما فيهم زعيمهم إدريس، حيث أنجبت له ولداً، كما صار لهؤلاء أولاد ومن هؤلاء أحفاد من أمهات بربريات اندمجوا هم وأحفادهم من بعدهم في القبائل البربرية، ويقول غير واحد من المؤرخين والمؤلفين في صدد اندماج أعقاب إدريس الأول في قبائل البربر (تبربر ولده)، وهؤلاء هم الذين قاموا بنشر الدعوة إلى الدين الحنيف في تلك الأقطار الشاسعة، فانشأ دولتين من أشهر الدول الإسلامية في تلك البلاد.

(٥) توارث هذه القبائل والدول التي أقامتها فيما بعد كـ (دولة الموحدون وبنو مرين والمرابطين) وإلى اليوم ولاء أئمة أهل بيت محمد عليهم السّلام والإخلاص لهم، وما أكثر بيوت العلويين على اختلاف بطونهم في المغرب، وما زالوا يتمتعون بحرمة وافرة.

٦) إن تجربة قيام الدولة الأدرسية، نمت في نفوس عموم الشيعة والعلويين خاصة بواعث الشعور بالفخر والنصر، والإقدام نحو تحرك مماثل لتحقيق نموذج آخر لهذه التجربة في مواطن عدة من الوطن الاسلامي الكبير، ولاسيما التي يواجهون فيها القمع والظلم، وانتصاراً لمبدأ الحق والحرية.<sup>(١)</sup>

---

١ . الشمري، علي: دولة الأدرسة العلوية في بلاد المغرب، ص ٥٥، مجلة النبأ، العدد ٣٦، بيروت، ١٤٢٠هـ.



## مدن إدريسية:

**البصرة:** مدينة أولية بنيت على عهد القرطاجنيين حيث عرفت بـ «تريمولي» وقد عرفت بعد الفتح الإسلامي ببصرة الكتان، لأنهم كانوا يتبايعون بها في أكثر تجارتهم بالكتان، وتعرف أيضاً بالحمراء لأنها حمراء التراب، وقد جدت على يد الأدارسة في أواسط القرن الثالث الهجري، وكان أول أمير إدريسي تولى عليها إبراهيم بن القاسم بن إدريس وقد بنى سورها من الحجارة الطوب، وكان لها عشرة أبواب، وبها مسجد جامع به سبع بلاطات، وكان بها أيضاً حمامان كبيران وتقع مقبرتها الكبرى في شرقها بينما تقع الصغرى في غربها وتعرف بمقبرة قضاة، وماؤها زعاق، وكان السكان يعتمدون في شربهم على بئر عذبة كبيرة تقع قريباً من إحدى أبواب المدينة تعرف ببئر أبي دلفاء. وكانت نساء البصرة مخصصات بالجمال الباهر، يقولون ليس بأرض المغرب أجمل منهم.

**قلعة حجر النسرة:** بنيت سنة ٣١٧ على يد إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس، وبها حوصر أدارسة الريف على عهد موسى بن موسى بن أبي العافية، وانها تقع قرب سبته، وكانت هذه القلعة هي عاصمة القاسم الملقب بكنون، وشيقتة إبراهيم، وهما أخوان للحسن الحجام. فاستمر هو وعقبه تحت نظر الشيعة أصحاب إفريقيا تارة، أو المروانيين أصحاب الأندلس تارة أخرى. ومن أشهر أبنائه أبو العيش أحمد بن القاسم بن كنون، غير أن هذا زهد في الإمارة، وذهب إلى الأندلس برسم الجهاد، وولى مكانه أخاه الحسن بن كنون، وقد قتل هذا الأخير على يد المنصورين أبي عامر، وبموته تفرق الأدارسة في قبائل المغرب، واختفوا

حتى أنهم خلعوا عنهم صفة النسب الشريف، واستحال الكثير منهم بدوياً. أصيلاً: وقد ملكها الأدارسة، وكان أول من ملكها منهم القاسم بن إدريس، ثم ابنه إبراهيم كما حكمها الحسن الحجام، وقد خرجت لمدة، ثم جددت بعد ذلك. **طنجة**: وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ المغرب. **سبتة**: احتلها البرتغال ضمن بعض الشواطئ المغربية في القرن السابع الهجري (السادس عشر الميلادي) وسلموها للإسبان سنة ١١٠٨ ولاتزال بحوزتهم إلى الآن.

**تطوان**: بنيت قبل الإسلام، وحسب المصادر العربية ذكرت تطوان في القرن الثالث الهجري من بين المدن التي كانت من نصيب القاسم بن إدريس بالإضافة إلى طنجة والبصرة وسبتة وقلعة حجر النسر، وفي القرن الرابع الهجري أجمع بنو محمد بن القاسم على هدم تطوان، ثم ندموا على ذلك، ثم حاولوا بناءها مرة أخرى، غير أن أهل سبتة حالوا بينهم وبين ذلك، لأنها كانت تضر مصالحهم، وقد خربت تطوان مراراً وجدد بناؤها.

**مدينة نكور**: بناها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور المعروف بالعبد الصالح، وكان للنكور أربعة أبواب منها باب سليمان، وباب بني ورياغل وباب المصلى، وباب اليهود، بها جامع كبير، وقد اعتصم بها أدارسة الريف المعروفون بالحموديين.

**مدينة وزان**: بنيت على أنقاض المدينة الرومانية المعروفة بباب جوليا كابيستديس.

**مراكش**: مدينة مراكش؛ مدينة عظيمة بالمغرب الأقصى تقع في سفح جبل الأطلس الكبير، وتمتاز هذه المدينة بخصوبة تربتها الحمراء وجودة مناخها

وبمناظرها الخلافة حيث توجد فيها غابات النخيل الخضراء وبجانباها الشلوج  
البيضاء على قمم الأطلس.

هذا وتوجد في مدينة مراكش أضرحة بعض الشخصيات العلمية المغربية  
البارزة مثل أبي العباس السبتي، والقاضي عياض، والإمام السهيلي، كما يوجد  
فيها ضريح يوسف بن تاشفين الذي بنى عليه الملك محمد الخامس قبة جديدة.<sup>(١)</sup>

---

١. الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، المجلد العاشر، ص ١١٢، ١١٣، ١١٤.

## تاريخ سلسلة الأدارسة كما ذكرها استانلى بول<sup>(١)</sup>

الاسماء	السنة الميلادية	السنة الهجرية
ادريس الأول	٧٨٨	١٧٢
ادريس الثاني ابن ادريس الأول	٧٩٣	١٧٧
محمد بن ادريس الثاني	٨٢٨	٢١٣
علي بن محمد الأول	٨٣٦	٢٢١
يحيى بن محمد	٨٤٩	٢٣٤
يحيى الثاني ابن يحيى الاول		
علي الثاني ابن عمر بن ادريس الثاني		
يحيى الثالث ابن القاسم بن ادريس الثاني		
يحيى الرابع ابن ادريس بن عمر	٩٠٤	٢٩٢
حسن	٩٢٢	٣١٠

١ . لين بول، استانلى: طبقات سلاطين الأسلام، ص ٣٩، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

**دولة المهديين**

**للمهدي المنتظر (عجل الله فرجه)**

التخطيط الأولي لبناء الدولة الشيعية

المؤسس

أبو عبدالله الشيعي

## أبو عبدالله الشيعي

كان ظاهرة تاريخية نادرة، ونموذجاً غير عادي للعظماء من الرجال وأحد صنّاع التاريخ الكبار ذا تجربة جديدة في تاريخ المغرب والإسلام وهي تجربة إقامة دولة شيعية ذات كيان سياسي متماسك ودقة مذهبية متناهية سار فيها أبو عبدالله على هدي ما اختزنه في نفسه وروحه من إيمان واعٍ وثقافة دينية واسعة إستمدّها من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام يوم كان يعيش في الكوفة والكوفة يومذاك مركز التشيع الإثنا عشري ومقر علمائه وفقهائه ومتكلميه.

يقول الأستاذ نجيب زبيب: «وإني لأبادر إلى القول بأني وأنا أتصفح كتب التاريخ الإسلامي في بلاد المغرب استهوتني شخصيات عدة كان لها أثر فعال في نشر التشيع في بلاد المغرب.

وأكثر ما شدّني من هذه الشخصيات إليه، هو أبو عبدالله الشيعي بالرغم من ضباية الصورة التي رسمها له المؤرخون وبالرغم من المظهر المزيف الذي أظهره به. والحقيقة أقول بأني لم أجد تاريخ رجل عظيم شوه كما شوه تاريخ أبي عبدالله. ربما كان ذلك عائداً إلى خطورة الدور الذي لعبه هذا الإنسان على مسرح الحياة العامة في المغرب فجاء المؤرخون من بعده ولعداواتهم المذهبية معه يشوّهون تاريخه بهذا الشكل الفظيع ويزيّفون حقيقة أمره وكأنهم بهذا العمل ينتقمون منه أشدّ الإنتقام كما بدا ذلك واضحاً عند اليماني في سيرة الحاجب جعفر والمالكي في رياض النفوس وابن عذارى في (بيان المغرب)<sup>(١)</sup>».

١ . زبيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٨، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت،

والحقيقة أن هؤلاء المؤرخين لم يُقدِّموا على ما أقدموا عليه لو لم يسبقهم جميعاً إلى ذلك القاضي النعمان بن محمد. فهذا المؤرخ الفاطمي الذي ولد بعد مقتل أبي عبدالله بأربع سنوات فقط ونشأ على حب المذهب الإسماعيلي وعيّن قاضياً لقضاة هذا المذهب؛ هذا المؤرخ جعل بكتاباتهِ من أبي عبدالله داعيةً إسماعيلياً كما جعل من إيمانه بالمهدي المنتظر إيماناً بعبيد الله المهدي نفسه عندما قال على لسانه مخاطباً الدعاة ساعة تحريره في سجنه: «هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون...»<sup>(١)</sup> فكان أن وقع المؤرخون من جرّاء ذلك في خلط شنيع بين المهديّ الحقيقي الذي يؤمن به أبو عبدالله وبين عبيد الله هذا المتلقّب بالمهدي علماً بأن أبا عبدالله لم يكن قد رأى المهدي من قبل.

مما تقدّم نستنتج ما يلي:

- إن معظم الذين كتبوا عن أبي عبدالله الشيعي لم يكونوا في كتاباتهم منصفين، لأننا لم نجد في تلك الكتابة ذلك الإنسان على حقيقته بسمو نفسه وصدق إحساس ولا تلك الصورة التي عرفها لذاته وارتضاها سلوكاً وحياة.
- إن معظم الذين كتبوا عن أبي عبدالله الشيعي أخطأوا عندما نظروا إليه على أنه رجل حرب و سياسة فصوروه دمويّ المزاج شرس الطباع فظاً غليظاً ولم ينظروا إليه على أنه رجل دين وفقه يدرك تماماً أن جهاد الظالمين وإن كانوا مسلمين فهو كجهاد الكفار فرض يتحتم أن ينفر إليه المؤمن ممتثلاً لأمر الله تعالى

→

الطبعة الأولى، ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ.

١. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢٤٠، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

متسلحاً بالصبر والقدرة على الكفاح بائعاً نفسه لربه مقابل نعيم الجنة تصديقاً للآية الكريمة: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة».

- إن معظم الذين كتبوا عن أبي عبدالله الشيعي كانت تعوزهم المعاناة فلم يغوصوا إلى أعماق النفس الإنسانية فيه لذلك لم يهتدوا إلى الجانب النضالي فيها هذا الجانب الذي دفعه منذ الصغر لمحاربة الظلم والفساد.

- إن معظم الذين كتبوا عن أبي عبدالله الشيعي أخطأوا إذ جعلوه داعيةً لإمام غير معصوم على عكس ما كان يدعو إليه ويصرّح به في كل مناسبة بقوله: (إني أدعوكم إلى طاعة الإمام المعصوم من أهل البيت) حيث حدد شرطين لازمين للإمام الذي يدعو إليه العصمة ثم كونه من أهل البيت وعبدالله المهدي - الذي جعلوا بأبعبالله داعية له - وإن استطاع أن يدعي الانتساب إلى أهل البيت إلا أنه لم يستطع أبداً أن يتصف بالعصمة التي هي لطف من الله تعالى، ولما تحقق أبو عبدالله من كذب إدعاء المهدي وظهر له ذلك في سلوكه وفيما ارتكبه من أفعال لم يتردد أبداً في الطعن في خلافته ودعوة الناس إلى خلع قائلاً لهم: (إنه ليس هذا هو الإمام المعصوم الذي دعوتكم إليه) وقد كلفه ذلك حياته وحياة معظم أنصاره<sup>(١)</sup> أجل... حدث ما لم يكن في الحسبان... فبعد إقامة الدولة الفاطمية والمناذاة بالمهدي خليفة للمسلمين في افريقيا الشمالية.. ان قتل هذا الخليفة بأبعبالله الشيعي وأخاه أبا العباس وأعوانهما... فهل شعر أنهم يعدون العدة للاطاحة به، فتغداهم قبل أن يتعشوه، أم أن الأمور أسوء فهمها؟.. وبالفعل كم هو مؤسف غياب هكذا رجال عن مسرح الحياة بسبب سوء ظن بعدما يكونوا قد ضربوا المثل الأعلى بالجرأة والإقدام وقيادة الجيوش، وتأسيس

١. زيبب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١٥٠.



### التعريف به

تكاد المصادر التاريخية جميعها تتفق على أن إسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا وكنيته أبو عبدالله ولقبه الشيعي.

وهنا تنقطع سلسلة أخباره فلا نكاد نعثر منها على غير تُنف ليس فيها غنى كبير يشبع ما في نفس الباحث المدقق من رغبة في جلاء الأمور، فلم يصلنا تاريخ ميلاد ولا ذكر المؤرخون شيئاً عن بدء حياته فجاءت كل المصادر ضئيلة بمعلوماتها عنها فلم تشر إليها لا من قريب ولا من بعيد.

ومن المؤسف حقاً أن نرى أن هذا الرجل الذي يعتبر بحق أحد صنّاع التاريخ الكبار كيف تهمل حياته بهذا الشكل فلا نجد مؤرخاً واحداً يهتم بها، وكأنهم جميعاً أبوا أن يتركوا لنا ترجمة وافية لحياته فلم يدونوا إلا أخباراً متقطعة مضطربة مبعثرة يلفها الغموض ويحيط بها الإبهام من كل جانب.

من هنا كان لابد لنا من اللجوء إلى الظن ثم إل الترجيح والإحتمال في الأحكام التي نعطيها حول نشأته مستدلين على ذلك ببعض الشواهد منها: إنه دخل اليمن في العام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م وانضم إلى أبي القاسم بن حوشب بعد أن ظهر أمره هناك وقد كان يعرفه، يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته لا يفارقه. (٢)

١. تامر، الدكتور عارف: عبيدالله المهدي، ص ٦٠، دار دمشق ودار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ.

٢. ابن محمد، القاضي نعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٦٠، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

قبل ذلك كان محتسباً في البصرة، والحسبة كما هو معروف منصب ديني أخلاقي أساسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ملحق بالقضاء لأن فيه حكماً يتعلق بمصالح المسلمين الإجتماعية والإقتصادية كمراقبة الأسواق والكشف عن صحة الموازين والمكاييل ومنع الناس من شرب الخمر ويقوم على منع الغش في الصناعة والمعاملات. وكان المحتسب يسير بنفسه في الأسواق ومعه أعوانه من الخبراء في شؤون الأسواق يعرفون بالعرفاء يحملون الموازين والأكيال الصحيحة. معنى ذلك أنه كان بالغاً ناضجاً عارفاً بأمور الدين والدنيا معاً وإلا لما أسند إليه المنصب الكبير.

ثم تحدثنا المصادر بأنه كان معلماً وكان وهو في الكوفة يتولى تعليم ونشر مبادئ المذهب الشيعي الإثناعشري<sup>(١)</sup>. كما كان متضلعا في الفقه الشيعي وغير الشيعي أيضاً. وهذا دليل آخر يضاف إل سابقه ليؤكدنا معاً أن أبا عبدالله كان قبل ذهابه إلى اليمن يزاول أعمالاً تدل على بلوغ ونضج وثقافة وعلم وكان ذا نفس تواقفة إلى محاربة الجهل والفوضى والغش والفساد في جميع الميادين.

#### عصره

كان العصر الذي شهد طفولة أبي عبدالله الشيعي عصر اضطراب وفتن وفوضى لا حدود لها في طول البلاد وعرضها.

فعلى الصعيد العام: كانت الخلافة العباسية تجتاز أدق المراحل وأخطرها. فقد تعاضم نفوذ الموالي والأتراك فيه وقوي أمرهم وتولوا المراكز العالية في

١ . المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي: أتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، الجزء الأول، ص ١٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الدولة وصار منهم القواد والوزراء وحكام الأقاليم. كذلك فقط تعاضم نفوذ الخدم وكثرة وجود الخصيان والرقيق في قصور الخلفاء.

وعلى الصعيد الخاص: كانت الشيعة تمر بظروف حرجة ومحن غاية من القسوة والصعوبة حيث انصرف الامام العسكري عليه السلام إلى مساعدتهم وحماية وجودهم ودرء الأخطار عنهم ووقايتهم من أذى الحكام وبطشهم. غير أن المعتمد الخليفة العباسي لم يرع له حرمة ولا مقاماً واعتبره مسؤولاً عن كل ما يجري في البلاد من أحداث، ورأساً لمعارضيه حكمه، وقائداً لهم يتولى ممارسة قيادة الجبهة الرافضة لنظامه فزاد من ضغطه عليه ووضع تحت الرقابة الصارمة ومنع الإتصال به ثم تخلص منه أخيراً باغتياله بالسهم في العام ٢٦٠هـ / ٨٧٣م.

### حياته

في هذا الجو العاصف المضطرب المليء بجليل الأحداث وعظيمها أطل أبو عبدالله على الحياة وفي الكوفة كان ولادته وبين أزقتها كانت نشأته وملاعب صباه وكما هو معروف فالكوفة كنز الإيمان وقبة الإسلام يحنّ إليها كل مؤمن، وكان طبيعياً أن يتأثر أبو عبدالله بهذا المناخ العلمي للكوفة. فإن أبا عبدالله إختار من المذاهب التشيع ومن التشيع العقيدة الإثناعشرية وراح يتفقه بالمذهب الإمامي ويلتزم بتعاليمه وعقائده ونصوصه حتى اجتمع له من ذلك أساس متين بنى عليه شخصيته. (١)

١. محمود زيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١٥٨.

## أبو عبدالله في اليمن

ولم تعد تسعه الكوفة وسرعان ما حزم أمره فتركها ميمماً شطر اليمن ليلتحق في صفوف المقاومة هناك وذلك في العام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م. إن ابن حوشب<sup>(١)</sup> يعرفه فهو من أهل الكوفة، من أهل بيت علم وتشيع وكان مثله قد قرأ القرآن وقومته وطلب الحديث والفقه وكان ممن يذهب مذهب الإمامية الإثني عشرية.

ورحب ابن حوشب بأبي عبدالله وأنزله عنده وقرب مجلسه وأدنى مكانه ورفع قدره وأخذ يستصحبه في رحلاته وغزواته.

أفاد أبو عبدالله من ذلك تجربةً حيّةً واكتسب خبرةً عظيمةً في أساليب القتال وفنون التخطيط الحربي والتدريب على خوض المعارك وشن الغارات حتى أصبح على جانب عظيم من المهارة في القيادة العسكرية.

غير أن ذلك لم يدم أكثر من سنة أو بعض السنة إذ شعر إن هذه الثورة التي يشارك فيها ليست الثورة التي يريدونها ولا تلك التي من خلالها يستطيع أن يحقق أهدافه وطموحاته.

وبدأت تخامرهُ الشكوك وتأخذ سبيلها إلى نفسه، لقد بات واضحاً عنده إن ما يؤمن به شيء وما ينفذ على الأرض شيء آخر، وإن ابن حوشب هذا بات أقرب إلى السياسي منه إلى رجل الدين وأنه لا يبدو إثنًا عشرياً كما عهدته في أفعاله وتصرفاته. رأى أن كل ما يحدث لا يجري حسب شرائع المذهب وتعاليمه وهو مغاير تماماً لما هو مطبوع في نفسه من صور مثالية عن نظام الحكم الصحيح في الإسلام المبني على أساس من الدين لا على القهر والغلبة ويقضي بالالتزام

١. أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زاذان الكوفي.

التام بمبادئ العقيدة الإسلامية وتطبيق نصوص الشريعة وفق خطى الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام.

لقد أحس أبو عبدالله بالغرابة هناك وكان عليه أن يحزم أمره ثانية فكان أن غادر اليمن في العام ٢٧١هـ / ٨٨٤م متوجهاً هذه المرة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج<sup>(١)</sup>.

### أبو عبدالله في مكة

وفي مكة المكرمة حيث يجتمع المسلمون الوافدون من مختلف الأقطار فيتآلفون ويتعارفون ويتناقشون في شؤون بعضهم فيطلع العربي على ما يجري في بلاد الهند ويعرف الهندي ماذا يجري في بلاد السودان والعراقي على حال إخوانه في المغرب.

أخذ أبو عبدالله يشاهد عشرات الألوف من الحجاج تتحرك كالأمواج المتلاطمة يدفع بعضها بعضاً وقد أتوا رجالاً وعلى كل ضامر ليشهدوا منافع لهم ويذكروا إسم الله، إنه لما يفرح النفس حقاً رؤية هذه الجموع المحتشدة وقد جاءت ملبية لتذكر الله وتعبده وهي تطوف حول الكعبة المشرفة مؤدية شعائر الله في هذه الأيام المباركة وهي مسرورة فرحة بأداء هذا الواجب المقدس. وما إن انتهت مناسك الحج وأفاض الناس من منى حتى بدأ كل واحد منهم يعدّ العدة ويتهيأ للعودة إلى بلاده، واختلط أبو عبدالله بين تلك الجموع وتوغل فيها.

### مع الحجاج المغاربة

بينما أبو عبدالله يمشي بين تلك الجموع مرّ على قوم من أهل المغرب

١. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٦٠.

يتكلمون بلهجتهم المميّزة وكانوا نحو عشرة رجال من قبيلة كتامة ملتفين على شيخ منهم وفيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب رجلان: حُرَيْثُ الجميلي وموسى بن مكارمة، فسمعهما أبو عبدالله يذكران لأصحابهما فضائل عليّ عليه السلام، فجلس إليهما يذكر شيئاً من ذلك معهما، فأقبل عليه جميعهم، وحدثهم طويلاً ثم نهض ليقوم فقاموا معه ومشوا المشيه وقالوا: نحب أن نعرف مكان رحلك فجاء بهم إليه، فلما كان من غد أتوه فحدثهم وأوسع في الحديث، وازدادوا فيه رغبة وعليه إقبالاً، فجعل يسألهم عن بلدهم فيخبرونه، فلما حضر التفر من منى قالوا له: أين توجهك؟ قال: إلى مصر، فسروا بذلك ورحلوا برحله وجعلوا يمشون حوله إذا سار و ينزلون بقربه إذا نزل ويخدمونه ويعظمونه. (١)

وكان أبو عبدالله يسألهم في خلال حديثه عن بلدهم وأحوال أهلهم، وكان مما سألهم عنه أن قال لهم:

- كيف طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم؟...

فقالوا: ماله علينا من طاعه ولا حكم أكثر من أن نقول إنه سلطان.

قال: وكم بينكم وبين موضعه؟

قالوا: مسيرة عشرة أيام.

قال: فبالقرب منكم أمصار؟

قالوا: نعم وذكروا ميله وسطيف وبلزمة وقالوا هي في حدودنا.

قال: فلسلطان أفريقيا بها عمال؟

قالوا: لا! فإنما بها رجال ملكوها ماله عندهم أكثر من الدعوة على المنابر

١. ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٣٨، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

وهم له طاعة في معصية.

قال: فلهم عليكم أنتم طاعة؟

قالوا: لا! بل هم يُدارون من قرب منهم منا ونحن الغالبون عليهم.

قال: فإلى من يرجع أمركم؟

قالوا: كل رجل منا في نفسه عزيز ولنا أكابر منا في كل قبيلة وعندنا قوم نظروا في شيء من العلم ومعلمون نستفتيهم في أمر ديننا وتحاكم إليهم فيما يكون بيننا فمن حكموا عليه ألزم نفسه ما ألزمه وإن عتدَّ عن ذلك قامت الجماعة عليه وما وجب في أموالنا من عشر أو صدقة أخرجناها نحن لأنفسنا فدفعناها إلى الفقراء فينا.

قال: فلا سبيل للسلطان عليكم في ذلك؟

قالوا: لا!

قال: فما مسافة بلدكم؟

قالوا: مسافة خمسة أيام طويلاً في عرض مسافة ثلاثة أيام.

قال: فأنتم قبيل واحد؟

قالوا: يجمعنا اسم كتامة ثم نفرق قبائل وأفخاذاً وبيوتات.

قال: فبعضكم ناءٍ عن بعض؟

قالوا: ما بيننا كثير تباعد.

قال: فأمركم متفق؟

قالوا: لا! نحن نارب بعضنا بعضاً ثم نصطلى بعد القتل ويصالح القوم منا قوماً ويحاربون آخرين كذا دأبنا.

قال: فإن دهمكم غيركم تجتمعون؟

قالوا: ما رام أحد منا ذلك قط.

قال: وَلِمَ؟

قالوا: لكثرة عددنا وامتناع بلدنا.

قال: وكم يكون عددكم؟

قالوا: ما أحصى ذلك أحد منا ولا من غيرنا فيما علمناه.

قال: فعندكم الخيل والسلاح؟

قالوا: ذلك أكثر كسبنا وبه نفخر وإياه نعتد لحاجتنا إليه لما بيننا من

حروبنا. (١)

### الحوار الذي أسيء فهمه

بالرغم من تأكيد القاضي النعمان - أسبق المؤرخين له - على أنه من الكوفة، إلا أن معظم الذين أتوا بعده قالوا بعكس ذلك. لقد نقلوا عن القاضي النعمان كل شيء إلا الإلتناء للكوفة. لماذا؟

إن الأمر واضح وجلي؛ فكونه من الكوفة يعني إنه شيعي والشييعي يعني الشيء الكثير عند الحكام والمتحكمين معاً وفيه ما فيه من الهول والشبور وعظائم الأمور فلا بد إذن من نفي هذا الأمر عنه حتى تستقيم الأمور، لذلك أصبح فارسياً من رامهرمز عند المقرئزي وصنعانياً عند ابن الأثير وابن خلكان وعند ابن عذاري الذي سيصبح عنده فيما بعد شرقياً أو مشرقياً. كما اختلف في دعوته وأسبابها ومسبباتها وأهدافها وميولها وبمدى علاقته بعبيد الله المهدي وعلاقة المهدي به.

١. ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٣٩، دار الأضواء.



ففي حين يرى ابن خلدون<sup>(١)</sup> والمقريري<sup>(٢)</sup> إن الشيعي كان على إتصال بالمهدي ويكتب إليه بالفتح ويبشره ويطلعه على انتصاراته. وفي حين يقول أبو الفدا في مختصره إنّ أبا عبدالله دخل سجلماسة وأخرج المهدي وولده من السجن.<sup>(٣)</sup>

نرى أن محمد بن محمد اليماني يقول في سيرة الحاجب جعفر مايلي: ولقد كلف الشيعي أبا القاسم بن المطليبي بأن يكون بجواره ليعرفه بالمهدي وقال له: إلزم على يميني ولا تفارقني فلماذا وجهك الإمام معي، وعندما رأى إن المطليبي المهدي قال لأبي عبدالله: هذا مولاي ومولاك ومولى الناس جميعاً.<sup>(٤)</sup> كذلك فإن حسين مؤنس يؤكد في كتابه (معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٢٩) أن أبا عبدالله الشيعي لم يكن يعرف عبيدالله المهدي معرفةً شخصية ولا هو رآه من قبل حتى لقد أخطأ في شخصه وتقدم بطاعته إلى رجل آخر ثم عرف الحقيقة فعدل إلى عبيدالله.

كذلك فقد نسج حول حوار مع الحجاج المغاربة كثير من الأقاويل والأوهام وقيل فيه كلمات أقل ما فيها أنها تطعن عقيدة المسلم وتخدش منزلته وتجرح كرامته حتى وهو لا يزال في الديار المقدسة يطوف حول البيت الحرام. فإبن عذارى يقول: فلما وصل أبو عبدالله للموسم لا للحج لأن الحج ليس من مذهبهم الفاسد. ويقول أيضاً: أخذ يتحيل على نيل الملك بضعيف الحيل.<sup>(٥)</sup>

١. العبر: ٣٥/٤.

٢. الإتعاظ: ص ٨٥.

٣. أبو الفدا: المختصر ص ٦٥/٢.

٤. محمود زيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١٧٠.

٥. ابن عذارى: البيان ١/١٢٤.

وابن الأثير يقول: وضع من الحيل والمكيدات وال نارنجيات<sup>(١)</sup>.  
وغير ذلك من التهم والأباطيل.

وإذا عدنا للحوار الذي جرى بينه وبين حجاج كتامة كما أورده القاضي  
النعمان ونقله عنه جميع من جاء بعده دون استثناء فماذا نرى؟  
عندما سأله عن بلده قال: أنا رجل من العراق. فهل كان يكذب في هذا؟..  
وهل الكوفة في غير العراق من البلاد؟

وسأله عن عمله فقال: كنت أخدم السلطان ثم رأيت أن خدمته ليست من  
أفعال البر فتركتها فهل في كلامه هذا خداع أو كذب أو إفتراء؟  
لقد كان يخدم السلطان فعلاً لأنه كان موظفاً ألم يكن محتسباً في البصرة؟...  
ثم أنه رأى أن خدمة السلطان ليست من أفعال البر فتركها. ومن المعلوم أن من  
أهم ما يميّز المذهب الإمامي عن غيره من المذاهب هو محاربهته للسلطان الجائر.  
(وقد مرّ معنا كيف أن الإمام الصادق(ع) حرّم العمل مع الوالي الجائر ومعونته  
والكسب معه إلا بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الدم والميتة) كما كان يأمر  
أصحابه بمقاطعة الحكومة المنحرفة ويقول: لا تعنهم على بناء مسجد. وكذلك ولده  
الإمام موسى الكاظم(ع)، وحديثه معروف مع صاحبه صفوان في تحريم التعامل  
مع الحكم الجائر في أي مجال من المجالات ولو بكراء جمل.

فأبو عبدالله إذاً صادق في حديثه منسجم مع ما يؤمن به من مبادئ..  
وسأله عن معيشته فقال أنني أطلب المعيشة من المال الحلال فلم أرَ لذلك وجهاً  
إلا تعليم القرآن للصبيان. فأين كذبه هنا؟

ألم يكن معلماً في الكوفة؟.. وهل في جوابه هذا يصنع الحيل والمكيدات؟...  
وسأله عن توجهه فقال مصر.

أعتقد أن جواب أبي عبدالله هذا هو الذي جعل المؤرخين يبنون عليه إتهاماتهم له والواقع أن أبا عبدالله بعد أن ترك خدمة السلطان في الكوفة وترك اليمن لعدم انسجامه مع أهداف ثورة ابن حوشب هناك فكر في بلد جديد يحقق فيه أحلامه وطموحاته ويمارس فيه حرية الرأي والمعتقد ويكون آمناً فيه بعيداً عن أي ضغط أو إرهاب.

وأغلب الظن أن مصر كانت ذلك البلد لأنها كانت في ذلك الوقت بلد الثورات العلوية في جميع أجزائها. ومما يقوي إعتقادنا في ذلك هو نزوله فيها وعزمه على البقاء هناك وتصريحه لرفاقه المغاربة بذلك..

### لماذا عدل أبو عبدالله عن البقاء في مصر؟

يقول القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدّعوة:

حتى إذا صاروا إلى مصر أظهر لهم أنه يريد المقام، فأظهروا الغمة لفراقه وقالوا: ما يقيمك هاهنا وما نرى معك من تجارة ولا هو بلدك؟ قال: اطلب التعليم، فابتهجوا لذلك وقالوا: ما نرى أنك تجد بلداً أجدى عليك في التعليم من بلدنا، وجعلوا يخبرونه بنفاق ذلك عندهم وتعظيم أهل بلدهم للمعلمين فيهم وقالوا: إن شئت فانظر ما عسى أنك ترى وتؤمل، فأسمعهم خيراً.

فلما رأوه قد عزم على المسير معهم اجتمعوا وقالوا: إن هذا لما يكون لنا به الفخر، وإنا لنأتي إلى بلد كتامة بشيء ما جاء به أحد ممكن كان قبلنا.

ثم خرجوا من مصر وأرادوا حمل مؤونته فأبى عليهم وسأيرهم على ما كان في تلطف، وكل ذلك أمره يعظم عندهم وجلالته تزيد في أعينهم، فكانت طريقهم من طرابلس على قسطنطينية لأنها الجادة، فلم يدخلوا إفريقية. حتى إذا صاروا إلى سوجمار من أرض سماتة تلقاهم أهل الموضع فأنزلوهم عندهم ولقي حريثاً وموسى: أبو المفتش. وأبو القاسم الورفجومي وأبو عبدالله الأندلسي -

وكان هؤلاء شيعة - فلقوا أصحابهم فأخبرهم بخبر أبي عبدالله، فنظر السمائيون إلى تعظيم الكتاميين بجماعتهم له، فرغب كل واحد منهم أن يكون نزوله عنده حتى رموا عليه السهام، فخرج له سهم أبي عبدالله الاندلسي، فنزل عنده ونزل حريث عند أبي المفتش وموسى عند أبي القاسم، وأنزل السمائيون كل واحد من الكتاميين عند رجل منهم بحسب ما يفعلونه بالأضياف الجماعة إذا حلوا بالقوم، فذبح كل واحد شاة لضييفه واحتفل في بره وإكرامه.

فنظر أبو عبدالله إلى صدق ما وصفوه من أحوالهم، وأتاه أبوالمفتش وأبو القاسم الورفجومي مع حريث وموسى من الليل، فتحدثوا عنده ملياً. ونظر أبو عبدالله إلى قوم لهم من المعرفة والفهم أكثر مما رآه لمن عاينه ممن صحبه، وأصاب عندهم من علم الشيعة وفضل أهل البيت أصلاً قوياً، فزاد في الكلام معهم والإيضاح لهم. فلما كان آخر المجلس وأرادوا القيام نظر إليه أبوالمفتش وقال: والله إني لأظنك صاحب البذر الذي يذكره الحلواني، وأخبره بخبره، وقال: فقال أبو عبدالله لأبي عبدالله الأندلسي: شيخ كويس - يعني أبا المفتش.

فلما خرج أبو المفتش قال لأصحابه: لولا واحدة كان الحلواني يقولها ما تخالجنى الشك في أن هذا الرجل هو الذي كان الحلواني يبشر به، قالوا: وما هو يا أبا حيون؟ قال: كان إذا وصفه قال: في فيه إصبع، فبلغ ذلك أبا عبدالله فتبسم وقال: هذا لا يكون، فلما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع ذلك من أبي المفتش واشترط الكتمان وضع إصبعه على فيه وقال: هذا هو الأصبع الذي يقوله الحلواني، أمركم بالصمت والكتمان، فأما أن يكون في فم رجل إصبع فلا، قالوا: كذلك والله هو، وقام عندهم الشاهد في ذلك. (١)

١. ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٤٢، دار الأضواء.

الكتاميون يتنازعون عليه أيضاً:

في كتامة حصل ما حصل في سوجمار من التنازع عليه ثم تراخوا واتفقوا على أن يتركوا له حرية الإختيار في ذلك. فقال لهم: أين يكون فجّ الأخيار. فقالوا له عند بني سكتان<sup>(١)</sup>. فقال إليه تقصد ثم نأتي كل قوم منكم إن شاء الله في مواضعهم ونزورهم في بيوتهم ولا نجعل لأحد منكم من نفسي حظاً دون أحد. فاستحسن الجميع هذا الرأي ورضوا به وسار كل قوم منهم إلى جهتهم مسرورين بأبي عبدالله معجبين بلباقته وحسن تصرفه.

وسار أبو عبدالله برفقة أصدقائه حريث وموسى والأندلسي والورفجومي وعندما اقتربوا من مواطنهم؛ سألهم أبو عبدالله:

هذا فجّ الأخيار؟

قالوا: نعم.

قال: ما سمي هذا الفجّ إلا بكم ولقد جاء في الحديث أن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق إسمهم من الكتمان فأنتم هم كتامة وبخروجكم من هذا الفجّ يسمى فجّ الأخيار.<sup>(٢)</sup>

فأعجب الكتاميون بقوله وسروا به سروراً عظيماً وشعروا بأنهم أمام رجل عبقرى ملهم فطار اسمه في الآفاق وطبقت شهرته بلاد كتامة كلها.

١. بنو سكتان: قوم من جيملة أحد بطون كتامة.

٢. ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٤٤، دار الأضواء، بيروت.

## لماذا التف الكتاميون حول أبي عبدالله؟

إتخذ أبو عبدالله من فحج الأخيار مقرأً له وراح يعقد الحلقات والإجتماعات. وسرعان ما لامست دعوته تلك قلوب الكتامين وعقولهم وأخذ الناس يدخلون فيها وبدأت جماعات من الشباب والشيخوخة معاً تلتف حوله وتناصره حتى لم تعد تجد مدينة أو قرية صغيرة إلا وصار له فيها أنصار ومؤيدون وكان مما ساعده على أن يستقطب محبة الناس جميعاً ويمتلك قلوبهم حتى أصبحوا يتهافتون عليه ويتسابقون مسرعين للدخول في دعوته تلك المفسدة التي ارتكبتها الأغلبية ورجالهم في تلك البلاد.

فقد أسرفوا في قتل الناس<sup>(١)</sup> وارتكاب المعاصي والموبقات واستباحة المنكرات واستحلال المحارم<sup>(٢)</sup> وساموا أهلها الظلم والعسف وزادوا الضرائب فأخذ الناس يتطلعون إلى أبي عبدالله تطلعهم إلى المنقذ المخلص لهم من هذه الشرور والآثام ويعتبرون دعوته لهم سبيلاً لنجاتهم وخلصهم مما هم فيه من بؤس وشقاء.

١ . إبراهيم بن أحمد قتل أصحابه وحجابه وإبنه وبناته وأخواته وأتى بأمر لم يأت بمثله أحد غيره. قيل إنه افتقد منديلاً صغيراً كان يمسح به فمه فقتل بسببه ثلاثمائة خادم - البيان ١٢٢/١.

٢ . إن المذابح التي ارتكبتها الأغلبية في باجة وبلزمة وتونس وقموده روعت أهل أفريقيا جميعاً وجعلتهم يشعرون أنهم يعيشون في ظل حكومة من القتل والسفاكين - عادلة الحمد - قيام الدولة الفاطمية ص ١٤٩.

السياسة التي اعتمدها أبو عبدالله في تنظيمه لمجتمع كتامة:

نهج أبو عبدالله في كتامه سياسة حكيمة رشيدة دلت على رجاحة في العقل وعمق في التفكير، كما دلت على مدى إحترامه التام لحقوق الإنسان وقيمه ومُثُلِه وحسن معاملته وعلى شدة تدين هذا الرجل وحرصه الكامل على مراعاة تعاليم الإسلام وتطبيق كل ما تدعوه إليه الرسالة السمحاء من عدل ومساواة وحرية والتزام كليّ بنصوص الشريعة وأحكامها الأمر الذي يجعلنا ننظر إليه على أنه رجل دين وتقى لا رجل سياسة وحروب وإن أخذ تفكيره في كثير من الأحيان ظاهراً سياسياً.

نهج في حياته نهج المعلم الصالح فسلك مسلك الطهر والعفاف والديانة واستطاع أن يثبت أفكاره ومعتقداته في أذهان الناس وأن يقضي على النزعات الفردية والعشائرية بينهم وأن ينتزع من نفوسهم كل ولاء لزعيم وكل اعتزاز بقبيلة ويحل محله المحبة والأخوة والألفة والتعاون وأن يصهرهم في وحدة دينية عقائدية متجانسة وسماهم إخواناً فكان إذا دعا أحدهم قال يا أخانا، كما دعي هو بالسيد بكتامة كما تقول العرب لصاحب أمرها والشريف فيها.

### مرحلة الصدام المسلح:

ما إن تأكد أبو عبدالله من نجاح أمره وشعر بأنه أصبح واثقاً من نفسه ومن قدرة رفاقه على مساندته ودعم موقفه حتى أخذ يعدّهم على أساس علمي خالص ويدربهم على أساليب القتال المنظم ويحضهم على الإخلاص في طاعة القائد وهنا أعلن دعوته على الملأ وأخبرهم صراحة بأنه يدعو إلى الرضا من آل البيت وقال لهم: أنا لا أدعوكم لنفسي وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت الذي هو صاحب الأمر وأنا متصرف بين يديه إذا ظهر. ثم قال: لقد جاءت

الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا وأن الله يظهر بكم دينه ويعزبكم أهل البيت وأنه سيكون إمام منهم أنتم أنصاره وشيعته والباذلون مهجتهم دونه وأن الله يستفتح بكم الدنيا ويكون لكم أجركم مضاعفاً فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة. (١)

وهكذا راح أبو عبدالله يشحذ همم الكتاميين مستشهداً دائماً بآيات من القرآن الكريم:

«يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» (٢). وكان طبيعياً ألا يخفى أمر كهذا طويلاً أو أن يبقى بعيداً عن سمع الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد وبصره أو حتى عن عماله ورجال دولته في المناطق المتاخمة لأبي عبدالله.

كما كان طبيعياً أيضاً أن يكون هذا الأمر باعث قلق وخوف دائمين في نفس هذا الأمير وأن يثير فيها عوامل الشك والإرتياب فور معرفته به ويجعله يخشى على مصير دولته ويخاف على زوال ملكه.

لذلك ما إن ترامى نبأ أبي عبدالله إلى مسامعه حتى سارع إلى استطلاع خبره ليقف على حقيقة أمره فأرسل إلى موسى بن عيَّاش عامله على مدينة ميله (٣) يسأله عن أمره. فصغَّره عنده وذكر له أنه يلبس الخشن من الثياب ويأمر بالخير والعبادة فسكت عنه.

١. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص ١٢٨ و ص ١٥٨، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٢. سورة الانفال: الآية: ٤٥.

٣. ميله: هي اليوم بالجزائر على بعد حوالي ٤٣ كلم شمال غرب قسنطينة.



لكن سرعان ما بدأت تساوره الشكوك من جديد. إذ كيف يقنع بجواب عامله هذا وأنتى له أن يطمئن إليه وقد رأى تهافت القبائل على أبي عبدالله والتفافها حوله، وأن أمره يتعاضم يوماً بعد يوم فهب كالمذعور يتولى أمره بنفسه فأرسل في هذه المرة مبعوثاً شخصياً يدعى ابن المعتصم المنجم إلى موسى بن عياش وأمره أن يرسله بدوره ودونما إبطاء إلى أبي عبدالله ليستقصى أخباره بنفسه ويصفه له كأنه يراه ويبلغه رساله خاصة منه. (١)

### رسالة إبراهيم بن أحمد وجواب أبي عبدالله عليها:

امثّل موسى للأمر فأرسل من ساعته إلى بعض بني سكتان يخبره بأن إبراهيم بن أحمد بعث برجلٍ إلى أبي عبدالله ليجتمع به ويسأله في إيصاله إليه فرفع ذلك إلى أبي عبدالله فأذن له فيه وأوصله إليه فقرأ به أبو عبدالله وأقبل عليه وقال له ابن المعتصم:

- إن الأمير إبراهيم بن أحمد وجّهني إليك وأمرني أن أبلغك عنه وأنا رسوله، وإن أذنت لي في تأدية ما أرسلني به إليك أديت إليك:

- قال له أبو عبدالله: هات ما عندك فما على الرسول إلا البلاغ المبين.

- قال: وأنا آمن؟...

- قال: وأنت آمن بأمان الله فقل كل ما قال لك.

- قال: يقول لك الأمير:

ما حملك على التعرّض لسُخطي والتوثب على ملكي وإفساد رعيتي والخروج عليّ؟.. إن كنت تتبغي عرضاً من أعراض الدنيا فإن ذلك مما تجده

عندي، وإن أنت تلافيت أمرك ورجعت عن غيِّك فأقدم إلي فأنت آمن، فإن أردت المقام ببلدي أقمت وإن أُحْبِبْتَ الإنصراف إلى الموضع الذي جئت منه انصرفت وإن كان قصدك قَصْدَ من سوَّلت له نفسها بالخلاف على الأئمة واستفساد جَهْلَةَ الأمة فقد لعلك عرفت كيف كانت عواقب من مَنَّتَه نفسه أُمْنِيَّتَكَ وسوَّلت له ما سوَّلت نَفْسُكَ لك من الهلاك العاجل قبل سوء المصير في الآجل.

فلا يُعْرَفُكَ ما رأيته من إقبال هؤلاء الأوباش عليك وأتباعهم إياك، فإني لو صرفت وجهي إليك لأسلموك وتبرؤا منك. واعلم أنني إنما أردت الأعداء إليك لإظهار الحجة عليك وهذا أول كلامي لك وآخره لا أقبل لك بعد هذا توبة ولا أقبلك عثرة ولا أجعل جواب ما يكون منك إلا النهوض إليك بنفسي وجميع أبطال رجالي وأنصار دولتي وجملة أهل مملكتي، فعندئذٍ تندم إن جَمَحْتَ الآن في الغي حين لا ينفع الندم ولا يُقْبَلُ منك التوبة، وانظر في يومك لغدك وقد أعذر إليك من أنذكرك.

- قال أبو عبد الله: قد قلت فاسمع وبلَّغت فأبلغ قل له:

أمَّا ما ذكرت من التهديد والوعيد فما أنا ممن يُرَوِّعُ بالوعيد والإيعاد ولا يهوله الإبراق والإرعاد، أمَّا تخويفك إياي بأنصار دولتك ورجال مملكتك أبناء حطام الدنيا وذباب طمعها الذين يرتاعون لكل بارق ويُجيبون كل داعٍ وناعق فإني في أنصار الدين وحماة المؤمنين الذين لا يروعهم كثرة أنصار الظالمين مع قول الله عز وجل وهو أصدق القائلين: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين»<sup>(١)</sup> فأما ما أطمعُ به من دنياه<sup>(٢)</sup> وعَرَضُهُ من زبدها وحطامها

١. جزء من الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

٢. أي إبراهيم بن أحمد.

فلست من أهل الطمع فأميل إليه ولا ممكن يرغب فيما عنده وما عرضه فيأتيه، وإنما بعثت رسولاَ لأمر حَمَّ وقرب، وانتجاز وعد من الله سبق - والله لا يُخلف الميعاد ولا يظلم إلا من ظلم نفسه من العباد - .

فإن سولت له نفسه ما توعدَّ به ودعته إليه فسوف يعلم أن الله من ورائه ولن تُغني عنه فئة ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين<sup>(١)</sup> .

فهذا جواب ما جئت به فبلَّغته ثم تحمل رسالتي إليه وبلغ عني ما حملتك إياه «إني أدعوه إلى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى الإمام المهدي من ذرية رسوله دعوة محتج عليه وراغب فيما ينجيهِ .

فإن قبل عني قبل رُشدَه وإن عندَّ فقد قدمت إليه المعذرة. ولو كان صاحبي لعجلتُ السير نحوه ولكن له ولمن بعده متاع إلى حين. حتى إذا بلغ الأجل وحان الحين (فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)<sup>(٢)</sup> .

عاد المبعوث ليخبر سيده بما سمع و ما رأى ويصف له حقيقة الأمر الذي عاينه عن كُتب ويُعلمه بأن كل ما عرضه عليه من الجاه والسلطان وأن كل ما تهدده به وتوعده لم يكثر له أبو عبدالله، فلا هو إستجاب لمغرياته الكثيرة ولا هو خاف من تهديداته الشديدة بسوء العاقبة، فامتقع له وأدرك ساعتئذٍ حراجة الموقف وخطورة أبي عبدالله وصلابته. ولكن بعد فوات الأوان. وعلم أنه أمام خصمٍ عنيد ورجل صاحب دعوة مؤمن بها لا يثنيه عن مبادئه تهديد ولا وعيد ولا تزحزحه عن معتقداته كل مفاتن الدنيا ومغرياتها. عند ذلك عمد إبراهيم بن أحمد

١ . إقتباس من الآية ١٩ من سورة الأنفال.

٢ . ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٤٩، دار الأضواء، بيروت.

إلى إسترضاء الناس بإعلان توبته وندمه على كل ما كان يفعله فيهم من مفسد ومظالم وما كان يسببه لهم من القهر والمذلة والإهانة آملاً أن يرضي العامة ويستميل قلوب الخاصة بفعله فأسقط القبالات وأخذ العشر طعماً وترك لأهل الضياع خراج سنة وسماها سنة العدل وأعتق مماليكه وأعاد للناس أكثر ما كان اقتطعه منهم.

غير إن زمان الأمر كان قد أفلت من يده وانتقل إلى أبي عبدالله الذي كان قد أعدّ العدة للحرب والتوسّع ليس ضد الأغالبة وحدهم ولكن ضد جميع القوى السياسيّة الأخرى ببلاد المغرب.

عمد إبراهيم بن أحمد بحياسة المؤمرات ضد أبي عبدالله الشيعي وشكّل مجموعة من المتآمرين وهدفهم إغتيال الشيعي في عقر داره. ما إن اتصل الخبر بالحسن بن هارون رئيس غشمان وهو من أكابر كتامة ومن أنصار أبي عبدالله الأقوياء وكان قد دخل في المذهب الجديد، وكان رجلاً من خيار المؤمنين وله أدب وحسن خلق وكرم وكان مُطاعاً في قومه ومسكنه بتازروت حتى جاء على الفور إلى إيكجان ورغب إلى أبي عبدالله في أن يذهب معه إلى بلده ليكون معه ووعده الذّبّ عنه والمدافعة دونه بنفسه وأهله وماله.

لبي أبو عبدالله رغبة الحسن بن هارون فأخذه هذا ومضى به إلى مدينة تازروت على الرغم من معارضة بني سكتان لذلك فإنهم عظم الأمر عليهم وتمنوا أن يبقى عندهم ليدافعوا عنه ويحموه بأنفسهم.

**أبو عبدالله في دار هجرته الجديدة:**

انتقل أبو عبدالله إلى مدينة تازروت فاتخذها دار هجرة وانتقل معه من استطاع النقلة من بني سكتان ومن كان هاجر إليه من المؤمنين.

تعتبر هجرة أبي عبدالله الشيعي إلى تازروت في العام ٢٨٩هـ / ٩٠١م مرحلة حاسمة من مراحل بناء الدولة الشيعية الجديدة في تلك الديار ونقطة تحول هامة في تاريخ نشوئها وتطورها.

فالشعب قد صهرته الدعوة للمذهب الجديد في وحدة دينية عقائدية تامة ووحدت بين مختلف فئاته وجماعاته وجعلته ينبذ الزعامات القبلية والعشائرية ويحطمها.

والأرض حصينة منيعة غنية بالخيرات والثروات الواسعة، والجيش، إنه هذه الجموع الغفيرة التي لا تعد ولا تحصى، وهي وإن لم تكن قد استكملت تدريباتها القتالية بعد، إلا أنها أصبحت تملك القدرة على القتال وتعرف كيف تستमित في الدفاع عن معتقدها ووجودها. ولم يترك أبو عبدالله الوقت يمر سدى، ولم ينتظر ريثما يباغته الأعداء، بل سارع إلى تحصين بلده وسد جميع الثغرات فيه، كذلك جعل الرئاسة للحسن بن هارون وسلم إليه أعنة الخيل وجعله قائداً أعلى للفرسان.

### النظام الأغلبي في مواجهة أبي عبدالله

كانت ميللة المدينة الأقرب إلى تازروت -مقر أبي عبدالله- وهي معقل حصين تحيط به سلسلة من القلاع وقد أصبحت مقر الجماعة المتآمرة عليه، وكان أميرها يومئذٍ موسى بن العباس، فقصدها أبو عبدالله في مجموعة من أتباعه وضرب حولها الحصار ثم ما لبث إن تغلب عليها.

وهكذا سقطت هذه المدينة في العام ٢٨٩هـ / ٩٠١م فكان لسقوطها وقع مؤلم في نفوس الأغلبية لأنه يعني سقوط خط الدفاع الأول عن أفريقيا. في هذه الأثناء كان إبراهيم بن أحمد موجوداً في صقلية وكان قد ولّى ابنه

أبا العباس عبدالله عهده وصيّر إليه خاتمه ووزارته في ربيع الأول ٢٨٩هـ / ٩٠١م. فأسرع هذا إلى إرسال ابنه أبي عبدالله محمد المعروف بالأحول وكان هذا فارساً بطلاً على رأس جيش بلغ عدده إثني عشر ألفاً، ثم أعقبه بمثله، وخرجت الجيوش من تونس في ذي العقدة ٢٨٩هـ / ٩٠١م واتجه نحو سطيف. ما إن علم أبو عبدالله بزحف الأحول إليه حتى برز لملاقاته فيمن معه من الأنصار والمؤيدين فالتقوا عند مشارف بلدة ملّوسة ودارت بين الفريقين معارك طاحنة تمكن خلالها أبو عبدالله وجماعته من تحقيق نصر كاسح على جيش الأحول الذي فرّ في جنح الظلام باتجاه سطيف.

وفي تلك الأثناء مات إبراهيم بن أحمد فخلفه ابنه أبو العباس عبدالله بن إبراهيم.

بينما كان الأحول يحاول إعادة تنظيم قواته في سطيف ويعيد إلى جيشه اللّحمة والترابط كان قد حدث انقلاب في تونس تسلم بنتيجته أبو مضر زيادة الله الثالث بن أبي العباس وأخو الأحول مقاليد السلطة مكان أبيه المقتول وذلك في ٢٧ شعبان سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م ولما تولى زيادة الله هذا الحكم أقبل على الفجور وشرب الخمر فألهاه ذلك عن كل شيء ثم لم يلبث أن قبض على أعمامه وأرسلهم مُقيّدين في سفينتين إلى جزيرة الكراث<sup>(١)</sup> وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ليلة الأحد ٣ رمضان ٢٩٠هـ / ٣١ حزيران ٩٠٢م أي بعد ثلاثة أيام فقط من قتله لأبيه<sup>(٢)</sup>. كذلك فقد أرسل على الفور كتاباً يستدعي فيه أخاه الأحول ويأمره

١. جزيرة الكراث: هي إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط الصغيرة تبعد حوالي ١٢ ميلاً عن مدينة تونس.

٢. الحمد، عادل علي: قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية والمغرب، ص ١٥٤، دار ومطابع

بالعودة سريعاً إلى تونس فلما بلغها قتله وعين مكانه صالح الزحاي قائداً للعسكر فبدا بعمله هذا وكأنه يكتب بداية النهاية لدولة الأغالبة لأنه بقضائه على عصب البيت الأغلبي قضى بالفعل على كل أمل في إستمرار هذا البيت في الحكم. لم يتوقف أبو عبدالله عند ذلك النصر الباهر في سطيف، بل تابع زحفه بجيشه الظافر متوجهاً نحو كينونة وطنبه، حتى أن الخليفة العباسي المكتفي بعث بكتاب يحث به عامل أفريقية على نصره زيادة الله ومحاربة الشيعي وقرىء، كتابه على الناس<sup>(١)</sup>. وظل أبو عبدالله متابعاً زحفه على مدينة طنبه، ولما أطل عليها بجيوشه من فج زيدان قال مفتخراً:

من كان مُغْتَبَطاً بِلينِ حَشِيَّةٍ      فحشيتي وأريكتي سَرَجِي  
 من كان يُعجبه ويُبهجُه      نَقَرُ الدُّفوفِ ورثَةُ الصَّنَجِ  
 فأنا الذي لا شيء يُعجِبُنِي      إلا أقتحامي لُجَّةَ الوَهْجِ<sup>(٢)</sup>  
 سل عن جيوشي إذ طَلَعْتُ بها      يومَ الخَميسِ ضُحَى من الفَجِّ<sup>(٣)(٤)</sup>

ثم تقدم فأحاطت بها عساكره من كل جهة وحاصرها فسقط سورها بعد معركة رهيبة واستسلمت المدينة بعد أن استأمن أهلها وذلك في أواخر شهر ذي

→

- المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.
١. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ١/١٤٠، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
  ٢. في الحلة السيرة: الرهج وهو غبار الحرب.
  ٣. الفج هو فج زيدان المطل على طنبه. وقد فتح أبو عبدالله طنبه في سنة ٢٩٥هـ. وفي الحلة السيرة: سل عن خميسي، مجانسة مع يوم الخميس.
  ٤. اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢٧، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ص ١٩٨٦م.

الحجة سنة ٢٩٣هـ / ١٩٠٥م. (١)

### التطبيق الشرعي للعشور والخراج:

كان من شدة تدين أبي عبدالله وحرصه التام على مراعاة تعاليم الإسلام وتطبيق ما تدعو إليه الشريعة من عدل ومساواة وإحقاق للحق ومحاربة للباطل بجميع صورته وأشكاله أن التزم بعقائد المذهب الشيعي وتعاليمه التزاماً تاماً حتى أصبح إلتزامه به السمة المميزة له في سلوكه وتصرفاته وكل ما يقوم به من أعمال ولاسيما عند تحصيل الأموال وجبايتها حيث كان يرفضها إذا لم تكن مأخوذة وفق أحكام الشريعة ومقتضياتها وليس أدل على ذلك من تلك الحادثة التي أوردها ابن عذاري في بيانه - على ما عنده من كره وعداء له فقال:

كان في المدينة (٢) جباة على ضروب فأتوه بما في أيدهم من الجباية فقال لأحدهم: من أين جمعت هذا المال؟... فقال له: من العشور. فقال أبو عبدالله: إنما العشور حبوب وهذا عين (٣). ثم قال لقوم من ثقات طبنة: إذهبوا بهذا المال فليُرد على كل رجلٍ ما أخذ منه وأعلموا الناس أنهم أمناء على ما يُخرج الله لهم من أرضهم، وسنة العشور معروفة في أخذه وتفرقة على ما ينصُّه كتاب الله عزَّ وجل. ثم قال لآخر: من أين هذا المال الذي بيدك؟...

قال: جبيته من اليهود والنصارى جزيةً عن حولٍ مضى لهم. فقال له: وكيف أخذته عيناً وإنما كان رسول الله (ص) يأخذ من الملىء ثمانيةً وأربعين درهماً من

١ . اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢٧، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٢ . يقصد طبنة.

٣ . العين: هو المال النقد.



المتوسط أربعة وعشرين درهماً ومن الفقير إثني عشر درهماً؟....  
فقال له: أخذت العين عن الدراهم بالصرف الذي كان يأخذه عمر. فقال أبو  
عبدالله: هذا مال طيب. ثم أمر أحد دعاة المذهب الجديد بأن يفرقه على أصحابه.  
وقال لمن أتاه بمال الخراج:

هذا مال لا خير فيه ولا قبالة ولا خراج على المسلمين في أموالهم. ثم أمر  
ثقات أهل طنبه برده على أهله.

وقبض مال الصدقة من الإبل والبقر والغنم بعد أن قيل له إنها قُبِضَت الأنعام  
على الأسنان الواجبة في الصدقات ثم بيعت وجمعت أثمانها فرضي بذلك  
وجوّزه.

فلما نظر أهل طنبه إلى فعله سُرّوا به ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب  
والسنة، وانتشر فعله في جميع نواحي أفريقية فتاقت أنفسهم إليه وكتبوه ودخلوا  
في طاعته. (١)

تابع أبو عبدالله تقدمه حتى مدينة بلزّمة ففتحها وخطب في أهلها قائلاً:  
«إني أدعوكم إلى طاعة الإمام المعصوم من أهل البيت وأنا متصرّف بأمره  
متى ظهر» كذلك فقد أخذ يركز - أبو عبدالله الشيعي - على توعية الناس وإفهامهم  
حقيقة الإمام المهدي المنتظر الذي يدعو إليه؛ وجعل هذه الحقيقة تعيش في ضمير  
أتباع المذهب الشيعي الجديد ووجدانهم وعلى التأكيد لهم بأنه موجود وأن  
وجوده لطف من الله تعالى بعباده، وهي حي يرزق وأنه سيظهر متى يأمر الله تعالى  
ذلك، ومتى ظهر فإنه سيفتح البلاد شرقها وغربها ويستولي عليها ليطبق فيها  
الإسلام الحق كما جاء به جده النبي (ص) فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت

١. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ١/١٤١.

ظلماً وجوراً. وراح يوضح للناس حقيقته ويبيّن لهم صفاته، إنه من أهل البيت، معصوم من الذنوب والمعاصي كبيرها وصغيرها ولا يجوز عليه السهو ولا النسيان، يؤيد بالدين ويعمل بالعدل وهو عالم فاضل زاهد تقي ورع بعيد عن الشهوات والأهواء ينفذ الأحكام ويقين الحدود ويحفظ الشريعة، تتجلى العصمة في سلوكه وعلى جميع أعماله وتصرفاته.

كذلك فقد عمل أبو عبدالله على إشاعة الطمأنينة في المجتمع فأرسى أسس العدل بين الناس وألغى الضرائب المتنافية مع أحكام الشريعة الإسلامية ورفع المظالم. فكان لتلك السياسة الرشيدة التي أتبعها أطيب الأثر في قلوب الناس في جميع النواحي التي افتتحها، فأحبوه ومنحوه ثقتهم و تحولوا إلى جانبه بحماس منقطع النظير.

### سقوط عدة مدن أغلبية:

لم يتوقف أبو عبدالله عن زحفه عند هذا الحد بل راح ينتقل من نصر إلى نصر وانطلق جيشه يحتل المدن الأغلبية ويفتحها تارةً عنوة وتارةً صلحاً، ففتح مدن باغاية<sup>(١)</sup> والأربس<sup>(٢)</sup> وتيجس<sup>(٣)</sup> حتى وصل إلى القيروان.

تابع أبو عبدالله زحفه نحو القيروان ليشهد بنفسه إنهيار نظام الأغلبية ويراقب إنتهاء حكمهم. فلما بلغها خرج إليه شيوخها وفقهاؤها وأعيانها فسلموا عليه وهنأوه بالفتح فرد عليهم أحسن الردّ وأقبل عليهم بوجهه وأمرهم فركبوا

١ . باغاية: مدينة بالجزائر اليوم على بعد حوالي ٥٠ كلم جنوب غرب العين البيضاء على مقربة من جبل أوراس.

٢ . الأربس: مدينة جنوب الكاف الكائنة في الشمال الغربي للقطر التونسي على طريق تالا.

٣ . تيجس: مدينة بالجزائر اليوم على البحيرة الطويلة شمالي باغاية.

دوابهم ودعا وجوههم فاستصحبهم وحدثهم وأتمهم في أنفسهم وما ملكته أيديهم فأعجبوا به وسرهم إقباله عليهم وما رأوه من تواضعه وحسن عشرته ثم قال لهم: «قد أخذتم بحظكم ونظرتم لأنفسكم وعلمتم بما فيه نجاتكم وما يعود بالنفع عليكم في عاجلكم وآجلكم»<sup>(١)</sup> وأخذوا يذمون زيادة الله وعهده ويذكرون مساوته وهو ساكت عن ذلك حتى إذا أكثروا فيه قال لهم: «أتمته الذين ولّوه وقدموه وآباؤه من قبله وآباؤهم من قبلهم أسوأ حالاً منه، فلو علمتم ورأيتم أحوال بني العباس وما هم عليه من الفسق وسوء الحال لما تعاضتم ما رأيتموه من هذا وما وصفتموه من وهنه وضعف أمره فما أبقى في المدافعة والاجتهاد بما قدر عليه وأمكنه، ولقد كان له من القوة والمتعة ما رأيتموه، ولكن أمر الله لا يُدافع ولا يُغالبه مغالب وأولياء الله المنصورون وجنده الغالبون ومن حزمه وشدة أمره هربه من بين أيدينا إذ لم ير أن له بنا طاقة»<sup>(٢)</sup>. فأمسكوا عن ذلك. وأمام الحشد الكبير الذي أقبل على القيروان من كل ناحية أعلن أبو عبد الله الشيعي زوال العهد الأغلبي<sup>(٣)</sup> وانتهاء حكمه الذي استمر مئة واثنى عشرة سنة وذلك من العام

١. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢١٣، دار المنتظر، بيروت.

٢. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢١٣.

٣. وكان آخر ملوكها زيادة الله الأغلبي حيث فشاعنه شرب الخمر بعينها ولم يكن قبله يُعرف بأفريقية شربها وأظهر الغناء والمعازف، وجمع إليه أهل اللهو والمتخنين والمضحكين، وكان لا يقلع عن الشرب ولا يكاد أن يرى إلا سكراناً، واتخذ ندماء يتصافعون بين يديه ويفحشون في القول عنده، ويأتون مالا ينبغي أن يذكر فضلاً عن أن يعمل به. وكانوا يتخذون له مثانات الغنم منفوخة مربوطة ويجعلها تحت بساطه فإذا دخل عليه الجليل من رجاله فجلس تقعت تحته فيضحك ويضحك أصحابه في كثير من الرقاعة والعبث والمجانة والخلاعة.\*

١٨٤هـ / ٨٠٠م إلى العام ٢٩٦هـ / ٩٠٨م .

تابع أبو عبدالله زحفه نحو رقادة فأقبل عليها في سبعة عساكر بلغت على ما ذكره المؤرخون ثلاثمائة ألف مقاتل بين فارس وراجل فوصل إليها يوم السبت غرة رجب سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م فزلزلت الأرض تحت سنابك جيوشه الجرارة التي بدت وكأنها الجراد المنتشر ورأى الناس من جمعهم مالم يظنوا أنه يجتمع مثله لأحد من الناس، ونظر الناس من حسن السمع والطاعة والعفاف والسكينة إلى ما صدق عندهم ما كان يُحكى عنهم لهم.

حيث قال الشاعر التونسي من قبل، وكان ممن يُعنى بعلم الحدّثان، فقال يخاطب إبراهيم بن أحمد من ملوك بني الأغلب... وقد سأله أن يخبره بما عنده في أمر دولتهم وغاية ملكهم فقال:

وَلَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ عَشْرُونَ وَالْيَأْ

تَدِينُ لَهُمْ بِالرَّغْمِ أَرْضُ الْمَغَارِبِ<sup>(١)</sup>

وَفِي السِّتِّ وَالتَّسْعِينَ تَهْطُ رَايَةٌ

مِنَ الْغَرْبِ فِي جَمْعِ كَثِيرِ الْمَوَاكِبِ

يَمْرُقُ أَرْضَ الْبَرْبَرِيَّةِ جَمْعُهُمْ

بِخَيْلٍ كَأَمْثَالِ الْقَطَا الْمِتْسَارِبِ

→

\* ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ١٤٨.

١. ولاية العبّاسيين على إفريقية، ابتداءً بآبن الأشعث الخزاعي وانتهاءً بزيادة الله الثالث يفوقون العشرين.

وتطلع شمسُ الله من غرب أرضه  
فلا تَوْبَةٌ تُرْجَى هناك لتائبٍ  
ويظهرُ من أبناء فاطمةَ أمرؤُ  
تقيُّ، نقيُّ العِرضِ، جمُّ المواهبِ  
سميَّ نبيِّ الله، وأبنُ وصيِّه  
وأكرمُ مولودِ، وأشرفُ طالبِ<sup>(١)</sup>  
فيملاً أرضِ الله عدلاً ورحمةً  
بأيَّامِ صدقِ طيِّباتِ المكاسبِ  
وبالأعورِ الدجَّالِ ينهدُّ جمعه  
سوى عُصبةٍ في باذخِ الطودِ راتبِ  
ويقتله من بعد ذلك ابنُ مريمِ  
بقدره ربِّ ماله من مُغالِبِ  
ومن بعدها موتُ ابنِ مريمِ مُفضياً  
إلى الله في حُكْمٍ من الله واجبِ<sup>(٢)</sup>

وكذلك الشاعر المغربي ابن عقبة يتنبأ بظهور المهدي فيقول:

استمع الحقَّ ودع عنك اللعبِ  
وهالكُ قولاً صادقاً غيرَ كذبِ  
إذا أرى الكوكبُ تطويلَ الذنبِ  
فذاك حدثٌ ظاهرٌ قد أقترَبِ

١ . هذه الأوصاف تنطبق على القائم، لا على عبيدالله المهدي.

٢ . البعلابي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ١٥.

في السِتِّ والتسعينَ يأتيك العجب

بعد كمال المائتين في رجب

من جيجل<sup>(١)</sup> ينقضُ جيشُ ذولجَبِّ

أمضى من الجمرِ إذا الجمرُ التهبُ

من بربرٍ يسعونَ في كلِّ حَدْبِ

رَكْباً ورَجْلاً ما يملُّون التَّعَبِ

قد ملَّوْا المشرقَ خوفاً ورهَبِ

وأنزلوا بالغربِ ذُلًّا ونَصَبِ

يغررُها الراكبُ في عُودِ الركبِ

يقودُهم كَهْلٌ عليهم بالكُتُبِ

تنقلبُ الدولةُ فيما تنقلبُ

مهديةً في نصِّ أسفارِ الكتبِ

ومن هذا المعنى أيضاً - التنبؤ بالمهدي - يقول ابن عقبة:

قد قلتُ لَمَّا طار عني الكرى حَتَّى متى ياليلُ لا تُصبحُ

عَذَّبَنِي الوجدُ وفَقْدُ الكرى كِلاهما أقسم لا يَبْرَحَ

وكيف لا يحزن من لا يرى بأنَّه يبلغ يا مَسْطَحَ

دهرا يرى فيه إمامَ الهدى بالله للمغرب يَسْتَفْتَحُ

ويبتني البيضاء في لَجَّة خضراء، فيها نُونُها يسبح<sup>(٢)</sup>

ينجو من الأهوال سَكَّانها والأرض منها كلها تُفْتَحُ

١ . جيجل: مدينة بالجزائر على البحر، وهي من بلد كتامة.

٢ . البيضاء والخضراء: المهديَّة وبحرُها.

لو مُدَّ من عمري إلى وقته      لكنتُ في القرن الذي يفلح  
هيهات! ما ذا العُمُر مما أرى      فيما أرى، الموت به يسمَحُ<sup>(١)</sup>  
وكذلك الشاعر إبراهيم بن هرمة الفهريّ يقول مبشراً بظهور المهديّ ودنو  
أوانه: (٢)

ألا يا شيعَةَ الحق،      ذوي الايمان والبرِّ  
أتتكم نُصرةُ الله على التخويف والزجر  
فلا تدعوا إلى الداعين أهل التَّكث والغدر  
فلو قد فُقد العاشر، أو زيد على العَشر  
لدارت عُصْبُ الضُّرِّ      على الدائر بالشرِّ  
فعد السَّت والتسعين      قطع القول والعذر  
لأمر ما يقول النا      س: ببيع الدرِّ بالبحر  
وصار الجوهر المخزو      ن علقاً غيرَ ذي قَدْر  
يتيمُّ كان خلفَ البا      ب، فانقضَّ على الوكر

وقال الشاعر محمد بن رمضان - وكان من الشيعة - و ذكر دنو الفرج بقيام  
المهديّ بالله سلام الله عليه:

جَلَّ المصابُ لئن كان الذي ذكروا      ممَّا أتتنا به الأنباء والخبرُ  
عن ألف أزوَاعٍ كالآساد قد قُتلوا

بساعةٍ في سواد الليل إذ غُدروا

١ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ١٨، ص ٢٠، دار الغرب  
الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٢ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢١.

لو كان من بيت الآساد أيقظهم  
حلّت به منهم الأحداث والغير  
قل لابن أحمد إبراهيم مألكتة  
عن الخير بما يأتي وما يذر  
عن المشرد في حب الأئمة من  
آل النبي، وخير الناس إن ذكروا:  
أعلم بأن شرار الناس أطولهم  
يداً بمكروه غدر إن هم قَدروا  
لا سيما الجارش والضيف القريب، ومن  
أعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا  
فما اعتذارك من عار ومنقصة  
أتيتها عامداً، إن قمتَ تعتذر؟  
جرّعت صيفك كأساً أنت شاربها  
عماً قليل وأمرُ الله يُنتظر  
فدولة القائم المهدي قد أرفت  
أيامها في الذي أنبأه الأثر  
عن النبي، وفيها قطع دولتكم  
يا آل أغلب فارجوا ذاك وأنتظروا  
وقطع أمر بني العباس بعدكم  
وقطع أمر بني مروان إذا بطروا



وقال أيضاً محمد بن رمضان من قصيدة: (١)

فهذا أوانُ الحقِّ قدحان حينه

ودولة آل البـغـي أن زوالها

كأنني بشمس الأرض قد طلعت لنا

من الغرب مقروناً إليها هلالها

فيملاً أرض الله قسـطاً بـعدله

بمأضمٍ منها سهلها وجبالها

وآمنٌ فيها ما أخاف وأتقي

وأظفرُ بالزُّلفى به وأنالها

### إخضاع جزيرة صقلية:

بعد ذلك أراد أبو عبدالله إحتلال جزيرة صقلية وضمها إليه نظراً لموقعها الاستراتيجي المميز وأهميتها البحرية وتأثيرها الحربي المباشر على كامل الشمال الأفريقي فأرسل إليها أحد رجاله ليطلب من سكانها إعلان الطاعة والولاء والتخلص من عهد الأغلبة ومحو جميع آثاره ورموزه بعد أن باد حكمهم في أفريقية. وما أن وصل مبعوث أبي عبدالله إليها حتى هبّ سكانها لاستقباله بالفرح والإبتهاج وأعلنوا له إستجابتهم لطلبه طائعين ولم يقفوا عند هذا الحد وإنما توجهوا فوراً إلى دار الإمارة وانقضوا على (الحسن بن رباح) العامل من قبل زيادة الله عليها فخلعوه وقدموا عليهم (علي بن أبي الفوارس التميمي) ونصبوه والياً عليهم وطلبوا من المبعوث التوسط لدى أبي عبدالله للموافقة على هذا التدبير نظراً لكفاءة هذا الرجل في هذا المجال فما كان من أبي عبدالله إلا أن أجابهم لطلبهم وأقر ابن أبي الفوارس في منصبه وانتقل بذلك أمر الجزيرة إليه.<sup>(١)</sup>

## إعلان الحكومة الشيعية الأولى والتنظيمات الدينية والإدارية فيها:

في رقادة شرع أبو عبدالله في العمل على تنظيم البلاد وضبطها وتوزيع السلطات والإدارات على أصحاب الإختصاص والكفاءة والمعرفة. وقبل كل شيء أمر منادياً فنادى بالقيروان بالأمان التام للعامة أمّن فيه بصورة خاصة من بقي بالقيروان من بني الأغلب وقوادهم الذين تخلفوا عن زيادة الله وأمر بعودة المهجرّين إلى ديارهم فعادوا من كل مكان وأمر بقتل من خرج ليلاً أو شرب مسكراً أو باعه أو حمّله أو وُجِدَ عنده. وبقطع كل ما ظهر من المنكر ونشر العدل وأشاعه فاستوت الأمور واعتدلت وأمنت السبل ومشت السيارة وخاف أهل الأذى والدعارة وقُتلوا حيثما تُقفوا، وطُلبوا أينما توجهوا وأمر بجمع ما ظهر من أموال زيادة الله وعبيده وسلاحه ودوابه ومن بقي له من الجوّاري وأمر بحفظهن ولم ينظر إلى واحدةٍ منهنّ وأمر بهن بما يصلحنّ.<sup>(١)</sup> كما أمر بإحضار أخيه أبي العباس المخطوم من طرابلس وكان محبوساً فيها وإحضار أبي المقارح من إيكجان.

بعد ذلك أمر بتوزيع السلطات في القضاء والإدارة على مستحقيها من أنصاره وقواد جيشه ممن عرف منهم بالحزم واليقظة والمرونة وحسن التصرف فعجل منهم معظم موظفي الدولة ومساعدتي العمال في الولايات والأقاليم، ثم أعلن قيام أو حكومة إسلامية شيعية في شرقي المغرب وقد تألفت على الشكل التالي:

١ - محمد بن أحمد بن زكريا (أبو العباس المخطوم) نيابة رئاسة السلطات

التنفيذية العليا في أفريقيا.

- ٢- تمام بن معارك الإيجاني (أبو زاعي): إدارة الشؤون العامة في أفريقيا.
  - ٣- غَزْوِيَّة بن يوسف الملوسي: إدارة شؤون مدينة سوسة ونواحيها والإشراف على خزائن الأغلبة وممتلكاتهم.
  - ٤- الحسن بن أحمد بن أبي خنزير: إدارة شؤون القيروان.
  - ٥- خلف بن أحمد بن أبي خنزير: إدارة شؤون القصر القديم (العباسية).<sup>(١)</sup>
  - ٦- محمد بن عمر المروزي<sup>(٢)</sup>: قضاء مدينة القيروان مع تكليفه بتعيين قضاة وحكام المقاطعات.
  - ٧- أحمد بن فروخ الطنبلي: إدارة شؤون أملاك زيادة الله مع تكليفه بإعادة جميع المسروقات من رقادة إلى أصحابها.
  - ٨- السيدة رَوْنْد (المرأة الصالحة): الإشراف المباشر على إصلاحية إستحدثت وضعت فيها جواري زيادة الله مع تكليفها برعاية شؤونهن وإصلاحهن.
  - ٩- أبو بكر الفيلسوف المعروف بإبن القمودي: الإشراف المباشر على دار السكة<sup>(٣)</sup> وضرب النقود.
- وقد كان لهذه الحكومة برامج عامة في حقول التربية والاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلوم الدينية وغيرها. وقد ورد معظمها في البيان الحكومي الذي أذاعه أبو عبدالله من على منبر مسجد رقادة وأمام الجموع المحتشدة التي غصَّ بها المسجد وباحاته وساحاته المجاورة وأمر أن تكتب نسخ منه توزع في

---

١. العباسية: مدينة أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٥هـ على بعد ٣ أميال جنوبي القيروان.  
٢. المروزي: قاضي أفريقية، كان له نظر في الفقه من قول أهل البيت وكان معتقداً لمذهب الشيعة معروفاً بذلك.  
٣. السكة: كلمة تدل على خاتم الحديد الذي تطبع عليه العملة أو تضرب عليه بالمطرقة.

مختلف البلدان وتقرأ من على منابر مساجدها وكان نص البيان كما يلي:

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

: الحمد لله رب العالمين و صلى

الله على رسوله محمد وعلى أهل بيته الطاهرين. أما بعد فالحمد لله الناصر لأوليائه لما سبق لهم من وعده والخاذل لأعدائه بعد الأعدار إليهم بوعيده، الذي لم يجمع بين أنصار الحق وأتباع الباطل في مواطن من مواطن التحاكم إلا وهب لأنصار دينه النصر وأيدهم بالعز وأنزل بأعدائه البأس<sup>(١)</sup> والنقمة والدمار والهلكة إظهاراً لفضل منزلة الحق عنده وإذلاً لمن عَدَّ عن سبيله وصدف عن حقه، حمداً يرضاه ويتقبله ويحسن المزيد عليه من فضله. وإني لم أزل بحمد الله ونعمته مذقت لله بواجب حقه ذاباً عن دينه طالباً ثأر أوليائه، أمر بالمعروف وأدعو إليه وأنهى عن المنكر وأحذر منه، أحبي ما أماته الظالمون من معالم الحق، وأجاهد أعداء الله المارقين المغتصبين حق آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقدم الموعدة إلى بني الأغلب والإنذار بانتقاص أطرافهم وتطرق مدائنهم طمعاً في إنابتهم إلى الحق ورجوعهم إليه وإقرارهم به ودخولهم تحت لوائه متوقفاً عن التقم عليهم رجاء حقن دماء المسلمين، فكلما ازددت بالرفق بهم بصيرة إزدادوا في الضلال تمادياً وعلى ظلم عباد الله تعاوناً وعلى المعاصي جراءة وفي الغي إقداماً لا يرجعون إلى تقيه ولا يراعون الله إلا ولا ذمة. فلما يئست من إنابتهم وانقطع طمعي من توبتهم رأيت أنه لا يسعني ترك مناجزتهم فقصدت ببعض جيوشي المنصورة وعساكري المؤيدة مجتمع جيوشهم بالأربس واثقاً بالله متوكلاً عليه منتجزاً ما وعد أوليائه في من نصّب لهم وعاداهم وتولّى سواهم. فممنح الله أوليائه دينه

١. البأس: الخوف والعذاب.

أكتافهم فقتلواهم أترح القتل في كل وادٍ ومغارات ومدغل<sup>(١)</sup> وتفرق من سلم منهم شذوذاً قد استأصل الله شأفتهم وكسر شوكتهم واجتاح ناجمهم<sup>(٢)</sup> ووصل فلهم إلى المخدول زيادة الله فأسلم ملكه وخرج هارباً قد أوبقته ذنوبه ومعصيته وأسلم أهله وماله وولده وأهل بيته وكان في فراره أعظم الخير للمسلمين في حقن دمائهم وقطع ظلمه وجوره عنهم، فسدت على حُرْمِهِ ستر العفاف وحفظت منهم مالم يحفظه من ذمارهن<sup>(٣)</sup> إحتساباً لثواب الله وإتباعاً لقوله جل ذكره: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»<sup>(٤)</sup> بعد إن كنت عزمت على الإنصراف لأخف الوطأة على أهل القيروان رفقاً بهم وإعذاراً إليهم حتى أتاني رسولهم وتلقاني علماؤهم وشيوخهم يسألونني الأمان لهم والحوطة عليهم ويرغبون في ذلك إلى، فأجبت سؤالهم وحققت آمالهم وسكنت دهماءهم وشملت بالأمان البريء والنطف<sup>(٥)</sup> والبر والفاجر منهم ومن غيرهم بعد أن أحاطت بهم العساكر المنصورة والجيوش المؤيدة وتلافت نفرة النافر وقبلت فيئة الرّاجع وأقلت المستقيل طلباً لعظيم ثواب الله الجزيل.

وأنتم معشر أهل... (رقادة والقيروان) داخلون فيما دخلتم فيه وصائرون من الأمان والحفظ والحوطة إلى ما أصرتهم إليه ما قبلتم ذلك وما أقبلتم عليه وعرفتم فضل النعمة عليكم به فاسمعوا وأطيعوا واثبتوا وأجيبوا واحمدوا الله

١ . مدغل: هو بطن الوادي والجمع مداغل.

٢ . الناجم: الذي يظهر ويطلع.

٣ . ذمارهن: والذمار هو كل ما يجب عليك حمايته وحفظه والدفع عنه: الحرم - الأهل - الحوزة.

٤ . الأنعام: الآية ١٦٤ - الإسراء: الآية ١٥ - فاطر: الآية ١٨٠....

٥ . النطف: الإنسان ذو العيوب والمساويء والأخطاء.

ربكم على ما وهب لكم ودافع عنكم، وكونوا في الحق أعواناً وعلى إماتة الباطل أنصاراً تظفروا بحظكم واشكروا الله على أنعامه عليكم يُدم لكم ذلكم ويزدكم، ولا تكفروا فيوقع بأسه بكم فإنه يقول وهو أصدق القائلين: «لئن شكرتم لأزيدنكم وإن كفرتم إن عذابي لشديد»<sup>(١)</sup>.

وأمر أن يزداد في النسخة المرسلّة إلى أهل صقلية ما يلي:  
وأنتم معشر أهل جزيرة صقلية أحق بما أوليته من المعروف والإحسان وأزديته وأولى به وأقرب إليه لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة. وسوق أملأ إن شاء الله جزيرتكم خيلاً ورجلاً من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيُعز الله بهم الدين والمسلمين ويذل بهم الشرك والمشركين، والحوّل والقوة لله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.<sup>(٢)</sup>

بعد ذلك أخذ أبو عبد الله في تغيير معالم العهد الأغليبي ومحو رسومه وتبديل عاداته وتقاليده تمشياً مع العهد الجديد وانسجماً مع مبادئه وأهدافه. وشرع كل واحد من أعضاء الحكومة الجديدة يعمل على تنفيذ المهمة التي أوكل إليه أمرها ويتولى بنفسه الإشراف المباشر عليها وفق توجيهات أبي عبد الله وإرشاداته.

وما إن أطل أول يوم جمعة حتى أمر الخطباء في القيروان ورقادة والمدن الأخرى بإسقاط إسم الخليفة العباسي<sup>(٣)</sup> من الخطبة، وأمر بأن يزداد في الآذان بعد (حي على الفلاح) (حيّ على خير العمل) وأسقط من آذان الفجر (الصلاة خير من النوم) وقال إعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول.

١. جزء من الآية ٧ من سورة إبراهيم.

٢. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٢٢.

٣. كان يومها المقتدر.

واهتم أيضاً بدار الضرب فاتخذها وسيلة لإيصال مبادئ العهد الجديد إلى الناس وتعريفهم بها، فأمر بضرب السكة على ألا ينقش عليها إسم لأحد<sup>(١)</sup> وسميت (السيدية). وكانت صورة الدينار الذي ضربه على هذا الشكل:

- كتابة دائرية: بسم الله - ضرب هذا الدينار سنة سبع و تسعين ومائتين.  
- الوجه الأول: محمد رسول الله - تفرق أعداء الله.  
- الوجه الآخر: العزة لله وحده - لا إله إلا الله - بلغت حجة الله.  
- كتابة دائرية: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.<sup>(٢)</sup>  
ثم نقش على سكة أخرى جعل فيها مكان ذلك (الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين).

ونقش على السلاح: عدة في سبيل الله.  
ووسم الخيل على أفخاذها: الملك لله.  
ونقش في فص خاتمه الخاص: فتوكّل على الله إنك على الحق المبين.<sup>(٣)</sup>  
وفي الخاتم الذي يطبع به السجلات: وتَمَّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.<sup>(٤)</sup>  
وكتب على الرؤية البيضاء: سيهزم الجمع ويولون الدبر<sup>(٥)</sup> وقل جاء الحق

١ . دلالة على أن أبا عبدالله لم يكن عنده خلفيات أو إلتماءات لأحد.

٢ . عبدالرزاق، الدكتور محمود: الأغالبة، ص ٢٦٠.

٣ . جزء من الآية ٧٩ من سورة النحل.

٤ . الأنعام: الآية ١١٥.

٥ . القمر: الآية ٤٥.



وزحق الباطل إن الباطل كان زهوقاً<sup>(١)</sup>. ووضع على الألوية أهلة<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك عمد إلى تنظيم البلاد فقسمها إلى وحدات سياسية وعسكرية وجعل على كل وحدة منها قائداً من قواده دعي بالمقدم يعاونه عامل مدني للأمر الحياتية والاجتماعية. ولم يكن يؤمن بحصر السلطات وتجميعها في يد واحدة أو منطقة واحدة وإنما اعتمد نظام اللامركزية فمارس النظام الديموقراطي كأفضل ما تكون الممارسة مما جعل المضطهدين في مختلف الأقطار الإسلامية يفتدون إلى بلاده حيث يجدون الرعاية الطيبة والمعاملة الحسنة وتتوفر لهم حرية الرأي والمعتقد فيمارسون شؤونهم الخاصة والعامة ولاسيما الدينية منها بحرية تامة.

والحقيقة تقال: إن عبدالله وإن كان قد عمل على نشر المذهب الشيعي وتعريف الناس به في البلاد التي افتتحها وإن كان أيضاً قد رأس في أهل المغرب رياسة دينية وقرر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا به، إلا أنه لم يكن في عمله هذا مذهبياً متعصباً، فقد كان يحترم المذاهب الإسلامية كلها ويجلها ويقدر شيوخها وعلماءها وأئمتها وكان كل همه أن يعرف الناس بمذهب أهل البيت ويكون هو وأنصاره كما قال سهل بن بركاس: نريد أن نكون كأهل مذهب من مذاهب المسلمين وهذا ما دفع بأحد المؤرخين المغاربة لأن يقول:

«والملاحظ أن مذهب الشيعة لم ينتشر هنا بأرض المغرب عن طريق الإرغام أو العنف والإكراه كلا! وإنما اعتنقه من اعتنقه عن طواعية وموافقة وذلك

١. الإسراء: الآية ٨١.

٢. الجيلالي، عبدالرحمن: تاريخ الجزائر العام، ٢١٥/١، دارالثقافة، بيروت، طبعة سادسة،

ما نستنتجه من حديث جرى بين الأخوين زعيمي الشيعة بالمغرب أبي عبدالله وأخيه أبي العباس: قال النويري: إنه لما وصل أبو العباس الشيعي إلى أرض المغرب أراد أن ينفي عن القيروان من يخالف مذهبه فقال له أخوه أبو عبدالله: «إن دولتنا دولة حجة وبيان وليست بدولة قهر واستطالة فاترك الناس على مذاهبهم، فتركهم وكان هذا قبل حضور عبيدالله المهدي».<sup>(١)</sup>

## مناظرات أبي عبدالله مع فقهاء القيروان

هذا الإنفتاح الكبير على المذاهب الإسلامية الأخرى وهذه النفس الطيبة السمحاء والفكر المتسع لكل أنواع المعارف والعلوم، كل ذلك جعله قبلة أنظار الجميع ومحط ثقتهم وإعجابهم لاسيما فقهاء المذاهب في القيروان وشيوخها وعلمائها حيث أقبلوا عليه وبكل حرية فناظرهم في الإمامة وفيما خالفوا فيه أهل البيت وفي قيام شهر رمضان وفي الكتاب والسنة والحديث، وتحريم الخمر وفي القياس والقضاء والحلال والحرام ومختلف جوانب الشريعة الإسلامية، كما طلب الإجتماع بالعلماء من المجادلين والكلاميين ليناقضهم في كل شيء. وقد أورد المالكي<sup>(١)</sup> طائفة من المناظرات ظهر فيها التشويه والتحريف والوضع المتعمد لطرح الأسئلة والجواب عنها كما ظهرت فيها روح الكراهية الممقوتة والتعصب البغيض. وهذا بعض ما أورده في بعض المناظرات:

### مناظرة أبي عبدالله الشيعي لأبي عثمان سعيد بن الحداد:

قال أبو عثمان: أرسل ورائي الشيعي وما كنت آتي إليه إلا برسول. فدخلت إليه في قصر إبراهيم بن أحمد (الأغلب)، وحوله جماعة من أصحابه، وجماعة ممن يُنسب إليهم العلم من أهل بلدنا. فسلمت ثم جلست.

فقال أبو عبدالله لإبراهيم بن يونس، وقد قيل له إن هذا الشيخ كان قاضياً على هذه المدينة.

١. المالكي: هو أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي صاحب كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية. توفي بحدود سنة ٤٧٤/١٠٨١م.

- بأيّ شيء كنت تقضي؟

فقال له إبراهيم: بالكتاب والسنة.

فقال له أبو عبدالله: فما السنة؟

فقال إبراهيم: السنة... السنة...

(قال أبو عثمان) فلما سمعته على قوله «السنة... السنة...» قلت لأبي

عبدالله: المجلس مشترك أم خاص؟

فقال: مشترك.

(فقال أبو عثمان) [فقلت]: أصل السنة في كلام العرب: المثال الذي يُتمثل

عليه، قال الشاعر:

تُرىكَ سُنَّةٌ وَجِهٌ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ

مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ

أي صورة وجهٍ ومثاله. والسنة محصورة في ثلاث: الائتمار بما أمر به

رسول الله (ص)، والانتهاه عما نهى عنه، والائتساء به فيما فعل.

(فقال أبو عبدالله لأبي عثمان): هلاً كان عندك من قول الله - عزّ وجلّ -

حكاية عن نبيّه (ص) في قوله لأبي بكر «لا تحزن إن الله معنا» دلالة أن حزنه كان

مسخوطاً لأن النبيّ (ص) نهاه عنه؟

فسكت أبو عثمان.

ثم عطف [الشيعة] على موسى القَطَّان فقال له: أين وجدتم حدّ الخمر في

كتاب الله تعالى؟

فقال له موسى: قال النبي (ص): مَنْ شَرِبَهَا فَاضْرِبُوهُ بِالْأُرْدِيَةِ. ثم إن عاد

فاضربوه بالأيدي. ثم إن عاد فاضربوه بالجريد.

فقال له أبو عبدالله، على النكير منه: إيش هذا؟ أقول لك: أين وجدتم في كتاب الله؟ تقول: اضربوه بالجريد؟

(قال أبو عثمان) فقلت له: أتمًا حدّ قياساً على حدّ القاذف لأنّه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري: فوجب عليه ما يؤول أمره إليه، وهو حدّ القاذف.

فقال لموسى القطان: أو لم يقل النبي (ص):

أقضاكم عليّ؟ - فجعل موسى ينصّ عليه الحديث: «... وأعلمكم بحلال الله وحرامه معاذ، وأرافكم أبو بكر، وأشدّكم في دين الله عمر». فقال له الشيعي: وكيف يكون أشدّهم في دين الله، وقد هرب بالراية يوم حنين؟

فقال له موسى: ما سمعنا بهذا ولا نعرفه.

قال أبو عبدالله: يا أهل المدينة، إنكم تبغضون عليّاً. (١)

فقال أبو عثمان: على مبغض عليّ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وكيف أبغض عليّاً، وقد سمعتُ سحنونَ بن سعيد وهو إمام أهل المدينة بالمغرب، يقول: عليّ بن أبي طالب إمامي في الدين، أهتدى بهديه، وأستنّ بسنته، وأقتفى أثره، رحمة الله عليه.

فقال أبو عبدالله: أراد أن يقول: صلّى الله عليه، فرجع فقال رحمة الله عليه.

فقال أبو عثمان - ورفع بها صوته - : نعم: صلّى الله عليه، لأنّ الصلاة في

كلام العرب الرحمة والدعاء، قال الأعشى:

تقول بنتي، وقد قرّبتُ مُرْتَجِلاً:

يا ربّ، جَنَّبَ أبي الأوصابَ والوجعا

عليك مثلُ الذي صَلَّيتِ، فاغتمضي

يوماً، فإنَّ لجنبِ المرءِ مُضطجعاً

فالصلاة من الله رحمة، ومن الآدميين دعاء. نعم، فصلّى الله على عليّ

وفاطمة والحسن والحسين وعلى أهل طاعته أجمعين من أهل السماوات

والأرضين. (١)

يقول الأستاذ محمّد اليعلاوي: «لعلّ النتيجة التي يصل إليها الدارس لهذه

المناظرات الشيعة، على طولها، هي أنّ دعاة الشيعة لم يكونوا - في أوّل أمرهم

على الأقل - أهل تعسفٍ وجبروت كما يطيب لمؤرّخي السنّة أن يصفوهم». (٢)

الزحف على المغربين الأوسط والأقصى:

بعد أن تمكن أبو عبدالله من تحطيم الدولة الأغلبية وتمت له السيطرة

الكاملة على أفريقية (تونس) وجمع البلاد الواقعة شرقي إقليم الزاب في الجزائر

حوّل إتجاهه نحو الغرب لإكمال السيطرة على ما هنالك من بلاد في المغربين

الأوسط والأقصى معاً وضمهما إليه. وكانت أنباء إنتصاراته على الجيش الأغربي

قد سبقته إلى تلك الديار فخاف حكامها على أنفسهم وأخذوا يترقبون نهاية سيئة

وشبكة لحياتهم (٣).

كانت دولة بني رستم الأباضية في تاهرت الهدف الجديد والأقرب لأبي

١. اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٤٧.

٢. اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٦٠.

٣. زيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٢٥٣.

عبدالله وكانت تلك الدولة تمر وقتئذٍ في فوضى سياسية لاحت لها وتعيش في فتن واضطرابات قاسية نتيجة الصراع الداخلي الحاد بين أفراد البيت الرستمي واختلافهم فيما بينهم على منصب الإمامة وتكالبهم على الظفر بها فلم يتورعوا عن تدبير المكائد والمؤمرات من بعضهم البعض وراح بعضهم ضحية هذا الصراع. أخذ أبو عبدالله يعد العدة ويعبئ قواته ويهيؤها للزحف على تاهرت، فعين أبا زاعي تمام بن معارك خليفة له على أفرقة وأقام معه أخاه أبا العباس محمد بن زكريا. ولما فرغ من ذلك كتب كتاباً جعله نسخاً وبعث كل نسخة منه إلى كل منبر بأفريقية ففترت عليه ومما جاء فيه:

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

: وبه عوني وعليه توكلني، أما بعد فإن

الله وله الحمد قد شرف منزلة العدل وأعلى قدره وأسنى ذكره واختاره لنفسه ورضيّه، وصيره ذريعة إلى الهدى، وسبباً إلى التقوى وأقامه ميزاناً بين خلقه وجعل به صلاحاً لكل شيء ونظامه وقوامه وتمامه، فكان من عدله أنه أوجب الثواب لمن أطاعه والعقاب لمن عصاه، ولم يوجب للمسيء ثواب المحسن ولا للمُحسن عقاب المسيء، بل جازى كل ساعٍ على قدر سعيه وأعطى كل عامل أجر عمله، عدلاً منه كما قال جل ثناؤه في مُحكم كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه «وإن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى ثم يجزيه الجزاء الأوفى». وأوجب إظهار منهاج الحق وإبطال سنن الجور والغشم على من مكّنه الله في بلاده وعباده ومنحه ما منحني من النصرة والتأييد والعز والتمكين على أعدائه وأعداء رسوله صلى الله عليه وعلى آله حتى انقادت إليّ الأمور بأزمته وسلسلت أعتتها، وإن أولى الناس بنصرة الحق والذب عنه من فهمه الله ما فهمني

من علم كتابه ومواقع وعده ووعيده، وعلم أنه مسؤول عن رعيته وأمور بالعدل فيها والإحسان إليها، قال الله تبارك وتعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون»، فجعل تبارك وتعالى الحكم بالعدل أمراً عاماً دخل فيه الشريف والوضيع والصغير والكبير، ثم دل رسوله صلى الله عليه وعلى آله أمته على الشئيين المنجيين من الضلال والهاديين إلى الرشاد وأمر صلى الله عليه وآله أمته بالتمسك بهما وقال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي. فمن تعلق بكتاب الله وعمل به وتصرف مع أوامره وزواجره فقد تعلق بالحجة العظمى ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسيرة أهل بيته وسلك سبيلهم فقد استمسك بالعروة الوثقى، وقاداه معاً إلى النجاة ووقفاً به على محجة الحق الذي أمر الله به نبيه داوود عليه السلام أن يحكم به فقال: «يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب». فأمر نبيه داوود عليه السلام بالحكم بالحق الذي هو أزكى الأعمال وأشرف الذخائر وأرجح كل موزون وأفضل كل مخزون لديه، ثم أخبر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمنازل أهل العدل والحق في الآخرة فقال: المقسطون على منابر من نور يوم القيامة. وقد علم الله وكفى به مستشهداً أو عليماً إن نبيي وطوييتي وإرادتي إقامة العدل في الرعية والإحسان إليها والرفق بها وإن تكاءد إظهار ذلك باضطراب الخيل وانتقال الأمر وجنات فرطت من السفهاء والغوغاء فلم استجز في ذلك كلمة وإن عظم موقع فعلهم مني، لا آخذ البريء بالنطف ولا الحليم بالسفيه لقول الله تبارك وتعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»



فلا تستكثروا رحمكم الله ما تكاءد من ذلك فإن لكل بادرة وهنة، ولكل سائلة قرارة ولكل داخل دهشة ولكل موقد نار دخاناً ولكل هدم غباراً ثم تسكن الأمور، وتستقر قرارها وتثبت في نظامها، ولا تستوحشوا من سرعة خروجي من بلدكم وانقشاعي عنكم فإنني إنما آثرت ترك الدعة والسعة وهجرت مهاده الخفض ورفاهية العيش إيتفاء ثواب الله وطلب الزلفى لديه في لمّ شعثكم وضم نشركم وما يعود نفعه عليكم في يومكم وغدكم وعاجلكم وآجلكم فاسكنوا إلى ذلك واطمئنوا إليه، وكونوا على إحياء الحق أنصاراً وعلى إماتة الباطل أعواناً فإنني أرجو من الله أن يبلغني إظهار العدل وإحياء الحق إلى غاية يشرب لها الذئب والشاة من منهل ويجتمع العدو مع عدوه في منزل رضىً بالحق واصطلاحاً عليه ويسلك السفر والسيادة بلا خفير ولا سفير من لدن أرض مصر إلى أقصى حجر بالمغرب إن شاء الله. وقد أمرت تمام بن معارك بالرفق بالرعية والإحسان إليها وإفاضة العدل والعرف فيها وقبض يد الجور وإزالة الغشم عنها، وإنفاذ نسخة كتابي هذا إلى جميع العمال في جميع أعمال أفريقية ليأتّموا به وينتهوا إلى أمرى فيه ويقفوا عنده ولا يتجاوزوه إن شاء الله والسلام. (١)

### إجتياح المغرب الأوسط وسقوط تاهرت:

بعد ذلك أعد أبو عبدالله حملة عسكرية ضخمة كان هو على رأسها وسار من رقادة يوم الخميس للنصف من شهر رمضان سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م في جموع كثيرة حتى وصل إلى جنوبي تاهرت - وعلى بعد بضعة أميال منها - عسكر هناك

١. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٣٥. دارالمنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

فخرج إليه رؤساء الطوائف من مالكيّة وشيعة ومعتزلة وخوارج غير أباضية متبرئين من الدولة الرستمية يناشدونه القدوم للقضاء على تلك الإمارة ووعده بالعون على فتحها وهونوا له من شأن بني رستم؛ فسقطت بيده من غير قتال ولا حرب وذلك في شوال عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨م وبسقوط تاهرت أصبحت الجزائر كلها خاضعة لسلطان الدولة الشيعية.

إحتل أبو عبدالله مملكة الرستمين وقضى على امامة الخوارج في تاهرت بعد أن عمرت مائة وخمس وثلاثين عاماً<sup>(١)</sup>.

## الإباضية في المغرب

### لمحة تاريخية

ظهرت الفرقة الإباضية في مدينة البصرة، بعد انقسام المحكمة<sup>(١)</sup> عام (٦٥٥ هـ / ٦٨٤ م) وذلك عندما حثّ ابن الأزرق القعدة من الخوارج على قتال مخالفيهم في رسالته التي كتبها إلى زعمائهم، ومنهم عبدالله بن إياض، والتي يقول فيها:

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.** أما بعد فإنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، والله إنكم لتعلمون أنّ الشريعة واحدة والدين واحد، ففيمّ المقام بين أظهر الكفار! ترون الظلم ليلاً ونهاراً، وقد ندبكم الله إلى الجهاد، فقال «وقاتلوا المشركين كافة»<sup>(٢)</sup> ولم يجعل التخلف عذراً في حال فقال «انفروا خِفَافاً وثِقَالاً»<sup>(٣)</sup> وإنّما عذر الضعفاء والمرضى الذين لا يجدون ما ينفقون، ويبيّن فضل الذين خرجوا معه على الذين رضوا بالقعود وعدم رفع السيف في وجه مخالفيهم

١ . عرفوا بالمحكمة لأنهم حملوا الإمام عليا (عليه السلام) على التحكيم أولاً، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله، فجرى الأمر خلاف ما رضي به، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه، وقالوا لِمَ حكمت الرجال: لا حكم إلّا لله. وقاتلهم أمير المؤمنين علي عليه السلام بالنهروان عام (٣٨ هـ / ٦٥٩ م) مقاتلة شديدة، وافترق بعدها الخوارج إلى فرق عديدة، إلّا أن الذي يجمع بينها على افتراق مذاهبها إكفار عليّ (عليه السلام).

٢ . سورة التوبة، الآية ٣٦.

٣ . سورة التوبة، الآية ٤١.

بقوله «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضّرر والمجاهدون في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

لكنّ ابن إياض، عندما قرأ الرسالة، وسمع دويّ القرّاء ورنين المؤذنين وحينئذ المسبّحين. قال لأصحابه أعن هؤلاء أخرج معهم؟ فقرر القعود ورجع وكنتم أمره.

ولم يقرأ ابن إياض الرسالة على أصحابه خشية تفرّقهم، ولكنّه قال أمام زعماء القعدة: قاتله الله؛ أي رأى رأى. صدق نافع! لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً، وكانت سيرته كسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المشركين، ولكنه قد كذب في ما يقوله، إنّ القوم براء من الشرك، ولكنّهم كفار بالنعمة والأحكام، ولا يحلّ لنا إلّا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام<sup>(٢)</sup>.

وبهذا الموقف الواضح لابن إياض، والمعارض لابن الأزرق<sup>(٣)</sup> بدأ فصل جديد في تطوّر حركة الخوارج تميّز بالفرقة والنزاع، وتكفير بعضهم بعضاً، وانقسموا إلى قسمين: أحدهما غالٍ متطرف، والآخر مسالم معتدل.

### الإباضية

عرفت الفرقة المعتدلة التي رفضت آراء ابن الأزرق، وآثرت القعود على

١. سورة النساء، الآية ٩٥.

٢. الحارثي، سالم بن حمد: العقود الفضيّة في أصول الإباضية، ص ٤٨، سوريا لبنان، دار اليقظة العربية، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

٣. نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ / ٦٨٥م) إليه ينتسب الأزارقة من الخوارج كانوا يمتحنون من قصد عسكرهم إذا ادّعى أنه منهم وذلك بأن يدفع إليه أسير من مخالفيهم ويأمرونه بقتله، فإن قتله صدّقه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه (أنظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٨٣).

قتال المسلمين، والتي كان يتزعمها عبدالله بن إياض - والتي أقامت بالبصرة - بالإباضية نسبة إلى عبدالله بن إياض. وأن نسبة الإباضية إلى إياض - بضم الهمزة - وهي قرية بالعرض من اليمامة، ويطلق عليها أباضية - بالفتح في شمال إفريقيا. وإباضية - بالكسر - في عُمان وزنجبار.

### نقد آراء الإباضية

ترفض الإباضية أن يطلق اسم الخوارج على الذين خرجوا على علي بن أبي طالب (عليه السلام).  
ووجهة نظرهم في ذلك:

«إنّ الذين رفضوا التحكيم لم يشككوا في شرعية الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكنهم خرجوا عليه لرفضه استمرار القتال في صفين واستجابته لضغوط الأكثرية من جنده، الذين رغبوا في وقف القتال، لما رفع أهل الشام المصاحف على أسنة الرماح، فالخوارج من ثمّ يمثلون من الناحية الدينية الفئة القليلة المؤمنة التي لا تقبل في الحق مساومة وادهاناً»<sup>(١)</sup>

ويردّ عليهم أولاً الدكتور عبدالرحمن عثمان حجازي بقوله: «إنّ لقب الخوارج، والذي أطلق على الذين خرجوا على علي رضي الله عنه كان أمراً طبعياً، فهم خرجوا عن طاعة الخليفة الشرعي، وكان يقابل هذا اللقب، لقب شيعة علي رضي الله عنه، ولقب بني أمية. وأوّل من أطلق اسم الخوارج على الذين خرجوا على علي رضي الله عنه هو عبدالله بن وهب الراسبي حين اجتمع المعارضون لنتائج التحكيم في بيته فقال: أيها الناس ما ينبغي لقوم يؤمنون

١. إسماعيل، محمود: الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية، ص ١٤، بيروت، دارالقلم.

بالرحمن، وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بالحق، وإن ضرَّ ومَرَّ فإنه إن يضُرَّ ويمرَّ في هذه الدنيا، فإنَّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة، فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض هذه المدائن. فخرجوا من معسكر الخليفة، وخرجوا عن طاعته. فأطلق عليهم اسم الخوارج لأنهم طلبوا الخروج على كلِّ من رفض التحكيم ونتائجه»<sup>(١)</sup>.

ونرى أنَّ الإباضية يصرون على عدم إلصاق اسم الخوارج على الذين خرجوا على الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للأسباب التالية:

١ - سعي الخوارج إلى تحقيق أهدافهم بالسيف، وارتبط اسمهم في التاريخ الإسلامي بالمذابح التي ارتكبوها دون مبرر. ويروي المبرد أنهم عندما دخلوا مدينة الكوفة «أخذوا امرأة فقتلوا أباهما بين يديها، وكانت جميلة ثمَّ أرادوا قتلها، فقالت أتقتلون «من يُنشئوا في الحلية وهو في الخضم غير مُبين»<sup>(٢)</sup>.

فقال قائل منهم، دعوها. فقالوا قد فتنتك، ثمَّ قدّموها فقتلواها»<sup>(٣)</sup>.

٢ - ينفي الإباضية أن يكونوا من الخوارج، ولا يريدون أن يتصل تاريخ نشأتهم بالخوارج وذلك لإزاحة شبح الخوارج عنهم، لعلمهم في أعماقهم أن ابن إياض كان أحد الخوارج، ولعلمهم أيضاً أن الناس من غيرهم يعلمون ذلك ولا

١ . عثمان حجازي، الدكتور عبدالرحمن: تطوّر الفكر التربوي الأباضي في الشمال الإفريقي (من القرن الأوّل حتى القرن العاشر الهجري)، ص ١١، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢ . سورة الزخرف، الآية ١٨ .

٣ . المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، ٢/٢٦٢ ص، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

يمكن محوه، كحقيقة واقعة من ذاكرة التاريخ...<sup>(١)</sup>

ويقرّ ابن إياض في رسالته إلى عبد الملك بن مروان بأنّه من الخوارج إذ يقول «هذا خبر الخوارج، شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداؤنا، ولمن والاهم أولياؤنا بالسنتنا وأيدينا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا»<sup>(٢)</sup>.

### قيام الدولة الإباضية الرستمية

المصادر الإباضية تذكر أن أول من جاء بطلب مذهب الإباضية سلمة بن سعيد، قدم من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى عبدالله بن عباس على بعير، سلمة يدعو إلى مذهب الإباضية، وعكرمة يدعو إلى الصفرية. فانتشر الإباضية، في الأقاليم الشرقية من بلاد المغرب، فيما اتجه الصفرية إلى قبائل المغرب الأقصى<sup>(٣)</sup>. أما الدكتور عبدالرحمن حجازي فإنه يقول: «لا تؤيّد الآراء التي تعتقد أنّ عكرمة كان صفيّاً للمعطيات التالية:

أ- إنّ عكرمة كان مولى عبدالله بن عباس، الذي كان مناصراً لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وعكرمة كان يحمل علم ابن عبّاس، فقد أورد ابن سعد أنّه عندما مات ابن عبّاس وعكرمة عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من عليّ بن

١. صالح، عمر بن الحاج محمد: دراسة في الفكر الإباضي، ص ٣٨، تونس، مكتبة الاستقامة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٢. البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم (ت: ٦٩٧هـ): الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات، ص ١٦٥، القاهرة، مطبعة حجرية، ١٨٨٤م.

٣. سعد، الدكتور فهمي: إنتشار الإسلام في إفريقيا في العصور الوسطى، ص ٣٧، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

عبدالله بن عباس بأربعة آلاف دينار فبلغ ذلك عكرمة فقال: بعثني بأربعة آلاف دينار؟ قال نعم، قال أمّا أنّه ما خير لك، بعث علم أهلك بأربعة آلاف دينار؟ فراح عليّ إلى خالد فاستقاله فأقاله فأعتقه. وعلم ابن عباس يخالف آراء كلّ الفرق المخالفة والخارجة على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

ب - يدعو المذهب الصفريّ إلى إمامة وفق تصوراته التي تخالف تصوّر الإباضي. وهذا ما حدث في الشمال الإفريقي حيث قامت الدولة الصفريّة في سجلماسة، وهي دولة بني مدرار عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م. ودولة أخرى للإباضية، هي الدولة الرستميّة في تاهرت عام ١٦١هـ / ٧٧٧م.

وواقع الحال لا يقبل أن يترافق الاثنان في سفر طويل، وهما داعيتان لإمامتين، إحداهما تخالف الأخرى»<sup>(١)</sup>.

إستغل الإباضية إنشغال الدولة الأمويّة بالتصدّي للدعوة العبّاسية في المشرق فاستولوا على العاصمة القيروان أكثر من أربع سنوات (١٤١هـ / ١٤٤هـ) (٧٥٩م / ٧٦١م) إلى أن أخرجهم الجيش الذي أرسله الخليفة العبّاسي. لكنّ عبدالرحمن بن رستم - قاضي القيروان الإباضي - استطاع التحصّن في وادي أجج - وهو جبل منيع بالقرب من تاهرت - ولحق به ستون شيخاً من شيوخ الإباضية من طرابلس. واستطاعوا جمع شتاتهم ولما آنسوا من أنفسهم القوّة فنظروا من يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا جماعة، كلّ واحد صالح فاتّفق رأيهم على عبدالرحمن.

١ . عثمان حجازي، الدكتور عبدالرحمن: تطوّر الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، ص ٣٤.



قامت الدولة الإباضية الرستمية في تاهرت لكن انشقاق الإباضية إلى عدّة فرق نتيجة خلاف عقديّ وصراع على السلطة أضعف الدولة الرستمية وأدّى إلى سقوطها عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م. على يد أبي عبدالله الشيعي. (١)

---

١ . عثمان حجازي، الدكتور عبدالرحمن: تطور الفكر التريبوي الاباضي في الشمال الإفريقي،

### الأسباب الحقيقية لحملة أبي عبدالله على سجلماسة:

إن استيلاء أبي عبدالله على تاهرت جعله يتمتع بميزة استراتيجية كبيرة، فهو من ناحية أصبح في عقر دار زناتة الخصم اللدود له والتي لجأ إليها كل الفارين من وجهه ولاذوا بها ومن ناحية أخرى فقد اكتسب مركزاً هاماً على طريق قوافل هذه القبيلة الكبيرة وتجارتها بين المشرق والمغرب وكذلك مع بلاد السودان الغربي فخلق جواً من الذعر بين الزناتيين الذين رأوا في ذلك حصاراً حقيقياً فرضه أبو عبدالله عليهم. أما أبو عبدالله فلم يكن همه تأديب زناتة بقدر ما كان همه تأديب دولة بني مدرار الخارجية والقضاء عليها وكان الذي دفعه إلى ذلك أمران كلاهما على جانب عظيم من الأهمية:

- أولهما ما كان قد بلغه من أخبار عن اعتقال المهدي بعد لجوئه إليها آتياً من المشرق هرباً من ضغط العباسيين ووسائل قهرهم وعذابهم وأن الخليفة العباسي المكتفي قد أوعز إلى الأغالبة أمراء أفريقية بالقيروان - قبل سقوط حكمهم - وبني مدرار بسجلماسة بأخذ الآفاق عليه وإذكاء العيون والإرصاد واعتقاله مما كلف الأمر.

لقد رجع بالذاكرة ستاً وثلاثين سنة إلى الوراء إلى العام ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م بالضبط وتبادر إلى ذهنه فوراً كيف أرسل الخليفة المعتمد قواته من خيل ورجال إلى دار الإمام العسكري (ع) للبحث عن الإمام المهدي وإلقاء القبض عليه وكيف خرج الإمام دون أن يراه أحد واحتجب منذ ذلك الحين عن أنظار الناس.

- وثانيهما ما بلغه أيضاً من أخبار بعد إنتصاره على الأغالبة عن محاولة بني مدرار إقامة حلف مع أمويي الأندلس واستعداد الأمير المدراري اليسع<sup>(١)</sup>

١ . كانت الدولة المدرارية قد تخلصت من مشاكلها الداخلية وحققت الأمن والهدوء في سائر

بسط نفوذه على إخوانه في المذهب المقيمين في مطغرة ومكناسة تحت حكم الأدارسة الذين كانت دولتهم في ذلك الوقت مفككة مقسمة وكان شيوخ الصفرية فيها قد راسلوا هذا العاهل المدراري لتحريرهم باعتباره امام الصفرية ببلاد المغرب فعول على تجهيز جيش يغزو به دولة الأدارسة لتحقيق هذه الغاية. إذن فالتخلص من سجلسامة وإنهاء حكم الخوارج الصفرية فيها أصبح أمراً ملحاً يجب إنجازه بأقصى سرعة ممكنة.

### الهجوم على سجلسامة:

حرك أبو عبدالله جيشه المنتشر في نواحي تاهرت واتجه به إلى المغرب الأقصى يريد سجلسامة ففرت زناته من طريقه وراحت المدن والقرى تسقط في يده الواحدة تلو الأخرى حتى استولى على العديد منها. وظل متابعاً سيره إلى أن أطل على مشارفها يوم السبت السادس من ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م فتوقف هناك بعد أن أحاطت جيوشه بالمدينة وبعث برسله إلى اليسع يطلب إليه تسليم المدينة وإطلاق سراح المهدي، فلما وصلت الرسل بكتابه إليه رمى به بعد أن علم ما فيه وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا وتوجه فوراً إلى سجن المهدي وسأله عن نسبه وحاله وهل إليه قصد أبو عبدالله فأنكر المهدي صلته بأبي عبدالله وحلف له أنه ما رآه ولا عرفه.

وعاود أبو عبدالله الكرة فأرسل رسلاً للمرة الثانية فرمى اليسع الكتب وقتل

→

ربوعها فانصرفت إلى التوسع خارج حدودها وقد اضطلع بتلك المهمة اليسع بن ميمون بن مدرار الملقب بالمنتصر وحاول ضم صفرية مطغرة لدولته ليوحد صفرية المغرب الأقصى تحت لوائه وكانت مطغرة تحت حكم الأدارسة.

الرسول<sup>(١)</sup> فلم يجد عند ذلك بدأً من ضرب الحصار على سجلماسة ثم لم يلبث أن نزل على اليسع فخرج هذا إليه، فقاتله أبو عبدالله ساعة من نهار فانهزم اليسع وفرَّ في أهله وبني عمه ودخل أبو عبدالله سجلماسة وكان دخوله إليها في أكثر من مائتي ألف بين فارس وراجل وذلك يوم الأحد السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م. وقد قاتل يهود سجلماسة قتالاً مستميتاً إلى جانب اليسع بن مدرار خوفاً من زوال نفوذهم وانتهاء إمتيازاتهم. وهم الذين أشاروا عليه بقتل الرسول واخترعوا له حكاية أن أبا عبدالله قام بدعوته من أجله. وقد عمل أبو عبدالله على الفتك بهم وأذاقهم شتى أنواع العذاب والخزي بعد أن أباد معظم جموعهم.

### الموقف الرهيب:

سيطر أبو عبدالله على سجلماسة وأنهى حكم بني مدرار فيها كما أنهى حكم الرستميين والأغالبة، من قبل وأصبح سيد المغرب بلا منازع ولأول مرة في تاريخ المغرب العربي تتحد فيها أفريقيا الشمالية كلها تحت لواء دولة إسلامية واحدة. ولم يشأ أن يعرّج على فاس لينهي حكم الأدارسة لأنه لم يرَ ضرورة لذلك، فالأدارسة هم أشقاؤه في المذهب والعقيدة والإتماء وقد خلعوا طاعة العباسيين وقاموا بالحملة تلو الحملة لمحو آثار الخوارج. كان آخرها ما قام به يحيى بن القاسم بن إدريس المعروف بالعدّام الذي ظل يقاتلهم حتى فلَّ شوكتهم وقتل زعيمهم سنة ٢٩٣هـ / ٩٠٥م. إذن فالأمر الملح هو إخراج المهدي من السجن الذي هو فيه والنظر في حقيقة أمره. وتوجه في الحال إلى السجن لإخراج المهدي

١. ابن محمد، القاضي النعمان (- ٣٦٣): رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢٣٨، دار المنتظر، بيروت.

منه وعند وصوله إليه وجد نفسه أمام رجل أجمع المؤرخون كافة على أنه كان يتصف بقوة البنية وجمال السمات واليقظة وأصالة الرأي والعلم مع سعة الحيلة<sup>(١)</sup> وفصاحة اللسان وبلاغة الكلمة ويمتلك قدرة عجيبة على الإقناع، مهيب الطلعة رابط الجأش شديد الجزم جريئاً لا يعرف التردد وقد كان من دهائه السياسي وهو الذي ذاق طعم الخلافة وخبر أمورها أن شكل حوله جماعة كبيرة من الأعوان والأنصار ممن كانوا معه في السجن دانوا له بالطاعة والولاء وراحوا يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم ويلجأون إليه فيما عنّ لهم من مسائل وقضايا كما شكّل جماعة من الأصدقاء خارج السجن فضلاً عن الدعاة والرسول.<sup>(٢)</sup>

١ . الجليلي، عبدالرحمن: تاريخ الجزائر العام، ص ٢١٤.

٢ . كانت الدعوة الإسماعيلية تتعرض في بلاد الشرق العربي لمحنة قاسية بسبب إختلاف دعائها على المراكز والمناصب فيها واستحكم الخلاف فيما بينهم منذ أيام عبدالله الأكبرين محمد بن إسماعيل وانتقاله إلى سلمية، وأخذ يهدد وجودها بالتشرذم والإنقسام. وكان فرع الدعوة في الكوفة خاصةً من أكثر الفروع تعرضاً للإضطرابات في شؤون التنظيمية بعد أن تسلم عبيدالله المهدي شؤون الإمامة الإسماعيلية وتولى أمر الدعوة إليها بعد وفاة والده الحسين بن أحمد بن عبدالله في سلمية سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م. إذ ما كاد عبيدالله المهدي يجلس على كرسي القيادة في سلمية حتى عمد إلى إجراء تعديلات وتغييرات جذرية في هيكلية الدعوة الإسماعيلية، فكان لهذا التدبير أثره السيء على مسار الحركة الإسماعيلية مما اضطرته إلى الفرار.

## النواة الأولى للدولة الفاطمية في المغرب:

تلك كانت النواة الأولى للدولة الفاطمية التي ستنشأ عما قليل في المغرب، وفي وسط هذه الجماعة استطاع عبيد الله المهدي أن يغرس البذور الأولى للحركة الإسماعيلية هناك ويهيء لها العقول والأذهان بفضل ما كان يتمتع به من الصفات وما اعتمده في عمله من الوسائل الدبلوماسية التي لم يسبق إليها سابق ولم يهتد إليه أحد قبله وإذا كان أبو عبد الله قد بدأ دعوته في نفر قليل من الرجال واستطاع أن يصل إلى ما وصل إليه في بلاد لم يكن له فيها ناصر ولا معين فإن الأمر يختلف الآن إختلافاً جذرياً بالنسبة لعبيد الله المهدي وذلك أنه في جماعة كبيرة تؤمن أساساً بالمهدي المنتظر تتربح خروجه بشوق ولهفة وتنتظر الفرج الأكيد على يديه لأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وخارج هذه الجماعة بحر من البشر متلاطم الأمواج يدين بمذهب آل البيت وبالولاء التام لهم ويعمل على إعادة حقهم المغتصب في الخلافة وحكم المسلمين. وهكذا تمكن المهدي بواسطة تلك الجماعة من أن يتتبع أنباء إنتصارات أبي عبد الله الواحد تلو الآخر وأن يعرف الكثير عن حركته وأبعادها كما ألمَّ بشخصيته وسبر جوانبها وخلص إلى نتيجة مفادها أن أبا عبد الله رجل زاهد في الحكم متقشف متقلل من الحياة لا تغره زخارف الدنيا وبهرجتها ولا يتمسك بأي مظهر من مظاهر الجاه أو السلطان وإذن فميدان العمل مشرع الأبواب مفتوح النوافذ ينتظر الفارس المغامر الطامح إلى المجد والعظمة والمتطلع إلى التربع على عرش الزعامة والقيادة. وطالما أنه المهدي فلماذا لا يكون المنتظر؟... إن الأمر في غاية من البساطة والسهولة وإضافة كلمة واحدة إلى اسمه تجعله في نظر الناس صاحب الدعوة المنتصرة التي يؤمن بها الجميع. وأعد العدة وهياً نفسه ونفوس الآخرين معه في

داخل السجن وخارجه وأقدم غير متردد على طرح نفسه بدلاً والظهور بمظهر المهدي الحقيقي وأنه هو الذي يدعو إليه أبو عبدالله، وبلغ من مهارته أنه كان يعرف كل المزايا التي يتزيا بها الإمام المهدي الحقيقي وطبقها على أكمل وجه وأدق صورة.

وهكذا ما إن التقى الرجلان حتى علت الأصوات من كل جانب (هذا هو المهدي) والناس دائماً يلتفون حول من يحسن رفع شعار الحق وإن كان مبطناً بالباطل فكيف إذا اطمأنوا إلى شخص أنه حق لا يشوبه باطل<sup>(١)</sup>. وإذا باين المطلبي يتجو نحو أبي عبدالله ويصبح قائلاً: (هذا هو المهدي هذا هو مولاي ومولاك ومولى الناس جميعاً) إن التاريخ يعيد نفسه وهو مليء بحالات مشابهة مماثلة فعلت فيها الخديعة فعلتها وأفلت زمام الأمر من يد صاحبه فانتقل الحكم من يد إلى يد ومن شخص إلى آخر بغفلة من الزمن وبحيلة عمل الفكر على خلقها فأخرجها وكأنها الحقيقة التي لا يأتيتها الباطل أبداً. بالأمس قال معاوية للضحاك بن قيس الفهري: «إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع إلى بيعته وحسني عليها فإني قد أمرت عبدالرحمن بن عثمان الثقفي وعبدالله بن مضان الأشعري وثوربن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه<sup>(٢)</sup>. وفي الغد أظهر معاوية عهداً مفتعلاً فقراه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد وكان قد عمل

١. الشيرازي، السيد حسن: كلمة الإمام المهدي (عج)، ص ٥٣. مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢. المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣/٣٦، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

على ترويض الناس لبيعته سبع سنين كان خلالها يشاور ويعطي الأقارب ويداني الأباعد حتى استوثق له من أكثر الناس وتم له إنتقال الأمر.

إن التاريخ يعيد نفسه وهو مليء بالمفاجآت الكبيرة التي عندما تحدث يرتبك لها قادة الرأي في العالم بحيث لا يطيقون التفكير وإن فكروا لا يستطيعون التدبير فتصبح سلاحاً مخيفاً ينهار أمامه القادة فلا يحسنون غير الإستسلام<sup>(١)</sup>.  
والحذر يؤتى من مأمنه، وساد المكان هرج ومرج واختلطت الأصوات ببعضها بين مهلل ومكبر ووقف أبو عبدالله بين تلك الجموع حائراً ماذا تراه يفعل في مثل هذه الحال؟ هل يقول لهم لا! ليس هذا هو المهدي الذي أدعوكم إليه وهو لم يتبيّن بعد حقيقة أمره؟ ومن يدري؟ إنه في مثل سنه، ممتلىء هيبة ووقاراً وفي نظراته التائهة الحائرة يرتسم ألف معنى ومعنى وبين يديه رجال سارعوا إلى مبايعته وقد حملوه فوق الهامات وهم يهتفون مهللين مستبشرين. وهو آت من الشرق وقد شردته يد الخلافة الظالمة وراحت تطارده وتجدّ في طلبه في كل مكان وتحت كل سماء وفوق كل ذلك فهو يقول بقرابته من رسول الله (ص) ويدعو إلى الرضى من آل محمد ويريد إعادة الحق إلى البيت العلوي ولم يكن يدري أبداً أن المؤامرة قد دبّرت بمهارة بالغة وأن هذا الواقف أمامه قد ألقى وبأشد ما يكون الحذر أولى بدور الحركة الإسماعيلية في أعماق التراب المغربي لتنتج عما قريب دولة فاطمية قوية تقضي عليه وتبدد كل آماله وطموحاته. وتقدم المهدي من أبي عبدالله وأخذ رأسه بين يديه وراح يقبله ويقول: (أبشر بخير يا حسين) فوجيء أبو عبدالله بهذا الترحيب الحار به وأذهله ما رآه من إقبال المهدي وجماعته عليه ولم يكن ليحتاج إلى أكثر من ذلك ليستبشر بالخير لقد أثرت شخصية المهدي في نفسه كثيراً

١. الشيرازي، السيد حسن: كلمة الامام المهدي (عج)، ص ٣٨.



حتى استحوذت على مشاعره كلها وجعلته يطمئن إليه ويرتاح إلى أقواله ولا يرتاب في ما يسمعه ويراه من هتاف الناس له واستبشارهم به وإقبالهم عليه حتى أن جنوده اندمجوا في تلك التظاهرة العاطفية العفوية عند سماعهم كلمة المهدي ولا سيما قائد فرسانه غزويّة بن يوسف فأخذوا يهتفون له ويصفقون ظناً منهم أنه هو المهدي الذي يدعوهم أبو عبدالله إليه<sup>(١)</sup> ولم يكن من أمر أبي عبدالله عند ذلك إلا مجاراة الناس في ما يفعلون وإظهار الرضا والإغتباط بما يرى مدفوعاً إلى ذلك بأمر منها:

- إنه وجد في المهدي العلم الوفير والوعي الكبير للظروف المحيطة به كما وجد فيه الجدارة النفسية والكفاءة الشخصية الأمر الذي يؤهله للقيام برئاسة الدولة ومعالجة أمورها ومشكلاتها على ضوء ما ظهر له من الفهم الواسع للشريعة والإلتزام بها ضمن حدودها الصحيحة بعد أن ظهر له أنه يدين بما يدين به من العقيدة والإلتزام المذهبي وبعد أن وجد الكثيرين يستفتونه في أمور دينهم وديناهم وحل مشاكلهم.

١. ليس غريباً على المغاربة أن يقبلوا على المهدي ويتعلقوا به بهذا الشكل العفوي البالغ بعد أن صدقوه في إدعائه الإنتساب للبيت العلوي فالمغاربة يعتبرون من أكثر الشعوب الإسلامية حباً لآل البيت وتعلقاً بهم ومناصرة لهم. ففي المغرب الأدنى أخذ مذهب آل البيت سبيلاً إليهم فتشيعوا قبل الحلواني وأبي سفيان كما رأينا. وفي المغرب الأوسط أقام المغاربة لسليمان بن عبدالله ولأبنائه كياناً سياسياً كبيراً في تلمسان ونواحيها بعد أن عرفوا أنه من ذرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). وفي المغرب الأقصى عندما حل إدريس بن عبدالله بين القبائل هناك إجتمعوا عليه فأطاعوه وعظموه وقدموه على أنفسهم وبايعوه بالإمامة. ويؤكد ابن الصغير المالكي أن خطباء تاهرت كانوا على منابرهم لا يستعملون إلا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) خلا خطبة التحكيم لحبهم له وإجلالاً لمقامه وإعجاباً ببلاغته وفصاحته.

- لقد رأى أبو عبدالله أنه لو سارع في تلك الأثناء إلى رفضه لظهر أمام الجميع وكأنه يشكك في حقيقة المهدي بشكل عام ولحصلت فوضى مؤكدة ولصار فيه خلاف ربما أدى إلى وقوع فتنة في ذلك اليوم المشهود، ذلك أن هؤلاء الناس الذين غرس أبو عبدالله في نفوسهم الإيمان بوجود المهدي المنتظر وجعله حقيقة حيّة تعيش في وجدانهم وأفهمهم أنه أمام معصوم من أهل البيت وهو حي يرزق يعيش في وسط الناس محجوباً عن الأنظار وأنه سيظهر متى يأمر الله بذلك ليبنى دولة الإيمان ويعيد للإسلام صفاءه كما كان على عهد جده (ص) رأوا بأعينهم إنساناً يتصل بالناس بعد هذا الفتح العظيم ويعرفهم ويعرفونه وهم بين مؤيد ومناصر وأوا فيه من الصفات والمزايا ما جعلهم يعتقدون بأنه هو المهدي المنتظر لامحالة وأنه بعد هذا الانتصار قد زالت أسباب الغيبة فظهر أن حبه الصادق لأهل البيت وإيمانه الكبير الراسخ بالمهدي المنتظر جعلاه يميل إلى الأخذ بما أكده له المهدي من صحة إدعائه الإنتساب للبيت العلوي بعد أن أخبره عن حاله وأطلعه على أسباب هجرته ودوافع لجوئه إليه. وهنا لا يسعنا إلا أن نذكر بقول الإمام علي(ع): (ان المهدي تكون له حيرة تضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون) وأن الإنسان قد يواجه في غضون حياته أو يقرأ في التاريخ دعوات مهدويّة متعددة قد يحار في مبدأ الأمر في تصديقها أو تكذيبها إن كان ممن يؤمن بالفكرة المهدوية أساساً فلا يعلم أن هذا هو المهدي المنتظر أو غيره ولا يزول شكه فيه إلا عن طريق البرهان العقائدي أو الدليل التاريخي وذلك بعد محاولة تطبيق الصفات الثابتة تاريخياً للمهدي الموعود على مدعي المهدوية<sup>(١)</sup> التي منها سيره بسيرة الرسول (ص) وتطبيقه لأحكام الشريعة كما جاء بها واقتفاؤه في سلوكه لأثر أهل

البيت (ع) وهذا ما يحتاج بالتأكيد إلى بعض الوقت للتثبيت منه.  
 - إنه بعد إحكام سيطرته على سجلماسة ونواحيها واتساع حدوده بهذا الشكل الكبير رأى وهو الزاهد في الحكم أن إسناد القيادة إلى المهدي يكسب البلاد مزيداً من الإستقرار والهدوء لاعتقاده بأن ذلك سيكون في حال التثبيت من صحة نسبه حقاً له وأمرأً يقره وتوجيه الشريعة لقرايته من رسول الله (ص) ولكونه واجب الطاعة عند ظهوره لهذا لم يتردد أبو عبدالله في محضه كل حبه وإخلاصه ومنحه كامل ثقته وإعجابه ووضع على طريق الإختبار مطبقاً عليه قول الإمام علي (ع):

(إذا أردت أن تعرف إنساناً فأعطه مالاً أو سلطة) ولم يكن أبو عبدالله يملك المال فأعطاه السلطة ليمتحنه بها وأعطاه معها الفرصة لإثبات صدق إدعائه وأفسح له في المجال ليقرن ذلك الإدعاء بدليل صحيح ينفي عنه الشك ويوجب القطع بكونه الإمام المنتظر.

وطال لقاء الرجلين إلى أن أذن المؤذن لصلاة المغرب فقام المهدي وأمّ الحضور وصلى بهم فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وسورة القدر وفي الثانية فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص وأتم الصلاة وانصرف الناس<sup>(١)</sup>. بينما عقدت بين الاثنين خلوة تم على أثرها تسليم المهدي مقاليد السلطة وتولى أبو عبدالله مهمة الدفاع عن البلاد.

لماذا تخلى أبو عبدالله عن الحكم للمهدي؟ ...

تخلى أبو عبدالله للمهدي عن جلال الملك وعظمة السلطان وتنازل له عن

١. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٤٠.

القيادة ومسؤولياتها وعن كل ما تتطلبه من سلطات وصلاحيات بعد أن منحه كامل تقديره ووفائه وأعطاه كل ثقته وإخلاصه وأجلسه على كرسي الحكم وجعله قيماً على الأمور ووضع وجهاً لوجه أمام الناس آملاً منه في أن يباشر مهامه ويمارس دوره ويتحمل مسؤولياته في قيادة الأمة فيحفظ حقوقها ومصالحها ويرعى شؤونها وقضاياها ويوجهها الوجهة الصحيحة ويسير بها على خطى الأئمة من أهل البيت (ع) وفق سياسة حكيمة رشيدة متقيدة بأحكام الشريعة في حدودها ويرسي دعائم الحكم فيها على أساس من الإيمان الواعي والعلم والأخلاق والتجرد والعدل والنزاهة، ولعله كان بذلك من أوائل الذين عرفوا الحكم بطريقة مختلفة وفهموه بأنه مسؤولية جسيمة يتحملها المسؤول أمام الله وأمام الناس جميعاً، كما كان من السابقين إلى الاعتقاد بضرورة إسناد أكبر منصب في الدولة إلى رجل مدني وطبق ذلك بالفعل لإشاعة الطمأنينة بين الناس وإعطائهم مزيداً من الشعور بالحرية والتمتع بها ومزيداً من الأمن والراحة والإستقرار.

لم يكن أبو عبدالله مخطئاً في عمله هذا كما توهم الكثيرون، ولم يكن بالرجل الساذج الذي يعوزه الذكاء السياسي ولا بالإنسان البسيط الذي تجوز عليه الحيلة كما لم يكن كغيره من قادة الجيوش الذين استبدت بهم شهوة الحكم فأدت بهم إلى الإنحراف عما كانوا يؤمنون به من مبادئ وقيم ولا ممن استهوتهم الزعامة فتعلقوا بها حتى نسوا في سبيلها كل شيء وإنما كان رجلاً طرح وراءه زينة الدنيا ومفاتها ومغرياتها فتغلب فيه حب دينه على حب دنياه وآثر ترك السعة والدعة إبتغاء ثواب الله وطلب الزلفى لديه ولم يرض أبداً أن يذكر إسمه في آخر كل خطبة جمعة كما فعل غيره.

كانت فرحة المهدي بتسلمه مقاليد الأمور أكبر من فرحة أبي عبدالله بتخليه عنها، ذلك أنه عاد ليتربع على عرش السلطة من جديد وقد تهيأت له الآن ظروف لم تنهياً لغيره من قبل ليحقق أحلامه في بناء دولة وإنشاء خلافة على النحو الذي يريد ويطبعا بشخصيته وتعاليمه كما يشتهي. ومكث الرجلان أربعين يوماً في سجلماسة كان المهدي خلالها يعمل على تدعيم مركزه ويركز سلطاته ويجمعها في يده عن طريق إصطناع الرجال وإغراقهم بالهبات والهدايا.

ما إن طلعت شمس صباح يوم الجمعة ٢١ ربيع الثاني سنة ٢٩٧هـ / ١٩٠٩م حتى كان المهدي قد أنهى كل استعداداته لارتقاء عرش الملك والخلافة ومباشرة مهمات القيادة وتدعيم مركزه بالسيطرة الكاملة على جميع مرافق الدولة وحصر السلطات وجمعها في يده وسارع قبل وقت صلاة الظهر بإرسال توقيع أنفذه إلى خطباء رقادة والقيروان والقصر القديم بإعلان نفسه أميراً للمؤمنين وأمرهم بالدعاء به بعد الصلاة على النبي محمد المختار وذكر وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الأطهار من ذريته.

ولم يكد المهدي يرتقي عرش الخلافة حتى أصبح السيد المطلق وصار كل شيء في قبضته وراح يتصرف بكثير من الإستقلالية في الأعمال والتفرد في الرأي ويباشر الأمور بنفسه ثم أخذ يتشبه بالملوك ويعيش مثلهم حياة البذخ والترف والإنغماس في مباحج الحياة وزينتها ويتخذ العبيد والأتباع ويدعو الناس إلى الأخذ بنصيهم من الحياة فأمرهم بالتزين والتجمل، وما إن عرضت عليه جوارى زيادة الله حتى اختار منهن كثيراً لنفسه ولولده وفرّق ما بقي على وجوه كتامة.<sup>(١)</sup>

١ . المقرئزي، أحمد بن علي: أتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ١/١٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

### أبو عبدالله يواجه المهدي مستنكراً:

استعظم أبو عبدالله ذلك كثيراً وأدرك خطورة هذا التصرف وما ستجرّه هذه السياسة على كتامة وغيرها من فساد في الأخلاق وانصراف كلي عن حياة الجهاد والفتوحات وإضعاف للروح القتالية في نفوسهم وهو الذي رباهم وبنى مجدهم ودرّبهم ودبر أمورهم وبث فيهم روح التقشف وحب إليهم خشونة العيش وحياة الفطرة. وأخذت تراوده الشكوك من تصرفات المهدي وممارساته وبدأ يعيش أزمة قلق وحيرة وصراع داخلي عنيف وكان لا بد له من مواجهة المهدي وتحذيره وتنبيهه وتقديم منه قائلاً على سبيل النصيحة:

«يا مولانا إن كتامة قوم قد قومتهم بتقويم وأجريتهم على ترتيب وتعليم وتم لي منهم بذلك ما أردت وبلغت بذلك منهم ما قصدت وهذا الذي فعلته أنت بهم من إعطائهم الأموال وتوليتهم الأعمال وما أمرتهم به من اللباس والحلي فساد لهم للخروج من عاداتهم فلو تركتهم كما كانوا إلى أن أباشرهم دونك أمرهم وأنها هم دونك وأقيمهم على ما عودتهم وأجريتهم على آدابي لهم وآلي حرّوبك بهم وأحكم الأمور دونك فيهم وفي غيرهم فتكون وادعاً في قصرك لا يصل أحد منهم ولا من غيرهم إليك ليكون ذلك أهيب لك وأشدّ لأمرك وأرجى لما ترجوه من تمامه وكماله وانتظامه»<sup>(١)</sup>.

### رد المهدي على أبي عبدالله:

رد المهدي على أبي عبدالله رداً لطيفاً ووعداً خيراً ولكنه كان مستاءً في قرارة نفسه من جرأة أبي عبدالله عليه ومصارحته له بهذا الشكل فأسرّها في ذاته

١. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٦٠.

ولم يدع أمائر الإرتياب تظهر على وجهه وبادر إلى صرف أبي عبدالله عنه وإبعاده فوراً من رقادة بصورة لا تدعو إلى الشك حتى يتمكن من تدبير أمره ويكون لديه الوقت الكافي للتفكير في الطريقة التي يتخلص بها منه فطلب إليه التوجه حالاً مع بعض قواده الكتاميين إلى أرض المغرب لمحاربة الفساد هناك. ولما علم أن البلاد بخطر إمتثل للأمر وتلك كانت خطيئته الكبرى التي كانت سبب نهايته بشكل مأساوي مرير، إذ أن المهدي عزم على تصفيته وجماعته وراح يعد العدة لذلك.

### إجتماع تنس للنظر في أمر المهدي:

أنهى أبو عبدالله تمرد القبائل ووضع حداً لخلافها ولكنه لم يتوصل إلى وضع حدٍ لقلقه وشكوكه والظنون التي بدأت تساوره من هذا الإنسان المتقلب بالمهدي والمدعي للإمامة (ذلك أن أبا عبدالله لم يصل فيه التفكير قط إلى درجة الاعتقاد بأن عبيدالله المهدي هو الإمام المنتظر لأنه كان وقتئذٍ لا يزال في حالة المراقبة والتثبت من حقيقة أمره).

وعزم على حسم هذا الموقف ووضع حد له مهما كلف الأمر ولو اقتضى ذلك الإصطدام مع المهدي ومقاتلته. وأرسل إلى من يثق بهم من وجوه كتامة ليوافوه إلى مدينة تنس<sup>(١)</sup> للنظر في أمر المهدي، وكان أخوه أبو العباس قد تزعم حركة المناهضة السرية للمهدي وبث الدعوة لخمعه بين أنصاره ومؤيديه الساخطين عليه قبله بعد أن رأى من قبح سلوكه واستثنائه بالحكم وسيطرته على الأموال وانغماسه في حياة الترف ما يبعده عن أن يكون الإمام الموعود، لذلك

١. تنس: مدينة بقرب مليانه بينها وبين البحر ميلان.

فقد سارع أبو العباس مع بعض مرافقيه لتلبية الدعوة كما لبأها غيرهم من وجوه كتامة.

ومن جملة ما قاله ابو عبدالله في اجتماع تنس: «... إن هذا ليس بالذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه لأن المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة. ثم أضاف: وأما هذا فقد شككنا فيه والله لا تركنا بناءً بيناه بأيدينا وأتعبنا فيه أبداننا وذهبت فيه أعمارنا يسكنه غيرنا ونحن من وراء أبوابه حتى نحلّ أعاليه أو نلحقه بأسافله.»

أجمعت كلمة المجتمعين في تنس على وجوب التشدد في مراقبة المهدي وعدم الرضوخ لمشيئته أو السكوت على ما يقوم به من أعمال متناقضة لا تتفق وروح الإسلام وجوهره حيث امتلك الثروة الطائلة بعد أن أخذها من أيديهم في إيكجان واقتنى النساء واتخذ العبيد من السودان والروم وتشبه بالملوك وأحاط نفسه ببطانة خاصة تؤمن له الحماية وتنفذ له الأوامر والرغبات والمآرب الشخصية كما تعاهدوا على الإتصال بمن يثقون به من الشيوخ ووجوه القبائل وعمال الأقاليم في كتامة وإبلاغهم بالأمر وإقناعهم بأنه ليس هو الإمام المعصوم الذي كانوا ينتظرون خروجه.<sup>(١)</sup>

### إغتيال أبي عبدالله وأخيه:

كان المهدي في سباق مرير مع الزمن وقد ظهر وكأنه يريد أن يفعل كل شيء يقدر عليه في يوم واحد حتى لا تفاجئه الأحداث وتأتيه بما لا يحب؛ فأمر فوراً باستدعاء أبي عبدالله وأخيه أبي العباس إلى القصر وأمر غزوية وأخاه حباسة أن



يكنوا لهما خلف صحن القصر وأمرهم أن يطعنوهما بالرماح حتى يموتا. لبى أبو عبدالله وأخوه الدعوة وذهبا إلى قصر المهدي وفي طريقهما إليه مرًا بالموضع الذي فيه الكمين فخرج عليهما فجأة وتبين أبو عبدالله وجه مهاجمه الشاهر سيفه فإذا به غزوية فصاح به «لا تفعل يا ولدي!». فقال له غزوية: «أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته وانخلعت له من الملك بعد توطئته»<sup>(١)</sup> ثم طعنه طعنة خرَّ منها صريعاً، وكأنما كان سراجاً فانطفأ. ثم أجهز الكمين على أخيه أبي العباس فقتلوه ووقعت به تسع عشرة طعنة وكان ذلك يوم الإثنين منتصف جمادي الآخرة ٢٥٨هـ / ١٨ / ٢ / ٩١١م.

### القضاء على الحركة الشيعية:

باغتيال أبي عبدالله وأخيه وجماعة من أصحاب أبي عبدالله يكون المهدي قد اغتال تلك الطليعة الواعية التي عملت على نشر التشيع في ربوع المغرب بكل إخلاص وعلى ترسيخ أهدافه في واقع البلاد وأرجائها وقضى على تلك المجموعة الرائدة التي رباها أبو عبدالله وراح يكشف القناع سافراً عن أهداف الحركة الإسماعيلية ويثبتها في الأذهان وينشر مذهبه الجديد بحد السيف ويبلور تعاليمه ويسير الدعاة إلى مختلف المناطق يدعو الناس للدخول في المذهب الإسماعيلي<sup>(٢)</sup> ويكرههم على اعتناقه بالقوة والعنف بعد أن خلا له الجوف المذهب الذي أُبنتي أساسه على الفلسفة اليونانية والتصوف المسيحي. قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «يأتي زمان على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

١. المقرئزي، أحمد بن علي: أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١/١٥٠.

٢. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ١٦١، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

يشغل علماؤها بالفلسفة والتصوف».

وهكذا أخذت البلاد - شيئاً فشيئاً - تنتقل من عهد إلى عهد وأخذ الكيان الذي بناه أبو عبدالله على الفقه والدين يتحول إلى كيان سياسي خاص يمكن صاحبه من تحقيق أحلامه وطموحاته في الوصول إلى إنشاء خلافة إسماعيلية فاطمية قوية، وبالفعل بدأت هذه السياسة بجعل ولده أبي القاسم نزار ولياً للعهد وهو الذي كان كلما نظر إليه يقول:

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدينيا وللدين  
وبذلك أصبح الحكم ملكاً وراثياً إحتكره أبناؤه من بعده. ثم راح يغيّر معالم العهد الشيعي ويقضي على رموزه فاستبدل عمال الأقاليم برجال يأمرون بأمره ويرتبطون به مباشرة كما استبدل قواد الجيش وفرسانه بمجموعة من رجاله وأنصار سلطته. بعد ذلك عمد إلى التخلي نهائياً عن السياسة المالية التي كان قد انتهجها أبو عبدالله وشعارها: - لخراج على أموال المسلمين ولا زكاة غير الزكاة التي فرضها القرآن - والتي كانت ترفض كل ما يُجبنى من أموال إذا لم يكن مأخوذاً وفق أحكام الشريعة ومقتضياتها، فاستولى على الأموال واشتط في جمع الضرائب وتفنن في زيادتها فعمد إلى فرض ضرائب جديدة باهضة جداً لم تكن مقبولة خصوصاً بعد إتخاذه المظلة<sup>(١)</sup> التي لم يكن يتخذها إلا ملوك الروم بصقلية فصدم الناس بهذا السلوك وخاصة العلماء والأتقياء وأيقنوا عند ذلك أنه

١. إختص عبيدالله المهدي وولي عهده بالمظلة وهي شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنعة رائقة المنظر ظرف من الصناعة في الصياغة ونظم الأحجار الغالية ما يروق مرآه ويدهش من رآه يمسكها فارس من الفرسان يعرف بها فيقال صاحب المظلة فيحاذي الملك من حيث كانت الشمس تقيه حرها بظلمها.

ليس هو الإمام المهدي الحقيقي الذي دعاهم إليه أبو عبدالله والذي كانوا ينتظرونه ليحكم بشريعة جده النبي (ص) ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وإنما هو رجل لا تهمه العقيدة والشريعة بقدر ما يهمه توطيد الحكم وإقامة السلطان فبدأوا يتهيئون للتمرد والعصيان وإعلان الثورة في البلاد.<sup>(١)</sup>

### إنتشار الثورات واشتدادها على المهدي

وكما هو متوقع فقد انفجر الشعب وثار في طول البلاد وعرضها واكتسحت كتامة ثورات جارفة عبّر فيها الكتاميون عن وفائهم لأبي عبدالله عن غضبهم على المهدي وعن استيائهم واستنكارهم للمجازر التي ارتكبتها بحق قادتهم.

### ثورة كتامة ومهاجمة ميله:

وأول الثورات كانت تلك التي زحف فيها الكتاميون على مدينة ميله فور معرفتهم بمقتل أبي عبدالله غير أن المهديّ قمعها بمنتهى الغلظة والقسوة إذ أخرج إليهم ابنه أبا القاسم لقتالهم بجيوش كثيرة فقاتلهم حتى هزمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً.<sup>(٢)</sup> في ذي القعدة سنة ٢٩٩هـ / ٩١٢م.

وكتب إلى المهديّ بخبر الفتح... فأجابه وكتب إليه هذه الأبيات في آخر كتابه.

أصبح في كتامة ذا انفرادٍ تُقابلُها قياماً في قيام

١. بل، ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، ص ١٦٤، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار

المغرب الإسلامية، طبعة ثانية، ١٩٨١م.

٢. المقرئزي، أحمد بن علي: أتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ص ١٥١.

إذا ما وقعةً دارت رَحَاها      بجزمِ مفاصلٍ وفلاقِ هامٍ<sup>(١)</sup>  
 أتت أُخرى تَطْمُ وتعتليها      يشيبُ لها رأسُ الغلامِ  
 وأتذَّ الحياة بخفض عَيْشٍ      معاذَ الله والشهر الحرامِ!  
 ولكن التجلدَ لي خدينٌ      فسني ضاحك والقلبُ دام  
 عسى الرحمانُ يجمعنا وشيكا      وقد تمّت لنا رُتُبُ الكرامِ  
 فأقع غُلَّتِي بك وأشتياقي      إليك، بحمدِ ذي المننِ الجسامِ<sup>(٢)</sup>

ثورة تاهرت:

ثم ثار أهل تاهرت؛ فأخرج عبيدالله العساكر إليها في أعداد عظيمة فأخمدها، ووصل إلى المهدي كتاب من القائم وهو يحارب البربر بجهة تاهرت فبكى عند قراءته وأنشأ يقول: (٣)

يا وحشتي للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا؟  
 فارق أحبابه فما أنتفعا      بالعيش من بعده ولا انتفعا  
 ثم كانت ثورة أهل الزاب و ثورة أهل طرابلس و ثورة أهل صقلية. وهكذا اشتعلت الثورات و تفجرت في وجه المهديّ على امتداد البلاد كلها و انتشرت الفوضى و قامت الفتن حتى قيل إن المهديّ لم ينم طوال عشر سنوات إلا على صهوة جواده.

وكتب عبيدالله إلى سعيد بن صالح صاحب مدينتي نكور و تمسيامان من بلاد المغرب يدعوه لطاعته، وكتب في أسفل كتابه: (٤)

- ١ . جزم المفاصل: قطعها. والفلاق مصدر فالق.
- ٢ . اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣٣.
- ٣ . اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣١.
- ٤ . اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣٢.

فإن تستقيموا أستقيم لصلاحكم  
 وإن تعدلوا عني أَرَقْتَلِكُمْ عَدْلًا  
 وأعلوا بسيفي قاهراً لسيوفكم  
 وأدخُلها عَفْواً وأملؤها قَتلاً

وعلى الرغم من الانتصارات السريعة والحاسمة التي أحرزها المهدي في إخمد جميع الثورات التي قام بها مناوؤه في كل مكان فقد أحس في قرارة نفسه بعدم الإطمئنان والخوف على مصيره وامتدت خشيته إلى رجاله المقربين، وأحس أنه ليس بين رعيّة وإنما تجاه خصوم وأن لن يستطيع السيطرة على أولئك الناس قط ولم يكن كذلك يستطيع الثقة المطلقة بالكتاميين بعد الذي فعله بأموالهم وبأبي عبدالله لذا فكر في تأسيس مدينة يعتصم فيها هو وآله وحشمه وأمواله وتكون مركزاً لعملياته الحربية والبحرية فكانت مدينة المهديّة التي اختار لها مكاناً على الساحل الشرقي لتونس شمالي سوسة فجعلها العاصمة الحصينة لملكه واختار لها شبه جزيرة صخرية منعزلة على الساحل أشبه بالكف المتصل بالذراع أحاطها بالأسوار والأبواب الضخمة وشاد فيها المباني من الصخر وأمر أن تقام فيها دار لصناعة السفن ومخازن البحرية... وعندما فرغ من بناء تلك القلعة واستقر فيها قال كلمته الشهيرة: «الآن أمنت على الفاطميات» يعني بناته. (١)

قطف الفاطميون ثمرة جهاد الشيعة الطويل في بلاد المغرب كما قطفها العباسيون من قبل في بلاد المشرق وأسسوا خلافة إسماعيلية فاطميّة، وهكذا أسدل الستار على الدولة الشيعية الإثنا عشرية والتي أسسها أبو عبدالله الشيعي في بلاد المغرب بعد ان عمرت حوالي ثمانية عشرة سنة من عمر الزمن بين إعداد وتنظيم وإقامة بُنيان - وكانت امتداداً لدولة الأدارسة الشيعية الاثني عشرية - فقد

١. زيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٣٠٣.

ظل المذهب الشيعي بعدها حياً في نفوس أتباعه ومعتقيه يمارسونه بتكنم وتقية وظل الناس يدينون به واتخذوا منه عقيدة لاتزال آثارها باقية عند العامة إلى اليوم.

وفي نهاية المطاف - والحق يُقال - لنستمع إلى ما يقوله المؤرخ الإسماعيلي الدكتور عارف تامر: «ومهما يكن من أمر، فإن مقتل أبو عبدالله وضع المهدي وهو في بداية حكمه أمام تجربة قاسية، فقد كان عليه أن يكون أكثر تسامحاً مع رجل أخلص له، وضحّى في سبيله، فيكتفي بإبعاده أو سجنه مدة الزمن». ويضيف قائلاً: «رحم الله أبا عبدالله الشيعي، فقد كان من عظماء الرجال الذين انتهت حياتهم بمأساة تدمي القلوب»<sup>(١)</sup>.

وتضيف عادلة علي الحمد وهي تتحدث عن عبيدالله المهدي منذ خروجه من «سلمية» حتى وصوله إلى سجلماسة وما شاهده من ترحيب الناس وإخلاصهم لأبي عبدالله الشيعي؛ قائلة: «شعر المهدي بخطورة موقفه في طرابلس، وأن العيون تترصده إذا ذهب إلى القيروان، لذلك قرر التوجه إلى سجلماسة على طريق قسطليلية، ومنها إلى نفوسة وسماطة ثم توزر التي أقاموا بها أياماً، وخرجوا منها في اليوم الأول للعيد بعد صلاة العيد، ولقد سأل الاخوان المهدي المكوث لثاني يوم العيد فلم يوافقهم.

وفي توزر استطاع المهدي أن يعرف أثر دعوة أبي عبدالله الشيعي في نفوس الناس»<sup>(٢)</sup>.

١. تامر، الدكتور عارف: عبيد الله المهدي (الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين)، ص ٦٣،

ص ٦٤، دار دمشق و دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ.

٢. علي الحمد، عادلة: قيام الدولة الفاطمية في بلاد إفريقية والمغرب، ص ٢٠٢، دار ومطابع

المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.

**الدولة**

**الفاطمية**





## دولة العبيديين بالمغرب الأقصى (٣٠٥ - ٤٢٧هـ)

ومن الدول العظيمة التي استولت على بلاد المغرب الأقصى هذه الدولة المسماة أيضاً بالمهدية والفاطمية والعلوية. أما استيلائهم على بلاد المغرب الأقصى فهو انه لما بايع الشيعة عبيدالله المهدي أول الخلفاء العبيديين، وتوطت قدمه سمت همته إلى تملك المغرب الأقصى فأغزاه قائده مصالة بن حبوس فزحف مصالة إلى المغرب الأقصى (٣٠٥هـ). ولما انتهى إلى فاس خرج لحربه يحيى بن ادريس في جموع العرب والبربر فكانت الدائرة على يحيى ثم أتى مصالة إلى فاس وحاصرها إلى أن صالحه يحيى على جزية سنوية والبيعة لعبيد الله المهدي. ثم ولى العبيديون على المغرب غير يحيى موسى بن أبي العافية فكان هو وأولاده من بعده عمالاً للعبيديين.<sup>(١)</sup>

لنعود إلى الوراء قليلاً... بعد أن انتقم عبيدالله المهدي من يهود سجلماسة لوشايتهم به، اتجه إلى مدينة رقادة العاصمة الخاصة للأغالبة، فاتخذها عاصمة له سنة ٢٩٧هـ، وكان أهلها قد جلوا عنها، ففرق المهدي دورها على رجال كتامة جند الدولة الجديدة كذلك اقيمت الخطبة يوم الجمعة باسم الخليفة الجديد التي تلقب بالمهدي أمير المؤمنين وضربت السكة باسمه كما أرسل عماله إلى جميع

١. سرنهك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُول المغرب، ص ٣٦، دار الفكر الحديث، بيروت،

انحاء البلاد بما في ذلك جزيرة صقلية وبذلك ينتهي الدور التأسيسي الأول للدولة الفاطمية.

على أن الدولة الفاطمية في ذلك الوقت كانت لاتزال مضطربة ناشئة وفي حاجة ماسة إلى استقرار وتدعيم وكان على الخليفة المهدي نفسه أن يقوم بهذه الأعمال.

وأول عمل في هذا السبيل قام به الخليفة المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢هـ) هو اغتيال الداعي أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٨هـ أي بعد عام واحد من نشأة الدولة الفاطمية. والسبب في ذلك يرجع إلى أن الخليفة الفاطمي كان يريد الاستئثار بالسلطان الذي تأسس باسمه، بينما كان الداعي يحاول الاستمرار في ادارة شؤون الدولة، ويؤدى ذلك قوله للمهدي:

«لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامه أمرهم وأنهاهم لأني عارف بعاداتهم، لكان ذلك أهيب لك في أعين الناس». غير أن المهدي استمر في سياسة جمع السلطات في يده. وقد أثار هذا العمل غضب الداعي وأصحابه فأخذوا يتآمرون على قتل المهدي ويؤلبون الناس ضده. يروي المقريزي أن أبا العباس شقيق الداعي أخذ يؤنب أخاه بقوله: «ملكك أمراً فجئت بمن أزالك عنه». ثم أخذ يدعو الناس لعصيان المهدي ويقول لهم «إن هذا ليس بالذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه، لأن المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة». وقد تأثر بعض الناس بقوله حتى ان شيخاً من كتامه دخل على المهدي وقال له: «إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك»، فقتله المهدي في الحال. ثم علم المهدي من جواسيسه أن الداعي وأصحابه يتآمرون على قتله فصمم على التخلص منهم وأخذ في توزيع المتآمرين على الولايات المختلفة وارسل سراً إلى عمال تلك

الولايات بقتلهم بمجرد وصولهم. اما الداعي وأخوه أبو العباس فقد وضع لهما من قتلها وهما في طريقهما إلى القصر الخلفي. ويقال إن الداعي قال للقاتل: «لا تفعل يا بني» فأجابه: «إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك».

وكان لقتل الداعي وقع سيء في نفوس رجال كتامة وأصحاب الداعي فقاموا بثورة ضد المهدي، فخرج إليهم الخليفة الفاطمي وحاربهم وخضعت كتامة من جديد. (١)

أما العمل الثاني الذي قام به الخليفة المهدي لتدعيم اركان الدولة الفاطمية فهو بناء العاصمة المهدية. والسبب في ذلك يرجع الى شعور الفاطميين بالحاجة إلى مكان حصين يحتمون فيه اذا ما تغيرت عليهم نفوس رعاياهم خصوصاً وأن مدينة رقادة كانت تقع في وسط سهل فسيح لا يفي بالأغراض الدفاعية اللازمة. وبنى المهدي عاصمته الجديدة على شاطئ البحر مباشرة بالقرب من تونس وذلك لأنه رأى أن نفوذ الفاطميين في داخل البلاد لا يزال ضعيفاً وأن لا بد من أن يعتمد على أسطوله القوي لحماية العاصمة وتموينها من جهة البحر إبان الأزمات. وانتقل إليها المهدي من رقادة التي كانت مقر الدولة الأغلبية، منذ بناها ابراهيم الاصغر سنة ٢٦٤. ومنذ خلفت المهدية رقادة صارت مقر الدولة ومركز السلطان، وبقيت محتفظة بهذه الصفة إلى أن حلت محلها مدينة تونس في عهده الموحدين.

وقد كان طبيعياً أن يفكر المهدي في بناء مدينة كهذه المدينة، لا لما جرت عليه عادة الدول الجديدة من استحداث قواعد لها غير قواعد أسلافها، فحسب، باعتبار ذلك مظهراً من مظاهر السلطان، بل لأن تطور الحياة الاسلامية كان من

١. العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٨٠، دار النهضة العربية، بيروت.

شأنه أن يدعو المهدي إلى إنشاء مدينة تكون أكثر تحقيقاً لأغراضه، وتجاوباً مع حاجاته، من المدن الداخلية التي جرى المسلمون من قبل على إنشائها كالقيروان ورقادة في أفريقية.

وقد احتفل المهدي لهذه المدينة، وعنى بها عناية كبرى، منذ أول أمرها إلى غايته، منذ اختيار مكانها سنة ٣٠٠ هـ والانتقال إليها سنة ٣٠٨ هـ وقد استطاع في هذه السنوات الخمس أو الثمان أن يجعل منها مكاناً حصيناً، وأن يهيئها لتكون عاصمة ذلك الملك الواسع، وأن يوفر لها من أسباب الحياة ومظاهر الحضارة ما يفى بتطلعه ويلائم مطامحه<sup>(١)</sup>.

ومما استحسّن في تهنئة المهديّ بعمارة المهديّة قول ابن بديل الكاتب<sup>(٢)</sup>:

بُنِيَتْ لَدَيْ أَقْصَى الْمَغَارِبِ دَارٌ قَطَنْتَ بِهَا الْأَحْرَارُ وَالْأَبْرَارُ  
لَاذَتْ بِبَرْدِ الْمَاءِ لَمَّا أَنْ دَرَّتْ أَنْ الْقُلُوبَ عَلَى الْحُسَيْنِ جِرَارُ  
وكذلك قال بعض شعراء إفريقية مهتماً المهديّ بسكنى المهديّة سنة ٣٠٨: <sup>(٣)</sup>

لِيَهْنِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهَمَامُ قَدُومٌ فِيهِ لِلدَّهْرِ ابْتِسَامُ  
حَاطَّتْ الرَّحْلُ فِي بَلَدِ كَرِيمٍ رَعْنَتْ لَكَ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ  
لَمَّا عَظُمَ الْحَرَامُ وَمَا يَلِيهِ كَمَا عَظُمَتْ مَشَاهِدُ الْعِظَامُ  
لَقَدْ عَظُمَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ دَارٌ بِهَا الصَّلَوَاتُ تُقْبَلُ وَالصِّيَامُ  
هِيَ الْمَهْدِيَّةُ الْحَرَمُ الْمُوقَى كَمَا بِتَهَامَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامُ

١. الحاجري، الدكتور محمد طه: مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية،

ص ١٠، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٢. اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣٥.

٣. اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٧٣.

كَأَنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ      ثَرَى قَدَمَيْكَ إِنْ عُدِمَ الْمَقَامُ  
وَإِنْ لَتَمَّ الْحَجِيجُ الرُّكْنَ أَضْحَى      لَنَا بِعِرَاصِ قَصْرِكُمْ أَلْتَنَامُ  
لئن شَابَ الزَّمَانُ وَشَابَ مُلْكُ      دَعَائِمُهُ إِذَا عَجِمَتْ حُطَامُ  
لَمُلْكِكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ مُلْكُ      غُلَامٍ، وَالزَّمَانُ بِهِ غُلَامُ  
لَكَ الدُّنْيَا وَنَسْلِكَ حَيْثُ كُنْتُمْ      فَكَلِّكُمْ لَهَا أَبَدًا إِمَامُ

الخليفة الأول:

## عَبِيدُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ

ولد عبيدالله في «سلمية» سنة ٢٥٩هـ، ومات ودفن في المهديّة سنة ٣٢٢هـ فيكون قد عمّر ثلاثة وستون عاماً، أما مدة خلافته فخمسة وعشرين عاماً تبدأ من سنة ٢٩٧هـ وتنتهي سنة ٣٢٢هـ.

كان فصيح اللسان، يمتلك قدرة عجيبة على الإقناع، مهيب الطلعة، يؤثر في السامع، محباً لعمل الخير، جريئاً بهدوء، لا يعرف التردد، مغرماً بالقراءة والتزود من العلم، واقتناء الكتب وتربية الخيول والصيد...<sup>(١)</sup>

بويع عبيدالله المهديّ بالخلافة في ربيع الثاني سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م، فأنشده الشعراء، ومنهم سعدون الورجيني:

قَفَّ بِالْمَطِيِّ عَلَى مَرَابِعِ دُورٍ لَيْسَتْ مَعَالِمُهُنَّ ثَوْبَ دُثُورِ  
أَعْنِ ابْنَ فَاطِمَةَ تَصُدِّينَ امْرَأَةً  
بَنَتْ النَّبِيَّ وَعِثْرَةَ التَّطْهِيرِ؟  
كُفِّي عَنِ التَّنْثِيظِ إِنِّي زَائِرٌ  
مِنْ أَهْلِ بَنَاتِ الْوَحْيِ خَيْرَ مُزُورِ  
هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَضَعَّضَتْ  
لِقُدُومِهِ أَرْكَانُ كُلِّ أَمِيرِ

١. تامر، الدكتور عارف: عبيدالله المهدي، ص ٤٢.

هذا الإمامُ الفاطميُّ، ومَنْ به  
أمنتُ مغارِبُها مِن المَحْدُورِ  
والشَرْقُ ليس لَشامِهِ وعِراقِهِ  
مَنْ مَهْرَبٍ مِن جَيْشِهِ المنصُورِ  
حتى يَفوزَ مِن الخِلافةِ بالمُنَى  
ويُفازَ مِنْهُ بِعَدْلِهِ المنشُورِ<sup>(١)</sup>

يعتبر الإسماعيليون المستعليون «البهرة» بفرعهم السلیماني والداؤدي وهكذا الدرّوز - عبيدالله المهدي - إماماً مستودعاً وهذا الإصطلاح يعطي تفسيراً بأنه كان إماماً وكيلاً أو وصياً أو نائباً للإمام الأصيل لفترة زمنية محدودة، وليس له صلاحية توريث الإمامة لأحد من أولاده، فمثله كمثل «الحسن بن علي».

بينما يعتبره الإسماعيليون النزاريون إماماً «مستقراً» وصاحب نص ثابت فهو «كالحسين بن علي» له صلاحية توريث الإمامة لمن يقع اختياره عليه من أولاده.<sup>(٢)</sup>

١. اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣٦.

٢. تامر، الدكتور عارف: عبيدالله المهدي، ص ١٢.

الخليفة الثاني:

## القائم بأمر الله

توفي أبو محمد عبيدالله المهدي بالمهدية، ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م. فاستلم أمور الخلافة مكانه ولده محمد (أبو القاسم)، وأخفى موته سنة خوفاً من أن ينقلب الناس ضده إذا علموا بموت والده ولما تمكن من تثبيت يده في الحكم، أظهر وفاة والده، وتلقب بلقب «القائم بأمر الله»<sup>(١)</sup>.

ولد القائم بأمر الله ابن عبيدالله المهدي في محرم سنة ٢٨٠ هجرية بالسلمية، وارتحل مع أبيه محمد المهدي إلى المغرب وعهد إليه بالامامة من بعده حسب الأصول الاسماعيلية، فاقتفى إثر أبيه وخطا خطاه ونهج نهجه، وعمل جاهداً على تعزيز وازدهار الدعوة الاسماعيلية وتعميمها في جميع البلدان والأقاليم، ووجه اهتمامه الزائد لتنظيم وتقوية البحرية الاسماعيلية فشكل اسطولاً عظيماً تمكن بواسطته من قهر العصابات البحرية المالطية التي تأتي بأعمال القرصنة لغزو البلاد الاسماعيلية وقيامهم بأعمال النهب والسلب والتخريب، واحتل الاسطول الاسماعيلي (جنوه) و(لونبارتي) و(غرناطة) وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم، كما فتح الاسماعيلية جزيرة (صقليا).

رغب القائم بأمر الله بأن يتوسع في المغرب الاقصى ليتمكن من القضاء

١ . رزق الله أيوب، ابراهيم: التاريخ الفاطمي السياسي، ص ٢٧، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.



على الثورات الداخلية التي كان قد أشعلها أذئاب وبقايا فلول العباسيين والامويين المتوارين عن الانظار، فجهز جيشاً كبيراً بقيادة (ميسور الفتى) لغزو المغرب الاقصى، فوصل إلى (فاس) وإلى (تكرور) وأرسى جيشاً بحرياً بقيادة (يعقوب بن اسحق) لغزو بلاد الروم، كما سير جيشاً آخر بقيادة (زيدان) إلى مصر، فدخلوا الاسكندرية وتقابلوا مع جيش الاخشيدي. (١)

وقال القائم بأمر الله وهو مقيم بأرض مصر:

طَرِبْتُ، ولم أَطْرَبْ إِلَى الْخُرْدِ الْعُرْبِ

وما الهزلُ من شأني، ولا اللهُوُّ لي أَرَبُ (٢)

فيا مُعرضاً عَنِّي، وليس بِمُنْصِفي

وقد ظهرَ الحقُّ المبينُ لَمَنْ رَغِبَ

ألمَ ترني بِعتِ الرفاهةَ بالسُّرَى

وقمتُ بدينِ اللهِ حقّاً كما يَجِبُ!

ألا إنَّ حدَّ السيفِ أشفَى لذي الوَصْبِ

وأبلغُ من رجوعِ الرسائلِ والكتَبِ (٣)

١ . غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٧٠، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية.

٢ . الخُرْد: ج الخريدة وهي الحسناء البكر. والعُرْب ج العَرُوب: المرأة المتحبة إلى زوجها وأيضاً البكر كما في القرآن: «فجعلناهنَّ أبكاراً عُرْباً أتراباً» الواقعة - الآية ٣٧. والبيت يشبه معنىً ومبنى بيت الكميث مادح آل البيت:

ضربتُ، وما شوقاً إلى البيضِ أَطْرَبُ

ولا لعباً مِنِّي، وذو الشيبِ يلعبُ؟

٣ . الوَصْبُ: الوجعُ والمرضُ والتعبُ.

وأقضى لحاج النفس في كل موطنٍ  
وأحرى برد الحق يوماً لدى الطلب<sup>(١)</sup>  
أيا أهل شرق الله زالت حلومكم  
أم أخذت من قلة الفهم والأدب!  
فويحاً لكم، خالفتُم الحق والهدى  
ومن حاد عن أم الهداية لم يُصب  
صلاتكم مع من؟ وحجكم بمن؟  
وغزوكم فيمن؟ أجيئوا بلا كذب!  
صلاتكم، والحج، والغزو، ويهلككم!  
بشرابٍ خمرٍ عاكفين على الرب!  
أفكر في أفعالكم وأموركم  
وفي دون ما عينته أعجب العجب!  
أبعد نبي الله، ثم ابن عمه،  
وسبطيه، والهادين، والسادة النجيب  
يكون إمام المسلمين ورأسهم  
وقيم دين الله في أرضه، شغب؟<sup>(٢)</sup>

١. حاج النفس: حاجاتها.

٢. مقطنفات من قصيدة للقائم بأمر الله.

اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٨١.

## رسالة القائم إلى مؤنس المظفري:

«باسم الله الرحمان الرحيم. من أبي القاسم محمد وليّ عهد المسلمين ابن الإمام أبي محمد عبدالله المهديّ بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه، إلى مؤنس. (١)

«سلام على من أتبع الهدى. فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي علي محمد رسوله (ص).

«أما بعد، فإنه وصلني كتابك، وترجمته من مؤنس مولى أمير المؤمنين، وتذكر ما أختص الله - عزّ وجلّ - به ولد العباس رحمة الله عليه، من خلافته في أرضه وأمانة عبادته، وتمكينه لهم، وأنه يلزمني الائتمام بهم، والدخول في طاعتهم، وتسكين الدماء، ولم الشعث، وترك إيقاع الفرقة وإثارة الفتنة، وما بذلته ورغبتني فيه من الأموال والإقطاعات من الناحية التي أنا فيها إن دخلت في جملتهم، ووصفته من وفور جيشك، وكثرة جموعك، وتوعدني باللقاء والمقارعة إن أبيت ذلك، وفهمته.

«فأما الخلافة، فما جعل الله - عزّ وجلّ - للعباس بن عبدالمطلب فيها حظاً، وما هو منها في شيء لأنه ليس من المهاجرين، ولا من العشرة الذين تُوقى رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ، ولا أدخل في الشورى، ولا التمسها لنفسه في وقت من الأوقات.

«وإنما خصّ الله بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وامتنح بها من بعد

---

١ . مؤنس الخادم هو القائد التركي الذي جهزه خلفاء بغداد للتصدّي للقائم. وقد نجحت مقاومته للجيش الفاطمي فاضطرّ القائم إلى الرجوع إلى إفريقية. فسمي مؤنس «المظفري» لذلك

رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا، رفعا لدرجته في جنّات النعيم، فصَبِرَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ - على مضض الأمور، ابتغاءً لما يبقى في الدار التي لا تبيد ولا تفنى، وصارت لولده من بعده فكانوا أحقّ بها وأهلها فغصبهم بنو أمية الكفرة الفجرة، الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، ثم بنو العباس، رضوان الله عليه العباس، من بعدهم، فأطفأوا نور الله وبدّلوا الحقّ بالباطل، وكانوا مثل الملوك الذي عتوا في الأرض من قديم الدهر، وجعلوا الملك ميراثاً، فأملئ لهم الله - عزّ وجلّ - المدّة ليستدرجهم، ثمّ إنّه ينتقم منهم ويأخذهم، وهو فاعل ذلك ومهلك آخرهم كما أهلك أولهم، وراذ الحقّ إلى أهله «إنّ الذين يُحادّون الله ورَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ، كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي، إن الله قويّ عزيز». (١)

«وأما ما بذلته من المال والأمان والإقطاع فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون». (٢)

١. المجادلة: الآية ٢٠ - ٢١.

٢. النمل: الآية ٣٦.

اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٨٥.

### خطبة القائم في عيد الفطر سنة ٣٠٢ هـ بالإسكندرية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله.  
والله أكبر! الله أكبر! لا حكم إلا لله. لا طاعة لمن عصى الله. ألا «لعنة الله على  
الظالمين الذين يَصُدُّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً»، «ويقتلون الذين يأمرون  
بالقسط من الناس».  
«الحمد لله الخلاق العليم، المدبر الحكيم، الذي له مقاليد السموات والأرض  
وهو على كل شيء قدير».

.....  
إلى أن يقول: «يا أيها الناس، إنكم أصبحتم في عمياء مظلمة، وسوداء  
مدلهمّة، غامرة بفتنة تنقلكم إلى فتنة. قد أضلّتكم بأضاليتها المبتدعة وشملتكم  
بأكنافها المهلكة، فأنتم عائمون في غواشيتها مغرقون في مباديها، قد غلقت عليكم  
أبوابها، وعميت عليكم أسبأها، فأعلام دينكم طامسة، وآثار نبيكم دارسة،  
والمنكر فيكم ظاهر، والمعروف فيكم دائر، فأين تذهبون؟ إلى الجحيم لا محالة  
تُسحبون، أقمّثابون أنتم أم مُعذّبون؟ أشكرتم الله نعمته، لأنها حُجّته عليكم، ما  
استحفظكم من أمر دينه والذبّ عن حرم نبيّه صلى الله عليه وعلى آله، الذي  
استنقذكم من الهلكة؟

.....  
«اللهم أنصر جيوشنا وسرايانا في مشارق الأرض ومغاربها، وبرّها  
وبحرها، وسهلها وجبلها. اللهم، ألعن أعداءك وأهل معاصيك من الأوّلين  
والآخريين، وقوم نوح في العالمين، إنهم كانوا قوماً فاسقين، وعاداً وثموداً

وأصحاب الرّسّ<sup>(١)</sup>، وجابرة بنى أميّة وبنى مروان، ومعاوية بن أبي سفيان الذي اتخذ من عبادك نصيباً مفروضاً بالدنانير والدراهم وقاتل بهم المهاجرين والأنصار، وألّعن عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان<sup>(٢)</sup>، والوليد بن عتبة<sup>(٣)</sup>، والوليد بن أبي مُعَيْط<sup>(٤)</sup>، والوزع ابن الوزع - يعني مروان بن الحكم - والمغيرة بن شعبة، وزبيد بن سمية<sup>(٥)</sup>، وعبيدالله بن زياد، والسلمي<sup>(٦)</sup>، وذا الكلاع<sup>(٧)</sup>، وحوشبا<sup>(٨)</sup>، والأشعث بن قيس<sup>(٩)</sup>، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وعبد الرحمان بن ملجم والناكثين والقاسطين، والمارقين والمخالفين والمبتدعين، والمرجئيين والقاعدين عن الجهاد مع أمير المؤمنين، اللهم أنصر الحقّ وطلّابه، وأذلّ الباطل وأحزابه، إنك أنت العزيز الحكيم». (١٠)

مقتطفات من أشعاره<sup>(١١)</sup> - القائم بأمر الله - بوادي صلاف قرب تاهرت في

١. أصحاب الرّسّ - والرّسّ هو البثر - : هم القوم الكافرون الذين كذبوا شعيباً.
٢. عتبة بن أبي سفيان: ممّن شهدوا يوم الجمل مع عائشة وصفين مع معاوية. وهو أخوه.
٣. الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: ولي المدينة لمعاوية عمّه وليزيد بن معاوية. وكان يضايق الحسين بن علي. وقد يكون الوليد بن عتبة بن ربيعة الذي قتله عليّ يوم بدر وهو خال معاوية.
٤. الوليد [بن عقبة] بن أبي معيط: أخو عثمان بن عفّان لأُمّه. كان سكّيراً مستهتراً بالدين. وكان ممّن يطالب بدم عثمان ويشتم عليّاً.
٥. هو زياد بن أبيه أمير العراق، وقاتل حجر بن عدّي.
٦. السلميّ هو أبو الأعور عمرو بن سفيان، من العبشمية الذين شاركوا في صفين ضدّ عليّ.
٧. ذو الكلاع: أبو شراحيل الحميريّ. كان مع معاوية في وقعة صفين، وفيها قُتل.
٨. حوشب، بن طخمة الألهاني: كان أيضاً مع معاوية يوم صفين.
٩. الأشعث بن قيس الكندي: حرّض عبدالرحمن بن ملجم في قتل عليّ.
١٠. اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٨٨.
١١. اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٩٥.

شهر ربيع الأول سنة ٣١٦/٩٢٨م:

سلام على آل النبي ورهطه  
وشيعته أهل النهى والفضائل  
تحية من أمسى بتاهرت قائماً  
بحقهم بين الملا والقبائل  
قبائل من تميم وقيسٍ وخندفٍ  
ومن يمنٍ في عزها المتناول  
وفتيانٍ صدقٍ من ذؤابة هاشمٍ  
أتوني بيضٍ مُرهفاتٍ قواصل  
أنا ابنُ رسولِ الله جديّ وجدّهم  
إذا ذُكِرَ الأقوامُ عند التفاضل  
أنا ابن رسول الله والبيتِ والصفى  
أنا ابن عليّ ذي التقى والفضائل  
وفاطمة الزهراء أمي ومن بها  
سموتُ إلى العلياء أعلى المنازل  
ذكرتُ حسيناً فاستهلت مدامعي  
وقلت: فأني لست أنسى أوائلي

وازدهرت بعهد القائم الدعوة الاسماعيلية وانتشرت دعائها في جميع  
الأقطار، وتبع منهم دعاة أقوياء وكتاب عظماء كان لهم أكبر الأثر في انتشار  
الدعوة في ذلك العصر نذكر منهم:  
الداعي الكبير ابو حاتم الرازي:

كان داعياً كبيراً لبلاد الري وطبرستان واذريجان، وقد استطاع أن يدخل امير الري في المذهب الاسماعيلي وكان من كبار دعاة القائم بأمر الله. وله مؤلفات منها:

١- «كتاب الزينة» في الفقه والفلسفة الاسماعيلية.

٢- «اعلام النبوة» كتاب يبحث في الفلسفة الاسماعيلية.

٣- «الاصلاح» يبحث في التأويل.

٤- «الجامع» كتاب في الفقه الاسماعيلي.

وتوفي هذا الداعي سنة ٣٢٤ هجرية.

**الداعي عبدالله بن احمد النسفي:**

كان كبير دعاة خراسان وتركستان، اشتهر في تعمقه بدراسة فلسفة المذهب الاسماعيلي ومن أشهر مؤلفاته:

١- كتاب «المحصول» في الفلسفة الاسماعيلية.

٢- «كون العالم».

٣- كتاب «الدعوة الناجية».

٤- كتاب «اصول الشرع» يبحث في الفقه الاسماعيلي وفلسفة ماوراء

الطبيعة.

توفي هذا الداعي سنة ٣٣١ هـ.

**الداعي ابو يعقوب بن اسحاق بن احمد السجستاني:**<sup>(١)</sup>

كان من أشهر الدعاة الاسماعيلية ومن أعظم علماء المذهب الاسماعيلي.

١. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الإسلامية، ص ١٧٣.



له مؤلفات كثيرة منها:

- ١- اساس الدعوة.
- ٢- كشف المحجوب.
- ٣- تأويل الشريعة.
- ٤- أسس البقاء.
- ٥- الافتخار.
- ٦- اثبات النبوة.
- ٧- تحفة المستجيبين.
- ٨- الينايع.
- ٩- سلم النجاة.
- ١٠- المحصول.
- ١١- المقاليد في مثال الأمر.
- ١٢- مسليات الاحزان.
- ١٣- الوعظ.
- ١٤- خزنة الادلة.
- ١٥- الكتاب القريب في مثال الكثير.
- ١٦- تألف الارواح.

الخليفة الثالث:

## المنصور بالله

ولد المنصور بالله اسماعيل في القيروان سنة ٣٠٢هـ تسلم شؤون الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤هـ، وكان سياسياً عظيماً ومحارباً قديراً وخطيباً من أفصح الخطباء وأبلغهم.

مدحه الشاعر أيوب بن إبراهيم عند إعلان تولّيه الخلافة: (١)

يا أبنَ الإمام المرتضى، وأبنَ الوصيِّ المصطفى، وأبنَ النبيِّ المرسلِ  
اللهُ أعطاكَ الخلافةَ واهباً ورآكَ للإسلامِ أمّنعَ معقِلِ  
تلكَ الخلافةُ، وهي أعظمُ رتبةٍ نيلت، وليست من عُلاك بأفضلِ  
في عهده تقدمت الدولة الاسماعيلية تقدماً كبيراً في مختلف النواحي، وقضى على  
جميع الثورات الداخلية في البلاد، فاستتب له الأمر، وانتشرت دعوته في كل من  
(صفاقص) و(تونس) و(قابس)، واحتلت جيوشه جزيرة صقلية بكاملها. (٢)

١. اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ١٤٤.

٢. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الإسماعيلية، ص ١٧٥.

الخليفة الرابع:

## المعز لدين الله

توفي المنصور بنصر الله ابو الطاهر اسماعيل بن القائم أبي القاسم محمد بن عبيدالله المهدي نهاية شوال سنة ٣٤١هـ / ٩٥٣م، عن عمر بلغ تسعاً وثلاثين سنة. وقد قضى في خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً، وكان عهداً قبل وفاته بالخلافة إلى ابنه معد (المعز لدين الله)، ودفن في قصره. ولم يُعلن ولده المعز لدين الله خبير وفاته قبل السابع من ذي الحجة، حين اذن للناس، فدخلوا عليه، وسلّموا عليه بالخلافة، وله من العمر أربع وعشرين سنة. (١)

يُنسبُ إليه من الشعر قوله: (٢)

أطلع الحسنُ من جبينك شمساً

فوق وردٍ في وجنتيك أطلاً

وكانَّ الجمالَ خافَ على الوزِّ

دجَّافاً، فمدَّ بالشعر ظلاً

وفي عهد المعز لدين الله فُتحت مصر إذ سار إليها القائد جوهر فدخلها يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ بعد العصر وأناخ في موضع القاهرة الآن واختط موضع القصر.

واستمر دخول الجيش مدة سبعة أيام فاستقرت به الدار وجاءته الهدايا فلم

١. ايوب، ابراهيم: التاريخ الفاطمي السياسي، ص ٣٢.

٢. اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢٥٥.

يقبل من أحد شيئاً، ووزع الصدقة على المستورين والفقراء وخطب في الجامع العتيد باسم الخليفة المعز وأمر ببناء مدينة القاهرة وضرب النقود باسم الخليفة المعز، وخصص يوم السبت من كل اسبوع لينظر في المظالم بنفسه وارسل يخبر الخليفة المعز بفتح مصر فوصلت البشارة إلى المغرب في نصف رمضان سنة ٣٥٨ هجرية فسر الخليفة سروراً عظيماً وأقيمت الافراح في جميع البلاد<sup>(١)</sup> وأنشد الشاعر ابن هانيء الاندلسي فقال: (٢)

تقول بنو العباس هل فتحت مصرُ

فقل لبني العباس قد قضي الأمر

وقد جاوز الاسكندرية جوهر

تُطالعه البشرى ويقدمه النصر

والقصة بدأت من هنا حيث تطلع الخلفاء الفاطميون منذ قيام دولتهم في المغرب إلى توجيه أنظارهم إلى مصر لثرائها، وأهمية موقعها الجغرافي سياسياً وحريراً، خصوصاً وأن ولاية هذه البلاد كانت إليهم ولاية الشام والحجاز، فكان امتلاك مصر امتلاكاً لهذين البلدين العظيمين.

شرع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥هـ) (٩٥٢ - ٩٧٥م) قبل اعداد جيوشه لفتح مصر، في نشر الدعوة الفاطمية فيها على نطاق واسع، وخاصة بعد أن أحسن كافور استقبال الدعوة الفاطمية الذين وفدوا عليه من قبل المعز، يدعونه إلى طاعته، ومال إلى المذهب الفاطمي الكثير من الكتّاب والجنود الاخشيدية والكافورية، على أن كافور راوغ في الاجابة، ولم يعط رسل المعز

١. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الإسماعيلية، ص ١٨٧.

٢. الحاجري، الدكتور محمد طه: مرحلة التشيع في المغرب العربي، ص ١٢٠.

إجابة شافية رغم ترحيبه بهم.

صار في مصر عدد غير قليل من أولى الرأي يرسلون بكتبهم إلى المعز ويدعونه لفتح مصر، ولم تلبث أن ساءت أحوال مصر بعد وفاة كافور سنة (٣٥٧هـ / ٩٦٩م)، فقد انتشرت الفوضى، وتعددت الفتن، واضطربت الاسعار وتعذر وجود الأقوات وهلك الضعيف من الناس، وأكلوا الميتة، وكتبت جماعة من الاخشيدية، ووجوه البلد إلى المعز لدين الله، يطلبون اليه التقدم نحو مصر ليتسلمها، وضمنوا له المساعدة على أن يملك البلد بغير حرب ولا قتال.

وهكذا تهيأت الفرصة تماماً لنجاح الحملة على يد جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله الفاطمي، الذي توجه إلى مصر على رأس جيش قوامه نحو مائة الف فارس في ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، والاستيلاء على مصر.

شرع جوهر الصقلي في بناء مدينة القاهرة، وتأسيس الجامع الأزهر، وتشيد قصر الخلافة وبدأ في إرساء قواعد الحكم الفاطمي في مصر، حيث أمر باحلال الدعوة للخليفة المعز محل الدعوة للخلفاء العباسيين في المساجد، كما ضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي، ومنع الناس من لبس السواد شعار العباسيين، وبعث بالبشارة إلى الخليفة المعز لدين الله، وصار يحثه على الرحيل إلى مصر<sup>(١)</sup>.

لما عزم المعز على الرحيل إلى مصر، أجال فكره فيمن يخلفه في المغرب ممن يتوافر فيه صدق التشيع، ورسوخ القدم في الدراية بأمر هذا الأقليم، مع أنه كان يدرك أن نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب لن يدوم طويلاً لما كان يعرفه من شدة مراس البربر، وطبيعتهم الثورية.

١. خضير أحمد، الدكتور حسن: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص ٢٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى.

وقع اختيار المعز أولاً على جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي، وأسرّ إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب، بيد أن جعفر اشترط لقبول هذا المنصب شروطاً تجعله شبه مستقل عن مصر، فيقول للمعز: «تترك معي أحد أولادك، أو أحد اخواتك جالساً في القصر، وأنا أدبر وأعمل، وكأني أطالع من يأمرني ليطمئني أمري... ولا تسألني عن شيء من الأموال إذ كان ما أجب به بازاء ما أنفقته.. وإذا أردت أمراً فعلته، دون أن أنتظر ورود أمرك فيه، لبعده ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي»، فأجاب المعز غاضباً بقوله: «يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكاً في أمري، واستبددت بالأعمال والأموال دوني، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشداً. ويستدعي الخليفة المعز بعد ذلك بلكين بن زيرو أحد رجالات الدولة من صنهاجة، وقال له: «تأهب لخلافة المغرب»، فاستعظم بلكين ذلك وقال: «يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله (ص)، ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي، وأنا صنهاجي بربري؟ قتلتنني يا مولانا بغير سيف ولا رمح!! فلم يزل به المعز حتى أجاب.

خلع المعز على بلكين خلعتة التي كانت عليه، ونزع سيفه فقلده إياه بيده، وسماه اسماً عربياً هو «يوسف» وكناه كنية عسكرية «أبو الفتح»، ولقباً ملكياً هو سيف الدولة، كما أهده أجمل خيوله، وألبسه زى قائد الجند، وقلده بسلاسل ذهبية دليلاً على التقدير السامي، وعلامة للتبعية، وكتب له سجلاً وأمر الناس بالسمع له والطاعة وأصبح منذ ذلك الحين نائباً للفاطميين في حكم بلاد المغرب وامتداداً لهم ضد زناته والخلافة الأموية في الأندلس<sup>(١)</sup>.

١. خضير أحمد، الدكتور حسن: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص ٣١.

وصل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله القاهرة في رمضان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م واصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية بدلاً من القيروان والمهدية.<sup>(١)</sup>

ويقال: إن جوهر لما بنى القصور، وأدار عليها السور سماها: «المنصورية»، فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سماها «القاهرة». ويقال في سبب تسميتها بالقاهرة: أن القائد جوهر لما أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين، وعرفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقم بها الجند، وأمرهم باختيار طالع لوضع الأساس، بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم، فاختروا طالعا لحفر السور، وطالعا لابتداء وضع الحجارة في الأساس، وجعلوا بدائر السور قوائم من خشب، بين كل قائمتين حبل فيه أجراس، وقالوا للعمال: «إذا تحركت الأجراس أرموا ما بأيديكم من الطين والحجارة».

فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك، فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال المعلق بها الأجراس، فتحركت كلها، وظن العمال أن المنجمين حركوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا، فصاح المنجمون: «القاهرة في الطالع».

فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه.<sup>(٢)</sup>

وقيل:

إنما سميت «القاهرة» لأنها تقهر كل من شدَّ عنها، أو حاول الخروج على

١ . المصدر السابق.

٢ . المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي: إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ١٨٥/١، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

صاحبها، وليس بعيداً أن يكون اسم «القاهرة» مأخوذ من قول «المعز لدين الله» «لجوهر» في رسالته إليه عندما علم بوصوله إلى «القسطاط»: «ابن مدينة وسمها «القاهرة» لأنني سأقهر بها بني العباس».

وقيل سميت «القاهرة» لأن حروفها بحساب «الجمل» يأتي مطابقاً لتاريخ تسلم الخليفة «المعز لدين الله» شؤون الخلافة الفاطمية وهي سنة ٣٤٢هـ فتكون هكذا: (١)

ا	ل	ق	ا	هـ	ر	هـ
١	٣٠	١٠٠	٥	٢٠٠	٥	٥

ويقال: ان المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك. فسموها «القاهرة».

١ . تامر، عارف: المُعزّ لدين الله، ص ٨٣، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م/



القاضي النعمان بن أبي عبد الله التميمي:

توفي القاضي النعمان في شهر جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هجرية وصلّى عليه الخليفة المعزّ لدين الله. (١)

شارك القاضي النعمان في الدعوة الفاطمية في مهدها بالمغرب، وقام بتأصيل اصولها حتى أصبحت الدعوة تعتمد على النشاط الفكري للقاضي بقدر اعتمادها على النشاط السياسي للخلفاء الفاطميين.

ولدوره البارز في الدفاع عن حريم التشييع اعتبرته المصادر الشيعية إمامياً اثنا عشرياً، بالرغم من كثرة مؤلفاته التي تعتبر مصدر عطاء للمذهب الاسماعيلي، ولا يزال أتباع المذهب الاسماعيلي يعبّرون عنه بألفاظ التجليل التي لا يصفون غيره بها، كألفاظ «سيدنا الأوحّد» و«القاضي الأجل» و«سيدنا القاضي».

إماميته:

ذهب جمع من أعلام الشيعة إلى أن النعمان كان إمامياً على مذهب الشيعة الاثني عشرية، وأنه تسترّ بالتقية في خدمته للفاطميين، وأظهر كونه إسماعلياً خوفاً من بطشهم.

ويعتبر العلامة المجلسي (ت/١١١١هـ) أول من أبدى هذه الفكرة وتبعه جمع من الأعلام، قال ما نصّه: «كان مالكيّاً أولاً ثم اهتدى وصار إمامياً، وأخبار كتابه [دعائم الاسلام] موافقة لما في كتبنا المشهورة، لكن لم يرو عن الاثمة بعد الصادق عليه السّلام خوفاً من الخلفاء الاسماعيلية وتحت ستر التقية أظهر الحق

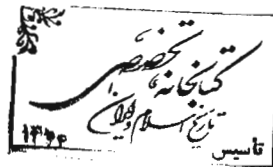
لمن نظر فيه متعمّقاً وأخباره تصلح للتأييد والتأكيد»<sup>(١)</sup>.

وذكر السيّد بحر العلوم (ت/١٢٢٢هـ) ما نصّه: «نقل صاحب تاريخ مصر [ابن زولاق (ت/٣٨٧هـ)] أن القاضي نعمان كان غاية في العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه [ثم عقبه السيّد بحر العلوم بقوله: ] وكتاب الدعائم كتاب حسن جيّد يصدق ما قيل فيه، إلا أنه لم يرو عمّن بعد الصادق من الأئمة خوفاً من الخلفاء الاسماعيلية، حيث كان منصوباً من قبلهم بمصر، لكنه قد أبدى من وراء التقيّة مذهبه كما لا يخفى على اللبيب»<sup>(٢)</sup>.

وللكاظمي (ت/١٢٣٧هـ) وصفه بأنه «من أفاضل الامامية وأنه لم يرو كتابه إلا عن الصادق ومن قبله من الائمة».

والمحدّث النوري (ت/١٣٢٠هـ) وهو أكثرهم تأكيداً وأوسعهم استدلالاً على إماميته قال: «إنه أظهر الحقّ تحت أستار التقيّة لمن نظر فيه متعمّقاً، وهو حقّ لا مريّة فيه بل لا يحتاج إلى التعمّق والنظر»<sup>(٣)</sup>.

ويظهر أن المحقّق المامقاني قدّس سرّه ظنّ تعقيب السيّد بحر العلوم تنمة لكلام صاحب التاريخ فقال «فما في معالم ابن شهر آشوب من أنه لم يكن امامياً إشتباه قطعاً، فإن أهل البيت وهم المؤرّوخون المذكورون أدري بما في البيت (ثم) ولا معنى لتصنيف غير الامامي كتاباً في مثالب الغاصبين للحقّ، وكتاباً آخر في فضائل الأئمة الأطهار، وكتاباً ثالثاً في الامامة، كما اعترف به هو بقوله:



١. المجلسي، العلامة: بحار الأنوار، ١/٣٨.

٢. بحر العلوم، العلامة: رجال بحر العلوم، ٤/٥.

٣. النوري، العلامة المحدّث: مستدرک الوسائل، ٣/٣١٤.

وكتبه حسان».(١)

وأوضح «أغا بزرك» العلامة (ت/١٣٨٩هـ) أسلوب التقية المذكورة قائلاً:  
«ولمّا كان قاضياً من قبل الخلفاء الفاطميين المعتقدين بإمامة إسماعيل بن جعفر  
عليه السّلام ثم أولاد إسماعيل، كان يتّقي في تصانيفه من أن يروي عن الائمة بعد  
الإمام الصادق صريحاً لكنه يروي عنهم بالكنى المشتركة، فيروي عن الرضا  
بعنوان أبي الحسن، وعن الجواد بعنوان أبي جعفر».(٢)

والشيخ محمد تقي التستري المعاصر قال: «روى عن الجواد بلفظ أبي جعفر  
موهماً إرادة الباقر عليه السّلام به، يظهر ذلك من خبر في آخر كتاب وقف  
دعائه».(٣)

فالوجه الآنفه توحى بأن القاضي النعمان كان من أسرة شيعية إمامية  
المذهب، وأنه تعاطف مع الفاطميين فكتب لهم ما يرغبون إشاعته في المجتمع،  
ولم يتعدّ رغباتهم قيد أنملة، وأنه قد أفرط في الاحتماء بالتقية التي كان يعيها  
بأساليبها وعباً كاملاً.(٤)

### مؤلفاته:

وإليك مؤلفاته حسب حروف التهجيّ.

### ١- الأخبار:

يقال إنه مختصر الدعائم ويوجد المجلد الأول منه في مكتبة الوكيل بالهند.

١. المامقاني، المحقق: تنقيح المقال، ٢٧٣/٣.

٢. الطهراني، أغا بزرك: الذريعة الى تصانيف الشيعة، ٦١/١.

٣. التستري، محمد تقي: قاموس الرجال، ٢٢٢/٩.

٤. الحسينيّ الجلالي، محمّد حسين: مقدمة كتاب شرح الاخبار للقاضي النعمان، ص ٤١،  
المجلد الأول، منشورات دار الثقلين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٢- اختلاف أصول المذاهب.

وهو كتاب اختلاف الفقهاء وجاء فيه ذكر أصحاب القياس والرد عليهم.

تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس - بيروت - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

الكتاب في ٢٣٠ صفحة.

٣- الأرجوزة المختارة:

هي قصيدة أو قل عنها أرجوزة ذات [٢٣٧٥] بيتاً من الشعر الرجز كتبها النعمان في مدينة «القيروان» المغربية بعهد الخليفة الفاطمي الثاني «القائم بأمر الله الذي حكم من عام ٣٢٢هـ حتى عام ٣٣٤هـ.

وتعتبر فتحاً جديداً في عالم التأليف والتعبير عن التاريخ وفلسفة الأديان والعقائد، بعد ذلك يعرض النعمان إلى الحروب التي خاضها الرسول الكريم محمد(ص)، والوصي علي بن أبي طالب في سبيل توطيد وتعميم شريعة الإسلام، ثم سلسلة الأئمة وأدوارهم منذ عهد آدم حتى عهد الرسول محمد(ص) وصولاً إلى عصر الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله.

مقتطفات من الأرجوزة:

فَجَلَسُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَنْظُرُوا	مَازَا يَرَى فِي أَمْرِهِمْ وَيَأْمُرُ
فَجَاءَهُمْ عُمَرُ فِي جَمَاعَةٍ	إِذْ لَمْ يَرَوْا لِمَنْ أَقَامَ طَاعَةَ
حَتَّى أَتَوْا بَابَ الْبَتُولِ فَاطِمَةَ	وَهِيَ لَهُمْ قَالِيَّةٌ مُصَارِمَةٌ
فَوَقَّفَتْ عَنْ دُونِهِ تَعْذِلُهُمْ	فَكَسَرَ الْبَابَ لَهُمْ أَوْلَهُمْ
فَاقْتَحَمُوا حِجَابَهَا فَعَوَّلَتْ	فَضْرَبُوا بَيْنَهُمْ فَأَشَقَّتْ
يَا حَسْرَةً مِنْ ذَاكَ فِي فَوَادِي	كَالتَّارِ يُذَكِّي حَرَّهَا اعْتِقَادِي

وقتلهم فاطمة الزهراء  
لأن في المشهور عند الناس  
وأمرت أن يدفنها ليلا  
يحضرها منهم سوى ابن عمها  
صلى عليها ربها من ماضية  
أضرم حراً النار في أحشائي  
بأنها ماتت من النفس  
وأن يُعمى قبرها، لكي لا  
ورهبته، ثم مضت بعمها  
وهي عن الأمة غير راضية<sup>(١)</sup>

#### ٤- أساس التأويل:

وصفه مجدوع بقوله: «والموجود كتاب الولاية الذي جمع فيه تأويل ما أتى في ظاهر قصص الأنبياء ممن وردت أسماؤهم في كتاب الله المجيد، الى ذكر وصي نبينا محمد(ص) وقتاله اهل البصرة وفيه من الفوائد والمعارف في أثناء كل مذكور من الأخبار ما يطول ذكره، وسيقف عليها من وفقه الله تعالى لمطالعتة»<sup>(٢)</sup>.  
وقد طبع بتحقيق الكاتب الاسماعيلي عارف تامر ببيروت سنة ١٩٦٠م اعتماداً على نسختين إحداهما في السلمية والأخرى في افريقيا وذلك في ١٩٤ صفحة.

#### ٥- إفتتاح الدعوة وإنشاء الدولة:

تتناول رسالة «إفتتاح الدعوة» - في معظمها - بدء الدعوة الشيعية في جزء من المغرب سنة ٢٨٠ على يد أبي عبدالله الداعي الشيعي وتحولها هناك إلى تنظيم

١. ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: الأرجوزة المختارة، ص ٥٥، تقديم الدكتور عارف تامر وشرح وتحقيق الدكتور يوسف البقاعي، دارالأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢. المجدوع، اسماعيل بن عبدالرسول الاجيني: فهرسة الكتب والرسائل، ص ١٣٤، حققه وعلّق عليه: علي بنقني منزوي، مكتبة الأسد، طهران، ١٩٦٦م.

عقائدي سياسي عسكري، عصبه النابض قبائل كتامة ومن والاهما من البربر ومقره الاساسي بلد كتامة بالجزائر، ثم تحولها قوة تستطيع ان تهزم الجيوش وتفتح البلاد من سجلماسة غرباً حتى القيروان شرقاً، إلى ان قضت على آخر قلاع المقاومة الاغلبية والرستمية والمدرارية في افريقية والمغرب، وبذلك تمهد الامر لقدم عبيدالله المهدي، فدخل القيروان سنة ٢٩٧هـ، وبه بدأت الدولة العبيدية.

وقد طبع الكتاب أولاً بتحقيق وداد القاضي بيروت ١٩٧٠م، دار المنتظر، بعنوان «رسالة افتتاح الدعوة» وثانياً بتحقيق الدكتور عارف تامر في بيروت دار الأضواء، ١٤١٦هـ بعنوان «كتاب افتتاح الدعوة»: معتمداً على نسخة مخطوطة من مدينة نجران السعودية نسخت سنة ١٢٩٥هـ بقلم: حمّد بن سيف الدين اليميني الياامي ونسخة أخرى كتبت في الهند سنة ١٣١٧هـ بخط «غلام أحمد البنجابي المستعلي» من بلدة «أورنك أباد».

#### ٦- الاقتصار:

وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد وحيد ميرزا بدمشق عام ١٩٥٧م ضمن منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية اعتماداً على ثلاث نسخ<sup>(١)</sup>. وكذلك طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عارف تامر عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م في بيروت. يقول المحقق في مقدمة الكتاب: «هذا الكتاب الصغير الحجم، الكبير الفائدة المسمّى «الاقتصار» في فقه الدولة الفاطمية..... إذ نخرجه من كهف تقيته ونضمه إلى موسوعة النعمان - الشرعية الفقهية المستوحاة من معارف وعلوم

١ . التميمي المغربي، القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار (مقدمة الكتاب)، ص ٤٦، الجزء الأول.

الإمام المتشرع الفقيه جعفر بن محمد الصادق... نفعل ونحن في غمرة الفرح والاعتزاز لعلنا أن العالم الإسلامي بأمس الحاجة إلى مثل هذه الذخائر التي تزيد من معارفهم، وتقربهم من الإطلاع على واجباتهم الدينية والشرعية... إن كتاب الاقتصار هذا له أهمية خاصة، فالنعمان عبّر فيه عن كثير بالقليل - واضعاً فيه السهولة والسلاسة والإيجاز وكل هذا في سبيل جعله في متناول الجميع مع سهولة حفظه واستيعابه، وهنا تظهر قيمة الكتاب ومكانة مؤلفه وبراعته في علم الفقه والتشريع»<sup>(١)</sup>.

#### ٧- الايضاح:

إنه في ١٢٠ جزء وإنه مفقود تماماً ما عدى قطعة صغيرة في فضل الصلاة. يقول المجدوع: «وهذا الكتاب غير موجود في خزانة الدعوة الا اليسير منه من أول كتاب الصلاة إلى أكثره أعنى كتاب الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

#### ٨- تأويل الشريعة:

كتاب يشتمل على تأويل الشريعة وحقائقها. نسخة من الكتاب موجود في مكتبة الوكيل في الهند.

#### ٩- تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن الدين:

وقد ألفه النعمان في تأويل كتابه الشهير «دعائم الاسلام». وقد طبع بتحقيق محمد حسن الاعظمي اعتماداً على مخطوطات خمس

١. ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب الاقتصار (مقدمة الكتاب)، ص ٥، ٦.

تحقيق الدكتور عارف تامر، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٢. المجدوع، اسماعيل بن عبدالرسول: فهرسة الكتب والرسائل، ص ٣٣.

في القاهرة في ثلاثة أجزاء عام ١٩٦٧م.

#### ١٠ - تقويم الأحكام:

نسخة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٥ مصورة عن اليمن.

#### ١١ - التوحيد:

نقل مجدوع عن المؤلف في المقدمة قوله: «[إن] هذا الكتاب على ما قدمت ذكره في إثبات حقيقة الله ونفي التشبيه والصفات عنه لا شريك له... وابتدأت فيه بذكر خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب تعرف بالوحيدة وهي قوله: الحمد لله القديم الدائم الحيّ الأحد الصمد الذي يزل أولاً بلا توهم غاية...». واورد بعد الخطبة المذكورة وشرحها خطبته المعروفة. وهي قوله [الحمد لله الذي خلق الارواح والاجسام...].<sup>(١)</sup>

توجد من الكتاب نسخ؛ منها نسخة غير مؤرخة في مكتبة برلين الغربية برقم ٢٩٥٨.

#### ١٢ - دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت

رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام:

وهو من أشهر مؤلفات القاضي النعمان الفقيهية، ألفه بأسلوب جيّد في الفقه، حيث جعله في سبعة دعائم هي الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد، مع أن الولاية ليست من الأبواب الفقهية وذلك استناداً إلى حديث الدعائم السبع المروي عن الامام الصادق عليه السلام.

١. المجدوع، اسماعيل بن عبدالرسول: فهرسة الكتب والرسائل، ص ١١٢.



واهتمّ كلٌّ من الاسماعيلية والامامية بهذا الكتاب وإن كان عناية الاسماعيلية به أشد.

والامامية تروي هذا الكتاب برواية تختلف اختلافاً فاحشاً عن الرواية الاسماعيلية.

قال العلامة المجلسي (ت/١١١١هـ) الذي يعتبر أول من ساند هذا الكتاب، قال عنه: «قد كان أكثر أهل عصرنا يتوهمون أنه تأليف الصدوق، وقد ظهر لنا أنه تأليف أبي حنيفة النعمان... لم يرو عن الأئمة بعد الصادق خوفاً من الخلفاء الاسماعيلية، وتحت ستر التقية أظهر الحق لمن نظر فيه متعمّقا، وأخباره تصلح للتأييد والتأكيد».<sup>(١)</sup>

يقول المحقق آصف بن علي أصغر فيضي: «كتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان... أقوم مصدر لدراسة القانون عند الفاطميين، وهو مقسم إلى جزأين: الأول يبحث في العبادات وهي:

(أ) الإيمان (ب) الطهارة (ج) الصلاة ويشتمل على الجنائز (د) الزكاة (هـ) الصوم (و) الحجّ (ز) الجهاد، وهذه هي دعائم الإسلام السبع عند الشيعة الفاطميين، وهذا الجزء في ثمانية كتب، وحديثه عن الصلاة والجنائز متناثر في فصوله المختلفة، ويقلب على معالجته للموضوعات الصبغة الدينية والكلامية، كما نجد بها مسائل تشريعية.

أما الجزء الثاني فهو يبحث في المعاملات، ويشتمل على خمسة وعشرين كتاباً:

(١) كتاب البيوع (٢) كتاب الأيمان والندور (٣) كتاب الأطعمة (٤) كتاب الأشربة (٥) كتاب الطبّ (٦) كتاب اللباس (٧) كتاب الصيد (٨) كتاب الضحايا والعقائق (٩) كتاب النكاح (١٠) كتاب الطلاق (١١) كتاب العتق (١٢) كتاب العطايا (١٣) كتاب الوصايا (١٤) كتاب الفرائض (١٥) كتاب الديات (١٦) كتاب الحدود (١٧) كتاب السراق (١٨) كتاب الردة والبدعة (١٩) كتاب الغصب (٢٠) كتاب العارية (٢١) كتاب اللقطة (٢٢) كتاب القسمة والبنيان (٢٣) كتاب الشهادات (٢٤) كتاب الدعوى (٢٥) كتاب آداب القضاة.

والجزء الأول قيم للباحث في علم الكلام كما يتضح من الكتاب الأول الذي يعد من أقدم النصوص في عقائد الفاطميين، فهو يبدأ بتعريف الايمان، والفرق بين الإسلام والإيمان، ثم يتحدث عن ضرورة الاعتقاد في الإمامة، وواجب كل مؤمن أن يتبع الأئمة في معتقداتهم وأوامرهم، ورأى الإسماعيلية في الولاية لا ينصبّ فقط على حب الأئمة من أهل البيت، بل على الخضوع التام لأوامرهم.

وبجانب ما نراه في الكتاب الأول من الجزء الأول من الدعائم، نرى في الكتاب الثاني الحديث عن وصية عليّ بن أبي طالب، وكتاب الوصايا أهم الآراء المنسوبة إلى عليّ نفسه في توثيق عقيدة الولاية، فكتاب الإيمان وكتاب وصاية عليّ من أقدم المصادر الأساسية لبحث هذه العقيدة من عقائد الفاطميين.<sup>(١)</sup>

١. ابن حيّون التميمي المغربي، القاضي النعمان: دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام، المجلد الأول، ص ٩، ١٠، (مقدمة التحقيق) آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

١٣ - ذات البيان:

رسالة في الردّ على ابن قتيبة وكتابه «عيون المعارف».

١٤ - الراحة والتسلي:

كتيب صغير في سبعة فصول، وبالرغم من أنه نسب إلى القاضي النعمان فإنه مشكوك، إذ أن أسلوبه يختلف عن أسلوب القاضي النعمان.

١٥ - الرسالة المذهبية في العقائد الاسماعيلية:

وهي أولى الرسائل الخمس التي حقّقها عارف تامر في بيروت سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م بعنوان خمس رسائل اسماعيلية.

١٦ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار:

وقد استعرض فيه النعمان النقاط الهامة في حياة ائمة أهل البيت - عليهم السلام - إلى الإمام جعفر الصادق - عليه السلام - وتوسّع في ما يتعلّق بفضائل الإمام علي عليه السلام وردّ شبهات المخالفين. وبالرغم من المحافظة الاسماعيلية الشديدة على كتبهم فقد تمكّن عالمان من علماء الشيعة جلدان على التتبّع - كما يظهر من كتبهما - أن يقفا على هذا الكتاب وينقلا من نصوصه.

فقد وقف ابن شهر آشوب (ت/٥٨٨هـ) على الكتاب ونقل منه عدّة نصوص في كتابه «مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٣ إلى ص ٣٦٥» فيما يتعلّق بقضايا الإمام علي في عهد الخليفة الثاني، وعقبها بأحاديث رواها من النعمان وأبي القاسم الكوفي في كتابيهما.

والمجلسي (ت/١١١١هـ) من بعده، نقل تلك النصوص نصّاً عن المناقب في كتابه «بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٢٩ - ٢٣١» ممّا يظهر أنه لم يقف على الكتاب بنفسه.

ووقف على الكتاب أيضاً المحدث النوري (ت/١٣٢١هـ) ووصفه بقوله: «في الفضائل والمناقب وشطر من المثالب، مشتمل على سبعة أجزاء ينبيء عن سعة اطلاعه وطول باعه وفضله وكماله»<sup>(١)</sup>. وفي الآونة الأخيرة قام بتحقيق الكتاب العلامة السيد محمّد الحسيني الجلايّي وطبعها دار الثقليين في بيروت عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤هـ.

#### ١٧ - الطهارات:

نسخة منه في دار الكتب المصرية مصوّرة عن اليمن ٢ - ٣١١.

#### ١٨ - قصيدة في الإمام الحسين (ع):

وردت هذه القصيدة ضمن مجموع في الأشعار في ٢١٦ صفحة من مخطوط القرن الرابع عشر في مكتبة المعهد الاسماعيلي / لندن برقم ٨٥٦. ومطلع القصيدة:

وإذا رأى الحسين ما قدر به      ناشدهم بالله والقراية

#### ١٩ - المجالس والمسائرات:

ويعتبر هذا الكتاب أهم مصدر إسماعيلي في تواريخ الخلفاء الفاطميين

١. النوري، المحدث: مستدرك الوسائل، ٣/٣٢١.

التميمي المغربي، القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (مقدمة التحقيق)، ص ٧١، المجلد الأول.

وخاصة الخليفة الرابع المعز لدين الله.

وقد طبع هذا الكتاب طباعة محقّقة وافية باهتمام إبراهيم شيوخ وآخرين في المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٩٧٨م.

٢٠- مختصر الآثار فيما روي عن الائمة الأطهار:

نسخة في مكتبة المعهد الاسماعيلي بلندن المجلد الاول برقم ٧١٠.

٢١- مفاتيح النعمة:

وصفه مجدوع بأنه: «رسالة... في ذكر امتحان الخلق في أنفسهم واموالهم بقوله [ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة].<sup>(١)</sup> هناك نسخة في مكتبة الوكيل في الهند.

٢٢- المناقب والمثالب:

وصفه المجلسي بقوله: «كتاب لطيف مشتمل على فوائد جلية». <sup>(٢)</sup> وموضوع الكتاب هو ذكر مناقب بني هاشم ومثالب بني أميه وذكر أسباب عداوتهم.

توجد نسخة كاملة من هذا الكتاب في مكتبة الشيخ شير محمد الهمداني الجورقاني في النجف الأشرف.

٢٣- المنتخبة:

هي قصيدة فقهية سماها «المنتخبة» لأنه انتخبها لمن أراد حفظها كما قال

١. المجدوع، اسماعيل بن عبدالرسول: فهرسة الكتب والرسائل، ص ١٨٧.

٢. المجلسي، العلامة: بحار الأنوار، ٣٩/١.

في المقدمة:

سميتها إذا تمت المنتخبة لأنني انتخبها للطلبة  
من قول أهل البيت إذ حملته عن الثقات بعد أن صنفته  
وتوجد القصيدة في مكتبة المعهد الاسماعيلي بلندن.

٢٤ - منهاج الفرائض:

ينسب إلى القاضي النعمان، وأن نسخة منه في مجموعة فيضي ببمبي برقم

٣٩-١.

٢٥ - الهمة في آداب اتباع الأئمة:

جاء في الفصل الثاني من الكتاب في باب وجوب مودة الأئمة ما يلي:  
قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله: «قل لا أسألكم عليه  
أجراً إلا المودة في القربى» فستل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: من هم؟  
فقال علي وفاطمة والحسن والحسين. وقال صلى الله عليه وعلى آله: «من أحبهم  
فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني» وقال: «لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه  
إلا منافق».

فكانوا يقولون ما كنا نعرف المؤمنين من المنافقين على عهد رسول  
الله (ص) إلا بمحبة علي ومودته وتفضيله، فنص رسول الله صلى الله عليه وعلى  
آله على مودته من كان في عصره. (١)

١. ابن حيون المغربي التميمي، القاي النعمان: كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة، ص ١٥،  
تحقيق محمد شريف علي اليمني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٦-الينبوع:

منه نسخة في دار الكتب المصرية مصورة عن اليمن برقم ٤٦٢.

٢٧-كتاب يوم وليلة في الصلاة المفروضة

إنه أجوبة القاضي النعمان لأسئلة فقهية سأله عنها خطاب بن وسيم. نسخة

في دار الكتب المصرية مصورة عن اليمن.

الكتب المفقودة:

١- الآثار النبوية

٢- الإتفاق والإفتراق

٣- أصول الحديث

٤- الإمامة

٥- البلاغ الأكبر والناموس الأعظم

٦- تأويل القرآن

٧- التقرير والتعريف لمن لم يعلم العلم

٨- الدماغ الموجز في الردّ على العتكي

٩- الدعاء

١٠- الردّ على الخوارج

١١- ذات المحنة

١٢- ذات المنن

١٣- الرسالة المصرية في الردّ على الشافعي

١٤- كيفية الصلاة على النبيّ

- ١٥- كتاب فيما رفضته العامة من كتاب الله وأنكرته.
- ١٦- معالم الهدى
- ١٧- نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل
- ١٨- التعقيب والانتقاد
- ١٩- الحلنى والثياب
- ٢٠- الشروط
- ٢١- منامات الأئمة
- ٢٢- رسالة الى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين.
- ٢٣- كتاب المغازي.



## من المناسبات الإسلامية في عهد المعز لدين الله

أ - عيد الغدير، غدیرخم:

كان أول من احتفل بعيد الغدير من الخلفاء الفاطميين المعز لدين الله، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م. إذا اجتمع خلق كبير من أهل مصر الشيعة والمغاربة ومن والاهم، لإقامة الصلوات والدعاء، وذلك بجامع القاهرة. فكان هذا أول ما أقيم بمصر. وحذا حذوه كل من جاء بعده من الخلفاء، بإقامة الصلوات والدعاء للإمام علي ابن أبي طالب وأهل بيته، وإلقاء الخطب، ثم استعراض طوائف العسكر طائفة طائفة، والوزيرية، والأمراء المطوقين، وصاحب الباب ونواب الباب وسائر الحجاب، وأسفهمسالار العسكر، وأصحابه وأجناده ووالي مصر والقاهرة. وبعد ذلك، يقبل الإسماعيليون على تهينة بعضهم بعضاً، كما يجلس الوزير في مجلسه يتقبل التهاني بالعيد والخلع التي يخلعها الخليفة عليه، والرسوم المقدمة إليه برسم منديل الكم ألف دينار، ورسم الإخوة والأرقاب ألف دينار أيضاً.<sup>(١)</sup>

واهتمامُ الفاطميين بعيد الغدير وعنايتهم به دون ساير الأعياد، قد كان أكثر وأكثر سيما في عهد المعز لدين الله، والفائز بن الظافر بأمر الله وغيرهم من خلفاء

١. رزق الله أيوب، الدكتور إبراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٣٢، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

الفاطمية؛ ولهذا عيّنوا للاحتفال بهذا العيد وأمثاله إحدى قاعات البلاط الملكي؛ وسمّيت «قاعة الذهب» وسنّوا له مراسيم وقوانين كإحيائهم ليلته بالصلاة، والصلاة في صبيحته ركعتين قبل الزوال، ولبس الجديد وعتق الرقاب، وعمل البرّ.<sup>(١)</sup>

١ . الأمين، الدكتور محمد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ٦٤، مؤسسة الآفاق، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

## عيد الغدير وشعراء الفاطمية:

أبو عبد الله الخصبيني

(المتوفى: ٣٥٨هـ.)

إنَّ يومَ «الغدير» يومُ السرورِ  
وحبِّ «خَمِّ» بالجلالة والتف  
وبالافضال والتزايد بالاء  
يوم نادى محمّد في جميع ال  
قائلاً للجميع من فوق دوحٍ  
إنَّ هذا باريكم فاعلموه  
إنَّ هذا إلهكم فاعرفوه  
إنَّ هذا ربُّ لكم وحّدوه  
إنَّ هذا مهيمن صمد فر  
وهو الأوّل القديم والآ  
وهو الظاهر الذي لم يغب  
وهو المحيي المميت وهو البا  
وهو الراحم المخلّد في الجنا  
وأنا عبده الرسول إليكم  
قال: بلّغ عني عبادي فأبني  
فتخوّفتُ منكم أن تضلُّوا  
فأتيتني حمايةً آية التب  
ولئن لم تبلّغنّ فما بدّ

بيّن الله فيه فضل «الغدير»  
ضيل والتحفة التي في الحبور  
نعام فخر يجوز كلّ الفخور  
خلق إذ قال مفصح التخيير  
جمعوه لأمره المقدور:  
إنَّ هذا مصوّر التصوير  
إنَّ هذا معبودكم في الدهور  
قد تعالى عن مشبهٍ ونظير  
دُ وهذا خلاق بدء الفطور  
خر هو باطن بغير ظهور  
قطّ عن العارف العليم الخبير  
عث والوارث المكرّ الكرور  
ت مُلّقي عدوّه في السعير  
بكتاب منزلٍ مسطور  
أنا مولاهم وخير نصير  
وتتوهوا في غمرة التحيير  
بلغ أن بلغنا بصورة جهير  
سغت وحي وأنت غير نذير

فكشفت الغطاء طوعاً لدين  
وتجلّى لكم لكي ما يُريكم  
وسمعتم ما قلت فيه من الح  
فصدتتم عنه ولم تستسجبيوا  
ثم قلتتم قد قال: من كنت مولا  
مظهراً كنه ذاته المستور  
قدرة القادر العليّ الكبير  
سَقَّ فَأَنْفَرْتُمَا بِشَرِّ نَفْوَرِ  
وَتَعَرَّضْتُمُ لِإَفْكِ وَزَوْرِ  
ه فهذا مولاة غير نكير<sup>(١)</sup>

تميم بن المعزّ لدين الله

(٣٣٧ - ٣٧٤ هـ)

وقال يردُّ على عبدالله بن المعتز في تفضيله العباسيين على العلويين في

قصيدته التي أولها:

\* أَيُّ رَبْعٍ لآلِ هِنْدٍ وَدَارٍ \*  
جاءك الغيث من محلّة دارٍ

وثوى فيك كلُّ غادٍ وسارٍ

حَكَمْتُ بعد قاطِنيك الليلي

في مغاني رَبّاك بالإقفار

ورمتك الخطوبُ منهم بيينٍ

ورحيلُ القطين موتُ الديار

فاسقياها الدموع إن بخل الغيـ

ثُ عليها بواكفٍ مدار

ليس للدمع إن تأخّر عذرٌ

فدعاه فيها خليج العذار

يا طول اللوى غدوت رسوما

دارسات الأعلام والأحجار

بعد ما كنت مألّف الغزّ والحسد

من وملهَى لأعين النظار

وكذاك الزمان منقلب الحا

لين بين الإقبال والإدبار

يا بني هاشمٍ ولسنا سواءً

في صغار من العلاء أو كبار

إن نكن ننتمي لجدِّ فأنا

قد سبقناكم لكلّ فخار

ليس عبّاسكم كمثلي عليّ

هل تقاس النجوم بالأقمار؟

من لهل الفضل والتقدّم في الإسـ

لام والناس شيعَةُ الكفار؟!

من له الصهر والمواساة والنض

رة والحرب ترتمي بالشرار؟!

من دعاه النبيّ خذناً، وسما

ه أخاً في الخفاء والإظهار؟!

من له قال: أنت منّي كهارو

ن وموسى أكرم به من نجار؟!

ثم يوم الغدير ما قد علمتم  
 من له قال: لا فتى كعليٍّ  
 وبمن باهل النبي أنتم  
 أبعبد الإله أم بحسين  
 يا بني عمنا ظلمتم وطرتم  
 كيف تحوون بالأكف مكانا  
 من توطأ الفراش يخلف فيه  
 أين كان العباس إذ ذاك؟! في الهجـ  
 ألكم مثل هذه يا بني العبـ  
 ألكم حُرمة بعم رسول الـ  
 ولنا حُرمة الولادة والأعد  
 ولنا هجرة المهاجر قِدمًا  
 ولنا الصّوم والصّلاة وبذل الـ  
 نحن أهل الكساء سادسنا الرّو  
 نحن أهل التقى وأهل المواسا  
 فدعوا خُطّة العُلا لذويها  
 أو فلوموا الإله في أن برانا  
 أجعلتم سقّى الحجيج كمن آ  
 أو جعلتم نداء عبّاس في الحر  
 كوقوف الوصي في غمرة المو

خَصّه دون سائر الحُضار  
 لا ولا مُنْضِل سوى ذى الفقار؟!  
 جُهلاءً بواضح الأخبار  
 وأخيه سُلالة الأطهار؟  
 عن سبيل الإنصاف كلّ مطار  
 لم تنالوا رؤياه بالأبصار  
 أحمداً وهو نحو يثرب سار؟!  
 مرة أم في الفراش أم في الغار  
 ساس مأتورة من الآثار  
 له ليست فيكم بذات بوار  
 ممام والسبق والهُدى والمنار  
 ولنا نُصرة من الأنصار  
 عُرف في عُشرنا وفي الإيسار  
 ح أمين المهيمن الجبّار  
 ة وأهل النوال والإيثار  
 من بني بيت أحمد الأبرار  
 فوقكم واغضبوا على المقدار  
 من بالله مؤمنا (لا يدارى)  
 ب [وقد] فُرّ عن لقاء الشفّار  
 ت لضرب الرؤوس تحت الغبار

حين ولّى صَحْبُ النَّبِيِّ فِرَارًا  
 وأسألوا يوم خبيرٍ وأسألوا  
 وأسألوا يوم بَدَرَ مَنْ فِارِسِ الْإِسْمِ  
 إسألوا كلَّ غزوة لرسول الـ  
 يا بني هاشمٍ أليس عليّ  
 فبماذا ملكتم دوننا إر  
 أبقرئبي؟ فنحن أقرب للمور  
 أم بآرث ورثتموه؟ فإنّا  
 لا تُغَطُّوا بحيفكم واضحَ الحد  
 وأصيخوا لوقعة تملأ الأُر  
 تحت أعلامه من الفاطميّ  
 فاصدروا عن موارد الملك إنا  
 وله آيات أخرى تدلّ بوضوح أنه كان موضع الإكبار والتقدير لدى رجال  
 الدولة، ومنها: أنّ الخليفة العزيز بالله كان يقلّب ثياباً مذهبّات وغيرها، فأمر الأمير  
 تميماً أن يتخيّر له أحسنها للباسه، فلما تخيّر الأمير أمر بحملها إليه، فقال بديهاً:  
 أنت أهدى إلى المكارم والفض  
 وابنُ مَنْ بان فضله يوم بدر  
 ولك الهمة التي علت النج  
 وهو يحمي النبيّ عند الفِرار  
 مكّة عن كرهه على الفُجّارِ  
 سلام فيه وطالبُ الأوتار  
 لله عمّن أغار كلَّ مُغار  
 كاشفَ الكرب والرزايا الكبار  
 ث نبيّ الهدى بلا أسْتَظْهَارِ؟  
 وث منكم ومن مكان الشِعَارِ  
 نحن أهلُ الآثار والأخطار  
 ق فُيفضي بكم لكلِّ دَمَارِ  
 ض عليكم بجحفلٍ جرّارِ  
 من أسودُّ تُدمي شبا الأطفارِ  
 نحن أهل الإيراد والإصدارِ<sup>(١)</sup>

١. المُعزّ لدين الله، تميم: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ١٨٥، تحقيق محمد عبدالعظيم بدر، وإبراهيم عطا فرج، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

صانك الله للمكارم والمجـد وأبقاك للعلا والحبور<sup>(١)</sup>  
وقال معارضاً قصيدة عبد الله بن المعتز التي أولها:

(أَلَا مَنْ لِنَفْسِي وَأَوْصَابِهَا وَمَنْ لِدَمْعِي وَتَشْكَايِهَا)

\* \* \*

كواها بشدة تلهاها	(إذا فرّغ الشوق حبّ القلوب)
ورام اللّـحوق بازباها	ألا قل لمن ضلّ من هاشم
أرؤسها مثل أذناها	أوساطها مثل أطرافها
عليّ وقاتل نصّابها	أعبّاسها كأبي حزباها
وأول هـادم أنصّابها	وأولها مؤمناً بالإله
فخلوا المعالي لأصحابها	بني هاشم قد تعاميتهم
إذا أبدت الحرب عن ناها	أعبّاسكم كان سيف النبيّ
يذود الكتائب عن غابها	أعبّاسكم كان في بذرّه
جهاراً ومالك أسلابها	أعبّاسكم قاتل المشركين
ومغطى الرّغاب لطلابها	أعبّاسكم كوصيّ النبيّ
وقفّح مُثقل أبوابها	أعبّاسكم شرح المُشكلات
بنو العمّ أفّ لغصّابها	وكيف يحوز سهام البنين
أتعمّون عن نصّ إسهابها	بذا أنزل الله آي القرآن
وأنتم جذبتهم بهدّابها	ونحن لئسنا ثياب النبيّ
وأهل الوراثه أولى بها	ونحن بنوره ووراثه



وفينا الإمامة لافئكم  
ومن لكم يا بني عمه  
ومالككم كوصي النبي  
ألسنا لباب بني هاشم  
ونحن أحق بجلبها  
بمثل البتول وأنجاها  
أب فتراموا بنسبها  
وساداتكم عند نسبها<sup>(١)</sup>

## ابن جبير المصري

(القرن الخامس)

يا دارُ، غادرني جديد بلاكِ  
 إنَّ الصَّبِيَّ - يا نفسَ - عَزَّ طِلابه  
 والشيب ضيفٌ لامحالة مؤذنٌ  
 وتزوَّدي من حبِّ آل محمد  
 فلنعم زادٌ للمعاد وعُدةٌ  
 وإلى الوصيِّ مهمَّ أمرِك فوَّضي  
 وبه ادركني في نحر كلِّ ملَّة  
 وبحبِّه فتمسَّكي أن تسلكي  
 لا تجهلي وهواه دأبك فاجعلي  
 فسواءً انحرف امرؤٌ عن حبِّه  
 وإذا تشابهت الأمور فعوَّلي  
 خير الرجال وخير بعل نساءها  
 وتعوَّدي بالزَّهر من أولاده  
 لا تعدلي عنهم ولا تستبدلي  
 فهم مصابيح الدُّجى لذوي الجحى  
 وهم الأدلَّة كالأهله نورها  
 وهم الصِّراط المستقيم فأرغمي  
 وهم الأئمَّة لا إمامَ سواهم  
 يا أُمَّة ضلَّت سبيل رشادها  
 رثَّ الجديد فهل رثيتَ لذاك؟  
 ونهتك عنه واعظات نهاك  
 برداك فاتبعي سبيل هداك  
 زاداً متى أخصلته نجاك!  
 للحشر إن علق يداك بذاك  
 تصلي بذاك إلى قصيِّ مُناك  
 وإليه فيها فاجعلي شكواك  
 بالزبغ عنه مسالك الهلاك  
 أبداً وهجر عداه هجر قلاك!  
 أوبات منظوياً على الإشراك  
 في كشف مشكلها على مولاك  
 والأصل والفرع التقيِّ الزاكي  
 من شرِّ كلِّ مُضللِّ أفاك  
 بهم فتحظي بالخسار هناك  
 والعروة الوثقى لذي استمساك  
 يجلو عمي المتحيِّر الشكَّاك  
 بهواهم أنف الذي يلحاك  
 فدعي لتيِّم وغيرها دعواك  
 إن الذي استرشدته أغواك

لِلنفس ضيِّعها غداة رعاكِ  
 خدعاً بحبل غرورها دلاكِ  
 مغترّةً بالنزر من دنياكِ  
 لما دعاكِ بمكره فدهاكِ  
 فيما بأمر وصيِّه وصاكِ  
 للدين تابعةً هوى هواكِ  
 هيئات ما أداك بل أرداكِ  
 جعلت جهنّم في غدٍ مثواكِ  
 وعققت من بعد النبيّ أباكِ  
 «يوم الغدير» له فما عذراكِ  
 من لا يساوي منه شسع شرككِ  
 وهو النعيم شقاكِ عنه ثناكِ  
 وعبرٍ مسالكه على السُّلاكِ  
 وكفاه عنه بنفسه من حاكي  
 ضرباً يقدُّ به إلى الأوراكِ  
 من بأسه وحسامه البتّاكِ  
 إلاّ عليّ فاتك الفتّاكِ  
 والحرب يذكها قناً ومذاكي  
 بفؤاد ذي روع وطرفٍ باكي  
 عنك اعتراك الشكّ حين عراقكِ؟  
 إلاّ نبيّ أو وصيِّ زاكي؟

لئن ائتمنتِ على البريّة خائناً  
 أعطاكِ إذ وطّاكِ عشوة رأيه  
 فتبعتهِ وسخيفَ دينكِ بعتهِ  
 لقد اشتريت به الضلالة بالهدى  
 وأطعتهِ وعيت قولَ محمّدٍ  
 خلّفتِ واستخلفت من لم يرضه  
 خلّلتِ اجتهادك للصّواب مؤدّباً  
 لقد اجترتِ على اجتراح عزيمةٍ  
 ولقد شققت عصا النبيّ محمّدٍ  
 وغدرت بالعهد المؤكّد عقده  
 أعن الوصيّ عدلتِ عادلةً به  
 ولتُسألنّ عن الولاء لحيدر  
 قست المحيط بكلِّ علمٍ مشكلٍ  
 بالمعتريه كما حكى شيطانه  
 والضارب الهامات في يوم الوغى  
 إذ صاح جبريلُ به متعجباً  
 لا سيف إلاّ ذوالفقار ولا فتى  
 بالهارب الفرّار من أقرانه  
 والقاطع الليل البهيم تهجّداً  
 أو ما شهدت له مواقف أذهبت  
 من معجزات لا يقوم بمثلها

لقضاء فرض فائت الإدراك  
 طوعاً وليّ الله فوق قواك؟  
 أمر الإله حثيثة الإيشاك  
 ليزيل عنه مريّة الشكّاك  
 بالردّ بعد الصّمت والإمساك  
 حنقٍ لسرّ نفاقه هتّاك  
 فأجابه وأبّيت حين دعاك  
 عند امتحان الصّدق من دعواك  
 فتيقّظي ياويك من عمياك!  
 جبريلُ حسبك خدمة الأملاك  
 في يوم كلّ كريبه وعِراك  
 والخوف إذ ولّيت حشوحشاك  
 سبعين باعاً في فضاكدك  
 لولا جحودك ما رأّت عينك  
 منها النفوس دحى بها فسقك  
 ما بين باكيةٍ إليه وباكي  
 فالماء يُؤذنا بوشك هلاك  
 طوعاً بأمر الله طاغي ماك  
 من فوق راسخة من الأسماك  
 يجري على قدرٍ، ففيم مراك؟  
 سيّان سخطك عنده ورضاك

كالشمس إذ رُدّت عليه ببابل  
 والريح إذ مرّت فقال لها: احملي  
 فجرت رجاء بالبساط مطيعة  
 حتّى اذا وافى الرقيم بصحبه  
 قال: السّلام عليكم فتبادروا  
 عن غيره فبدت ضغائن صدر ذي  
 والميت حين دعا به من صرصر  
 لا تدّعي ما ليس فيك فتندمي  
 والخفّ والثعبان فيه آيةٌ  
 والسّطل والمنديل حين أتى به  
 ودفاع أعظم ما عراك بسيفه  
 ومقامه - ثبت الجنان - بخبير  
 والباب حين دحى به عن حصنهم  
 والطائر المشويّ نصّ ظاهرٌ  
 والصخرة الصّما وقد شفّ الظما  
 والماء حين طغى الفرات فأقبلوا  
 قالوا: أغثنا يا ابن عمّ محمّد!  
 فأتى الفرات فقال: يا أرض ابلعي  
 فأغاضه حتّى بدت حصاؤه  
 ثمّ استعادوه فعاد بأمره  
 مولاك راضيةً وغبى فاعلمي!

وعن البصيرة يا عديّ عداك  
ووليته ظلماً، فمن ولاك؟  
بالظلم جاريةً على مغناك  
والله ما قتل الحسين سواك  
كبدي خطوباً للقلوب نواكي؟  
مسفوحةً وجوى فؤادي ذاكي  
لجفوني: اجتبني لذيذ كراك!  
بكت السماء دماً فحقّ بكاك!  
عيني بوجه مسفرٍ ضحك!  
من موبات الظلم والإشراك!  
من ظالمٍ لدمائهم سفاك!<sup>(١)</sup>

يا تيمّ تيمّك الهوى فأطعته  
ومنعت إرث المصطفى وتراثه  
وبسطت أيدي عبد شمس فاغتدت  
لا تحسيك بريئةً ممّا جرى  
يا آل أحمد، كم يكابد فيكم  
كبدي بكم مقروحةً ومدامعي  
وإذا ذكرت مصابكم قال الأسى  
وابكي قتيلاً بالطفوف لأجله  
ان تبكهم في اليوم تلقاهم غداً  
يا ربّ، فاجعل حبّهم لي جنةً  
واجبر بها الجبريّ - ربّ - وبرّه

١. الأمين، الدكتور محمد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ١٤٧، ١٤٨.

ابن قادوس (القاضي جلال الدين بن حميد الدمياطي المصري)  
(المتوفى ٥٥١هـ)

يا سيّد الخلفاء طرّاً  
أن عظّموا ساقى الحجيج  
أنت الإمام المرتضى  
ووليّ خيرة أحمد  
والحائز القصبات في  
والمطفىء الغوغايد  
بدوهم والحضّر  
فأنت ساقى الكوثر  
وشفيّعنا في المحشر  
وأبو شبير وشبير  
«يوم الغدير» الأزهر  
ر والنضير وخبير<sup>(١)</sup>

١. الاميني، الدكتور محمد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ١٥٦.

## طلّاح بن رُزَيْك (الملك الصالح سيفُ الدين المظفر)

(٤٩٥-٥٥٦ هـ.)

سقى الحمى ومحلاً كنت أعهدُهُ  
فإن دنا الغيث واستسقت مرابعه  
كما بدا الحق في آل الوصي فأن  
حيا بحور بصوب المزن أجوده  
ربى فدمعي بالتسكاب ينجده  
وار الهدى لعمي القلب ترشده

\*\*\*

يا راكب الغيِّ دع عنك الضلال فه  
من رُدّت الشمس من بعيد المغيب له  
و«يوم خمّ» وقد قال النبيُّ له  
من كنت مولى له هذا يكون له  
من كان يخذله فالله يخذله  
قالوا: سمعنا وفي أكبادهم حرق  
وأظلمت بسواد الحقد أوجُهُهم  
والباب لَمّا دحاه وهو في سغب  
وقلقل الحصن فارتاع اليهود له  
واسأل به مرحباً لَمّا أعدّ له  
ألقى مهتده في وسط قمته  
نادى بأعلى العلى جبريل ممتدحاً:  
وفي الفرات حديثٌ إطنى فأتى  
قالوا: أجزنا! فقام المرتضى فرحاً  
وقال للماء: غُض طوعاً! فبان لهم  
بذا الرشد بالكوفة الغراء مشهده  
فأدرك الفضل والأملاك تشهده  
بين الحضور وشالت عضده يده:  
مولى أتاني به أمر يؤكده  
أو كان يعضده فالله يعضده  
وكلُّ مستمعٍ للقول يجحده  
وأنه لم يزل بالفكر أسوده  
عن الصيام وما يخفى تعبده  
وكان أكثرهم عمداً يفنده  
مشطباً غير فرّار مجرده  
فغاص في الأرض يفريها مهتده  
هذا الوصيُّ وهذا الطهر أحمده!  
كلُّ إليه لخوف الهلك يقصده  
بالفضل والله بالإفضال مفرده  
حسبأوه حين وافاه يهدده

وللغفاف وللإيمان طاعته  
 يا قائم الليل تمجيداً لخالقه!  
 يا حجة الله يا من يستضاء به  
 أستم أنتم أهل الكساء بكم  
 يا عروة سَلِيمَ المستمسكون بها  
 نفوز - يا آل طه - باسمكم صلة  
 جعلتكم - يا بني الزهراء - معتمدي  
 لفظاً بإحسانكم عندي أنثره  
 أنا المظفرُ سيفُ الدين معتقداً  
 في مدح آل رسول الله دار غدٍ  
 وللقنوت وللتقوى تهجدُهُ  
 وأين مثلك قواماً تمجدُهُ!  
 إلى الهداية يا من طاب مولدُهُ!  
 جبريل يفخر إذ فيكم نعددُهُ؟  
 ومسلماً بالولا فيكم يهددُهُ!  
 بعد الصلاة لمن طوعاً نوحدهُ  
 يومَ المعاد بما فيكم أجددُهُ  
 درأً وأفعالكم عندي أنضدُهُ  
 أنَّ القريض اذا ما فُتت أنشدُهُ  
 في جنة وحساماً لي أجردُهُ<sup>(١)</sup>

١. الاميني، الدكتور محمد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ١٦٨، ١٦٩.



القاضي الجليس (عبدالعزیز بن الحسین الصقلي المصري)

(المتوفى ٥٦١ هـ.)

تصاممت عن داعي الصباة والصبي  
ولبیت داعي آل أحمد إذ دعا  
عشوت فأفكاري إلى ضوء علمهم  
فصادفت منه منهج الحق مهيعا  
علقت بهم فليلح في ذاك من لحي  
توليتهم فلينع ذلك من نعا  
تسرعت في مدحي لهم متبرعا  
وأقلعت عن تركي له متورعا  
هم الصائمون القائمون لرّبهم  
هم الخائفوه خشيةً وتخشعا  
هم القاطعوا الليل البهيم تهجداً  
هم العامروه سُجداً فيه ركعا  
هم الطيبوا الأخيار والخير في الوري  
يروقون مرثىً أو يشوقون مسمعا  
بهم تُقبل الأعمال من كلِّ عاملٍ  
بهم تُرفع الطاعات ممن تطوعا  
بأسمائهم يُسقى الأنام ويهطل  
الغمام وكم كربٍ بهم قد تقشعا

هم القائلون الفاعلون تبرُّعاً  
 هم العالمون العاملون تورُّعاً  
 أبوهم وصيُّ المصطفى حاز علمه  
 وأودعه من قبل ما كان أودعاً  
 أقام عمودَ الشرع بعد اعوجاجه  
 وسانَدَ ركنَ الدين أن يتصدَّعاً  
 وواساه بالنفس النفيسه دونهم  
 ولم يخش أن يلقي عداه فيجزعاً  
 وسماه مولاهم وقد قام معلناً  
 ليتلوَه في كلِّ فضلٍ ويشفعا  
 فمن كشف الغمَّاء عن وجه أحمدٍ  
 وقد كَرَبَتْ أقرانه أن يقطعاً؟  
 ومن هزَّ باب الحصن في يوم خيبرٍ  
 فزلزل أرض المشركين وزعزعاً؟  
 وفي يوم بدرٍ من أحنَّ قلبها  
 جسوماً بها تدمي وهاماً مقطَّعاً  
 وكم حاسدٍ أغراه بالحقِّد فضله  
 وذلك فضلٌ مثله ليس يدعى  
 لوى غدرة «يوم الغدير» بحقه  
 وأعقبه «يوم البعير» وأتبعاً

وحاربه القرآن عنه فما ارعوى  
وعاتبه الإسلام فيه فما وعى  
إذا رام أن يشخفي مناقبه جلت  
وإن رام أن يُطفي سناه تشعشعا  
متى همّ أن يطوي شذى المسك كاتم  
أبى عَرفه المعروف إلا تزوّعا

ومنها:

أيا أُمَّةً لم ترعَ للدين حرمةً  
ولم تبق في قوس الضلالة منزعا!  
بأيّ كتاب أم بأيّة حجّة  
نقضتم بها ما سنّه الله أجمعا  
غصبتم وليّ الحق مهجة نفسه  
وكان لكم غصب الامامة مقنعا  
وألجمتم آل النبيّ سيوفكم  
تفرى من السادات سوقاً وأذرعا  
وحللتكم في كربلاء دماءهم  
فأضحت بهاهيم الأسنّة شرّعا  
وحرّمتهم ماء الفرات عليهم  
فأصبح محظوراً لديهم ممنّعا

القصيدة ٥٦ بيتاً (١)

وله من قصيدة تناهز ٢٩ بيتاً مطلعها:

كم قد عصيت مقال الناصح الناهي      ولدت منكم بحبلٍ واهنٍ واهٍ  
ويقول فيها:

حَبِّ لآلِ رَسُولِ اللَّهِ يَعِصُنِي      من كلِّ إثمٍ وهُم ذخري وهم جاهي  
يا شيعَةً الحقِّ، قولي بالوفاء لهم      وفاخري بهم مَنْ شئت أو باهي  
إذا علقْتُ بحبلٍ من أبي حسنٍ      فقد علقْتُ بحبلٍ في يدِ الله  
حمى الإله به الإسلام فهو به      يزهي على كلِّ دينٍ قبله زاهٍ  
بعلُّ البتول وما كنا لتهدينا      أئمةً من نبيِّ الله لولا هي  
نصَّ النبيُّ عليه في «الغدِير» فما      زواه إلَّا ظنَّينِ دينُهُ واهٍ<sup>(١)</sup>

→

## عمارة اليماني

(٥١٣-٥٦٩ هـ.)

الفقيه نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد  
الحكمي اليماني.

من فقهاء الشيعة الإمامية ومدرّسيهم ومؤلفيهم ومن شهداء أعلامهم على  
التشيع. وقد زان علمه الكامل وفضله الباهر، أدبه الناصع المتقارب من شعره  
المتألق.

وقد الفقيه على مصر واتصل بجميع الأحداث والثورات التي مرّ عليها  
وشاهدها منذ وزارة الملك الصالح طلائع، حتى انقراض الدولة الفاطمية.

ولاؤك مفروض على كلّ مسلمٍ  
وحبُّك مفروض وأفضل مغنمٍ  
إذا المرء لم يُكرم بحبِّك نفسه  
غدا وهو عند الله غير مكرمٍ

إلى أن قال:

ورثت الهدى عن نصّ عيسى بن حيدر  
وفاطمة لا نصّ عيسى بن مريم  
وقال: أطيعوا لابن عمّي فإنه  
أميني على سرّ الإله المكنم

كذلك وصّى المصطفى، وابن عمه  
 إلى منجد «يوم الغدير» ومتهم  
 على مُستوى فيه قديمٌ وحادث  
 وإن كان فضل السبق للمتقدّم  
 ملكت قلوب المسلمين ببيعة  
 أمدّت بعقدٍ من ولائك مبرم  
 وأوتيت ميراث البسيطة عن أبٍ  
 وجدٌ مضى عنها ولم يتقسّم  
 لك الحقّ فيها دون كلّ منازع  
 ولو أنّه نال السّماك بسُلّم  
 ولو حفظوا فيك الوصيّة لم يكن

لغيرك في أقطارها دور درهم<sup>(١)</sup>

ولعماره قصيدة يرثي بها أهل القصر من الملوك الفاطميين، ويشيد بالأعياد  
 والمراسيم التي كانوا يحتفلون بها:

وجيّدَه بعد حسن الحلّي بالعطلِ	رميت - يادهرُ - كفّ المجد بالشللِ
قدرت من عثرات الدهر فاستقلِ	سعيت في منهج الرأى العثور فإن
سعيت سهلاً أما تمشي على مهلِ	هدمت قاعدة المعروف عن عجلِ
لك الملامة إن قصّرت في عدلي	يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة

١. الأميني، عبدالحسين أحمد: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ٤/٤٠٨.

عليهما لا على صفتين والجميل  
من الوفود وكانت قبلة القبل  
واليوم أوحش من رسم ومن طلل  
فيهن من وبل جود ليس بالوشل  
يهتر ما بين قصرىكم من الأسل  
لمن تصدّر في علم وفي عمل<sup>(١)</sup>

بالله دُرّ ساحة القصرين وأبكٍ معي  
مررت بالقصر والأركان خالية  
دار الضيافة كانت أنس وافدكم  
وأول العام والعيدين كم لكم  
والأرض تهتر في يوم «الغدير» كما  
وللجوامع من إحسانكم نعم

## من المناسبات الإسلامية في عهد المعز لدين الله

### ب - ذكرى عاشوراء:

اتخذ الفاطميون العاشر من محرم سنة ٦١هـ / ٦٨٣م. يوم مقتل الحسين بن علي (عليه السلام) ومن معه في كربلاء ذكرى، تحتفل بها الدولة والشعب بالمنائح والمباكي والمراثي التي يرثي بها الشعراء الحسين بن علي وسائر أهل البيت (عليهم السلام)، والحزن باد على الجميع، من تغيير أزيائهم ولبس قماش الحزن، وتعطيل الأسواق، وخروج المنشدين والناسحة إلى الطرقات، وإقامة الصلاة الجامعة في الجامع الأزهر، فيجلس الوزير في صدره، وعن جانبيه قاضي القضاة وداعي الدعاة ثم الشهود والأمراء والأعيان وقراء الحضرة والمتصدرون في الجوامع، وأخيراً بقية المحتفلين، فيتلو القراء ما تيسر من سور القرآن بالتناوب. ثم ينشد بعض الشعراء (من غير شعراء الخليفة) أشعاراً يرثون بها الحسن والحسين وأهل البيت (عليهم السلام)، وقد يصاحب الشعراء في مراتبهم ارتفاع الصراخ والضجيج بالبكاء والعيول.

ثم يفرش في دهليز القصر «سماط الحزن» وقد وضعت فوقه ألف زبدية من العدس والمخللات والأجبان والألبان، وعسل النحل والفطير والخبز الأسود (المصنوع من الشعير خصوصاً لهذه المناسبة) حتى إذا حان وقت الغذاء دخل الناس على اختلاف طبقاتهم. وقد لا يأكل البعض، فلا يجبر أحد عليه.



وكان من عادة الفاطميين النحر في يوم عاشوراء فتنحر الإبل والبقر والغنم عند مشهد الحسين بن علي (عليهما السلام)، وتوزع لحومها على الفقراء والمساكين.

وأول ما أقيمت الاحتفالات بذكرى عاشوراء في العصر الفاطمي كان سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م. على عهد الخليفة المعز لدين الله أول خلفائهم بمصر. وبقيت هذه الذكرى قائمة حتى نهاية الدولة الفاطمية.<sup>(١)</sup>

---

١. رزق الله أيوب، الدكتور ابراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٣٣٤.

## ذكر بن عاشوراء وشعراء الفاطمية:

تميم بن المعزّ لدين الله

(٣٣٧ - ٣٧٤هـ)

قال يمدح الخليفة العزيز بالله أخاه:

إِمَامَةٌ مَهْدِيَّةُ اللَّوَاءِ      وَدَوْلَةٌ دَائِمَةٌ الْبِقَاءِ  
مَحْفُوقَةٌ بِالْعَزِّ وَالْبِهَاءِ      عَمَّمَتْ بِالْعَدْلِ بَنِي حَوَاءِ  
لَا وَالِدَمِ الْجَارِي بِكَرْبَلَاءِ      وَمَنْ بِهَا مِنْ دَائِمِ الثَّوَاءِ  
بَنِي عَلِيٍّ وَبَنِي الزَّهْرَاءِ      ذَوِي التَّنَاهِي وَذَوِي الْعَلَاءِ  
مَا حُلْتُ عَنْ مُسْتَحْسَنِ الصَّفَاءِ      فَيْكَ، وَلَا عَنْ خَالِصِ الْوَفَاءِ<sup>(١)</sup>

وقال في الغزل:

لَا وَالْمُضْرَجِ ثَوْبُهُ      فِي كَرْبَلَاءٍ مِنَ الدَّمَاءِ  
لَا وَالْوَصِيِّ وَزَوْجِهِ      وَبَيْتِهِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ  
أَوْلَا فِئَاتِي لِلْعُصَا      هَا الْغَاصِبِينَ الْأَدْعِيَاءِ  
مَا حُلْتُ يَا ذَاكَ اللَّمَى      عَمَّا عَهَدْتِ مِنَ الْوَفَاءِ  
هَذَا فَانظُرْنِي سَابِحاً      فِي الدَّمْعِ مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ<sup>(٢)</sup>

١ . المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ١٧ .

٢ . المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ٢٥ .

وقال يرثي أهل البيت:

نأت بعد ما بان العزاء سُعادُ  
 فليت فؤادي للظعائن مَرزِعُ  
 نأوا بعد ما أَلقتْ مكائدها التَّوى  
 وقد تَوَمَّنَ الأحداث من حيثُ تُتَقَى  
 أعاذِلْ! لي عن فُسحة الصبر مَذهَبُ  
 ثوت لي أسلافِ كِرامِ بِكربلا  
 أصابتهم من عبد شمس عداوةُ  
 فكيف يلدُّ العيشُ عفواً وقد سطا  
 وقتلهم بغياً عُبيدُ وكادهم  
 بثاراتِ بدرٍ قاتلوهم ومكَّةِ  
 فحكمتِ الأسيافُ فيهم وسلَّطتِ  
 فكم كُزْبِيَّةِ في كربلاءِ شديدةِ  
 تحكَّم فيهم كلُّ أنوكِ جاهلٍ  
 كأنهم أرتدُّوا أرتدادَ اميَّةِ  
 ألم تُعظِّموا - يا قومُ - رهطَ نبيِّكم؟  
 تُداس بأقدامِ العصاةِ جُسومهم  
 تَضِيهمُ بالقتلِ أمَّةُ جدِّهم  
 فماتوا عطاشى صابرين على الوغى  
 ولم يقبلوا حكمَ الدَّعيِّ لأنهم  
 ولكنَّهم ماتوا كِراماً أعزَّةً

فحشوَ جفونِ المُقلَّتين سُهادُ  
 وليت دموعي للخليطِ مَزادُ  
 وقَدَّتْ بهم دار وصحَّ ودادُ  
 ويبعدُ نُججِ الأمر حين يرادُ  
 وللهو غيري مآلفٌ ومَصادُ؟  
 هُمُ لثُغورِ المسلمين سِدادُ  
 وعاجلهم بالناكثين حَصَادُ  
 وجارَ على آلِ النبيِّ زيادُ؟  
 يزيدُ بأنواعِ الشقاءِ فبادوا  
 وكادوهمُ والحقُّ ليس يُكادُ  
 عليهم رِماحُ للنفاقِ جِدادُ  
 دهاهمُ بها للناكثين كِبادُ  
 ويُغزَّون غَزواً ليس فيه مَحادُ  
 وحادوا كما حادتِ ثمود و عادُ  
 أما لكمُ يومَ النَّشورِ معادُ؟  
 وتدرسهم جُرْدُ هناكِ جِبادُ  
 سَفاهاً وعن ماءِ الفراتِ تُذادُ  
 ولم يَجِبُّوا بل جالِدوا فأجادوا  
 تساموا وسادوا في المهود وقادوا  
 وعاش بهم قبل المماتِ عِبادُ

بها جُثَّتْ الأبرار ليس تعادُ  
جوادٍ إذا أعيا الأنامَ جوادُ  
وجوةٌ بها كان النجاح يفادُ  
وخزني لمن عاداهما ويعادُ  
إذا حان من بثّ الكئيب نفاذُ  
فيَقْطُرُ حُزناً أو يذوب فؤادُ؟  
أكلُّ قلوب العالمين جمادُ؟  
دماء بني بيت النبي تُقادُ  
بها أنجاب شِرْكٍ وأضحلَّ فسادُ  
سبايا إلى أرض الشام تُقادُ  
كما سيق في عَصْفِ الرياح جرادُ  
لأكرمُ مَنْ قد عزَّ منه قيادُ  
وقتلُ حسين والقلوبُ شدادُ  
لقد مَجَسُوا أهلُ الشام وهادوا  
متى صحَّ منكم في الإله مُرادُ  
بهم، ونقصتم عند ذاك وزادوا  
عدى فاملثوا طُرقَ النفاق وعادوا  
عليكم نِفار منكم وعنادُ  
لقد قلَّ إنصاف وطال شِرادُ  
متى شارفت شمَّ الجبال وهادُ  
نبيًا علت للحقَّ منه زنادُ

وكم بأعالي كربلا من حفائر  
بها من بني الزهراء كلُّ سَمِيدِعِ  
مَعْفَرَةٌ في ذلك الترب منهم  
فلهفي على قتل الحسين ومُسلم  
ولهفي على زيدٍ وبثًّا مردِّدًا  
ألا كيدٌ تَفَنَى عليهم صَبَابَةٌ  
ألا مقلَّةٌ تَهْمِي؟ ألا أذنٌ تعي؟  
تُقَادُ دمَاء المارقين ولا أرى  
أليس همُ الهادون والعِترَةُ التي  
تساق على الإرعام قشرا نساؤهم  
يُسَقِن إلى دار اللعين صواغِرا  
كانهمُ فَنَى النصارى وإنهم  
يعرُّ على الزهراء ذِلَّةُ زينب  
وقرع يزيد بالقضيب لِسِنِّه  
قتلتهم بني الإيمان والوحي والهُدى  
ولم تَقْتلُوهم بل قتلتم هداكُمُ  
أَمِيَّةٌ مازلتم لأبناء هاشمٍ  
إلى كم وقد لاحت براهينُ فضلهمُ  
متى قَطُّ أضحى عبدُ شمس كهاشمٍ  
متى وُزِنَتْ صُمَّ الحجار بجوهر  
متى بعث الرحمنُ منكم كجدِّهم

إذا عُذَّ إيمان وعُدَّ جهاد  
متى قيس بالصبح المنير سواد  
ستحيا عليكم ذلّة وكساد  
إذا أشتدَّ إبعادُ وأرملَ زادُ  
بكم أم بهم دين الآله يشاد  
غزار وحزن ليس عنه رقاد  
فلا أتسعت بي ما حيت بلادُ  
من المستهلات العذاب عهاد<sup>(١)</sup>

متى كان يوما صخرُكم كعليهم  
متى أصبحت هند كفاطمة الرضا  
أآل رسول الله سُوتَم وكِدْتُم  
أليس رسول الله فيهم خصيمكم  
بكم أم بهم جاء القرآن مبشرا  
سأبكيكم يا سادتي بمدامع  
وإن لم أعاد عبدَ شمس عليكم  
سقى حُفراً وارْتَكُم وحوْتَكُم

وقال يفخر ببني هاشم على بني أمية:

أهلِ معاليها وتقديسها  
تفخر في عَقْوَةِ عِرِّيسها  
فعبد شمس من ضغائيسها  
فقد بدا الله بتنكيسها  
شايعها من إثم تنجيسها  
طَوْفَ النَّصَارَى حَوْلَ قَسَّيسها  
يلوح في بنيان تأسيسها  
نساؤه سنيا على عيسها  
لا شرفت عن حال مروسها  
ولعنها من لعن إيليسها<sup>(٢)</sup>

واسمُ إلى الصفوة من هاشم  
إن قریشا بعلا هاشم  
إن يك من ياقوتها هاشم  
دع عبدَ شمس وأباطيلها  
قبيلة ما طهرَّ الله مَنْ  
طافت بحربٍ وهو فرعونها  
دم النبي المصطفى ظاهر  
سقت بنيه بالردى واغتدت  
قبيلة أفضلها شرُّها  
فإنها أولى بآتاعاسها

١ . المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ١١٧ .

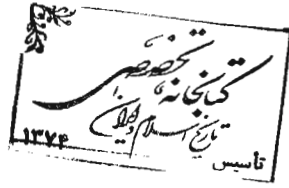
٢ . المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ٢٤٦ .

وقال يرثي أهله:

الحُرُّ لا يأتى الدنيَّةُ  
 ومِن المكارِمِ والتُّقى  
 والمرءُ يسترُّ بالسُّخا  
 والجِلْمُ أعظَمُ ما يكو  
 والعقلُ أجملُ زينَةٍ  
 والظُّلْمُ من لُؤْمِ الطُّبا  
 والبغى يُوذِنُ بِالْبِوا  
 أو ما ترى بالبغى ما  
 الناكِبين عن الهدى  
 والقاسطين الواثبي  
 كفروا بِرَبِّ مُحَمَّدٍ  
 وشفِّوا بسبِّطيه الحقُّو  
 ونسُوا مقالَ نبيِّهم  
 من كنتُ مولاه فقد  
 جلتُ بسفكِ دمِ الحُسي  
 ماذا أبيعَ بكربلا  
 ماذا تخطفتِ الصوا  
 بكتِ السماءُ لفقدِهِم  
 أهلُ الفضائلِ والمكا  
 والمجدُّ للنفسِ الأبيَّة  
 حسنُ السَّريرةِ والطَّويَّة  
 معايِبَ النَّفسِ السُّخيَّة  
 إذا تعاطمتِ الخطيَّة  
 لأخي النَّباهةِ والروِّيَّة  
 وعادةِ النفسِ الرديَّة  
 وبالدمارِ وبالمنِّيَّة  
 أفضتُ إليه بنو أميَّة  
 والجائرين على الرعيَّة  
 من على ابنِ فاطمة الزكيَّة  
 بغيا فما حَفِظُوا نبيَّه  
 دَ وحاربوا ظُلْمًا وصيَّه  
 وهو المعدلُ في القضيَّة  
 أضحى أبو حَسَنٍ وليَّه  
 من وقتلِه عندي الرزيَّة  
 من النفوسِ الهاشميَّة  
 رمُّ منهمُ والسَّمهرِيَّة  
 والأرضُ وأحتدَّتِ البريَّة  
 رمِّ والتُّدى والأريحيَّة

وذووا التَّوْبَةَ وَالْهَدَا  
 قَتَلْتُمْ أُمَّيَّةَ هَاشِمًا  
 بِحُقُودِ بَدْرِ طَالِبِ  
 خَذَلُوا النَّبِيَّ بِقَتْلِهِمْ  
 هَدَمُوا الشَّرِيعَةَ، وَالشَّرِيعَةَ  
 لَمْ تَخْفَ عَنْ رَبِّ الْبَرِيِّ  
 مَا عَذَرَهُمْ يَوْمَ النَّشْوِ  
 وَأَتَى النَّبِيَّ مُطَالِبًا  
 وَدَمُ الْحُسَيْنِ عَلَى الْبَتِ  
 نَحَرُوهُ غَيْرَ مُذَمَّمٍ  
 فِي كَرْبَلَاءَ يَجُودُ بِالْأَنْفِ  
 حَتَّى أَنْشَنِي لِسِيوفِهِمْ  
 أَعَزَّزْتُ عَلِيَّ مَجَالَهُ  
 وَبَنُو أَبِيهِ حَاوَلُوهُ  
 قَدْ جَرَّدُوا بَيْضَ الْمَنَاصِلِ  
 حَتَّى تَفَانُوا حَوْلَهُ  
 وَالْفَاسِقُ أَبُو زِيَادٍ أَلِ  
 لَا يَأْتَلِي فِي قَتْلِ أَبِي  
 حَتَّى إِذَا مَا عَفَّرُوا  
 حَاثُوا الْمُطَايَا لِلشَّأِ  
 يَةِ وَالْعُلَا وَاللَّوْذَعِيَّةِ  
 أَعْظَمَ بِذَلِكَ مِنْ بَلِيَّةِ  
 هُمُ وَالذَّمَاءِ الْمَشْرُكِيَّةِ  
 وَتَعْصَبُوا لِلْجَاهِلِيَّةِ  
 عَمَّةُ غَضَّةُ الْمُبْدَأِ طَرِيَّةِ  
 مَنِ مِنْ فِعَالِهِمْ خَفِيَّةِ  
 رِإْذَا تَحَاكَمَتِ الْبَرِيَّةِ  
 بِدَمِ ابْنِ فَاطِمَةَ الرُّضِيَّةِ  
 لِي وَعَيْنُهَا مِنْهُ بِكِيَّةِ  
 نَحَرَ الْهَدَايَا لِلضَّحِيَّةِ  
 سِ الْمَعْطَشَةِ الصَّادِيَّةِ  
 وَسِيَاهِمِهِمْ فِيهَا دَرِيَّةِ  
 ظَمَانَ فِي تِلْكَ الثَّنِيَّةِ  
 بَيْنَ الْعُدَاةِ النَّاصِيَّةِ  
 وَأَسْتَعَدُّوا لِلْمَنِيَّةِ  
 وَسُقُوا الْمَنِيَّةَ بِالسَّوِيَّةِ  
 مَلْعُونٌ يَطْلِبُهُمْ بِنِيَّةِ  
 نَاءِ النَّبِيِّ عَلِيَّ حَمِيَّةِ  
 هُوَ عَلِيٌّ ثَرَى الْأَرْضِ الثَّرِيَّةِ  
 بِكُلِّ طَاهِرَةٍ حَايَّةِ

شَهِرُوا نِسَاءً نَبِيَّهُمْ      وَتَقَاسَمُوا بِالْبَغْيِ فَيَّهِ  
 أُسْرَى يُسَقِّنُ كَمَا تُسَا      قُ الْمَشْرَكَاتُ بِلا تَقِيَّهِ  
 حَتَّى إِذَا جَاءُوا يَزِيدَ      دَبَّهِنَّ وَأَحْتَضَرُوا نَدِيَّهِ  
 أَبْدَى الشَّمَاتِ وَقَالَ ثَا      رَاتِ الرِّجَالِ الْعَبْشَمِيَّهِ  
 أَعَزَّزَ عَلَيَّ وَقُوفُهُنَّ      ثَوَا كِلَافُوقِ الْمَطِيَّهِ  
 وَالرَّأْسُ مُلَقِيٌّ وَهُوَ يَقْدُ      رَعِ بِالْقَضِيبِ عَلَيِ الثَّنِيَّهِ  
 يَا عَيْنَ جُودِي بِالْدَمِ      عِ عَلَيِ مُصَابِ الْفَاطِمِيَّهِ (١)





## طلّاع بن رزّيك

(٤٩٥-٥٥٦هـ)

أقول: ياليتني قد كنت في زمن الـ  
ليشتفي كبدي ضرباً بذي شطب  
وإنسي لقتيل الطف مكثب  
هادي لأحضر فيه وقعة الجمل  
في الظالمين وطعناً بالقتل الذليل  
إذ راحتني لبني اللخناء لم تطل

وقال راثياً العترة الطاهرة عليهم السلام:

لا تبك للجبيرة السارين في الظعن  
فليس بعد مشيب الرأس من غزل  
إلى أن يقول:  
ولا تعرّج على الأطلال والدمن  
ولا حنين إلى إلف ولا سكين

يا حرّ قلبي على قتل الحسين ويا  
لهفي على الأنجم الزّهر التي أفلت  
سبوا حريم رسول الله بل طعنوا  
لهفي على عُصبٍ بالطفّ ظامية  
وألّ حرب لهم صفوا الفرات ولم  
قلبي بحبي لأهل البيت مرتهن  
لهفي ويا طول تعدادي ويا حزني!  
وأبعدتها بنو حرب عن الوطن  
فيه بهم بأنساب القنا اللدن  
نالت من القتل فيهم أعظم المحن  
يسمح لهم بشراب الآجن الأسن  
وبالطغاة، فقلبي غير مرتهن<sup>(١)</sup>

١. الأميني، الدكتور محمّد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ١٧٤.

## القاضي الجليس

(المتوفى ٥٦١هـ)

ومن شعره في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

إن خانها الدمع الغزيرُ      فمن الدماء لها نصيرُ  
دعها تَسُحَّ ولا تَشِحَّ      فـرزءها رزءٌ كبيرُ  
لهفي لقتلى الطفِّ إذ      خذل المصاحبُ والعشيرُ  
وافاهم في كربلا      يومٌ عبوسٌ قمطيرُ  
دَلَفَت لهم عصب الضلا      لُ كَأَنما دُعِيَ النفيرُ  
عجباً لهم لم يَلْتَقِهِم      من دونهم قدرٌ مبيرُ!  
أيمار فوق الأرض فَي      ضُ دم الحسين ولا تمورُ؟  
أترى الجبال درت ولم      تَقْدِفُهُم منها ضخورُ؟  
أم كيف إذ منعه ور      دَ الماء لم تَغْر البحورُ؟  
حُرِّم الزُّلال عليه لَمَّا      حُلِّلت لهم الخمورُ<sup>(١)</sup>

١. الأميني، الدكتور محمد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ١٨٨.

## الجوامع والمساجد في عهد المعز لدين الله

وأنشأ الفاطميون عدد كبيراً من الجوامع، أهمها:

### أ- الجامع الأزهر:

وضع القائد جوهر الصقلي أساس الجامع الأزهر في الرابع عشر من رمضان سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م، وانتهى من بنائه بعد حوالي سنتين من ذلك، إذ أقيمت الصلاة فيه لأول مرة في السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م.

وقد تمّ توسيع بناء الجامع بمرور الزمن، حتى أصبحت مساحته اليوم ضعفها عند بنائه. وكان الأزهر يضم قسماً مسقوفاً أعد للصلاة، وقسماً غير مسقوف كساحة يمكن إقامة الصلاة فيها عند الازدحام في القسم المسقوف، هذا بالإضافة إلى الملحقات، كالمنارات والميضاة وغيرها.

ويطلق على قسمه المسقوف «المقصورة»، وقد أنشأ جوهر الصقلي بها محراباً يعرف اليوم بالمحراب القديم أو «القبلة القديمة»، لإقامة محاريب غيرها بعد الفاطميين، كما نقل المنبر الذي أقامه جوهر الصقلي في هذه المقصورة إلى جامع الحاكم بأمر الله. ثم توالى في الأزهر الإضافات الجديدة من أروقة وممرات ووحدات للتدريس ومحاريب وميضاة ومآذن ومقصورة، بتوالي الدول المتعاقبة على حكم مصر، حتى أصبح الجامع القديم محصوراً في قلب الجامع الحالي. وقد هذا الجامع بهذه الإضافات هيئته الأصلية، ووحدته الفنية، وأصبح «بمثابة متحف للعمارة والزخرفة الإسلامية».

وفي سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م حوّل العزيز بالله الفاطمي الأزهر إلى معهد لتدريس جميع العلوم النقلية والعقلية؛ بناءً على نصيحة وزيره يعقوب بن كلس. وهو لذلك أمر بوجوب تأمين المأكل والمشرب والمسكن لرواده من طالبى العلم تشجيعاً لهم. ثم بنى الخليفة بجواره داراً لجماعة من الفقهاء كانوا يجتمعون فيه بعد الصلاة ظهر كل يوم جمعة لإقامة المجالس الدينية.<sup>(١)</sup>

وحافظ الفاطميون على إقامة الصلاة في أوقاتها المحددة، لهذا عينوا شخصاً للتنبيه إلى أوقات الصلاة وتذكير الناس بالصلوات، فلقب بالميقاتي. وحتى يعرف الميقاتي الأوقات الصحيحة، فقد كان ينظر إلى المزولة المقامة على أحد جدران صحن الأزهر. وكانت بقية مساجد القاهرة تتبع في الأذان أصوات المؤذنين في الأزهر.

وكان للأزهر مكتبة فيها ٦٠٠٠ مجلد، وكرتان تمثلان الأرض، وبُني مرصد فلكى، اشتغل فيه علماء من الطبقة الأولى مثل ابن يمين صاحب الزيج الحاكمي. و صحح العرب بمعارفهم الفلكية وبتدقيقات سياحهم، أكثر نظريات الجغرافيين اليونانيين.<sup>(٢)</sup>

١ . رزق الله أيوب، الدكتور ابراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٥٥ .  
٢ . ستو دارد، لوثروب: حاضر العالم الإسلامي، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٦٢، ترجمة عجاج نويهض، دارالفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣م.

## ب - جامع القرافة:

بني هذا الجامع بطلب من الست «تغريد» زوجة المعز لدين الله، فقد أنفقت عليه من مالها الخاص، فكلفت الإشراف على تصميمه وبنائه، الحسن بن عبدالعزيز الفارسي، فجاء شكله رباعياً، تحيط به الأروقة من جوانبه، وحديقة غناء وبئر للماء (صهريج) من الجهة الغربية. وكان بابه ذا مصطبة كبيرة تقع تحت المنارة العالية، وهو مصفح بالحديد. ويدخل إلى مقصورة الصلاة في الجامع من أربعة عشر باباً مربعاً، أمام كل باب قنطرة على عمودين من الرخام في ثلاثة صفوف. وهذه الأبواب مجوفه (مكندجة) مدهونة بالأزرق والأحمر والأخضر. أما السقوف، فكانت ملونة بمختلف الألوان. وكان في مواجهة الباب السابع، من الأبواب الأربعة عشر، قنطرة على هيئة قوس ملونة بألوان مختلفة، يتبادر إلى ذهن الناظر إليها لأول مرة أنها شكل طبيعي، حاول الصنّاع عمل مثل لها، فما استطاعوا ذلك.<sup>(١)</sup>

١. رزق الله أيوب، ابراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٥٧.

## الفاطميون والزيريون وغيرهم

بعد أن نقل الفاطميون [الذين حكموا فترة من الوقت كل سواحل شمال إفريقيا من حدود مصر إلى ساحل المحيط الأطلسي وجزيرتي صقلية وسردينيا] عاصمتهم إلى القاهرة سنة ٣٥٨ (٩٦٩م) بدأ نفوذهم يضعف في الولايات الغربية ثم انقسمت بلادهم إلى دول مختلفة.

فأعلن واليهم على المغرب يوسف بلكين رئيس بربر صنهاجة استقلاله وأقام الدولة الزييرية وأقام أيضاً بنو حماد دولة في بجاية من أرض الجزائر فضيقوا نفوذ الزييريين فلم يتخطَّ حدودَ تونس إلا بقليل.

وفي المغرب الأقصى أعلنت قبائل مكناسة ومغراوة وسائر قبائل البربر استقلالها واحتلوا عاصمة الأدارسة ولكنهم لم يستطيعوا أن يقيموا دولة بالمعنى الصحيح، وأخضع المرابطون هذه القبائل واحدة بعد الأخرى كما استولوا على جزء كبير من بلاء بني حماد.

وكان من نصيب الموحدين بعد ذلك أن يقيموا ويحكموا في عاصمتي بني حماد وبني زييري.<sup>(١)</sup>

١ . سليمان، الدكتور أحمد السعيد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ٤٧/١، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.

### بنو زيري في تونس

من سنة ٣٢٢-٥٤٣ هجري (٩٧٢-١١٤٨ ميلادي)

يوسف بلكين بن زيري	٩٧٢ م	٣٦٢ هـ
منصور بن يوسف	٩٨٣	٣٧٣
باديس بن منصور	٩٩٦	٣٨٦
المعز بن باديس	١٠١٥	٤٠٦
تميم بن المعز	١٠٦١	٤٥٣
يحيى بن تميم	١١٠٧	٥٠١
علي بن يحيى	١١١٥	٥٠٩
الحسن بن علي	١١٢١-١١٤٨	٥١٥-٥٤٣

انقرضت هذه السلسلة على يد رجار ملك صقلية والأمراء الموحدين. (١)

١. لين بول، استانلى: طبقات سلاطين الإسلام، ص ٤٣، الدار العالمية، مطبعة البصري، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م.

## دولة بني زيري الصنهاجيين

٣٦١ - ٥٤٢ هـ

كانت العلاقات بين الخلافة الفاطمية وبني زيري، تتأرجح ما بين الصعود والهبوط، تبعاً للظروف، ومقتضى الأحوال خلال العقود الأربعة منذ انتقال الخليفة المعز لدين الله إلى مصر وحتى خلافة الحاكم.

وكذلك كان ولاء الزيريين للمذهب الاسماعيلي يتوقف إلى حد كبير على علاقتهم بالخلافة الفاطمية، فكلما سادت المودة أمعن الزيريون في اخلاصهم وولائهم، وإذا ساءت العلاقة فتر ذلك الولاء بعدم التشدد على أهل السنة، أو الاهتمام بنشر المذهب الاسماعيلي كما كانوا من قبل مما يترتب على ذلك أخطر النتائج في إمارة المعز بن باديس فقد خلف المعز بن باديس أباه بعد وفاته في أواخر ذي القعدة سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م، وكان عمره حوالي ثمان سنوات، ومارست عمته السيدة أم ملال مهامها كوصية على الأمير الصغير<sup>(١)</sup>.

إفتتح المعز بن باديس عهده بمذبحة الشيعة في سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م وتعددت أسبابها، فيروى ابن الأثير<sup>(٢)</sup> أن المعز بن باديس خرج إلى القيروان في المحرم سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م والناس يسلمون عليه.. فمر بجماعة كانت هناك فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبون أبابكر و عمر، فقال المعز: رضي الله عن أبي بكر و عمر، فانصرفت العامة من فورها إلى درب المعلى بالقيروان فقتلوا منهم،

١. الجيلالي، عبدالرحمن: تاريخ الجزائر العام، ١/٣٢٧ - ٣٢٨.

٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/٢٩٤.



وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طعماً في النهب، وكان ذلك باغراء وتحريض عامل القيروان الذي كان يحقد على الأمير الزيري، عندما بلغه أنه يريد عزله، فأراد أن يوقع بينه وبين الفاطميين ويظهره بمظهر المتقاعس عن نصرته الدعوة وحماية أرواح المشاركة.<sup>(١)</sup>

بينما يذكر ابن عذارى<sup>(٢)</sup> أن المعز خرج في بعض الأعياد إلى المصلى، وهو غلام، فكبابه فرسه، فاستنجد بالشيخين أبي بكر وعمر، فكادت الشيعة التي في عسكره تقتله لولا عبيده ورجاله الذين كانوا يكتمون السنة، ووضعوا السيف في الشيعة، فقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثة الاف، وجرى الدم غزيراً حتى غطى بقعة كبيرة من الأرض أطلق عليها فيما بعد اسم بركة الدم، ونكلوا بالشيعة في شتى مدن إفريقية، ويضيف ابن عذارى أن المعز كان مدفوعاً إلى ذلك بتأثير معلمه ومربيه أبي الحسن بن أبي الرجال الذي أدب المعز منذ صغره على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة والشيعة لا يعلمون ذلك ولا أهل القيروان.

ويبدو أن هذه المذبحة لم تحدث أثراً سيئاً في العلاقات بين الخلافة الفاطمية وبنى زيري، فقد استمر الخليفة الحاكم في سياسة التودد والمصانعة، فتذكر المصادر أنه بعث في آخر ذي الحجة سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٧م إلى المعز بن باديس السفارات والهدايا النفيسة، ولقبه بشرف الدولة، ولم يذكر شيئاً عن الاضطهاد الدامي الذي راح ضحيته الكثير من الشيعة.<sup>(٣)</sup>

١ . المشاركة: إسم يطلق على الشيعة بالمغرب، نسبة إلى أبي عبدالله الشيعي، وكان من المشرق.

٢ . ابن عذارى: البيان، ٣٩٥/١.

٣ . خضيرى أحمد، الدكتور حسن: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص ٥٨، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى.

وعلى الرغم من الصلات الودية بين القاهرة والقيروان، إلا أن الصعوبات والفتن التي واجهت الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الظاهر من عدم استقرار الأمور في بلاد الشام، والفتن والحروب المحلية سبباً في عدم اهتمام الخلافة بشئون إفريقية وبلاد المغرب في الوقت الذي قويت فيه شوكة أهل السنة هناك بفضل انتشار تعاليم المدرسة المالكية سواء من القيروان أو تونس اللتين أصبحتا مراكز لنشر الدعاية السنية، فكان من الطبيعي أن يضعف التيار الشيعي ويشد أزر أهل السنة.

ثم أن المعز بن باديس كان يبطن العطف على أهل السنة، بل يأخذ رأيهم في بعض الأمور كما ذكر أيضاً أن المعز بن باديس كان يسبّ بني عبيداً سرّاً، وأنه كاتب الجرجرائي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤١٨ - ٤٣٦ هـ) يحاول الوقعة بينهما، تمثل ذلك في بيت من الشعر نصه:

وفيك صاحبت قوماً لا خلاق لهم

لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

فهو يبجل الوزير، ويحتقر الخليفة ويغريه به، نجد أن الجرجرائي كان فظناً فقال لأصحابه يوماً: «ألا تعجبون من صبي بربري مغربي أن يخدع شيخاً عراقياً؟!». «عراقياً؟!».

ومن جهة أخرى ذكر أن كثيراً من أهل القيروان، قاطعوا صلاة الجمعة فكانوا يصلونها ظهراً، بسبب الدعاء للخليفة الفاطمي «واستمر ذلك حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد». (١)

وهكذا باتت مسألة الغاء هذه الدعوة الفاطمية، وبعبارة أخرى باتت مسألة

قطع العلاقات مع الخلافة الفاطمية من جانب بني زيري بصفة رسمية أمراً متوقفاً. حيث أمر المعز بن باديس صباغي القيروان بصباغة الأقمشة البيضاء باللون الأسود وهو شعار العباسيين وأيضاً تخريب دور الاسماعيلية، ومدارسها بالقيروان، والتنكيل بالمشاركة، وتشريدهم في البلاد، هذا بالإضافة إلى لعن الفاطميين على منابر البلاد.

وهكذا انتهت التبعية السياسية والمذهبية لدولة بني زيري بالخلافة الفاطمية الأمر الذي لم يكن بطبيعة الحال يرضى كلا من الخليفة المستنصر ووزيره اليازوري، فقد أرسل المستنصر إلى المعز بن باديس يدعوه إلى العودة إلى حظيرة المذهب الاسماعيلي<sup>(١)</sup>، يقول: «هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء، ويتوعده بارسال الجيوش بيد أن المعز كتب إليه يقول: «إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب، قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا باسيافهم».

لم تقف الخلافة الفاطمية مكتوفة الأيدي أمام هذا الانفصال السياسي والمذهبي، بيد أن الضعف الذي أصاب دولة الخلافة، نتيجة لما انتاب مصر من فتن ومجاعات، والتخوف من مغامرة عسكرية في إفريقية غير محمودة العواقب، جعلها عاجزة عن التدخل مباشرة في شئون المغرب فلجأت إلى وسيلة أخرى. رأى الوزير اليازوري أن يقنع الخليفة الفاطمي المستنصر بنقل عرب بني هلال<sup>(٢)</sup> إلى إفريقية، وتحقيق هدفين في نفس الوقت، الأول تخليص البلاد منهم،

١. سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُول المغرب، ص ١٨٩.

٢. بنو هلال: ينحدر بنو هلال من عامر بن صعصعة، وأبناء عمومتهم بنو سليم من قيس بن

والثاني اطلاقهم على افريقية للقضاء على الدولة الزيرية، وانشاء دولة تابعة بدلا منها.

بعث الوزير اليازوري رسوله - مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي - يدور بأمر الخليفة المستنصر على الهلالية، فبدأ باصلاح ذات البين بين زغبة ورياح، وحمل إلى مشايخهم الأموال، ووصلهم بصلات سنهيه، وأنعم على سائرهم ببيعير ودينار لكل واحد منهم، ووعدهم بالمدد والعدد، وأذن لهم بالمسير إلى افريقية، «حيث أقطعهم افريقية والمغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون.»<sup>(١)</sup> وأنفذ اليازوري كتاباً إلى المعز بن باديس يقول فيه: «أما بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً، وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله امرأ كان مفعولاً.»<sup>(٢)</sup>

اجتاحت القبائل العربية بلاد برقة، وطرابلس، وافريقية، وعاثت فيها فساداً وتخريباً، على أن المعز بن باديس ما لبث أن حشد ثلاثين ألفاً من قواته، وزحف بهم إلى موضع يسمى (حيدران) بالقرب من القيروان، والتقى مع قوات العرب، التي بلغ عددها ثلاثة آلاف فارس، فلما رأت العرب عساكر المعز وهم مدججين بالسلاح، والمغافر، هالهم ذلك، بيد أن قائدهم مؤنس بن يحيى الرياحي هدأ من

→

عيلان بن مضر، عمل بنو هلال في صحراء الحجاز بقطع الطريق، وبلغ من شدة عوزهم أنهم كانوا يهاجمون قوافل الحجيج، وينهبونها حتى ساءت سمعتهم، وهبط قدرهم.

١. ابن خلدون: العبر، المجلد السادس، القسم الأول / ٣١.

٢. المقرئزي، تقي الدين احمد بن علي: إتحاف الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٦٥/٢، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ /

روعهم، وأشار عليهم ان يطعنوا في العيون، الأمر الذي أدى إلى إطلاق اسم العين على هذه الحركة، وما كادت المعركة تبدأ حتى بدأ عرب الفتح بالتحيز جانباً فانضموا إلى بنى جلدتهم الهلالية، فضلاً عن تخاذل الصنهاجيين، وفرارهم من ميدان القتال.

وعلى الرغم من كثرة العدد والعتاد في عسكر المعز بن باديس إلا أن الغلبة كانت للعرب، الذين هزموا عساكر المعز، وغنموا الخيل والخيام، وما فيها من الذهب والفضة والأمتعة، وتعتبر موقعة حيدران بداية النهاية للدولة الزيرية. يتضح لنا مما سبق أن المعز بن باديس قد أخطأ في تقديره، عندما خلع طاعة الفاطميين، الأمر الذي أدى إلى انحسار الدولة الزيرية، وسقوط البلاد فريسة بين جحافل العرب والنورمان، كما أن هذه الحملة البدوية، وان أضرت في اقتصاديات البلاد وخربت موارد الرزق، وأبادت نفوساً كثيرة، وعرضت المغرب لحروب صليبية من قبل الدول المسيحية، فإنها قدمت عملاً جليلاً لعروبة المغرب، فقد عملت على تعريب المغرب، ولولا الهلاليون لما صار المغرب عربياً على الصورة التي نراها الآن.<sup>(١)</sup>

١ . خضير أحمد، الدكتور حسن: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص ٧١.

## العقيدة الإسماعيلية

### لمحة تاريخية

كانت للإسماعيلية عقيدة دينية، عملوا على نشرها في العالم بالدعاية المنظمة تنظيماً عجبياً، مما أدى إلى تقويض أركان الدولة العباسية والمجتمع العباسي القائم على أساس التعاليم السطحية الجامدة التي لا أثر فيها للانطلاق والتحرر والعلم.

لقد قام الإسماعيليون بدور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلدان مختلفة من العالم الاسلامي. فأسسوا أكثر من دولة لهم في البلدان الاسلامية، فكانت لهم دولة في المغرب أسسها عبيدالله المهدي سنة ٢٩٦ هـ وامتدت إلى صقلية وجنوب ايطاليا، وكان لهم دولة في اليمن على يد (ابن حوشب) سنة ٢٧٠ هـ. وكان لهم دولة في مصر على يد القائد (جوهر الصقلي) سنة ٣٥٨ هـ. وأسسوا دولة (الموت النزارية) في بلاد فارس على يد (الحسن بن الصباح) سنة ٤٨٣ هـ. وكان لهم دولة في البحرين على يد (الحسين الاهوازي، وحمدان بن الاشعث، وأبي سعيد الجنابي، وزكرويه بن مهرويه) سنة ٢٧٠ هـ. وكانت لهم قلاعهم وحصونهم المستقلة المنيعة في بلاد الشام.

ومن الطبيعي أن يكون لهذه الدول أثر فعال في مجرى الحوادث في العصور الوسطى، حيث اندلعت بينهم وبين الدول المجاورة لهم وحتى البعيدة عنهم حروب عنيفة قاسية امتدت وتشعبت حتى شملت العالم الاسلامي كله.

## الدراسات الإسماعيلية

كانت للدراسات التاريخية في اظهار الدعوة الإسماعيلية بمظهرها الحقيقي؛ الأثر الكبير، والتي قامت بهافئة من المستشرقين الضليعين في علوم الاسماعيلية وعلى رأسهم أو بالأحرى في مقدمتهم العلامة والمستشرق الروسي البروفسور (ايفانوف) عضو جمعية الدراسات الاسلامية في (بومباي) والبروفسور ماسينيون المستشرق الفرنسي والدكتور شتروطمان الألماني عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ ومسيو هنري كوربان استاذ الفلسفة الاسلامية في جامعة طهران والمستشرق الانكليزي برنارد لويس وغيرهم.

وحتى سنة ١٩٢٢ ميلادية كانت المكتبات في جميع انحاء العالم فقيرة بالكتب الاسماعيلية إلى أن قام المستشرق الألماني (براون) بانشاء مكتبة اسماعيلية ضخمة غايتها اظهار الآثار العلمية للطائفة الاسماعيلية، ولم يقتصر نشاط اولئك المستشرقين عند حدود التأليف والنشر بل تعداه إلى الدعاية المنظمة سواء في المجلات العلمية الكبرى (مجلة المتحف الآسيوية) التي كانت تصدرها أكاديمية العلوم الروسية في مدينة (بطرسبورغ) ويشرف على تحريرها (ايفانوف) وبعض المستشرقين الروس أمثال (سامينوف) وغيره ممن نشروا المقالات الطوال عن العقيدة الاسماعيلية.

ولقد أحدثت تلك المؤلفات رد فعل في جميع الاوساط قوّت شوكة الاسماعيليين وثبتت أقدامهم وعظم مركزهم فدوّخوا الملوك وفتحوا الحصون والقلاع وتعمقوا في العلوم فنبغ منهم فلاسفة وشعراء وأدباء وحكماء ومؤرخين كان لهم شأن عظيم في عالم التأليف حيث نهضت على كواهلهم شتى العلوم في الاسلام.

### الأسس التي بُنيت عليها العقيدة الإسماعيلية

ولقد تعمق دعاة الاسماعيلية في دراسة علوم ماوراء الطبيعة<sup>(١)</sup> فحلقوا فيها إلى القمة وتوصلوا إلى معرفة جوهر النفس فبحثوا عن مبدئها قبل تعلقها بالجسد وعن معادها بعد فراق الجسد وعن كيفية ثواب المحسنين في عالم الأرواح وعن جزاء المسيئين في دار الآخرة، وبحثوا أيضاً في مراتب الموجودات وقابلوها فلسفياً مع مراتب الدعوة والدين فخرجوا منها بقاعدة ثابتة على الشكل التالي:

١- العقل الأول يساوي الناطق يساوي رتبة التنزيل.

٢- العقل الثاني = الأساس = رتبة التأويل.

٣- العقل الثالث = الامام = رتبة الأمر

٤- العقل الرابع = الباب = رتبة فصل الخطاب

٥- العقل الخامس = الحجة = رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً

٦- العقل السادس = داعي البلاغ = رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد

٧- العقل السابع = الداعي المطلق = تعريف الحدود العلوية والعبادة

الباطنية

٨- العقل الثامن = الداعي المحدود = تعريف الحدود السفلية والعبادة

الظاهرة

٩- العقل التاسع = المأذون المطلق = رتبة أخذ العهد والميثاق

١٠- العقل العاشر = المأذون المحدود = المكاسر أو المكالب ليجذب

الأنفس المستجيبة.

١ . أمثال ابن حوشب، والكرماني، وناصر خسرو، وابن سينا، والفارابي، والنخشي، واخوان

الصفاء، والرازي، والسجستاني وغيرهم.



كما أنهم وجهوا اهتمامهم في الطبيعة ومنها علم العدد فقسموه على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف وقالوا بأن هذا التقسيم ليس أمراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد مثل كونه أزواجاً وأفراداً وصحيحاً وكسوراً بعضها تحت بعض لكنه أمر وضعي لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية وذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها الباري مربعات مثل الطبائع الأربعة: الحرارة والرطوبة واليبوسة، ومثل الأركان الأربعة التي هي الدم والبلغم والمرتان المرة الصفراء والمرة السوداء، ومثل الأزمان الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، ومثل الجهات الأربع والرياح الأربعة الصبا والدمبور والجنوب والشمال، والأتواد الأربعة الطالع والضارب ووتد السماء ووتد الأرض، والمكونات الأربعة التي هي المعادن والنبات والحيوان والانسان، وعلى هذا المثال وجدت أكثر الأمور الطبيعية مربعات، وإنما صارت هذه الأمور الطبيعية مربعات بعناية الباري جل ثناؤه واقتضاء حكمته لتكون مراتب الأمور الطبيعية مطابقة للامور الروحانية التي هي فوق الأمور الطبيعية وهي التي ليست بأجسام وذلك ان الأشياء التي فوق الطبيعة على أربع مراتب: أولها الباري جل جلاله ثم دونه العقل الكلي الفعال ثم دونه النفس الكلية ثم دونه الهيولى الأولى وكل هذه ليست بأجسام وان نسبة الباري من الموجودات كنسبة الواحد من العدد ونسبة العقل فيها كنسبة الاثنين من العدد ونسبة النفس من الموجودات كنسبة الثلاثة من العدد ونسبة الهيولى الأولى كنسبة الأربعة. واعلم بان العدد كله آحاده وعشراته ومئاته وألوفه أو مازاد بالغاً ما بلغ فأصلها كلها من الواحد إلى الأربعة (١، ٢، ٣، ٤) ومنها ينشأ وهي أصل فيها كلها، فاذا أضيف واحد إلى أربعة كانت خمسة وإن أضيف اثنان إلى أربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة إلى أربعة كانت سبعة وعلى هذا

المثال سائر الأعداد من العشرات والمئات والألوف ومازاد بالغاً ما بلغ. إذن فالواحد علة العدد كما ان الباري علة الموجودات وموجدها ومرتبها ومتقنها ومكملها كما ان الواحد موحد في جميع الاعداد ومحيط بها، كذلك ان الباري شاهد على كل شيء موجود ومحيط به، وكما ان كل واحد يعطي اسمه لكل عدد ومقدار، كذلك الباري أعطى الوجود لكل موجود وكم ان من تكرار الواحد نشوء العدد وتزايدته كذلك من فيض الباري ووجوده نشأت الخلائق وتماها وكمالها، وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الواحد كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري وكما ان الثلاثة ترتبت بعد الاثنين كذلك النفس ترتبت بعد العقل. إذن فالعقل هو اول موجود أوجده الباري تعالى وأبدعه من نور وحدانيته جوهر بسيط من غير واسطة ثم أوجد النفس الكلية بواسطة العقل الفعال ثم أوجد الهيولى وذلك ان العقل قد فاض من الباري وهو باق تام كامل، والنفس جوهره روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل.

وقد نظمت الدعوة تنظيمًا دقيقاً فقسم عميد الدعوة الذي هو الامام الدعوة إلى أقسام عديدة كل قسم حسب مقدرته، وضمن اختصاصه، واتخذ شكل التقسيم شكلاً هندسياً هرمياً وكان بتنظيماته وفروعه مشابهاً لتقسيمات السنة إلى فصول وأشهر، وأيام وساعات.

فالامام هو بمركز السنة والاثنى عشر شهراً مثل الدعوة الذين هم في اثني عشر جزيرة التي هي العرب، الترك، البربر، الزنج، الحبشة، خزر، الصين، فارس، الروم، الهند، السند، الصقالبة. وهم رؤساء الدعوة فيها ولكل واحد من هؤلاء ثلاثون داعياً في قطره ولكل داعٍ من هؤلاء اربعة وعشرون داعياً مأذوناً

ومكاسراً<sup>(١)</sup>.

ودعوتهم مرتبة على منازل، دعوة بعد دعوة، حتى تبلغ هذه الدعوات تسعاً يبدأ الداعي أولاً باستدراج المدعو بعد أن يكون قد وقف على هذه التعاليم ومبلغ إيمانه بدينه، ويستهو به إلى هالته العقلية، ويشرع يشككه في أفكاره بأسئلة إنكارية: ما معنى العدو بين الصفا والمروة؟ ولم كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة وما بال الله قد خلق الدنيا في ستة أيام؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلاً والكاتبين والحافظين؟ أخاف أن نكابه ونجاحه حتى أدلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك في القرطاس بالكتابة؟

وهكذا يستمر يلقي الاسئلة سراعاً وينفث سموم الريب في النفس، ثم يعقب على هذه الاسئلة بأسئلة الغرض منها استهواء المدعو إلى حظيرة الفلسفة والهرطقة التي كانوا يقولون بها: أين أرواحكم؟ وكيف صورها وأين مستقرها، وما أول أمرها؟ والإنسان ما هو؟ وما حقيقته؟ وما الفرق بين حياته وحياة البهائم؟ وما معنى قول الفلاسفة: الانسان عالم صغير والعالم إنسان كبير؟ وأمثالها حتى إذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها، قال له حينئذٍ: لا تتعجل فإن دين الله أعلا وأجل من أن يبذل لغير أهله، ثم بعد حديث وإغواء يأخذ عليه عهداً ألا يفشي سراً، ولا يظاهر أحداً عليهم، ولا يطلب لهم غيلة، ولا يكتهم نصحاً! ولا يوالي عدوهم، فإذا أعطي العهد طلب منه جعلاً من المال يجعله مقدمة أمام كشفه له الأمور وتعريفه إياها.

١. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الاسماعيلية، ص ١٩، بيروت، دار الأندلس، الطبعة الثانية.

وينتقل إلى الدعوة الثانية ومرماها إثبات ضرورة وجوب الإمام الذي ينصبه الله للناس، وإلى تقرير أن الأئمة السبعة آخروهم محمد بن اسماعيل بن جعفر وهو صاحب ذلك الزمان، وعنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره، وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانتقاد إليه والتسليم له، لأن الهداية في موافقته واتباعه والضلال والحيرة في العدول عنه.. ثم ينتقل إلى تعليل اعتقادهم في الأئمة والنقباء الاثني عشر.

وهنا يكون الداعي قد تمكن من نفس المدعو فيعمل على تعمير منطقة العقل ويدعوه إلى النظر في كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس، وينهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات<sup>(١)</sup>.

وما قاله الداعي الاسماعيلي - عامر بن عامر البصري - من القصيدة التائية هو خير دليل على ما ذُكر آنفاً.

وتعلم ما حوًا وكيف احتواؤها	على مركزٍ منه بدءة للإحاطة
وهل كان بدءاً خلق آدم وحده	من الطين أم قد كان من دفق نطفة
ويعلم ما الذنب الذي جوزيا به	هبوطاً فبانت منهما كل سوءة
وما الورق الغضُّ الذي غطيا به	عوارهما حتى اختفت كل عورة
أمن شجرٍ قد كان أم مِ ملابس	الجنان زها بالخضرة السندسية
وكيف استواء الله من فوق عرشه	على الماء لا ذا الماء بالأولية
وهل معجزات الأنبياء بظاهرٍ	أت أم بالفاظٍ لها معنوية

١ . خفاجي، الدكتور محمد عبد المنعم: الأزهر في الف عام، الجزء الأول، ص ٣١، ٣٢، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

إلى القدس أم بالقوة الملكية  
 كما ظنَّه الجمهور من غير خبرة  
 كما كان في تسخينه بالحرارة  
 محمده بالوحي صورة دُخِيَّة  
 بستة ايامٍ توالَتْ سوِيَّة  
 رأى زكريا كان من حب حنطة  
 وبينهما في الدور أطول مدَّة  
 إليها بنها من عند اشرف حضرة  
 هو الجسم بالتحقيق أم مهد عادة  
 على ألف شهرٍ فضلت بمزية  
 ولم لقب المختار امي مكي  
 هو الطارق المنحط عشقاً لرفعة  
 ثلاثة مئین مع زيادة تسعة  
 جرت أم غشاه نوع جهل وغفلة  
 فنذكره أم بالسنين القديمة  
 وما المعنى بخرق السفينة  
 عليه لما يأتي بغير رويَّة  
 عليه غروب الشمس في عين حماة  
 تخاطبهم رمزاً بلطف إشارة  
 مساكنكم من حطم جندٍ بدوسة

وهل كان معراج النبي بجسمه  
 وجبريل شيء منه أم عنه خارج  
 وكيف أتى لَمَّا رقى ومكانه  
 ولم اشبه الروح الأمين وقد أتى  
 ولم خصَّ تكوين السَّماء وأرضها  
 وهل ذلك الرزق الذي عند مريم  
 ومريم لم صارت لهارون اخته  
 أم الوحي ذلك الرزق كان أتى به  
 وهل كان لَمَّا كلمَّ الناس مهده  
 وكم ليلة القدر التي جلَّ قدرها  
 وما السرُّ في عيسى وليس له أب  
 وما ذلك النجم الذي هوى وما  
 ورقدة أهل الكهف في ظل كهفهم  
 أهل نوم طبع كان بالعادة التي  
 وهل ذلك محسوب بهذي سنينا  
 وهل لك علم بالجدار وقتلة الغلام  
 وصحبة موسى عبداً واعتراضه  
 وما هو ذو القرنين في السد والذي  
 وما هو وادي النمل والنملة التي  
 تقول ادخلوا يا أيها النمل تسلموا

وما هُوَ ذاك الهدهد الطائر الذي  
وبلقيس إذ جاءوا إليها بعرشها  
فقالوا لها هل كان عرشك هكذا  
وما ذلك العفريت والقائل الذي  
وكيف أتى بالعرش قبل ارتداد طرفه  
وما ذلك الصرح الممرد إذ غدت  
أتى لسليمان بسرّ سريرة  
وقد نكروه بعد نقشٍ بنقشة  
فقلت نعم يحكيه من غير ريبة  
له بكتاب الله علم دراية  
وهو سردق عن كل فطنة  
تكشف ساقها لديه لخوضة<sup>(١)</sup>

١. هذه مقتطفات من تائية عامر بن عامر البصري وهي على غرار تائية ابن الفارض، ومن بحرهما وقافيتها، توجد تائية لعامر بن عامر البصري، ومنها نسخة في المتحف البريطاني تحت رقم - ٨٨٦ - وأخرى في فيينا تحت رقم - ٤٨١ - .  
عاش في القرن السابع للهجرة المحمدية، وتكاد تكون المصادر التاريخية عن حياته محدودة ومجهولة. فكل ما ذكر ان عامراً كان ينتمي إلى إحدى المدارس الصوفية القائمة في بلدة - سيواس - من بلاد آسيا الصغرى.  
ويذكر المستشرق «ماسينيون» ان بلدة سيواس كان فيها خاتناه لطريقة الشيخ نجم الدين دايا.

وجاء في تلخيص معجم الانقلاب لابن الفوطي مايلي: «ابن عامر الحكيم - عز الدين ابوالفضل عامر بن عامر يعرف «بأوشيدر» البصري الحكيم الأديب من حكماء العصر، له رسائل في الحكمة وغيرها» ومن حديثه:  
«ان المدعي «علي بن الفخر الاردستاني» لما ادعى انه عيسى صدّقه هذا الفاضل، وقال بمقاله، ولما أخذ وقُتل واحرق في ليلة القدر من رمضان سنة ٦٩٦ هـ رثاه بابيات ذكرتها في التاريخ».

مما لا ريب فيه ان في القصيدة اراءً اسماعيلية ظاهرة، وتعابير اسماعيلية باطنية لا تخفى على المطلعين ولعل هذا يثبت نظريتنا القائلة: بان المدرستان الاسماعيلية والصوفية كانتا متلازمتان يتأثران ببعضهما البعض بالنسبة لواقع الازمنة والاحوال.<sup>(\*)</sup>

\* تامر، اسماعيل: اربع رسائل اسماعيلية، ص ٩٥، بيروت، دار مكتبة الحياة، طبعة ثانية، ١٩٧٨م.

## اعتبار العدد «سبعة» مقدساً

يشبه النظام الاسماعيلي الفيناغورية القديمة من حيث اعتبار العدد «سبعة» مقدساً. وقد جعلت السبعية (الإسماعيلية) النظام الكوني والحوادث التاريخية أمراً مرتباً على هذا العدد، وهم يتبعون في حدوث الكائنات فلسفة «غنوستية» مبنية إلى حد ما على الأفلاطونية الحديثة، ويجعلون التجليات سبعة هي:

١- الله.

٢- العقل.

٣- النفس.

٤- المادة الأصلية.

٥- الفضاء.

٦- الزمن.

٧- عالم الأرضين والبشر.

ولهذا العالم عندهم سبعة أنبياء مشترعون، يسمى كل واحد منهم الناطق، وهم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم محمد التام بن إسماعيل. وبين كل نبيّين ناطقين سبعة أنبياء صامتون أولهم الأساس ومن جملة الصامتين إسماعيل وهارون وبطرس وعلي، ويوازي الصامتين طبقة أدنى منهم وهي مرتبة على أساس السبعة أو الاثني عشر، وهم من زعماء الدعاية، ويعرف واحد منهم بالحجة، ثم المبشرون العاديون ويعرفون بالدعاة.<sup>(١)</sup>

ويؤكد لنا شهاب الدين - أبو فراس - الديلمي المينقي. أهمية العدد سبعة

١. عكاوي، دكتور رحاب: الحشاشون حُكّام الموت، ص ١٥، بيروت، دار الحرف العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

والأعداد الأخرى في رسالته «مطالع الشمس في معرفة النفوس» قائلاً:

اعلم أيها الأخ البار الرحيم، ان الباري عندما اراد أن يخرج النفيس من الخسيس، خلق الدر من الصدف، والذهب والفضة من الحجر، والعسل من النحل، والانسان من نطفة. وخلق السماء مدوّرة، والأرض كرؤية، والانسان طويلاً على هيئة قبة الفلك. عيناه كالشمس والقمر، واذناه كالمشرق والمغرب، ومنخره كالجنوب والشمال، وصوته كالرعد، ولمحته كالبرق، وعدد شعره كعدد نجوم السماء. ولما كان في السماء اثنا عشر برجاً، كان في جسم الانسان اثنا عشر خرقاً وهي: العينان والاذنان والمنخران والفم والتديان والصرة والسيلان. ولما كانت السنة ثلاثمائة وستين يوماً. وافلك ثلاثمائة وستين درجة، كذلك في جسم الانسان وُجد ثلاثمائة وستين عرقاً. ولما كانت السموات سبع طبقات مركبة بعضها فوق بعض، كذلك في جسم الانسان سبع جواهر تماثلها في التركيب وهي: المخ والعظم والعصب والعروق واللحم والجلد والشعر. ولما كان في الفلك سبع قوى روحانية فعالة بذاتها، كذلك في جسم الانسان سبع قوى روحانية مماثلة لها وهي: السامعة والباصرة والشامة والذائقة واللامسة والناطقة والعاقلة. ولما كان في الفلك أيضاً سبع قوى جسمانية، كذلك في جسم الانسان سبع قوى مماثلة وهي: الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافقة والمصورة والفاذية والنامية.

واعلم بان نسبة النطقاء كنسبة القمر من الشمس، فنور القمر من نور الشمس بجريانه في الثماني والعشرين منزلة. كذلك النطق من نور العقل وجريانه على اللسان في ثماني وعشرين حرفاً. كل هذا لحكمة بالغة، وتقدير من العزيز الحكيم. (١)



ولقد وفقت الحركة الإسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظمته خير تنظيم، وبين نظام الفلك ودورته، فجعلت العالم - الذي كان معروفاً في عصرها - مثل السنة الزمنية، فالسنة مقسمة إلى اثني عشر شهراً واذن فيجب أن يقسم العالم إلى اثني عشر قسماً. وأطلق على كل قسم «جزيرة» وجعل الامام عميد الدعوة على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً، هو المسؤول الأول عن الدعوة فيها، وأطلق عليه لقب «داعي دعاة الجزيرة» أو «حجة الجزيرة».

وقالوا ان الدعوة لا يمكن استقامتها إلا باثني عشر داعياً يتولون ادارتها، يقابلهم في عالم الفلك الواحد اثني عشر برجاً هم: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت. يطابقها في جسد الانسان اثني عشر ثقباً هي: العينان، والاذنان، والمنخران، والثديان، والسيلان، والفم، والسرة. يقابلها في عالم الحجب اثنا عشر حجاباً هم: حجاب القدرة، وحجاب العزة، وحجاب العظمة، وحجاب الهيبة، وحجاب الجبروت، وحجاب الرحمة، وحجاب النبوة، وحجاب الكربة، وحجاب المنزلة، وحجاب الرفعة، وحجاب الشفاعة، وحجاب السعادة. وقالوا أيضاً ان النبي (ص) قال: «طوبى لمن حفظ الرأس وما حوى، والعقل وما وعى، والقلب وما دعا، وذكر القبر والبلى، ولم يتأثر بالحياة الدنيا». أي طوبى لمن حفظ رأس دعوة الحق والأئمة من ولده، ويقولون بأن الرسول اراد من قوله (العقل وما وعى)، أي ان في العقل اثني عشر قطعة دليلاً على اثني عشر داع الذين هم في جزائر الأرض، وهم في الدنيا مشهورون: العرب، الترك، البربر، الزنج، الحبشة، خزر، الصين، فارس،

الروم، الهند، السند، الصقالبة. ولما كانت الابراج ستة قبلية، وستة شمالية، كذلك اقتضى أن تكون الثقوب ستة في الجانب الايمن، وستة في الجانب الأيسر، يطابقها أن شهور السنة على نوعين: ستة شمالية، وستة جنوبية؛ فالسنة الشمالية، عدد أيامها ثلاثون يوماً، ويسمون بالاشهر الكاملة، والسته الجنوبية، عدد أيامها تسعة وعشرون يوماً، ويسمون بالأشهر الناقصة.

وباعتبار ان الشهر ثلاثون يوماً، لذا كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً لمساعدته في نشر الدعوة، وهم قوّته التي يستعين بها في مقارعة الخصوم، وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة، فهم بمثابة وزراءه ومستشاريه في كل ما يتعلق بجزيرته. ولما كان اليوم مقسم إلى اربع وعشرين ساعة، اثنتي عشرة ساعة بالليل، واثنتي عشرة ساعة بالنهار، لذا جعل الامام الاسماعيلي لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعياً، منهم اثني عشر داعياً ظاهراً كظهور الشمس بالنهار، واثني عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس بالليل. وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الامام في العالم الذي كان معروفاً لديهم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً، في وقت واحد، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا الاحصاء، وهم الدعاة الذين يكونون دائماً في مركز الدعوة الرئيسي مع عميدهم الامام، علماً بأنه كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه حفظاً لنظام الدعوة وسريتها، فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكاليين وهم أصغر طبقة في درجات الدعاة، وعلى عاتق المكاليين تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس، وكأنهم تلاميذ يريدون الافادة من أساتذتهم، دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير المجتمعة للأخذ عن هؤلاء العلماء أو الفقهاء، بأن من يجادلونه

ويناقدونه مناقشة علمية عنيفة أنه من الدعاة، وفي أغلب الأحيان يظهر عجز العالم عن الجواب، الصحيح، أو تبدو منه أخطاء فيسخر منه الداعي المكالب ويتركه، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكالب فيسرع إليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الاسئلة التي طرحها والموضوعات التي ناقش فيها العلماء، ومن الظاهر ان الداعي المكالب كان يختار اختياراً خاصاً، ولا يسمح له بالمكاسرة الا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة، ونجد في بعض الكتب الاسماعيلية الشروط الواجب توفرها عند اختيار الداعي المكالب والخصال التي يجب أن يتحلى بها، من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها، ولد ونشأ بها، حتى يكون معروفاً عند الجمهور ويجب أن يكون حسيباً ونسيباً بين قومه، فالحسب والنسب يكسبانه بعض الاحترام، وان يكون معروفاً بالصدق والامانة والتقى والورع، فهذه الصفات تزيده احتراماً في قومه، فاذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الاسلامية حتى يتبحر فيها، فاذا تم له ذلك، أخذ يلقنه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق اسلامية وغير اسلامية، ويظهر له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأي، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء، وكيف يناقش أصحابها فاذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس اليه، فاذا أتقن كل هذه الأمور وتدرّب عليها، ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل الفرق الأخرى دون أن يشعر أحداً بأنه اسماعيلي المذهب بل يجب أن يكتم ذلك كتماناً شديداً.

وعدا عن هذه الآراء الفلسفية والنظريات العميقة أوجدوا نظريات الهياكل

السبعة والادوار السبعة، فقالوا عن الهياكل أنها على نوعين:  
 سبعة مؤتلفة، وسبعة مختلفة. والنطاء سبعة، وأسهم سبعة، والائمة سبعة.  
 فالنطاء السبعة والاسس السبعة هم: آدم، وأساسه شيث، نوح وأساسه سام،  
 ابراهيم وأساسه اسماعيل، موسى وأساسه هارون، عيسى وأساسه شمعون  
 الصفاء، محمد، وأساسه علي بن أبي طالب، اسماعيل وأساسه قداح الحكمة.  
 والائمة السبعة هم: علي، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر  
 الصادق، اسماعيل، محمد بن اسماعيل، وطابقوا هذه النظرية على الاعداد  
 ورتبوها كما يلي:

آدم: بمنزلة الآحاد ومنه السلالة.

نوح: بمنزلة العشرات وهو كالنطفة في الصورة الجسمانية.

ابراهيم: بمنزلة المئات وهو كالعلقة في الصورة الجسمانية.

موسى: بمنزلة الآلاف وهو كالعظام في الصورة الجسمانية.

عيسى: بمنزلة عشرات الالوف وهو كاللحم في الصورة الجسمانية.

محمد: بمنزلة مئات الالوف وهو كالصورة التمامية.

القائم: بمنزلة آلاف الالوف وهو كالنفخة الأخيرة، قائماً بالقبول، أطلق

عليه اسم اللوح المحفوظ، فكان حداً ثانياً أبدهما الله بالكلمة القدسية (كن)  
 فكان. (١)

### في الشروط التي لابد منها لصاحب الأهلية والاستحقاق

لقد ذكرنا شروط الداعي، والآن نذكر شروط المستجيب ولمن اراد الدخول في الدعوة الاسماعيلية عن رسالة لشمس الدين بن احمد بن يعقوب الطيبي؛ تحت عنوان «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور».

ينبغي ان يكون المستجيب بالغاً عاقلاً رشيداً قد كبر وبلغ في السن، ولا يكون صاحب عاهة ظاهرة في جسده. أو بشع الصورة، ولا رديء الخلقة بحيث لا يتجاوز الحد في القبح، ولا يكون فيه شيء من العلامات الرديئة التي تدل على الخبث والمكر والفساد، مما قد ذكر في كتب الفراسة. هذا من جهة الصورة وإمّا من جهة المعنى فيجب ان يكون حسن الاخلاق، متبرقاً بالحياء، غير مجادل ولا مستهزىء ولا هتّاك ولا مرتاب ولا وقع ولا مستخف، ويكون متمسكاً بأوامر الدين والشريعة، معظماً للنوامس الالهية، معادياً لمن يتظاهر بمخالفة الأوامر والنواهي، مصاحباً لأهل الصلاح والدين، مجانباً لأهل الجهل والفساد. فان ظهر من بعد ما ذكرنا صدق الطلب، والرغبة بتحصيل المعرفة، والاخلاص في الادارة والالتزام. اخذ عليه العهد، من بعد ان يؤكد في تجريبه وامتحانه، ويتكشف عن دينه ومذهبه وعقيدته التي تربي فيها ونشأ عليها، ويفحص عن اقواله وأفعاله وأحواله جميعها، الظاهرة منها والباطنة. ثم اذا عرف منه السداد والرشاد فيما ذكرنا يُجرب بترك المعاصي، وعدم مواصلة من عادى أهل بيت النبوة الكرام، وخالفهم وقدم غيرهم عليهم، ثم يمتحن بترك المطلوبات الجسمانية والمجاهدة بالنفس والمال، في سبيل العقيدة واداء أحكامها، فان ظهر في جميع ما ذكرناه محققاً في الطلب، مجدداً في الرغبة، مطيعاً مستسلماً، يؤمر في الاغتسال والتطيب، فاذا اغتسل وتطيب وصفي خاطره وظاهره وباطنه من كل شبهة وريب وشك

وزيغ وهم وغم حتى يصير كأنه لوح ساذج يتقبل الصورة اليقينية والنفوس الالهية. عندئذ يستسلم لجماعة المؤمنين، واستسلام من يريد ان يخرج من الظلمات إلى النور، ويعلم بحق ويقين انه داخل إلى مذهب الحكماء الالهيين، وسلوك طريق العلماء الربانيين، اصحاب بيت النبوة، وشجرة الحكمة، وملكة الامامة، وملة الرسول الاعظم، والأئمة الطاهرين - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. (١)

### في ان افضل البشر هم الرسل

يقول الفيلسوف الاسماعيلي أبو يعقوب إسحاق السّجستاني:

التسخير تسخيران: تسخير طبيعي، وتسخير ارادي، أما الطبيعي فكتسخير بعض الانواع لبعض، ولا يكون ذلك إلا بوجود الفضل في المسخر، وعدم ذلك الفضل في المسخر له، كتسخير انواع النبات لانواع المعادن لوجود النما فيه، وكتسخير انواع الحيوان، لأنواع النبات، لوجود الحس فيه، وكتسخير نوع الانسان، لأنواع الحيوان، وأنواع النبات لوجود النطق فيه، وهذه جميعاً تسخيرات طبيعية، وأما التسخير الارادي، فكتسخير شخص واحد من نوع واحد جميع اشخاص ذلك النوع، كتسخير الرسول عدداً كثيراً من اشخاص الانسانية لوجود القدس فيه، وانما قلنا ان هذا التسخير ارادي، وذلك طبيعي، لان التسخيرات انما تثبت بثبات المسخر، وبطلت بطلان المسخر، والتسخير لا يبطل بغيبة المسخر، بل يزيد بثباته بعد غيبته، فعلم انه ارادي، لا طبيعي، والذي له التسخير الارادي هو أفضل من الذي له التسخير الطبيعي، وأيضاً فإن فضل السائس انما هو على مقدار

١. تامر، دكتور عارف: اربع رسائل اسماعيلية، ص ٥١، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

أفضل المسوس، فكلما كان المسوس أفضل، كان السائس له أفضل. وقد أوضحنا في الفصل الذي قبل هذا الفصل، فضل البشر على سائر مواليد العالم، ولم نجد احداً دبر سياسة البشر سياسية عامة غير الرسل، فعلم انهم أفضل الخلائق في هذا العالم الجسماني، وان شككت في هذا فانظر إلى فضل سياساتهم على سياسة الملوك، فان سياساتهم لا تشبه سياسة الملوك لان سياسة الملوك ليست على حالة واحدة ونظم واحد، بل لهم في كل طبقة من الناس سياسة، ورسم لا تشبه سياسة الطبقة الأخرى، وأما سياسة الرسل فانها سياسة واحدة، ورسم واحد لجميع الناس سواء الوضيع والشريف فيها. فان قال قائل: وما في هذا من الشرف على سياسة الملوك، بل سياسة الملوك اشرف من سياسة الرسل، لاختلاف سياسة الملوك لطبقات الناس على سائر مراتبهم، وعمومية سياسة الرسل لجميع الناس عموماً واحداً قلنا له: انما اختلفت سياسة الملوك لنقصان تدابيرهم، واتفقت سياسة الرسل لكمالهم، وتامة قوتهم المتصلة بهم من العالم الروحاني، وانما مثل سياسة الرسل، كممثل الجلاب، المتخذ بالسكر الطبرزي، وماء الورد والفائق يصلح لجميع المرضى، ويدفع ضرر أمراضهم لاعتداله. ومثل سياسة الملوك كممثل بعض الأدوية التي تصلح لبعض الأمراض دون بعض، فاذا حدث مرض آخر مضاد لهذا المرض احتاج الى غيره من الدواء، فقد بان ان الذي يسوس الناس سياسة واحدة هو أفضل من الذي يسوسهم سياسات مختلفة، ولا خلاف ان الفاضل من كل نوع انما يظهر في زمان طويل، والذي دون الفاضل لا يخلو منه زمان، والمثل في ذلك انه قد يوجد في كل وقت في الاصداف اللؤلؤ الصغار، والوسط منها، ولا توجد اللؤلؤة الصافية المدحرجة الا في زمان طويل، وكذلك الياقوت الصافي، وجميع

انواع المعادن، وأنواع النبات، وأنواع الحيوان، حتى قد يضرب المثل ببعضها فيقال: كأنه دابة فلان الملك، او كأنه فلان الحكيم.

فإذاً يجب من هذه المقدمة ان يكون الرسل هم أفضل البشر، اذ وجودهم ليس في كل وقت، بل في كل الف سنة، أقل أو أكثر، يظهر الواحد منهم، وان فضائل النفس في الحي الناطق سبع على ما قدمنا القول فيه. وهي: العلم والعدل والعفة والجود والشجاعة والرحمة والصدق.<sup>(١)</sup>

---

١ . السجستاني، أبو يعقوب: كتاب اثبات النبوات، ص ٣٨، حققه عارف تامر، بيروت، دار المشرق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.



## في إثبات النبوة من جهة الاعداد

لَمَّا كَانَ الْعَدَدُ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: هُمَا الْفَرْدُ وَالزَّوْجُ وَكَانَ الْفَرْدُ لَا يَنْقَسِمُ فِي ذَاتِهِ بِقَسْمَيْنِ مِمَّا يَلِي الْعَدَدَ بَلْ يَكُونُ أَحَدُ قَسْمَيْهِ فَرْدًا وَالْآخَرُ زَوْجًا وَالزَّوْجُ مَالَهُ قِسْمَةٌ فِي ذَاتِهِ وَيَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ مِمَّا ثَلَاثِينَ لِلْعَدَدِ كَذَلِكَ الرِّسَالَةُ قَدْ انْقَسَمَتْ إِلَى شَهَادَتَيْنِ: شَهَادَةُ اللَّهِ الْمُتَعَالِي بِفَرْدَانِيَّتِهِ عَنْ سَمَاتِ الْمَرْبُوبِينَ وَلَيْسَتْ لَهُ شَيْءٌ مِمَّا أَظْهَرَتْهُ وَحْدَتُهُ مِمَّا ثَلَاثَةٌ وَلَا مَسَاوِيَةٌ بَلْ يَكُونُ أَحَدُ الْأَصْلِينَ مُتَّحِدًا بِالْوَحْدَةِ إِذْ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالْأَزْلِيَّةِ وَالْوَحْدَةُ الْمُحْضَةُ الَّتِي لَمْ يَشَارِكْ فِي نَيْلِهَا غَيْرُهُ وَالْأَصْلُ الْآخَرُ لَمْ يَنْلِ الْوَحْدَةَ بِخَاصِيَّتِهِ الْأُولَى الْمُحْضَةَ حَتَّى إِذَا اذْجُوجَ بَعَلْتَهُ الَّذِي هُوَ السَّابِقُ فَهُوَ أِبْدَأُ زَوْجٌ وَسَابِقُهُ لَيْلَهُ مِنْ جِهَةٍ عَلْتَهُ فَرْدٌ وَالشَّهَادَةُ الْآخَرَى الَّتِي أَوْجِبَتْ مِنْ جِهَةِ الرِّسَالَةِ هِيَ الشَّهَادَةُ لِنَفْسِهِ وَتُؤَدِّي الشَّهَادَةَ لَوْصِيهِ بِالْوَصَايَةِ، وَالزَّوْجُ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ مِمَّا ثَلَاثِينَ الْعَدَدِ إِذْ هُمَا عَنِي الْإِسَاسِينَ مُتَّفَقَانِ مِنْ جِهَةٍ دَعَوْتُهُمَا لِأَنَّ كُلَّ ظَاهِرٍ بَاطِنٌ وَلِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ ثُمَّ الْعَدَدُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: إِلَى الْفَرْدِ الْمُحْضِ وَإِلَى الزَّوْجِ الْمُحْضِ وَإِلَى الْفَرْدِ الْمَرْكَبِ وَإِلَى الزَّوْجِ الْمَرْكَبِ فَالْفَرْدُ الْمُحْضُ مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ وَهُوَ الْإِثْنَانُ وَالْفَرْدُ الْمَرْكَبُ وَالزَّوْجُ الْمَرْكَبُ مِمَّا لُهُمَا نَظِيرٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْدَادِ بِلَا نَهَايَةٍ كَذَلِكَ الرِّسَالَةُ قَدْ أَدَّتْ مِنْ نَفْسِهَا أَوْلَى شَهَادَةَ الْفَرْدِ الْمُحْضِ وَهِيَ إِضَافَةُ الْخَلْقَةِ جَمِيعِهَا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ الْوَاحِدُ بِالْحَقِيقَةِ بِقَوْلِهِ: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالْبَصْرِ» ثُمَّ شَهَادَةُ مِنْهَا لِلزَّوْجِ الْمُحْضِ الَّذِي هُوَ الْإِثْنَانُ بِالْحَقِيقَةِ بِقَوْلِهِ: إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ثُمَّ اللَّوْحَ فَأَمْرُهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشَهَادَةُ مِنْهَا لِلْأَفْرَادِ وَالْأَزْوَاجِ الْمَرْكَبَاتِ وَهُوَ مَا يَوْجَدُ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَائِعِ شَهَادَةٌ لِكُلِّ عَدَدٍ مِنَ الْأَفْرَادِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْمَرْكَبَاتِ إِذْ مِنْهَا دَارَانُ فَإِنَّ أَقْلَهَا الثَّلَاثَةُ وَإِنْ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ كَالْمَغْرِبِ وَالْوَتْرِ مِثْلُ

حالات الصلاة على الوجوه الثلاثة من الانتصاب والانحناء والاضطجاع كذلك  
الموضوء جعل كماله في ثلاث مراتب، وجعل طلاق النساء ثلاث ووجوب  
الصدقات في ثلاث واجناس من الحيوان والقرود الثلاثة في عدة المطلقة ثم  
الأربع موجودة في الفرائض الأربع من الوضوء وفي الصلوات الثلاثة من الظهر  
والعصر والعشاء الآخرة ونكاح الأربع من الحرائر ثم الخمسة موجودة وفي  
وجوب الزكاة من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم والحبوب وفي عدد الأيام  
الستة التي خلق الله عز وجل الأرض والسموات فيها، ثم السبعة موجودة في  
الطواف السبع في الحج وعدد الآيات السبع في فاتحة الكتاب التي تقرأ في كل  
ركعة وفي عدد ابواب جهنم وفي تقسيم القرآن على سبعة اسباع سواء، ثم الثمانية  
موجودة في المقدار الذي يجب على الحبوب وهي الامناء الثمانون من ثمانمائة  
وفي الاصناف الثمانية الذي أوجب الله دفع الزكاة اليهم، وفي الأبواب الثمانية  
المفتوحة للجنة وفي الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش...<sup>(١)</sup>.

### الأئمة الاسماعيليون منذ بدء الخليقة

تحدث اخوان الصفاء عن بدء الخليقة وعن الأمور الالهية الروحانية وحدثوها دفعة واحدة فقالوا: «أما الامور الالهية الروحانية فحدثوها دفعة واحدة مرتبة منظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان بل بقوله (كن فيكون)، والأمور الروحانية الالهية هي:

العقل الفعال، والنفس الكلية، والهيولى الأولى، والصورة المجردة. والعقل هو نور الباري تعالى وفيضه الذي فاض أولا. والنفس هي نور العقل وفيضه الذي افاضه الباري منه، والهيولى الأولى هي ظل النفس وفيثها، والصور المجردة هي النقوش والاصباغ والاشكال التي عمتها النفس في الهيولى باذن الله تعالى وتأيده لها بالفعل. وهذه الامور كلها بلا زمان ولا مكان بل بقوله (كن فيكون) كما قال: وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر».

وأتى اخوان الصفاء على ذكر بدء الخليقة بقولهم: «لما خلق الله آدم اسكنه الجنة التي هي دار كرامته، ومحل نعمته، في جواره الأمين، وقراره المكين، مقرر عبادة المصطفين من الملائكة المقربين»<sup>(١)</sup>.

ولو أردنا الاتيان على ذكر كل ما قاله الدعاة والعلماء الاسماعيلية حول بدء الخليقة لاستغرق ذلك منا صفحات.. وصفحات.. لذلك نكتفي بما أوردناه ونقدم فيما يلي لمحة موجزة عن الأئمة الاسماعيلية منذ هبوط آدم كما جاءت في الوثائق السرية الاسماعيلية، وفي شجرات النسب المحفوظة لدى الاسماعيلية.

١. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الاسماعيلية، ص ٥٨.

## الدور الأول:

يبتدىء هذا الدور منذ هبوط آدم، ويستمر حتى ابتداء الطوفان ومدته الفان وثمانون عاماً وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً. ويسمى (دور التكوين)، وامام هذا الدور هُنيد الذي تعهد وأقام الناطق آدم. ولهذا الدور أساسان هما هايل وشيث، الأول قتل بيد أخيه «قاييل» فاستلم منصبه بعد وفاته «شيث». وتدل المصادر التاريخية أن سبب تسمية آدم على قولين: أحدهما لأنه خلق من أديم الأرض وهو وجهها، والثاني لأنه مشتق من أدمة وهي سمرة اللون، وأنزل الله عليه عشر صحائف في عشرين ورقة، وقد علمه الله الاسماء كلها، وكان لغته في الجنة العربية. فلما عصى واخرج من الجنة سلبه الله العربية فتكلم السريانية، وتوفي وغسله شيث وصلّى عليه ودفن في جبل أبو قبيس في غار، فظل حتى استخرجه نوح يوم الطوفان وحمله معه في تابوت في السفينة فلما خرج منها رده إلى مكانه، وقيل دفن في بيت المقدس<sup>(١)</sup>، وعاشت حواء بعده سنة واحدة.<sup>(٢)</sup>

يقول الفيلسوف الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرمانى في رسالته «أسبوع دور الستر».<sup>(٣)</sup>

واصطفى بتبليغ حكمته، وابلغ أمره، وهو على عرش التنزيه صفوةً من الأمم، سماهم المرسلين، وهم المبشرون والمنذرون والمهدون، فكان اولاً شريعة «آدم» صاحب يوم الأحد، ومبتدأ دور الستر، ومنتهى دور الكشف، فبلغ الرسالة،

١. الصحيح إنه دُفن في النجف الاشرف، ذكر في زيارة أمر المؤمنين عليّ عليه السلام «السّلام عليك وعلى ضجيعك آدم ونوح»

٢. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الاسماعيلية، ص ٦٥.

٣. تامر، دكتور عارف: اربع رسائل اسماعيلية، ص ٤٢.

وَأَدَّى الْإِمَانَةَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّهِ، إِلَى أَنْ أَنْتَهَى دَوْرَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَثَبَتْ فِي الدِّينِ قَدَمَ الْقَدَمِ	أَوَّلَ مَنْ بَارَزَ الْمُشْرِكِينَ
وَحَلَّدَتْ فِي نَارِهَا وَالظُّلْمِ	وَعَذَّبَ إِبْلِيسَ مِنْ أَجْلِهِ
كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ كُلَّ الْأُمَّمِ	وَحَقَّقَ عَلَيْهِ عَذَابَ الْإِلَهِ
وَدَانَتْ إِلَيْهِ رُؤُوسَ الْقَمَمِ	وَدَامَتْ شَرِيعَتُهُ أَلْفَ عَامٍ

### الدور الثاني:

يبدأ هذا الدور من طوفان نوح حتى ولادة إبراهيم وقيل ان مدته ٧٤٢ سنة و ٧ أشهر وخمسة عشر يوماً، وقيل تسعمائة واثنان وسبعون سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، وقيل الف عام وأساس هذا الدور هو سام الذي عاش من العمر ٦٠٠ عاماً. ويعتبر ناحور هو الامام المتمم للدور الثاني. ويذكر التاريخ أن نوحاً ولد سنة ١٦٤٢ من لادة آدم، وعندما بلغ من العمر ٦٠٠ عاماً جرى الطوفان الذي ابتدأ في العاشر من شهر رجب سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم، ودام الطوفان ستة أشهر وانتهى في العاشر من شهر محرم سنة ٢٢٤٣.

وهو أول نبي نبأه الله بعد ادريس وأول نذر لأهل الأرض من الشرك، وهو من أولي العزم، وهو أول نبي عذبت أمته بدعوته، وهو أول من قرر المواقيت للصلاة، قال وهب كان عمره الف سنة لأنه بعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث يدعوهم إلى أن مات تسعمائة وخمسين سنة.

وكان قدر ركب معه في السفينة سبعون رجلاً، وتخلّف عنه ولده «يام». أما أولاده سام وحام ويافت فقد ولدوا قبل الطوفان وكانوا من جملة السبعين رجلاً،

ونوح كان قد أوصى بالخلافة لولده سام ويعتبر أساسه.<sup>(١)</sup>  
يقول أحمد حميد الدين الكرمانى<sup>(٢)</sup>: «ثم أعقبه - أي آدم - النور المضيء،  
والفيض الالهي، «نوح» صاحب يوم الاثنين ذو الدرجة العالية الشريفة، والرتبة  
السامية المنيفة. فبسط في العالم يديه، ولم يزل لله ساجداً، وللمشركين والملحدين  
معانداً، إلى أن أقام الأحكام، ووطد النظام، ودامت شريعته الفألاً إلا خمسين عاماً،  
صلى الله عليه وسلّم.

وبدّل أحكام من قد مضى	بشرع جديدٍ وعلمٍ خضم
وكان يعوقاً ونسراً له	عدوّان قد فتكا في الامم
فأنقذه الله من كيدهما	وأغرقهما في بحور الظلم
وجاهد بالمشركين في دينهم	وردّهم عن سجد الصنم

### الدور الثالث:

يبتدىء هذا الدور من ولادة ابراهيم الخليل حتى ظهور موسى ومدته ألف  
ومائة وخمسون عاماً وقيل سبعة أشهر وثمانية أيام. وهو دور ابراهيم وصنوه  
النمرود بن كنعان. واسم ابراهيم سرياني ومعناه بالعربية اب حيم وهو نبي الله  
وخليله وجعله الله من أولي العزم وهو أبو الأنبياء وتاج الاصفياء وأنزل عليه  
عشرين صحيفة.

يقول أحمد حميد الدين الكرمانى: ثم نسخ شريعته «إبراهيم» صاحب يوم

١ . تامر، الدكتور عارف: مراجعات اسماعيلية، ص ٩، دار الأضواء، الطبعة الأولى، بيروت:

١٤١٥/١٩٩٤م.

٢ . تامر، الدكتور عارف: اربع رسائل اسماعيلية، ص ٤٣.

الثلاثاء المتوَجَّح بالبقاء، ثالث النطقاء، فحدَّر وأنذر من عذاب النار، فأمن من آمن، وكفر من كفر، فأرادوا به كيداً، فجعلناهم الأسفلين.

### الدور الرابع:

مدة هذا الدور ألف ومائة وست وثلاثون سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرون يوماً، وأساس هذا الدور هو هارون، وقد توفي بحياة أبيه فصار كفيلاً لأولاده يوشع بن النون الذي أصبح أساساً ثانياً مستودعاً، وأولاده من بعده أئمة استيداع. وناطق هذا الدور هو موسى الذي نسخ شريعة ابراهيم، وتوجه إلى المغرب اقتداءً بأبيه نوح. وانتقل الأمر إلى أساسه المستودع يوشع بن النون. يقول الكرمانى: ثم انبثق النور الرابع، وأشرق وعلا نوره، وكلم العلي الأعلى، وهو «موسى» صاحب يوم الاربعاء، ورابع أهل التقوى، الظاهر ببرهانه على من عانده، وقد كذبه الكافرون، وناصره الظالمون، كالعجل والسامري وقارون.

ولجَّ فرعون في كفره	وقال أنا ربكم في القدم
وأيد موسى بهارونه	ويوشع ينبوع بحر الحكم
وأغرق فرعون مع قومه	ببحر عميق شديد الظلم
هو المرتجى عند يوم الجزاء	كفيل النفوس وباب النعم

### الدور الخامس:

مدة هذا الدور خمسمائة وسبعون سنة وسبعة عشر يوماً وقيل ستمائة سنة، ومثل عيسى ناطق هذا الدور كمثل آدم انتقل النور منه إلى وصيه شمعون الصفاء،

وقد بلغ هذا الدور حد الكمال والتمام فاقضى أن يكون من أربعة عشر إماماً مستقراً يقابلهم سبعة أئمة مستودعين، أي أن كل امام مستودع كان معاصراً لامامين مستقرين، وكان لمتم الدور عمران (أبو طالب) قوة مرتبة الألف. وأن أساس الدور شمعون الصفا أو سمعان بن يونان أو بطرس الراهب هو مربي ناطق الدور عيسى، وكان دعاة الامام المستودع السابع بحيرا الراهب في الجزيرة العربية هم: عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمران.

وقيل ان بحيرا الراهب قد سلم الامام المستقر وراثته الانبياء المستودعين للمقيم أبو طالب عندما جاء إليه من الجزيرة العربية إلى دير بصرى الشام مع النبي محمد (ص). (١)

يقول الكرمانى: ثم ظهر جوهر الأب المتعالي عن صفات البرية، بظهور الأب الأقدس، «المسيح» النفيس، صاحب يوم الخميس، فبورك في القداسة، وقد علم ذلك التأييد الخاطف من تدرّج باليقين، وتقبل الأب تقرب القربان ممن علم منه الايمان، واجتمع الحواريون على شاطئ بحر الظلمات، فصدقوا بالرسالات، وتآزروا بالبرانيس، وضربوا النواقيس ابتهاجاً بظهور روح الله الذكي النفيس.

أقام التلاميذ عوناً له	وأحيا الرميم وأبرا الأصم
وشمعون كان له حجة	به قاوم جمع الأمم
وكان اميناً على سره	والسر يحفظ عند المتم
فمن حوى العلم جاز الصراط	ومن عرف الحق محضاً سلم

ثم ظهر الأمر الالهي! والفيض المحمدي، ذو العلا والرفعة، صاحب يوم



الجمعة «محمد» ينبوع الحكمة، وممثول القلم معضداً بأخيه ولي الأولياء - علي بن أبي طالب، ذو الفضائل والمناقب، محجة العظماء، والشجرة المباركة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء.

وأسرى محمد فوق البراق      وخاطب مولاه باري النسم  
 وكان قريباً إلى ربه      كقوسين أو دون هذا التزم  
 وكان الإله ممدلاً له      وجبريل كان له بدرتم  
 هو المرتجى عند يوم الحساب      وفيه تشيب رؤوس اللمم  
 [أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يُشركون]. [وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ  
 وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا].

واستقر الوقت لصاحب يوم «السبت» القائم في الأرض مقام العقل في عالمه، محط رحال حملة النور، في سالف الدهور، ومقصد الراحة، وعنده تكون الاستراحة، ذو الكلمة المصونة، والجوهرة المكنونة، التي انارت الكواكب، فمن انوارها انتشرت، وغارت في البحار.

سيأتي إلى الناس في حقبة      يَبْلُغُ فِيهَا مَعَانِي الْحُكْمِ  
 وعنه غداً تظهر المعجزاتُ      وَيُظْهِرُ مِنْ أَمْرِهِ مَا كُتِمَ  
 وتملا له الأرض عدلاً كما      مُلِئْتُ مِنْ قَبْلِ جَوْرًا وَظُلْمِ  
 وعماً قريب يزول العناء      وَيَكْمُلُ دِينَاً بِهِ قَدْ خُتِمَ  
 وينجز وعد الإله القدير      بَدِيعِ السَّمَاءِ وَبَارِي النَّسَمِ  
 وصلوا على أحمد المصطفى      وَآلِ عَلِيٍّ هِدَاةُ الْأُمَمِ (١)

١ . تامر، عارف (تحقيق): أربع رسائل اسماعيلية، ص ٤٥، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٧٨م.

## أخبار الأئمة الإسماعيليين الاطهار

### الامامة من الوجهة الاسماعيلية

الإسماعيليون كما هو واضح ساهموا مساهمة فعالة في التعبير عن الإمامة، فكتب دعواتهم وفلاسفتهم وعلماءهم البحوث الطويلة واعتمدوا الأحاديث والنصوص الكثيرة التي تؤيد حق علي في الإمامة، غير أنهم سلكوا طريقاً آخر فأدخلوا الفلسفة في الموضوع، لذلك جاءت نظرياتهم الفلسفية جديدة على المجتمع الإسلامي الفكري بالنسبة لمن سبقهم من علماء الشيعة، كما أن شعراء الدعوة الإسماعيلية نظموا قصائد شرحوا فيها عقيدتهم في الإمامة، وها هو أحد دعواتهم الكبار المؤيد في الدين داعي الدعوة يقول:

وهم أولوا الأمر أئمة الهدى      عصمة من لاذ بهم من الردئ  
مفروضة طاعتهم على الأمم      قاطبة من عرب ومن عجم  
إقرأ وأطيعوا الله والرسولا      ثم أولي الأمر بهم موصولا  
ثلاث طاعات غدت معلومة      في آية واحدة منظومة

ومن الذين عالجوا قضية الإمامة على ضوء العقائد الإسماعيلية القاضي النعمان بن محمد<sup>(١)</sup> في كتابه (التوحيد والإمامة) و (الهمة في آداب اتباع الأئمة) وللفيلسوف الإسماعيلي الكبير أحمد حميد الكرمانلي في الموضوع ذاته كتاب

١. النيسابوري، أحمد بن ابراهيم: اثبات الامامة، (مقدمة التحقيق للدكتور مصطفى غالب)، ص ١٣، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

(المصاييح) ورسالة (مباشم البشارات) و(الرسالة الواعظة). وكتب الداعي أبو الفوارس بن يعقوب رسالة في الإمامة، كما ألف أبو يعقوب السجستاني كتاب (خزائن الأدلة) ويطول بنا الحديث لو أحصينا كل ما تركه الدعاة الإسماعيليون من كتب وقصائد وأبحاث ورسائل في إثبات إمامة المسلمين لأهل بيت رسول الله (ص).<sup>(١)</sup>

يقول أحمد بن ابراهيم النيسابوري، إن الفلاسفة جعلوا السياسة على ثلاثة أقسام: سياسة الخاصة، وسياسة الحامة، وسياسة العامة، فقالوا إن سياسة الخاصة هي سياسة الرجل لنفسه، وسياسة الحامة هي سياسة الرجل لأهل بيته وعياله، وسياسة العامة هي سياسته للمدن والأكوار وقالوا إن سياسة الرجل لنفسه ينبغي أن تكون بحيث يمنعها عن جميع الرذائل والموبقات ويجنبها الأخلاق السيئة والعادات البهيمية، ويبعدها عن الشهوات المذمومة، يسوسها سياسة الرجل الحازم العاقل المدرك، قيهاً قيهاً، إذا ساءت بالذم والندامة، ويثيبها إذا أحسنت بالمدح والسرور والحرص على مثلها العليا، وأخلاقها الفاضلة، وقالوا إن سياسة الحامة: هي أن يسوس الرجل أهل بيته وعياله، في حفظ صلاحهم، وحملهم على التخلق بالفضائل والأخلاق الرضية، ويعاقب من يسيء منهم بالذم وغيره، ويثيب من أحسن منهم بالمدح وغيره، وسياسة العامة: هي سياسة المدن، يسوس الرجل المدن في حفظ صلاح معاش أهلها، ويمنعهم من التخلق بالأخلاق الذميمة والقيام بالأفعال الردية، ويحفظ لكل واحد منهم منزلته، فيعاقب المسيء منهم بالذم، ويثيب المحسن منهم بالمدح، ويسوس أمور دينهم ومعادهم، وهذا الذي وضعوا عليه اسم السياسة، ولا يوجد في العالم، ولا بين المدعين الإمامة، ولا بين

السلطين والملوك ولا في علمائهم من تتوفر فيهم كل هذه الصفات، لأنها لا تجتمع إلا في الأئمة من آل محمد، وليس في العالم من عمل لا يجادها فيهم دونهم؛ والفلاسفة مجمعون على أن من لا يقوم بسياسة نفسه، لا تكون له السياسة على حامته، ومن لا يحسن سياسة الحامة، لا يستطيع أن يوفق في سياسة العامة، لا يستطيع أن يوفق في سياسة العامة، بوجه من الوجوه، وباعتقادي أن أئمة أهل الظاهر، وملوكهم وسلطينهم، وعلمائهم خالون من هذه الصفات مجتمعة.<sup>(١)</sup>

ونقول: إن الفضائل التي ذكرها الله تعالى، وفضل بها الناس بعضهم على بعض في ثلاثة أشياء: في العلم، والجهاد والتقوى، لقوله تعالى «فَضَّلَ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»، «دَرَجَاتٍ مِنْهُ» وقوله «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» وقوله تعالى «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» ولا يمكن لأحد أن يقول أن أبا بكر كان أعلم الناس، وهو لم يكن يعلم من القرآن إلا ثلاثة عشر سورة، وإذا كان لا يعرف القرآن، فكيف كان يعرف تأويله ومعانيه وأحكامه، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه؟ وهل يقدر أحد أن يروي لنا عنه حكمة وعلمًا، أو أحكاماً في حادثة، حتى ولا عن عمر، ولا عن غيره، ومن يدعي ذلك فليأتنا به؛ وأما الجهاد، فالخاص والعام يعرفون أنهم لم يجاهدوا يوماً من الأيام بأيديهم؛ وحروب أمير المؤمنين مشهورة معروفة، ولو لم يكن لهم من المثالب في الجهاد إلا فرارهم يوم (حنين) يوم أمر النبي ووصيه المحافظة على الجبل، لكفى، بينما النبي وأمير المؤمنين يحاربان ويقتلان من العدو حتى أهزموه. وأما التقوى التي يدعونها فأين هي؟ وقد اغتصبوا حق أمير المؤمنين، وحق أهل البيت، وإذا قالوا إنه لم يكن لهم علم بذلك، فليس هم إذاً بأتقياء، لأن التقوى لا تكون لأحد

بلاعلم، ليعرف به ما يكون له وعليه؛ ويحكي عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، انه سئل من بعض المحتسبين أن يصنف كتاباً في الزهد فنصف كتاباً سماه كتاب (اليوع) فقيل له: ما معنى هذا الاسم فقال: من لا يحسن الفقه والبيع والشراء، كيف يأكل الحلال؟ ومن لا يأكل الحلال لا زهد له، فإذا صح هذا القول، وما ذكرناه من الآيات كانت الإمامة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب لأنه كان الأسبق في الفضائل، وكان أعلمهم وأتقاهم وأكثرهم جهاداً؛ ونقول: إن هؤلاء لم يدعوا الفضل، ولا العلم، ولا التقوى لأنفسهم، كما يدعيه لهم أصحابهم، وذلك أن أبابكر عندما صعد المنبر لأول مرة قال: وليتكم ولست بخيركم، فإذا كان صادقاً فيما يقول فالمدعون له كاذبون، وإذا كان لا سمح الله هو كاذباً، فالكاذب لا يكون إماماً، فإذا قالوا كان ذلك للتواضع، قلنا إن للتواضع موضعاً فإن النبي (ص) كان يذكر نفسه بما خصه الله تعالى به من المنزلة والمرتبة، ولم يذم نفسه يوماً ولم يدخل ذلك في التكبر، بل كان يقول مفتخراً: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أفصح العرب ولا فخر؟ وكان أمير المؤمنين علي يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، لو تبيت لي وسادة وجلست عليها لحكمت لأهل التوراة بالتوراة، ولأهل الانجيل بالانجيل، ولأهل الفرقان بالفرقان. وأمثال ذلك كثير، ولم يدخل هذا القول في التكبر ولا تركه للتواضع؛ وفي قول أبي بكر: (وليتموني ولست بخيركم) دليل على أنه لم يقدمه الله عز وجل، ولا رسوله، ولا أشار إليه في أمر الصلاة، ولا إلى غير ذلك مما يدعون ويتقولون. ثم قيل إن أبا بكر قال: (إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أحسنت فأطيعوني، وإن أسأت فقوموني). وبهذا قد شهد على نفسه بالجنون، لأن من يعتريه الشيطان فهو مجنون، وقد ذكر أنه يأتي بالكبائر، فيجب عليهم أن يمنعوه ويقوموه، والمجنون الذي يعتريه الشيطان، لا يجوز أن يكون إماماً

بالاتفاق، لأنه قد يأمر المأمومين بما يوحيه اليه الشيطان، وقد أقر كذلك على نفسه بأنه قد يسيء، والإساءة هي المعصية، ويدخل فيها الارتداد، والزنى، والقتل، وكل شيء من هذا القبيل ولربما يأمره الشيطان بكل ذلك ويحسنه في عينه، كما قال الله تعالى «الشيطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ» وقد أخبر عن نفسه بأن كل ذلك متوقع عنه، لقوله: فقوّموني، فالتقويم، إنما يحتاج إليه في العظائم والكبائر، لأن الصغائر قد تسقط بالاستغفار، وأخبر أيضاً عن نفسه بأن ترفع عن الخلق طاعته، وليس له عليهم طاعة عند ظهور الإساءة عنه، وبذلك شهد على نفسه أنه قرين الشيطان، كما قال سبحانه وتعالى «وَمَنْ يَعْتَسِفْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا»....

وأما عمر: فإنه لما صعد المنبر بعد أبي بكر فقال: بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وبذلك بين بطلان ما ادعاه أهل الظاهر بأن إمامة أبي بكر للصلاة، وأن البيعة أوجبت الإمامة أو كانت إشارة إليه بالإمامة، وبطلاناً لكل ما يدعون وينقلون من الروايات والأخبار<sup>(١)</sup>.

في أن الإمامة بعد النبي (ص) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من دون غيره.

### **البرهان الأول:** لما كانت الصنائع كثيرة، وكانت كلها على تفاوتها واختلافها

تنقسم إلى علم وعمل، مثل الطب الذي ينقسم إلى العلم بطبائع الأدوية وعلل الأمراض، وإلى العمل الذي هو المعالجة. ومثل النجوم التي تنقسم إلى العلم بهيئة الفلك ونجومه، وطبائع الكواكب ومسيرها وتأثيراتها، وإلى العمل الذي هو التسيير والحكم، ومثل السياسة التي تنقسم إلى العلم بتدبير أمور الممالك وحفظها، وكيفية جباية الأموال وجمعها وحفظ نظام الأمور، وإلى العمل الذي هو التوقيع، والضرب، والحبس، والقتل، والإطلاق، والإحسان.

وكان العلم والعمل كالآلة، وكان من لا آلة له في صنعة من عمل وعلم بها مستحيل صحتها منه، وكان في أوائل العقول أن من كانت آتته في صنعته أتم، فهو بتلك الصنعة أولى من غيره، مثل الرجال الذي تكون معرفته الطب وعمله به أكثر من غيره، فيكون هو أولى بالطب من غيره، وكانت أحكام الإسلام من الصنائع النبوية كغيرها وتنقسم إلى العلم بكيفية الفرائض والحلال والحرام، والحدود والأحكام، والتنزيل والتأويل، وإلى العمل الذي هو الطهارة والصلاة، والزكاة والصوم، والحج والجهاد، والضرب بالسيف، وما يجري مجراه، وكان العلم والعمل لعلي بن أبي طالب عليه السلام أكثر مما كان لمن كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة، كان من ذلك الحكم بأنه بالحكم أولى، وبالإمامة أحرى. إذاً الإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

**البرهان الثاني:** لما أخبر الله تعالى عن الحق أن يتبع، بقوله تعالى: «أفمن

يهدى إلى الحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون». وكان الصحابة بعد نبينهم (ص) محتاجون إلى هداية علي بن أبي طالب عليه السلام إياهم في فصل الأحكام التي التبست عليهم وجوهها، كان علي بن أبي طالب عليه السلام بقول الله تعالى بالإمامة أحق، وإذا كان أحق فهو الإمام، إذاً الإمامة لعلي بن علي عليه السلام.

**البرهان الثالث:** لما قال الله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» وكان علي بن أبي طالب المعطي للزكاة في حال ركوعه، وكان الولي في اللغة هو القيم بأمر من هو وليه، والموالي لم يواليه وينصره جميعاً، وبطل أن المراد به الموالاة، لاستحالة ورود الآية على ما هي عليه من صيغة الحصر والقطع بأن يكون للأمة ولي غير الله ورسوله وعلي في معنى الموالاة. مع قول الله تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» ثبت أنه نص من الله تعالى على علي (ع.م) بأنه القيم بأمر الأمة.

**البرهان الرابع:** لما قال الله تعالى: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وكان ذلك ولاية ولاها الله إياه من المؤمنين بأن يأمرهم وينهاهم، وأخذ النبي (ص) من المؤمنين بغدير خم إقرارهم حين قال: (ألست أولى بكم من أنفسكم) بجوابهم له بلئى ثلاثاً. ووصل كلامه عقب أخذ هذا الإقرار منهم بقوله: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه) وكان معنى ذلك راجعاً إلى ما أخذ قرارهم به مما ولاه الله إياه منهم من الأمر والنهي فيهم، وطاعتهم له من دون ما توجه اللغة من المعاني الأخر التي تتضمن هذه اللفظة التي توجب أن يكون معناها، فمن كنت معتقه أو ابن عمه، أو أعاقبه أو جاره، لاستحالة جميع هذه المعاني في قوله مع ما أردفه فيه من قوله:



(فعلي مولاه).

والذي وجب أن يكون معناه: فمن كنت معتقه أو ابن عمه، كان من ذلك العلم بأن قوله فعلي مولاه بعد ما تقدم من أخذه إقرارهم بأنه مولاهم مع قوله: فمن كنت مولاه. نص على علي بن أبي طالب (ع م) بأنه ولي المؤمنين والقائم بأمر دينهم، والآمر والناهي فيهم، إذ قد أجراه مجرى نفسه فيما كان له من الولاية على المؤمنين، وإنما أردف قوله: فعلي مولاه، من قوله و دعائه (اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) تأكيداً لأمره إذ لو لم يكن قد جعل أمر الدين موكولاً إليه، ولا كان معصوماً لا يزل، ولا يخطيء فيما اعتمد فيه عليه، حتى يكون يخالفه ولا ينصره ويخذله، ولا يتبع أمره عاصياً مستحقاً لما دعي عليه من الخذلان.

وعداوة الله تعالى له، لكان مع جواز التوهم فيه ما يستحق به معاداته، ويستوجب لأجله خذلانه من المناكير مثل هذا الدعاء من النبي (ص) له محالاً، لكونه ظلماً لمن يخذله ويعاديه، لارتكابه ما كان جائزاً التوهم فيه لو فعل، ولكان لا يدعو له بمثل ذلك كما لم يكن أحد من الصحابة يتعلق به من أمر الدين شيء، ولم لم يكن معصوماً لم يدع له بمثل هذا التعليل.

ولما كان هذا الدعاء بمثل ذلك لا يجب إلا لمن يكون معصوماً، موكولاً إليه أمر الدين بعده، حتى يستحق من عصاه ما دعا به عليه النبي (ص)، كان الدعاء له وعلى من خذله حرجاً على الأمة في النكوس عن طاعته، وتضييقاً عليها للقعود عن التزام إمامته، وتأكيداً للنص عليه بالإمامة بعده، بقوله (ص): (فعلي مولاه). إذاً علي بن أبي طالب عليه السلام، المنصوص عليه في الإمامة هو الإمام.

**البرهان الخاص:** لما قال الله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وكان قول النبي (ص) بهذه الآية قائماً مقام قول الله تعالى، وقال النبي (ص): (علي مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، وكان لهارون من موسى عليه السلام معان تجمعهما، منها كونه من أبيه وأمه، ومنها شركته معه في النبوة، ومنها خلافته عنه في قومه عند غيبته، ولم يكن لعلي (ع.م) من هذه المعاني لا كونه من أم محمد ولا من أبيه، ولا شركته معه في النبوة، كان قول محمد (علي مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، نسب قوله علي مني كهارون من موسى إليه غير الخلافة.

ولما كان من المعاني وجب بطلان ما بطل منه من المعاني في علي (ع.م) كقوله: علي مني في الخلافة كهارون من موسى، إذ لم يبق من المعاني التي توجب إلا الخلافة، وكان قول النبي (ص) إنه لا نبي من بعده عقب قوله علي مني كهارون من موسى، كان من ذلك العلم بأن نفي النبوة بعده هو الدلالة على الوقت الذي فيه تكون خلافته التي أوجبها له، بقوله علي مني كهارون من موسى، إذ لم يكن وقت خلافة علي عليه السلام بعده لما عقب قوله: علي مني كهارون من موسى بنفي النبوة بعده، فقال: إلا أنه لا نبي بعدي. ولترك القول على جملته حتى كان محمولاً على أن خلافته عنه كان في حياته كما كانت خلافة هارون من موسى في حياته، فلما عقب قوله بقوله بعدي في نفي النبوة كان قوله ذلك نصاً منه (ص) على وقت خلافته وخلافة غيره من الأئمة عليهم السلام، فلو لم يكن ذلك كذلك، فإن الفرض في قوله ذلك النص على وقت الخلافة كما نص له عليها بقوله: علي مني كهارون من موسى، لكان النبي (ص) مع الموجود في نص الكتاب بأنه رسول الله وخاتم

النبيين مستغنياً عن تكلف نفي النبوة بعده، ولكن معلوماً أن النبوة بمحمد (ص) مختومة بنص الآية، وأنه لا يكون نبياً بعده إلى يوم القيامة، لا علي ولا غيره. وإذا كان ذلك كذلك، كان منه الإيجاب أن نفي النبي (ص) النبوة بعده هو إثبات الخلافة له بعده. إذاً علي بن أبي طالب عليه السلام، المنصوص عليه بالإمامة، وهو الإمام.

**البرهان السادس:** لما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله نصاً على الحسن والحسين عليهما السلام بالإمامة: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما» وكان قوله (ص) وأبوهما خير منهما عقب إشارته بالإمامة إليهما كان ذلك العلم بأن المراد بقوله: خير منهما، أن علي بن أبي طالب عليه السلام خير منهما فيما جعله صفة للحسن والحسين عليهما السلام، وهو الإمامة بقوله: إمامان. إذاً علي بن أبي طالب المنصوص عليه بالإمامة، وهو الإمام.<sup>(١)</sup>

١ . حميد الدين الكرمانى، أحمد: المصاييح في إثبات الإمامة، ص ٨٣ - ٨٨، تحقيق: مصطفى غالب، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

## النزارية والمستعلية

ذكرنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة - الشيعة في مصر - أن الحركة الإسماعيلية كانت في بدء دعوتها تدعو إلى إمامة إسماعيل<sup>(١)</sup> بن الامام جعفر الصادق عليه السلام، وبعد أن أعلنت وفاة إسماعيل رسمياً؛ ساق أتباعه الإمامة في ولده محمد<sup>(٢)</sup> بن إسماعيل الذي كان منتقلاً في فارس والعراق وبلاد الشام،

١. وفي إرشاد الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن النعمان «وكان إسماعيل أكبر الأخوة وكان أبو عبدالله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه. وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له، من بعده إذ كان أكبر إخوته سناً وتعويل أبيه إليه وإكرامه له فمات في حياة أبيه عليه السلام بالمرض وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع». وروي أن أبا عبدالله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً وحزن عليه حزناً عظيماً وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافة له من بعده وإزالة الشبهة عنه في حياته<sup>(\*)</sup>.

٢. قال الحسيني قال ابن خلدون في كتابه: كان موسى عليه السلام يخاف ابن أخيه محمد بن إسماعيل ويبره، وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس<sup>(\*\*)</sup>. وقال العلامة الفخر الرازي: أما محمد وكنيته أبو الحسن فكان مع عمه موسى بن جعفر يكتب له كتب السر إلى شيعته في الآفاق.

فلما ورد الرشيد الحجاز سعي محمد بعمه إلى الرشيد فقال: أما علمت أن في الأرض خليفتين يجيء إليهما الخراج، فقال الرشيد: ومن هذا؟ قال: موسى بن جعفر، وأظهر أسرارهم فقبض عليه وحبسه، وكان سبب هلاكه، وحظى محمد بن إسماعيل عنده، وخرج معه إلى العراق ومات ببغداد، ودعا عليه موسى بن جعفر<sup>(\*\*\*)</sup> عليهما السلام.

\* - ظاهر، سليمان: الشيعة والإسماعيلية، ص ٦٢، تحقيق: موسى حسين صفوان، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة

ثم ساقوها بعده في الأئمة المستورين من عقبه (ولده). وهم

١- عبدالله بن محمد

٢- أحمد بن عبدالله

٣- الحسين بن أحمد

في هذا العهد انفصلت القرامطة عن الدعوة الفاطمية.

١- عبدالله بن الحسين المهدي بالله توفي سنة ٣٢٢ هـ

٢- محمد بن عبدالله - القائم بامر الله توفي سنة ٣٣٤ هـ

٣- اسماعيل المنصور بالله توفي سنة ٣٤١ هـ

٤- المعز لدين الله توفي سنة ٣٦٥ هـ

٥- نزار العزيز بالله توفي سنة ٣٨٦ هـ

٦- الحسين الحاكم بامر الله توفي سنة ٤١١ هـ

٧- علي بن الظاهر لاعزاز دين الله توفي سنة ٤٢٧ هـ

٨- معد المستنصر بالله توفي سنة ٤٨٧ هـ

٩- أحمد المستعلي بالله توفي سنة ٤٩٥ هـ

الفرقة النزارية أسندت الامامة إلى أخيه نزار وهم المعروفون بالفرقة

→

الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

\*\*\* محمد العلوي العمري النسابة، علي ابن: المجدي في أنساب الطالبين، ص ١٠٠، تحقيق: أحمد الدامغاني، مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

\*\*\* - الرازي، فخرالدين: الشجرة المباركة في أنساب الطالبيين، ص ١٠١، تحقيق السيد مهدي الرجائي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

النزارية الاسماعيلية<sup>(١)</sup>

وبعد إعلان وفاة المستنصر بالله وقع الخلاف بين ابنه نزار والمستعلي الذي تمكن من وضع يده على مقاليد الخلافة والإمامة بمساعدة خاله الأفضل الجمالي، وكان قائد جيش الدولة الفاطمية. وبذلك انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين.

- الفرقة المستعلية: وقد استمرّ أئمة هذه الفرقة في إدارة شؤون الخلافة في الديار المصرية. وبعد وفاة المستعلي حكم الأمر ثم الطيب بن الأمر (ويدعي أتباعه أنه دخل كهف الغيبة والستر). وفي خلال هذه الفترة استلم الحكم أربعة وكلاء (بعد غيبة الطيب) شؤون خلافة مصر وهم: الحافظ والظافر والفائز والعاقد. وفي زمن خلافة هذا الأخير استولى صلاح الدين الأيوبي على زمام الملك وتفرّق شمل الدولة والدعوة الإسماعيلية بفرقتيها المستعلية والنزارية. ومنذ ذلك الحين عُرفت فرقة المستعلية بالبهرة، والتي انقسمت بدورها إلى فرقتين: البهرة السليمانية والبهرة الداودية.

- أما الفرقة النزارية فقد انتقل أتباعها إلى فارس حيث جعلوا عاصمة دولتهم في قلعة «الموت» وانضم إليهم الإسماعيليون الذين كانوا مقيمين في بلاد الشام وفارس والهند والسند. وقد تسلسل من هذه الفرقة أئمة كثيرون إلى أن انقسمت في عهد إمامة شمس الدين محمد إلى فرقتين أيضاً:

- الأولى: نادت بإمامة ولد شمس الدين الأكبر قاسم شاه تنفيذاً للنص الإمامي الصحيح، ثم ساقّت الإمامة بعده في ولده إلى الإمام الحالي كريم شاه الحسيني المعروف بـ «آغاخان الرابع» وسميت هذه الفرقة بـ «الآغاخانية».

١ ..... : الاسماعيلية.. من هم؟ وأين هم؟ ص ٤٢، مجلة الموسم، العددان ٤٣ - ٤٤، هولندا،

- الثانية: ساقَت الإمامة في مؤمن شاه الابن الأصغر لشمس الدين محمد، وأصبح له أتباع في بلاد الشام، ثم انقرضت الفرقة هذه بانقراض ائمتها سنة ٩٥٠ هـ بعد وفاة طاهر شاه الثالث المعروف بـ «الدكني»<sup>(١)</sup>.

وثمة من يقول من النزاريين إن الحسن بن الصباح كان في مصر حين وقوع الخلاف على ولاية العهد فلم يقر ماجري، وكان ممن يرون أن المستنصر كان مكرهاً على تولية ولده أحمد وأن الأمر هو لنزار لا لأحمد، ففر الحسن بن الصباح من مصر داعياً إلى نزار، ثم أرسل بعض فدائييه فأحضرُوا ابناً لنزار إلى قلعة الموت.

وفي قول آخر إنه لم يخرج من مصر حتى أخرج معه ابناً لنزار واسمه في سلسلة الائمة النزاريين علي ولقبه الهادي. فأخفاه الحسن وستره. ومهما يكن من أمر فقد أصبح الحسن بن الصباح الرجل الأول والموجه الفعلي للدعوة النزارية.

وكان المقصود من القول بخروج نزار أو أحد أولاده من مصر والتجائه مع الحسن بن الصباح إلى قلعة الموت - كان المقصود من ذلك - إظهار أن سلسلة الإمامة لم تنقطع وظلت مستمرة من نزار إلى خلفائه بعده في الموت.

ويعدد هم النزاريون بهذا التسلسل:

- ١- نزار بن المستنصر توفي سنة ٤٩٠ هـ.
- ٢- علي بن نزار (الهادي) توفي سنة ٥٣٠ هـ.
- ٣- محمد بن علي (المهتدي) توفي سنة ٥٥٢ هـ.
- ٤- حسن بن محمد بن علي (القاهر) توفي سنة ٥٥٧ هـ.

١. عكاوي، الدكتور رحاب: الحشاشون حُكَّام الموت... نشأتهم وتاريخهم، ص ٨٨.

على أن التاريخ لا يسجل أي نشاط لأولاد نزار هؤلاء، بل، إن التاريخ النزاری نفسه يكتفي بسرد أسمائهم دون الإشارة إلى أي ظهور لهم، مما يدعو إلى التساؤل، بل إلى الشك والريب والإنكار.

### الإنحراف الخطير عن الإسلام

توفي الحسن بن الصباح سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤م) فخلفه من خلفه في قيادة الدعوة النزارية دون أن يعلن أحد من خلفائه عن عقيدة جديدة، حتى انتهى الأمر إلى الحسن الثاني بن محمد بن بزرك أميد سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٤م) فإذا به يعلن التخلي عن الإسلام كعقيدة وعمل، والأخذ بمفهوم جديد للدين يتعارض كل التعارض مع مفهوم الإسلام له. معلناً: أن القيامة نوعان قيامة جسدية: وهي تكون في العالم الآخر. وقيامة روحانية وقد أعلنها على أتباعه. فكان ما كان من الإباحة على أساس أن لا محرّمات بعد اليوم، وإستناداً إلى القول: (لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع).

ويصف المؤرخ علاء الدين عطاء الملك الجويني المتوفي سنة ٦٥٨ هـ (١٢٥٩م) إعلان حسن بن محمد عن حلول القيامة الروحية وما جرى ذلك اليوم على الصورة التالية:

«في اليوم السابع عشر من رمضان في عام ٥٥٩ هـ (١١٦٤م) أمر حسن باقامة منبر في ساحة الموت متوجهاً نحو الغرب. مع أربع رايات كبار ذات أربعة ألوان أبيض وأحمر وأصفر وأخضر على زواياها الأربعة وجمع الناس الذين سبق استدعاؤهم إلى (الموت) من مختلف الأقطار في الساحة ورتب الذين من المشرق على الجانب الأيمن والذين من المغرب على الجانب الأيسر والذين من الشمال من (رودبار) و(الديلم) في المقدمة مواجهين للمنبر.



ونزل حسن عند الظهر من القلعة وعليه رداء أبيض وعمامة بيضاء واقترب من المنبر من الجانب الأيمن وارتقاه بأكمل خلق وتفوه بالسلام ثلاث مرات، أولاً للديالمة ثم للذين على اليمين وبعد ذلك للذين على الشمال، وجلس هنيهة، ونهض بعدها واتكأ على سيفه وتكلم بصوت عال موجهاً خطابه لسكان الأكوان من جن وإنس وملائكة، فأعلن أن رسالة قد جاءته من الإمام المستتر مع دليل جديد.

ثم قال: «إن إمام وقتنا قد بعث إليكم صلواته ورحمته ودعاكم عباده المختارين، ولقد أعفاكم من أعباء تكاليف الشريعة وآل بكم إلى البعث». ثم يقول الجويني:

«وأكد حسن بالتصريح بأنه كما في عصر الشريعة إذا لم يطع إنسان ولم يعبد بل تبع حكم القيامة بحجة أن الطاعة والعبادة هما أمران روحيان كان ينكل به ويرجم ويقتل، كذلك الآن في عصر القيامة إذا تقيد إنسان بحرفية الشريعة وواظب على العبادة الجسدية والشعائر فإن ذلك تعصب ينكل به ويرجم ويقتل من أجله». ثم أكمل حسن كلامه قائلاً: «لقد أعفى الناس من تكاليف الشريعة لأن عليهم في فترة القيامة هذه أن يتوجهوا بكل جوارحهم نحو الله ويهجرُوا كل الشعائر الدينية وجميع العبادات القائمة. فقد وضع في الشريعة بأن على الناس عبادة الله خمس مرات في اليوم وأن يكونوا معه. وهذا التكليف كان ظاهرياً فقط. ولكن الآن في أيام القيامة عليهم أن يكونوا دائماً مع الله في قلوبهم وأن يبقوا نفوسهم متوجهة دائماً نحو الحضرة الإلهية فإنها الصلاة الحقيقية».

وبالرغم مما رأينا في كلام حسن من التهديد والوعيد، والإنذار حتى بالرجم والقتل. فقد قوبل كلامه هذا بنقمة من الجموع الإسماعيلية الحاضرة، وكان

في أول الناقلين أخو زوجته. على أنه من الطبيعي أن نجد إلى جانب ذلك من يرحب بطرح التكاليف وأن يلقي حسن المذكور من يماشيه في انحرافه، ويصف الجويني ما فعله هؤلاء تعبيراً عن انقيادهم لحسن بقوله: «... وفي ذلك اليوم الذي اقترفت فيه هذه القبائح وأفشيت فيه تلك المساوىء في مأمون آباد عش الكفر لعب الجميع على الجنك والرباب وشربوا الخمر بشكل مكشوف على نفس درجات ذلك المنبر وفي مكان جلوس الخطيب».

ولكن هذه المظاهر الذي يبدو جلياً أن حسناً نفسه كان قد دبرها ليصور الناس بصورة الراضين عن فعلته، وليبرز بشكل المؤيد شعبياً، كانت طلاء مكشوفاً لحقيقة شعور الإسماعيليين المؤمنين وفي طليعتهم شقيق زوجة حسن، فصموا على التخلص من المنحرف وتعهد بذلك شقيق الزوجة، وقرروا التنفيذ بعد فشل جهودهم لوقف الإنحراف.

ففي يوم الأحد السادس من ربيع الأول سنة ٥٦١ هـ (١١٦٦م) قام شقيق الزوجة (بطعن المضل في قلعة (المسر) وهكذا مضى من هذه الدنيا إلى نار الله الموقدة...) على حد تعبير المؤرخ الجويني.

وكان الحسن الثاني بعد عام واحد من تاريخ إعلان ما أعلنه قد أدخل تطوراً آخر على الدعوة، فبعد أن كان هو ومن سبقه يقولون بأنهم يحكمون باسم الإمام المستور، أعلن هو في السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ بأنه هو الإمام من نسل نزار بن المستنصر.

### بين الإنحراف والإستقامة

ولكن الإنحراف لم ينته باغتيال أصله، بل بقي مستمراً على عهد خليفته ابنه (علا محمد) الذي تولى بعد أبيه وهو في التاسعة عشرة من عمره وتوفي سنة

٦٠٧هـ - (١٢١٠م). كما كانت المعارضة الشديدة مستمرة، وإذا كان قد تزعمها في عهد حسن، شقيق زوجته، فقد تزعمها الآن حفيده وسميه جلال الدين حسن إذ كان على خلاف أبيه وجده في العقيدة متشدداً في خلافه لهما كل التشدد. وكان متفقاً مع المعارضة بأنه بمجرد وصوله إلى الحكم سيزيل الإنحراف ويعود بالحكم إلى القواعد الإسلامية، وهكذا كان، فما أن ولي بعد أبيه سنة ٦٠٧ حتى أعلن إلغاء كل ما قرره سلفاه وعنف الاخذين بمنهجهما ومنعهم بكل صرامة من الإستمرار على ذلك المنهج، وألزمهم الأخذ بأحكام الإسلام أخذاً كاملاً. ويصف الجويني في كتابه (جهان گشاي) ماجرى قائلاً:

أمر جلال الدين بأن تحرق هذه الكتب بحضور القزوينيين وحسب رغبتهم، وتلفظ بلعن لآبائه وأسلافه وطعن فيهم. ولقد رأيت كتاباً بيد أعيان وقضاة قزوين كان قد أملي من جلال الدين (حسن) تكلم فيه عن إلتزامه بالإسلام وقبوله شعائر الشريعة والتبرؤ من الإلحاد ومذهب أجداده وأسلافه. وكتب «جلال الدين» بضع كلمات بخط يده في صدر الكتاب فذكر تبرأه من مذهبهم وذلك بأن أضاف اللعنة: (ملاً الله قبورهم ناراً). (انتهى)

ولم يكتف بذلك بل اتصل بحكام الأقطار الإسلامية يعلنهم العودة إلى الإسلام ليوثق الصلاة بهم وبجمهور المسلمين بعد الذي شاع عن انحراف جده وما أعلنه من خروج على الشريعة، فراسل الخليفة في بغداد الناصر لدين الله، وخوارزم شاه، وغيرهما من الملوك والأمراء، كما أرسل والدته وزوجته إلى الحج وأمر ببناء المساجد، وقرب إليه الفقهاء والقراء.

ومن البديهي أن لا يكون جلال الدين حسن قد استطاع استئصال جذور الإنحراف، وأن يظل له أتباعه الآخذون به شأن جميع الدعوات في كل زمان

ومكان، مهما عمل العاملون على محاربتها واضطهاد أتباعها. على أن أمر دولة هؤلاء النزاريين لم يطل كثيراً بعد جلال الدين، فقد توفي جلال الدين سنة ٦١٨ هـ (١٢٢٥ م). وتولى بعده ابنه علاء الدين محمد الذي توفي سنة ٦٥٣ هـ (١٢٦٠ م) فتلاه ابنه ركن الدين خورشاه وهو الذي انتهى به ملك النزاريين بعد أن قتله هولاء سنة ٦٥٤ هـ (١٢٦١ م). على أن الدولة إذا كانت قد انتهت فإن من أخذوا بأقوال الحسن الثاني بن محمد وانحرفه لم ينتهوا، بل ظل للدعوة من يحملها من جيل إلى جيل حتى هذا الجيل وهم اليوم أتباع آغاخان، وظلوا هم وحدهم منفردين باسم «الإسماعيليين» بعد أن تبرأ من هذا الاسم من ورثوا أصحابه الحقيقيين وتسموا باسم «البهرة» كما مر. (١)

١. الأمين، حسن: حقائق تاريخية عن الإسماعيليين، ص ٢٧١، ص ٢٧٢، ص ٣٧٣، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد التاسع عشر، دمشق، ١٤٠٨ هـ.

### لمحة عن سمات البهرة ونشاطها:

من مبادئ الجماعة التعليمية التي توارثوها عن الائمة الأطهار، جيلا بعد جيل: أن العلم تربية والتربية علم، وكلاهما معا على صلة وثيقة بالوجود والحياة للكائن البشري. فكل فرد من أبناء البهرة، ذكرا كان أو أنثى، يتلقى منذ نعومة أظفاره التربية الروحية والتعليم الديني على أيدي المرين والمعلمين، وذلك بالقدر الذي يتناسب مع سنه ومقدرته. وكذلك ينمو ويتدرج كل فرد منهم بالعلم والحكمة والنعمة درجة فدرجة، إلى أن يبلغ حد النضوج والكمال.

ومن ناحية أخرى، ان من التوجيه الاجتماعي للطائفة عدم التدخل في شؤون الآخرين، وكل اهتمام ذوي المسؤولية في الجماعة منصرف إلى تنظيم أمور الجماعة وترقية أبنائها دينياً وعلمياً ومادياً، حتى يكونوا جميعاً أعضاء صالحين في المجتمع الذي فيه يتواجدون أو يعيشون.

وقد روى عن الامام أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد (ع) «أن نفرا اتوه من الكوفة من شيعته، يسمعون منه ويأخذون عنه، فأقاموا في المدينة ما أمكنهم المقام، وهم يختلفون إليه ويترددون عليه ويسمعون منه ويأخذون عنه، فلما حضرهم الانصراف وودعوه قال له بعضهم: أوصنا يا بن رسول الله. فقال: أوصيكم بتقوى الله، والعمل بطاعته واجتناب معاصيه وأداء الأمانة لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين. فقالوا يا بن رسول الله كيف ندعو اليكم ونحن صموت! قال: تعملون ما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتناهون عما نهيناكم من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم الا على خير، فاذا رأوا ما أنتم عليه، قالوا: هؤلاء الفلانية رحم الله فلانا، ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه!

وعلموا فضل ما كان عندنا وتسارعوا اليه - أشهد على أبي محمد بن علي (ع) لقد سمعته يقول: «كان أولياؤنا وشيعتنا فيما مضى خير من كان فيه: ان كان امام المسجد في الحي كان منهم، وان كان مؤذن في القبيلة كان منهم، وان كان صاحب وداعة كان منهم، وان كان صاحب أمانة كان منهم، وان كان عالم من الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم. فكونوا أئمة كذلك، حبيونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»<sup>(١)</sup>.

فانطلاقاً من هذه الفلسفة التربوية التعليمية، وسيراً مع هذا التوجيه الاجتماعي الرشيد، لم ترد طائفة البهرة احراج أي فرد، أو جماعة. فهي لا تجبر أي شخص على الدخول في مذهبها. مع أنها لا تغري أحداً على اعتناق منهجها وسلوك طريقتها. حتى أنها لم تأذن بنشر عقائدها واداعتها بين الناس، بل اتخذت لنفسها مجالس خاصة في مراكز معينة لهذه الأغراض المحددة، وذلك احتراماً منها لحرقات وعقائد الآخرين.

والجماعة لم تزل متمسكة بطريقتها هذه ومنهجها هذا، مع تغير مراكزها حسب تغير مراكز الأئمة الفاطميين وتغير مراكز دعواتهم في زمن الاستتار.

فبعد ما كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين مهمين للدعوة، انتقل مركزها من المدينة إلى الكوفة، ومن الكوفة عاد مركزها إلى المدينة المنورة، ومن

١. من الذين عالجوا قضية الإمامة على ضوء العقائد الإسماعيلية القاضي النعمان بن محمد في كتابه (التوحيد والإمامة) والهمة في آداب اتباع الأئمة) وللفيلسوف الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرمانى في الموضوع ذاته كتاب (المصابيح) ورسالة (مباسم البشارات) و(الرسالة الواعظة). وكتب الداعي أبو الفوارس بن يعقوب رسالة في الإمامة، كما ألف أبو يعقوب السجستاني كتاب (خزائن الأدلة) وكذلك أحمد بن إبراهيم النيسابوري كتاب (اثبات الامامة).

هناك انتقل المركز من طريق سلمية إلى شمال افريقية ثم إلى مصر. ومن مصر انتقل مركز هذه الدعوة إلى اليمن بقيام الدعاة الفاطميين بعد استتار الأئمة، سنة ٥٢٦ هـ. ومن اليمن انتقل المركز إلى الهند سنة ٩٤٦ هـ ولا يزال بها منذ أربع وخمسين وأربع مائة سنة.

والأمر الذي تمتاز به جماعة «البهرة» أبناء الدعوة الفاطمية، وأنه مهما تغيرت مراكزها وابتعدت من مكان مولدها، لم تزل اللغة العربية معهم لغة أولية مختارة من بين اللغات المحلية. كما لم يزل القرآن الكريم محوراً لحياتهم، فمافتوا متمسكين، أينما كانوا، بالثقافة الاسلامية وبمعالمها بان دفاع وحماسة وساعدتهم هذه الوجهة الصحيحة في نيل الشهادات العليا من الفنون والعلوم الحديثة، وتخصصوا في التكنولوجيا ودراسة اللغات.<sup>(١)</sup>

اشتهرت جماعة البهرة حيثما وجدت.. بأنها وحدة مترابطة، كما عرفت بعلاقاتها الودية مع الآخرين، انهم اسسوا المدارس والمعاهد التي تهتم بالعلوم الدينية، كالجامعة السيفية أو بالعلوم الحديثة كمعد (برهاني كولدج) وهذا الأخير فتح أبوابه لجميع الطوائف والجنسيات، ذكوراً واناثاً، فيتلقى العلوم فيه طلبة من افريقيا وسيلان والبلاد العربية، وفيه أيضاً يدرس المسلمون والمسيحيون والهندوس، ويتبع المعهد مكتبة حافلة بالكتب، بها قسم خاص للكتب العربية كما يتبعه أيضاً بيت لاقامة الطلبة وآخر للطالبات وذلك لقاء اجر زهيد. وقد حرصت هذه الطائفة التي يبلغ تعدادها أكثر من مليون ونصف المليون ينتشرون في شتى انحاء العالم على المساهمة في النهوض الصحي إلى جانب اهتمامهم بالمستوى

١ . الطريحي، محمد سعيد: طائفة البهرة الإسماعيلية، ص ١٧، مجلة الموسم، العددان ٤٣ -

٤٤، هولنده، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

العلمي لابنائها، فأنشأوا «المستشفى السيفي» حيث يعالج المرضى من جميع الطوائف والجنسيات، وهناك مؤسسة اجتماعية اقتصادية مهمتها مساعدة أبناء الطائفة لكي يبداوا حياة ناجحة، فتزودهم بالمال والخبرة لاقامة المشروعات الاقتصادية الناجحة... وهكذا قضت على البطالة بين صفوفها.<sup>(١)</sup>

قلنا - فيما سبق - بعد وفاة الخليفة الفاطمي في القاهرة المستنصر بالله وقع خلاف بين ولده نزار وأخيه المستعلي الذي تمكن من الاستيلاء على الحكم والإمامة وازاحة أخيه، وقد سموا اتباع المستعلي بالمستعلية. التي عرفت بالطيبة، ومن هذه الطائفة عرفت جماعة باسم جماعة (البهرة) وهذه الأخيرة انقسمت هي الأخرى فيما بعد إلى الداوودية والسليمانية.

وجماعة البهرة المنتشرة في جميع أنحاء العالم لها سلطان يعرف بسلطان البهرة وهو الدكتور محمد برهان الدين البالغ من العمر ثمانين عاماً. بقي أن نوضح أن هذه الطائفة كانت تعرف بالاسماعيلية والفاطمية وأن كلمة بهري وبهرة التي عرفت بها جاءتها من الهند ومعناها تاجر، حيث جاء الاسماعيليون من مصر بعد انهيار دولتهم وتعرضهم للاضطهاد المذهبي، فجاءوا إلى اليمن ومنها إلى الهند واعتزلوا السياسة واتجهوا إلى ممارسة التجارة وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية عن طريق احترام التجارة والتمسك بالدين والاخلاق ومعاملة الآخرين سواء من المسلمين أو غيرهم معاملة انسانية.

١ . حسني زكي، محمد: البهرة بعث جديد في الهند لحضارة إسلامية عربية عريقة، ص ٩٠، مجلة العربي، العدد ٢٠٢، الكويت، ١٣٩٥ هـ.



## ملحق تاريخي

في الصفحات التالية جدول تاريخي موجز يحتوي على أسماء الأئمة الفاطميين ودعاتهم المطلقين الذين يمثلون خط سير تاريخ هذه الدعوة في الدور المحمدي بعد عهدي الرسالة والوصاية.

### ١ - عهد الرسالة

رسول الله محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين (ص) انتقل إلى الأفق الأعلى سنة ١٠ هـ.

### ٢ - عهد الوصاية

علي ابن أبي طالب خاتم الوصيين (ع)، استشهد عام ٤٠ هـ.

### ٣ - أسماء الأئمة الفاطميين:

- |                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| ١ - الامام الحسن بن علي (ع)  | استشهد سنة ٥١ هـ.            |
| ٢ - الامام الحسين بن علي (ع) | استشهد سنة ٦١ هـ.            |
| ٣ - الامام علي بن الحسين (ع) | استشهد سنة ٩٤ هـ.            |
| ٤ - الامام محمد بن علي (ع)   | استشهد سنة ١١٤ هـ.           |
| ٥ - الامام جعفر بن محمد (ع)  | استشهد سنة ١٤٨ هـ.           |
| ٦ - اسماعيل بن جعفر          | انتقل في القرن الثاني الهجري |
| ٧ - محمد بن اسماعيل          | انتقل في القرن الثاني الهجري |
| ٨ - عبدالله بن محمد          | انتقل في القرن الثالث الهجري |
| ٩ - أحمد بن عبدالله          | انتقل في القرن الثالث الهجري |
| ١٠ - الحسين بن أحمد          | انتقل في القرن الثالث الهجري |

- ١١ - عبدالله بن الحسين المهدي بالله توفي سنة ٣٢٢ هـ  
 ١٢ - محمد بن عبدالله القائم بامر الله توفي سنة ٣٣٤ هـ  
 ١٣ - اسماعيل المنصور بالله توفي سنة ٣٤١ هـ  
 ١٤ - المعز لدين الله توفي سنة ٣٦٥ هـ  
 ١٥ - نزار العزيز بالله توفي سنة ٣٨٦ هـ  
 ١٦ - الحسين الحاكم بامر الله انتقل سنة ٤١١ هـ  
 ١٧ - علي بن الظاهر لاعزاز دين الله توفي سنة ٤٢٧ هـ  
 ١٨ - معد المستنصر بالله توفي سنة ٤٨٧ هـ  
 ١٩ - أحمد المستعلي بالله توفي سنة ٤٩٥ هـ  
 ٢٠ - المنصور الأمر باحكام الله توفي سنة ٥٢٦ هـ  
 ٢١ - الطيب اختار السترفي سنة ٥٢٦ هـ

#### ٤ - أسماء الدعاة المطلقين الفاطميين النائبين عن الائمة المستترين

- ١ - ذؤيب بن موسى الوادعي توفي سنة ٥٤٦ هـ  
 ٢ - ابراهيم بن الحسين الحامدي توفي سنة ٥٥٧ هـ  
 ٣ - حاتم بن ابراهيم الحامدي توفي سنة ٥٩٦ هـ  
 ٤ - علي بن حاتم الحامدي توفي سنة ٦٠٥ هـ  
 ٥ - علي بن محمد بن الوليد توفي سنة ٦١٢ هـ  
 ٦ - علي بن حنظلة توفي سنة ٦٢٦ هـ  
 ٧ - أحمد بن المبارك توفي سنة ٦٢٧ هـ  
 ٨ - الحسين بن علي توفي سنة ٦٦٧ هـ

- |                       |                 |
|-----------------------|-----------------|
| ٩- علي بن الحسين      | توفي سنة ٦٨٢ هـ |
| ١٠- علي بن الحسين     | توفي سنة ٦٨٦ هـ |
| ١١- ابراهيم بن الحسين | توفي سنة ٧٢٨ هـ |
| ١٢- محمد بن سيدي حاتم | توفي سنة ٧٢٩ هـ |
| ١٣- علي بن ابراهيم    | توفي سنة ٧٤٦ هـ |
| ١٤- عبدالمطلب بن محمد | توفي سنة ٧٥٥ هـ |
| ١٥- العباس بن محمد    | توفي سنة ٧٧٩ هـ |
| ١٦- عبدالله بن علي    | توفي سنة ٨٠٩ هـ |
| ١٧- الحسين بن عبدالله | توفي سنة ٨٢١ هـ |
| ١٨- علي بن عبدالله    | توفي سنة ٨٣٢ هـ |

**(في عصره انفصلت الجعفرية النهروالية عن الاسماعيلية الفاطمية)**

- |                                |                  |
|--------------------------------|------------------|
| ١٩- ادريس بن الحسن             | توفي سنة ٨٧٧ هـ  |
| ٢٠- الحسن بن ادريس             | توفي سنة ٩١٨ هـ  |
| ٢١- الحسين بن ادريس            | توفي سنة ٩٣٣ هـ  |
| ٢٢- علي بن الحسين              | توفي سنة ٩٣٣ هـ  |
| ٢٣- محمد بن الحسن              | توفي سنة ٩٤٦ هـ  |
| ٢٤- يوسف بن سليمان نجم الدين   | توفي سنة ٩٧٤ هـ  |
| ٢٥- جلال شمس الدين             | توفي سنة ٩٧٥ هـ  |
| ٢٦- داؤد بن عجبشاه برهان الدين | توفي سنة ٩٩٩ هـ  |
| ٢٧- داؤد بن قطبشاه برهان الدين | توفي سنة ١٠٢١ هـ |

**(الفرقة السليمانية أسندت الدعوة إلى سليمان ومن ثم عرفت بالسليمانية)**

- ٢٨- الشيخ آدم صفي الدين توفي سنة ١٠٣٠ هـ
- ٢٩- عبدالطيب زكي الدين توفي سنة ١٠٤١ هـ
- ٣٠- علي شمس الدين بن مولاى حسن توفي سنة ١٠٤٢ هـ
- ٣١- قاسم خان زين الدين توفي سنة ١٠٥٤ هـ
- ٣٢- قطب خان قطب الدين الشهيد توفي سنة ١٠٥٦ هـ
- ٣٣- فيرخان شجاع الدين توفي سنة ١٠٦٥ هـ
- ٣٤- اسماعيل بدرالدين توفي سنة ١٠٨٥ هـ
- ٣٥- عبدالطيب زكي الدين توفي سنة ١١١٠ هـ
- ٣٦- موسى كلیم الدين توفي سنة ١١٢٢ هـ
- ٣٧- نور محمد نور الدين توفي سنة ١١٣٠ هـ
- ٣٨- اسماعيل بدر الدين توفي سنة ١١٥٠ هـ
- ٣٩- ابراهيم وجيه الدين توفي سنة ١١٦٨ هـ
- ٤٠- هبة الله المؤيد في الدين توفي سنة ١١٩٣ هـ
- ٤١- عبدالطيب زكي الدين توفي سنة ١٢٠٠ هـ
- ٤٢- يوسف نجم الدين توفي سنة ١٢١٣ هـ
- ٤٣- عبد علي سيف الدين توفي سنة ١٢٣٢ هـ
- ٤٤- محمد عز الدين توفي سنة ١٢٣٦ هـ
- ٤٥- طيب زين الدين توفي سنة ١٢٥٢ هـ
- ٤٦- محمد بدر الدين توفي سنة ١٢٥٦ هـ

- ٤٧- عبدالقادر نجم الدين  
توفي سنة ١٣٠٢ هـ
- ٤٨- عبدالحسين حسام الدين  
توفي سنة ١٣٠٨ هـ
- ٤٩- محمد برهان الدين  
توفي سنة ١٣٢٣ هـ
- ٥٠- عبدالله بدر الدين  
توفي سنة ١٣٣٣ هـ
- ٥١- طاهر سيف الدين  
توفي سنة ١٣٨٥ هـ
- ٥٢- محمد برهان الدين<sup>(١)</sup>

## لمحة عن سمات «الآغاخانية» ونشاطها:

رفضت جماعة اسماعيلية، بقيادة الحسن بن الصباح، الاعتراف بإمامة المستعلي، فانقسمت الاسماعيلية إلى مستعلية ونزارية. الحسن بن الصباح الحميري<sup>(١)</sup> رجل كان يدين بعقائد الشيعة الاثني عشرية، ثم وقع تحت تأثير أحد الدعاة الاسماعيليين، فتحول إليها. حاربه عامل الري بتلك التهمة، ففر إلى مصر حيث أكرمه داعي الدعوة هناك، واستضافه المستنصر وأمده بالمال. بعد موت نزار ذهب إلى ألموت في إيران، لكنه بعد تأسيس الدولة مرض بشدة ومات عام ٤٩٠ هـ، ونص علي إمامة ابنه علي.

١. ولد الحسن بن الصباح في الري عام ٤٣٠ هـ لوالده هو فقيه شيعي اثنا عشرية، يقال إنه علي بن محمد بن جعفر بن حسن بن الصباح الحميري. وكان مولده قد صادف دخول طغرل بك السلجوقي بغداد، في احتفال عظيم، وطرده البويهيين، وإحلال السلاجقة محلهم، والطلب من الخليفة الاعتراف به وبسلطانه والزواج من ابنته. كان صديق والد الحسن داعية اسماعيلي فارسي؛ فاقترح عليه إرسال ابنه إلى جامعة نيسابور، وهي مكان سني، لإبعاد الشبهات. وهناك التقى الحسن بعمر الخيام، الشاعر الشهير، ونظام الملك، وزير السلطان السلجوقي ملك شاه. وفي نيسابور تلقى الحسن علوماً كثيرة.

عاد الحسن إلى الري حيث التقى بشيخ اسماعيلي وانضم إلى الاسماعيلية بعد تردد. وغدا من تلاميذ عبد الملك بن عطاش أحد أقطاب الدعوة. نصح بالسفر إلى مصر للتعرف على الخليفة الفاطمي. فخرج إليها عام ١٠٧٦ م ووصلها عام ١٠٧٨ م بعد أن زار الدعوة في مختلف البلدان.

في مصر استقبله داعي الدعوة طاهر القزويني، ورحب به الخليفة المستنصر وأكرم وفادته. وقضى هناك ثمانية عشر شهراً درس خلالها أساليب الدعوة الاسماعيلية في «دار الحكمة». بعد مجيء المستعلي، ورفض الحسن أمامته، أبعده إلى سورية. ثم غادرها إلى أصفهان ومن ثم إلى ألموت.

الإسماعيلية النزارية يدعون - أيضاً - بالفارسية خواجه. وهم مسلمون منشقون يعيشون في البنجاب، السند وشرق افريقيا. وهم يدعون أيضاً مولاي أو مولاتي، كما يدعون هندوكش في غرب الهند، أفغانستان، آسيا الوسطى، جبال شرق فارس، واقليم الخليج الفارسي.

لا يدين خوجة البنجاب بالولاء لآغاخان، لكن عقائدهم تشبه خوجة بومباي، وهم كانوا في الأصل هندوساً ثم اتبعوا مذهب الخوجة. يعملون عموماً بالتجارة، فهم من البارعين بالحسابات. عاداتهم هندسية وينتسبون إلى الحاج سيد صدر الدين.

في القرن الخامس عشر الميلادي وفد على البنجاب داع اسماعيلي، بسط مذهبه للهندوس كي يلائم تقاليدهم، ووضع لهم كتاباً أسماه «دس افتار»، مازال خوجة البنجاب واتباع آغاخان، الهنود والافارقة، يستعملونه حتى الآن مع تراتيل صدر الدين، ومما كان من عقائدهم أنهم رأوا تحقق التجسد الهندوسي العاشر في امام الاسماعيلية المستتر، وفي ذلك مزج جلي بين الهندوسية والاسماعيلية.

يرتبط خوجة بومباي وافريقيا بآغاخان مباشرة. لكن في العقد السابع من القرن التاسع عشر، أعلن فريق من خوجة بومباي. وكانت محكمة بومباي قد أصدرت عام ١٨٤٧ قراراً يقول أن الشريعة الاسلامية في الميراث لا تسري عليهم، وأن نساءهم، كنساء الهندوس، محرومات من الميراث.

كان الداعية نور شاكر أو بيرست كرنور قد استن لهم سنة مشوا عليها، في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر للميلاد. وفي عام ١٦٩٤ ألف الإمام آغا

عبدالسلام كتاباً بالفارسية لهداية الخوجة الهنود اسماه «بند ياد جوان مردي»، يمكن مقارنته مع كتاب الشيخ المقدس «كرانته صاهب».

نلمس في تقاليدهم الأثر الهندوسي واضحاً، خاصة فيما يتعلق بقضايا الزواج والطلاق. يتم الزواج بوجود قاض مسلم. ويكتب العقد باللغة الكجراتية. وتوضع عليه اسماء أربع ملائكة: اسرافيل وجبرائيل وميكائيل ومزرائيل. يتم الطلاق باقرار الجماعة. يمكن الزواج مرة ثانية، شرط أن يودع الزوج مبلغ ألفي روبية لحساب الزوجة الأولى. عند احتضار أحدهم يقرأ الـ «دس افتار»، ويرش ماء مقدس يسمونه «سمرجهانته». الأمور المالية مركزة في آغاخان. ولكل طائفة «جماعت خان» أو ندوة أو مسجد يوكل بها إلى «مكي» أو رئيس و«كامرية» أو أمين سر.

تشمل الهبات «الداسنذ» أو العشر. وقد انشقت عنهم طائفة رفضت أداء العشر أو الرسوم. تؤدي الرسوم عند المواسم: كظهور القمر، الميلاد، الزواج، الدفن... (١)

حسن علي شاه (١٢١٩ - ١٢٩٨هـ) هو آغاخان الأول. على عهده انتقل مقر الدعوة إلى السند بعد نزاع مع شاه إيران. جاء بعده علي شاه، فسلطان محمد شاه، فكريم خان (٢)، وهو الإمام الحالي. ولد يوم ١٣/١٢/١٩٣٦. يقيم في افاكوند شانتييه، شمال شرق باريس بسبعين كيلومتراً. وهو خريج جامعة هارفارد.

١. مجلة الموسم، العددان (٤٣ - ٤٤)، ص ١٦٨.

٢. كريم بن علي بن محمد (آغاخان الرابع).



## الفرق بين البوهرية والأغاخانية

واخيراً نشير إلى الفرق بين البوهرية والأغاخانية في التقاليد الإسلامية، فبينما يشتد البوهرية في أداء الصلوات ورسوم العبادات، واعداد المساجد اعداداً نظيفاً جميلاً، ومواصلة التعليم والتدريس في المساجد والمواسم، وفي جامعهم الشهيرة، ومعاهدهم المتعددة، كما كانوا حريصين على أن يكون لدى كل فرد منهم سجادته ومنشفته وقلنسوة صلاته، وجلباب وقبقاب صلاته، على أن يكون ذلك كله من لوازمهم في متاجرهم ومكاتبهم ومنتزهاتهم، نجد الأغاخانيين لا يهتمون بشيء من ذلك، فهم يؤدون عباداتهم - في مركز الجماعة الخفي المسمى «جماعت خانه» حيث تجري في هذا البيت عقود الزواج والأمور الدينية الأخرى كلها.

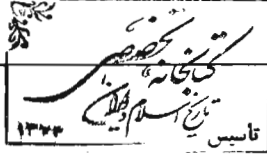
## الشيعية الفاطميون والاثنا عشريون

ذكرنا - في الجزء الأول - الفروق الأساسية. فيما عدا امرين يقع فيهما الخلاف بينهما:

أولاً: فيما يتعلق بمواقيت الصيام والفطر، فالفاطميون يكملون رمضان ثلاثين يوماً في كل عام ولا يلتزمون برؤية الهلال، بل يعتمدون على التقويم الفاطمي والحساب.

والاثنا عشريون يقيدون صيامهم اعتماداً على أحاديث صحت عندهم - برؤية الهلال. كأهل السنة.

ثانياً: الاثنا عشريون يجيزون زواج المتعة، أما الفاطميون فلا يجيزون



ثالثاً: الاثنا عشريون ليس لهم رموز سرية ولا تفاسير باطنية؛ فكاتبهم موجودة في جميع المكتبات وحوزاتهم العلمية تستقبل طلاب الحقيقة من جميع أرجاء العالم.

وأما الإسماعيلية كانوا أول من استعمل الرموز السرية في كتبهم وفي مراسلاتهم التي كانوا يرسلونها على طريق الحمام الزاجل الذي برع في استخدامه دعاة الإسماعيلية. ولهم في مجال الرموز السرية قواعد كثيرة طبقوها واستخدموها بدقة لتغطية الأمور السرية المحظور كشفها خشية الأضداد وحرصاً على عدم وقوعها في أيدي الخصوم الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر، ويتدردون حركاتهم السرية والعلنية. (٢)

يفهم الاسماعيليون القرآن فهما رمزياً باطناً. وقد ورد عن الاسماعيليين أنهم يرون «أنا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أرسل إلى قوم بدو، أميين يسكنون الصحراء، ولا يدركون ما في هذه الحياة من جمال، ولا يستطيعون ادراك روحانية الحياة الآخرة. وعبارات القرآن، بما فيها من صور حسية، إنما تتناسب مع فهم أولئك القوم، وينبغي لمن هم أرقى منهم في المعارف أن يؤولوها تأويلاً ينفي عنها الصفات الحسية». فعلى سبيل المثال؛ يسأل السائل عن كبش اسماعيل الذي قُدى به ما هو الجواب [فيجيبه] ان اسحاق عليه السلام هو المكنى عنه

١. الأعظمي، محمد حسن: الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية، ص ١٦،

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢. منصور اليمن، جعفر: كتاب الكشف، ص ١٧، تحقيق: الدكتور مصطفى غالب، دار

الاندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

بالكبش وذلك ان ابراهيم صلوات الله عليه كان قد همّ ان يأخذ العهد على اسماعيل لاسحاق عليه السلام فاوحى الله تعالى اليه ان يأخذ العهد لاسماعيل على اسحاق ويقيمه سترا عليه وحجاباً وهو مانصّه الكتاب الكريم من قوله «فلما بلغ معه السعي» يعني اسماعيل عليه السلام «قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك» أي آخذ العهد عليك لاسحاق «فانظر ماذا ترى» قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين» أي صابراً على ما تأمرني به مسلماً لامرك إلى قوله «وفديناه بذبح عظيم» وهو أمر به من أخذ العهد على اسحاق لاسماعيل عليه السلام فاسحاق المكتئب بالكبش فاعلم ذلك.<sup>(١)</sup>

أو ما يقوله الداعي جعفر بن منصور اليمن: العقول إذا صفت، والنفوس إذا تهذبت، خلصت الأرواح من كدورات العالم المطبوع، واتصلت بالعالم البسيط، فعادت إلى بيتها الذي هو الجسم، فصفته من أوساخ الطبائع وكدوراتها، ونقت الدماغ من البخارات الرديئة، والأخلاط الوسخة، فصفى العقل، وأنار، فقويت به مادة الروح، فعندها تؤثر في العقل نقوش العالم البسيط، كما يؤثر نقش الخاتم فيما ختم به.

فعند ذلك يخبر بجميع ما يحدث في العالم البسيط وغيرها علواً وسفلاً، باللغة الجسدانية المؤلفة من الألفاظ النطقية، فالعامّة تسميه حياً وتنزيراً، وتسمي الوسائط الثلاثة المتصلة من العقل الكلي بالعقل الجزئي ملائكة، لموضع تمليكهم. فأما أهل الشرائع فإنهم يسمونهم جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل. وأرباب الحكمة

١. ....: أربعة كتب اسماعيلية، ص ١٢٨، تصحيح: ر. شتروطمان (المجمع العلمي غوتينغن)، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

وملاكها يسمونهم جداً وفتحاً وخيالاً. فالخيال، واقع على اسرافيل لأنه أول عارض يتخيل في الفكر فيكون صورة في حد القوة، إذ هو صاحب الصور والنافخ فيها النفختين المتقدم ذكرهما، نفخة الصعقة، ونفخة البعث والنشور، فالبعث هو إطلاق الدعاة في الجزائر بإقامة دعوة الحق، والنشور هو ما ينشرونه من العلوم والحكمة، والحكم التأويلية لأولاد دعوتهم، والنفخة هو اتصال المواد العالية بالمبعوث المطلق، فاسرافيل هو واقع على إمام الزمان، والصور / هو ما يتصور في نفوس أهل البصائر، فهو في حال القوة مادامت نفخة الصعقة مقيمة التي تमित كل الخلائق.

والموت هو إمساك عن الدعوة وعن المفاتحة بشيء من التأويل، وكانوا في حال إمساكهم وسكوتهم كالأموات التي لا أرواح فيها، وهي ظاهر الشريعة التي لا باطن لها، فكان لأهل الظاهر صعقتين إذ لم يكونوا للباطن معتقدين. والحد الثاني الذي سماه الحكماء ميكائيل، وهو الفتح لأنه فتح بالذكر ما صح في الفكر مما انغلق عن غيره، وإنما سمي ميكائيل لأنه إليه كيل البحار، ونزول الامطار من السحب بمقدار.

والحد الثالث جبرائيل، لأنه يجبر من يرفعه في المراتب على غيره بإلهام القلب مما يتصوره، كما قال رب العالمين: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. على قلبك لتكون من المُنذرين. بلسانٍ عربي مُبين» إعلماً بأن اللسان / يترجم عن القلب بما تصور فيه، فيصير صورة بالفعل، كما كانت في حال استتارها صورة بالقوة، ويسمى بالجد لأنه علوي إلهي قدسي جد لا هزل فيه، كما قال تعالى: «وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا» لأنه كان أمره جداً لا هزل فيه، كما قال:

«أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ».

فذلك صارت النواميس الشرعية بالجبر، والقهر، والقوة، والغلبة، وإقامة العلوم الحكيمة، والتأويلات الدينية، بالإختيار عند إقامة الحجة إلى سبيل المحجة، بإيضاح الدلائل والبراهين.<sup>(١)</sup>

---

١ . منصور اليمن، جعفر: سرائر وأسرار النُطْقَاء، ص ٢٥، تحقيق: الدكتور مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

## دراسات حول الدولة الفاطمية

بدأت الدراسات التاريخية العربية الحديثة تنصف الدولة الفاطمية بعض الإنصاف، بعد أن توالى على كتابة تاريخها أعدى أعدائها فعملوا على تشويه هذا التاريخ.

نقول: بدأت.. وهذه البداية وإن كانت تمشي خجولة ضعيفة، فيكفي أن تظل ماشية لا تتوقف، وهي إن فعلت ذلك فإنها ستصل إلى نتائج باهرة.

فمن ذلك ما كتبه الدكتور محمد عمارة رداً على ما كتبه محمد علي القطب «إن مصر الفاطمية قليلة البضاعة في العلم والتراث، كثيرة الآثار في المباني الحجرية»<sup>(١)</sup>. فردّ عليه الدكتور محمد عمارة قائلاً: هناك زعم يسوقه البعض مدعيّاً فيه ذبول الحركة الفكرية والأدبية في مصر على عهد الفاطميين، وانعزال القاهرة «عن تقدم الدراسات الإسلامية في القرنين، الحادي عشر والثاني عشر (الميلاديين)»، ثم ينتهي هذا الزعم إلى القطع بأنه «قلما ظهر هناك قادة في محيط الفكر أو الأدب العربي تحت الحكم الفاطمي» راجع سيرة القاهرة: ص ١١٨.

ونحن لا نريد هنا البحث عن مدى الصدق ومدى الزيف في هذا الادعاء، لأننا نرفضه من أساسه، ونرى فيه نظرة سطحية أثمرتها عوامل عدة، كان في مقدمتها.

١ - ذلك التحيز الذي نجده في كتب التاريخ، التي كتبها المؤرخون السلفيون «السنيون» عن مصر والقاهرة في زمن الفاطميين. وهو موقف يجب أن يبرأ منه الباحث المعاصر، لأنه لاناقة له ولا جمل في هذه الخلافات التي فرقت

١ . القطب، محمد علي: الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ص ١٠٣، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

العالم الإسلامي، فكرياً وسياسياً، حيناً من الدهر، والتي زالت، منذ قرون، بواعثها وأسبابها، ولم يعد مستساغاً أن نظل في القرن الخامس عشر الهجري أسرى لحزازات، ولدت أسبابها ثم ماتت.

٢- إن عملية التأريخ للحياة الفكرية والأدبية، في حضارتنا العربية الإسلامية، قد أصيبت بداء الاهتمام الأكثر من اللازم. لمجتمع العاصمة المركزية التي كانت مقراً للخلافة، وعلى الاخص في بغداد، وبدأ الاهمال الأكثر من اللازم لمجتمعات المدن الأخرى، برغم ما حفلت به من نشاطات فكرية عبّر الكثير من العصور. وعلى الرغم من أن القاهرة كانت - على عصر الفاطميين - إنما تمثل بالنسبة للعالم العربي عاصمة الخلافة الأقوى والأوسع انتشاراً، فإن انهيار هذه الخلافة على يد سلطة سلفية «سنيه» محافظة، هي سلطة الدولة الأيوبية، التي كان ولاءها للخلافة العباسية في بغداد، وكذلك كتابة تاريخ هذه الفترة من قبل مؤرخين سلفيين «سنيين»، قد جعلهم لا يعترفون للفاطميين بمرتبة الخلافة وإمارة المؤمنين، وإنما رأوا فيهم «أدعياء» مغتصبين للسلطة. بل لقد بلغت الجرأة ببلاط الخلافة العباسية ببغداد إلى الحد الذي جعل الخليفة القادر بالله يجمع فقهاء بلاطه في سنة ٤٠٢ هـ (سنة ١٠١١م) - ليصدروا فتوى يطعنون فيها في انتساب الفاطميين إلى أهل بيت الرسول! فإذا ما جاءت سنة ٤٤٤ هـ (سنة ١٠٥٢م)، صدرت حول هذا الموضوع ببغداد وثيقة ثانية، زيد فيها أن نسب الفاطميين لا يعود إلى علي بن أبي طالب، وإنما إلى اليهود أو المجوس! ومن ثم، فلقد عوملت مصر عند تأريخ الحركة الفكرية والأدبية في حضارتنا العربية الإسلامية معاملة الإقليم، وعوملت القاهرة عاصمة الإقليم، التي تغلب عليها متغلب «دعى» حيناً من الدهر، ثم عادت تخطب على منابرها للخليفة الشرعي المتربع على عرش

بغداد!

٣- إن الآثار التي سجلت فيها الحركة الفكرية المصرية ثمار هذه الفترة، والكتب والمجلدات التي كان بإمكانها أن تصبح الآن السنة ناطقة بالأنشطة الفكرية لتلك الحقبة الزمنية، قد أصابها التلف والسلب والنهب والضياع مرتين. أولاهما، عندما حدثت الشدة المستنصرية، التي بدأت بمجاعة سنة ١٠٦٦م (٤٥٩هـ).

وثانيتها، عندما انتهى العصر الفاطمي على يد صلاح الدين الأيوبي، وعهد بمكتبة القصر الفاطمي التي «كانت خزائنها مشتملة على قريب مائة وعشرين ألف مجلدة»، عهد بها «للأمير بهاء الدين قراقوش... وهو تركي لا خبرة له بالكتب، ولا دربة له بأسفار الأدب»، فأصبحت «كالميراث مع أبناء الأيتام، ينصرف فيها بشره الانتهاب والالتهام»، مما أدّى إلى ضياع هذا التراث، ذلك الضياع الذي أحدث العديد من الثغرات في العديد من الأبنية الفكرية في حضارتنا العربية الإسلامية، ما خلق وهماً شاع بين الكثيرين عن ذبول الحياة الفكرية والأدبية في مصر على عهد الفاطميين.

وثاني الأدلة التي نسوقها على عمق وأصالة الحركة الفكرية والأدبية في ذلك العصر، هو قيام المؤسسات العلمية العملاقة التي شهدتها العاصمة يومئذ وبخاصة الأزهر، كجامعة فكرية وثقافية.

أما دار الحكمة، فهي تلك الأكاديمية العلمية والفكرية التي انشأها الحاكم بأمر الله في مارس سنة ١٠٠٥م (جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ)، في المكان المواجه لمسجده (الجامع الأحمر) بدرب الخضيرى بباب التبانين. ولقد ضمت هذه الأكاديمية فروعاً وأقساماً للقرآن وعلومه، وللعلوم الدينية، وللفلك، والطب،



والنحو وعلومه وعلوم اللغة المختلفة.

وثالث الأدلة التي نسوقها على عمق الحركة الفكرية وأصالتها في مصر الفاطمية، يتمثل في تلك المكتبات التي جمعها الفاطميون، وبذلوها للعلماء والمتعلمين، والتي اعتبرها المؤرخون السلفيون، المعادون للفاطميين، إحدى عجائب الدنيا في ذلك الحين، «لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة». فإذا علمنا أن قائل هذا هو المؤرخ الأيوبي المعادي للفاطميين المعروف بأبي شامة، وأنه قد قال هذا القول قبل أن يدخل التتار بغداد فيخربوا مكتباتها بما يقرب من المائة عام، علمنا عظم هذه الثروة الفكرية التي اشتملت عليها مكتبات القاهرة في ذلك التاريخ، حتى قيل إن مكتبة القصر الفاطمي وحدها، عندما حكم صلاح الدين الأيوبي، وبعد أن نُهب منها الكثير زمن الشدة المستنصرية، «كانت تحوى ألفي ألف وستمائة ألف كتاب (أي... و ٦٠٠ و ٢ كتاب)»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً ما كتبه الدكتور عبدالمنعم ماجد أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في جامعة عين شمس في كتابه (ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها) في الطبعة الرابعة الصادرة سنة ١٩٩٤، ص ٤٠٧.

«فهذه الدولة الفاطمية أثارة انتباه المؤرخين المحدثين بحيويتها المتدفقة التي أوجدتها في جسم الإسلام الذي كان قد شاخ على يد الدولة العباسية، فتاريخها منذ انتقالها إلى مصر أشبه بملحمة كبرى: دعوة إلى وحدة العرب في

١. عمارة، الدكتور محمد: عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، ص ٤٦، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

المشرق والمغرب<sup>(١)</sup>، جهاد بضراوة على أعداء الإسلام، نشر الحضارة الإسلامية على نطاق واسع... ثم سقوط مؤثر».

وقال الدكتور خضر أحمد عطا الله في كتابه (الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي) صفحة ٦ وما بعدها.

«واهتم الخلفاء الفاطميون بالنهضة الفكرية، فكان كثير منهم على جانب كبير من العلم والثقافة، واهتموا بالمؤسسات التعليمية والفكرية وأصبحت قصورهم مراكز فكر وثقافة وضمت تلك القصور مكتبات ضخمة بذلوا المال والجهد في جمع كتبها من أرجاء العالم. وأصبحت القاهرة كعبة العلماء والأدباء والفقهاء. وكان الأزهر منارة للعلم والثقافة. وأثر الخلاف المذهبي في الحياة الفكرية، فانصرف كثير من أهل السنة عن مخاطر الحياة السياسية إلى العلم والفكر، وانتعشت أحوال أهل الذمة في العصر الفاطمي فكان لهم دورهم أيضاً في الحياة الفكرية إلى جانب بروزهم في مجالات السياسة والإدارة... وأدت العلاقات الدولية والاتجاهات العالمية إلى انتعاش الحياة الفكرية مرة أخرى في مدينة الاسكندرية...».

وينقل عن الدكتور حسن ابراهيم وطه شرف قولهما في كتاب (المعز لدين الله، ص ٣) عن المعز قولهما: «وقد ساهم المعز لدين الله في إنعاش الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر بما سئته من النظم الإدارية الحازمة ولم يكتف بذلك بل نهض بالناحية العلمية والثقافية حتى أصبحت المنصورية في بلاد المغرب

١ . بعد تمزق البلاد العربية إلى دويلات أقامت الدولة الفاطمية الوحدة العربية مؤلفة من شمال أفريقيا ومصر والشام والحجاز واليمن، مضموماً إليها: جزيرة صقلية وقوصرة وقلورية.

والقاهرة في مصر كعبة العلماء والطلاب والمستجيبين والدعاة...»<sup>(١)</sup>.  
ومسك الختام عن الدولة الفاطمية نذكر قسماً من المؤلفات المهمة:

✽ رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا

يحدثنا التاريخ بأن الكثيرين من الدعاة قد قتلوا لاعتقاد المأمون بأنهم من الائمة، أما أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن الامام جعفر الصادق عليه السلام فقد غادر الديلم سراً بزي التجار قاصداً معرفة النعمان في سورية، فأقام فيها بعض الوقت، ثم ارتحل عنها إلى سلمية، حيث التف حوله نخبة من كبار الدعاة والعلماء، فوضع لهم الأنظمة الخاصة بترتيبات الدعوة، وأمرهم بتأليف (رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا) ولقد لخص أحمد بن عبدالله هذه الرسائل برسالة واحدة سماها (الرسالة الجامعة)، واعتبرها تاج هذه الرسائل لما تضمنته من علوم ومعارف.

وجاء في فضيلة العلم: ولذلك قال الحكيم إنه من كان للعلم أزم، وعليه أحرص وأدوم، عليه وفيه أرغب، فهو إلى كمال الإنسانية أقرب، وكذلك كل نفس كانت أعقل فعقلها يؤدي إلى حسن الاعتبار، وجودة الاختيار، ومجانبة الاشرار، ومرافقة الأخيار. ومن كان إلى ذلك أميل كان في استكمال فضائله أعدل. ومن كان أعدل فهو أفضل وأكمل وأحسن وأجمل. ومن كرمت عليه نفسه علت همته فهو أبدأ يسمو بها إلى معالي الأمور [ونفيس المراتب] وحيازه [فضل العلم بكمالها] والتحلي [بأشرف حلاها]، ولم يرض لنفسه بالانحطاط إلى أسفل سافلين فإذا علت همته وزكت نفسه استوجب أن يشار إليه بالعقل ويقال فلان

١ . الأمين، حسن: الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ص ٢٥٨، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

عاقِل (١)....

- ١ - موسوعة رسائل اخوان الصفا - تأليف الدكتور عارف تامر - منشورات دار الريس - لندن ١٩٩١ - ٤ مجلدات.
- ٢ - موسوعة رسائل اخوان الصفا - تحقيق الدكتور عارف تامر - منشورات دار عويدات - بيروت - فرنسا - ١٩٩٣ م - خمس مجلدات.
- ٣ - الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين [موسعة] - تأليف الدكتور عارف تامر - منشورات دار الآفاق الجديدة - لبنان و دار المسيرة - لبنان.
- ٤ - الاسماعيليه - تأليف الدكتور عارف تامر - منتزَع من دائرة المعارف اللبناية ١٩٨١ بيروت - لبنان.
- ٥ - المراجعات الاسماعيليه - تأليف عارف تامر - دار الأضواء - بيروت - لبنان - ١٩٩٤ م.
- ٦ - ثلاث رسائل اسماعيلية - تحقيق الدكتور عارف تامر - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان ١٩٨٥ م.
- ٧ - أربع رسائل اسماعيلية - تحقيق الدكتور عارف تامر - منشورات دار الكشاف - لبنان - ١٩٥٢ - طبعة ثانية دار الحياة - لبنان - ١٩٦٥ م.
- ٨ - خمس رسائل اسماعيلية - تحقيق الدكتور عارف تامر - منشورات دار الانصاف - بيروت - لبنان - ١٩٥٦ م.

---

١ . عبدالله، أحمد بن: الرسالة الجامعة، ص ٥٧، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

## دولة الموحدين

دولة الموحدين من الدول الكبرى التي قامت في المغرب العربي، فانتشرت أطرافها من أقصى ليبيا شرقاً إلى مشارف المحيط الاطلسي من الاشبونة إلى ما يعرف اليوم بالسنغال، ثم امتدت في الأندلس، وقامت لها جيوش جرارة قارعت الاسبان والنورمانديين، وأساطيل جبارة سادة البحر المتوسط.<sup>(١)</sup> وكلمة الموحدين هذه هي التي حرّفها الإسبان فجعلوها (الموحاد).<sup>(٢)</sup> الموحدون فرقة من فرق المسلمين ظهروا للرد على معتقدات المشبهين والمجسمين لانهم يرتأون عكس ذلك وينفون التشبيه والتجسيم لذات الباري تعالى.<sup>(٣)</sup>

وقد قاوم ابن تومرت مذاهب المشبهة والمجسمة التي كانت مسيطرة في ذلك الوقت على المغرب وأعلن التوحيد حتى سُميت الطائفة التي اتبعته باسم الموحدين.<sup>(٤)</sup> وتفصيل ذلك أن محمد بن تومرت، (المولود حوالي عام ١٠٧٥) أحد أبناء مراكش الجنوبية، كان قد سلخ عشر سنوات في الشرق الاوسط كطالب ديني وكمصلح مُقبل. حتى إذا نزل بين قبائل مضمودة في جبال الأطلس وُقِّق إلى انتزاع اعجابهم بعلمه وبحماسه الدينية، فاجتمع حوله خَلْقٌ كثير ومريدون

١ . الأمين، حسن: دولة الموحدين الإسلامية، ص ٦١، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.

٢ . السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ٥٣/١.

٣ . لين بول، استانلي: طبقات سلاطين الاسلام، ص ٤٨.

٤ . السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ٥٣/١.

متعددون. ثم إنه أسس دولة ذات صفة ديموقراطية متميزة، دولة مبنية على أساس من الاخلاقية الاسلامية الصارمة. وليس في استطاعة المرء ان يشك البتة في عبقرية ابن تومرت كمنظم، أو في تفوق نظامه الحكومي على الانظمة التي سبقته في اسبانية وفي شمالي افريقية على حد سواء.

إنه لم ينس قط، وهو في غمرة من واجباته الادارية كلها، واجبه الرئيسي كمصلح ديني. وكان يعلق على مفهوم وحدة الله المطلقة أهمية بالغة إلى درجة جعلته يطلق على أتباعه اسم الموحدين. وقد حرّف الاسبان هذا الاسم إلى *mlmohade* الذي عُرف به منذ ذلك الحين ابرز أسرة من أسر مراكش الحاكمة.<sup>(١)</sup> الموحدون أو الدولة الموحدية قامت على أسس شيعية إذا لم تكن واضحة كل الوضوح فهي صريحة كل الصراحة. ويمكن القول انها كانت على منهج خاص بها يمكن مماثلته بالمنهج الزيدي والمنهج الفاطمي واعتبارها واحداً من المذاهب الشيعية التي يعتبر المذهبان المذكوران مذهبين فيها. ولا يبدو التشيع عند الموحدين كما يبدو في شعر شعرائهم الذين لا يختلف عن أي شعر شيعي آخر.

ومنشيء هذه الدولة هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت الملقب بالمهدي، وينسب إلى قبيلة هرغة في أقصى المغرب.

وهذه القبيلة تنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

وكان ابن تومرت نفسه يذيل رسائله بتوقيعه بهذه العبارة: «محمد بن

١. لاندو، روم: الاسلام والعرب، ص ١٤٢، نقله إلى العربية منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.

عبدالله العربي القرشي الحسيني الفاطمي»<sup>(١)</sup>.

وزعم كثير من المؤرخين ان نسبه في أهل البيت. وكان أهل بيته أهل نسك ورباط وكانت ولادته ٤٨٥هـ.<sup>(٢)</sup>

يقول عبدالواحد بن علي المراكشي (المتوفى سنة ٦٤٧هـ): ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ووجدت بخطه؛ وكان قد رحل إلى المشرق في شهور سنة ٥٠١ في طلب العلم، وكرّر راجعاً إلى الإسكندرية، فأقام بها يختلف إلى مجلس أبي بكر الطرطوشي الفقيه؛ وجرت له بها وقائع في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أفضت إلى أن نفاه متولّي الإسكندرية عن البلاد؛ فركب البحر؛ إلى أن نزل من بلاد المغرب بجاية فأظهر بها تدريس العلم والوعظ؛ واجتمع عليه الناس، ومالت إليه القلوب؛ فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عاديته؛ فخرج منها متوجّهاً إلى المغرب، حتّى أتى مدينة تلمسان، فأقام بمسجدٍ بظاهرها يعرف بالعبّاد، جارياً على عادته؛ وكان قد وُضِعَ له في النفوس هيئةٌ وفي الصدور عظمةٌ، فلا يراه أحدٌ إلا هابه، وعظّم أمره؛ وكان شديد الصمت كثير الانقباض؛ إذا انفصل عن مجلس العلم لا يكاد يتكلّم بكلمة...

وبأمرٍ من ابن تاشفين - علي بن يوسف - خرج هو وأصحابه متوجّهاً إلى سوس فنزل بموضع منها يُعرف بتين ملل وفي هذا الموضع قامت دعوته، وبه قبره؛ ولما نزله اجتمع إليه وجوه المصامدة، فشرع في تدريس العلم والدعاء إلى

١. الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، المجلد الثالث، الجزء الثاني عشر، ص

٣١٨، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

٢. سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دول المغرب، ص ٤١.

الخير؛ آلف لهم عقيدةً بلسانهم؛ وكان أفصح أهل زمانه في ذلك اللسان؛ فلما فهموا معاني تلك العقيدة زاد تعظيمهم له، وأشربت قلوبهم محبته، وأجسامهم طاعته؛ فلما استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولاً على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير، ونهاهم عن سفك الدماء ولم يأذن لهم فيها؛ وأقاموا على ذلك مدة؛ وأمر رجالاً منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل؛ وجعل يذكر المهديّ ويُشوّقُ إليه، وجمَعَ الأحاديث التي جاءت فيه من المصنّفات، فلما قرّر في نفوسهم فضيلة المهديّ ونسبته ونعته، ادّعى ذلك لنفسه وقال: أنا محمد بن عبدالله...

وصرّح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهديّ المعصوم؛ وروى في ذلك أحاديث كثيرة، حتّى استقر عندهم أنه المهديّ، وبسط يده فبايعوه على ذلك وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله (ص) رسول الله.

ثم صنّف لهم تصانيف في العلم، منها كتاب سمّاه «أعزّ ما يُطلب» وعقائد في أصول الدين؛ وكان يُبطن التشيع، غير أنّه لم يظهر منه إلى العامة شيء. (١)  
وصنّف أصحابه طبقات؛ فجعل منهم العشرة - وأولهم عبدالمؤمن -، وهم المهاجرون الأوّلون الذين أسرعوا إلى إجابته - وهم المسمّون بالجماعة - وجعل منهم الخمسين (٢) - وهم الطبقة الثانية - وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة؛ بل هم من قبائل شتى؛ وكان يسمّيهم المؤمنين ويقول لهم: ما على وجه الأرض من

١ . المراكشي، عبدالواحد: المُعْجِبُ في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٣٢، وضع حواشيه:

خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٨٨ م.

٢ . وفيه: وهم جماعة من رؤساء القبائل. والثالثة: السبعين، وسمّي عامة أصحابه والداخلين في

طاعته «موحدين».



يؤمن إيمانكم، وأنتم العصاة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»؛ وأنتم الذين يفتح الله بكم فارسَ الرومَ ويقتلُ الدجالَ، ومنك الأميرُ الذي يصلي بعيسى ابن مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة؛ هذا مع جزئيات كان يخبرهم بها وَقَع أكثرها؛ وكان يقول: لو شئتُ أنْ أَعَدَّ خلفاءكم خليفةً... فزادت فتنة القوم به، وأظهرو له شدة الطاعة.

وقد نظم هذا الذي وصفناه من قول ابن تومرت في تخليد هذا الأمر رجلٌ من أهل الجزائر - مدينة من أعمال بجاية - وَقَدَ على الخليفة أبي يعقوب (١) وهو بتينمل؛ فقام على قبر ابن تومرت بمحضرٍ من الموحدين وأنشد قصيدة أولها:

سلامٌ على قبرِ الإمامِ الممجدِ	سلالةٍ خيرِ العالمين محمدٍ (٢)
ومشبهه في خلقه ثم في اسمه	وفي اسم أبيه والقضاء المسدد
ومحيي علوم الدين بعد مماتها	ومظهر أسرار الكتاب المسدد
أتنابه البشري بأن يملأ الدنيا	بقسطٍ وعدلٍ في الأنام مخلد
ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً	ويملك عرباً من مغيرٍ ومنجد
فمن وصفه: أقرنى وأجلنى وأنه	علاماته خمسٌ تبين لمهتدي
زمان، واسم، والمكان، ونسبة	وفعلٌ له في عصمةٍ وتأيد
ويلبثُ سبعاً أو فتسعاً يعيشها	كذا جاء في نصٍّ من النقلِ مُسند
فقد عاش تسعاً مثل قول نبينا	فذلكم المهديُّ بالله يهتدي
وتتبعه للنصر طائفة الهدى	فأكرم بهم إخوانَ ذي الصدق أحمد

١. أبو يعقوب صاحب المغرب هو يوسف بن عبدالمؤمنين بن علي.

٢. أي: محمد بن تومرت الذي توفي سنة ٥٢٤ هـ.

هي الثلثة المذكور في الذكر أمرها  
 بهم يَقَمُّعُ اللهُ الجابرة الأولى  
 وَيَقْطَعُ أَيَّامَ الجابرة التي  
 فيغزونَ أعرابَ الجزيرة عُنُوةً  
 ويفتتحون الرومَ فَتْحَ غَنِيمَةٍ  
 ويغدون الدَّجَالَ يغزونه ضُحَاً  
 ويقتله في باب لُدٍّ وتنجلي  
 وينزلُ عيسى فيهم وأميرهم  
 يصلِّي بهم ذاك الأميرُ صَلَاتَهُمْ  
 فيمسح بالكفِّين منه وجوههم  
 وما إنْ يزالُ الأمرُ فيه وفيهمُ  
 وطائفةُ المهديِّ بالحقِّ تهتدي  
 يصدّون عن حُكْمِ من الحقِّ مُرشد  
 أبادتْ من الإسلام كلَّ مشيّد  
 ويغرّون منها فارساً وكانَ قَدِ  
 ويقتسمون المال بالتّرسِ عن يد  
 يُذيقونه حدَّ الحسامِ المهنّد  
 شكوكُ أمالتْ قلبَ مَنْ لم يُوحّدِ  
 إمامٌ فيدعوهم لمحرابِ مسجد  
 بتقديم عيسى المصطفى عن تَعَمُّدِ  
 ويخبرهم حقّاً بعزٍّ مجدّد  
 إلى آخر الدهرِ الطويلِ المُسزَمِدِ<sup>(١)</sup>

١. المراكشي، عبدالواحد بن علي: المُعْجَبُ فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ، ص ١٣٤.

## الحرب بين المرابطين والموحدين

ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهّز جيشاً عظيماً من المصامدة جُلُّهم من أهل تينمل، مع من انضاف إليهم من أهل سُوس وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تَسَمَّوا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المُنكّر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم؛ فإن أجاوكم فهُم إخوانكم، لكم مالهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السُنَّة قتالهم.

وأمر على الجيش عبدالمؤمن بن عليّ، وقال: أنتم المؤمنون وهذا أميركم. فاستحقَّ عبدُ المؤمن من يومئذٍ اسمَ «إمّرة المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

تكاثر أتباع ابن تومرت حتى أصبح قادراً على تحدي سلطة المرابطين. وبالتعاون مع مريده ومؤسس دولته الحقيقي، عبدالمؤمن، شرع يغازو أراضي دولة المرابطين المتداعية إلى السقوط. وعلى الرغم من وفاته خلال المعركة الثانية التي شنّها ضدهم فقد اجتاحت الحركة الجديدة إلى عشر سنوات ليس غير للتغلب على أيما معارضة جديدة لها.<sup>(٢)</sup>

١. المراكشي، عبد الواحد: المُعْجَب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٣٥.

٢. لاندو، روم: الاسلام والعرب، ص ١٤٣.

## عبدالمؤمن

توفى ابن تومرت سنة ٥٢٢ هـ أي ١١٢٨ م. أو [طبقاً لرواية أخرى سنة ٥٢٤] وخلفه في حكم الموحدين المصامدة صديقه العزيز وقائده عبدالمؤمن رسمياً في سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م) ومن عبدالمؤمن هذا تبدأ شجرة الأسرة، وقد بدأ عبدالمؤمن في سنة ٥٣٤ (١١٤٠ م) سلسلة حروبه التي دامت طويلاً، وفي سنة ٥٣٨ (١١٤٤ م) بدّد جيش المرابطين واستولى في عامين اثنين على مدن وهران وتلمسان وفاس وسبته وأغامت وسلا ثم أجهز بعد ذلك على المرابطين - كما ذكرنا - باستيلائه على عاصمتهم: مراكش، وكان قد أرسل في سنة ٥٤٠ (١١٤٥ م) جيشاً إلى الأندلس فأخضع كل ما كان بأيدي العرب هناك من البلاد، وبعد أن حكم الأندلس والمغرب الأقصى أخذ يوسع بلاد نحو الشرق فاستولى سنة ٥٤٧ (١١٥٢ م) على دولة بني حماد بالجزائر، وفي سنة ٥٥٣ (١١٥٨ م) طرد النورمان الذين كانوا قد حلوا محل بني زيري في تونس ثم ألحق طرابلس أيضاً ببلادهم وهكذا دخلت في حوزته - بالإضافة إلى الأندلس - كل سواحل الشمال الإفريقي ابتداءً من الحدود المصرية إلى المحيط الأطلسي، وكان عبد المؤمن ومن جاءوا بعده يتلقبون بلقب «أمير المؤمنين» وقد كانت الحروب ضد نصارى إسبانيا مثار انزعاج شديد لأخلاف عبدالمؤمن، وذلك أن انهزام الموحدين في معركة لاس ناواس Las Navas سنة ٦٣٢ (١٢٣٥ م) كان إيذاناً بخروجهم من الأندلس.<sup>(١)</sup>

وعلى أثر ذهاب إسبانيا زالت قدرة الموحدين ورفعت يدهم من أفريقية لأن طرابلس انتزعت منهم قبل سنة ٥٦٨ هـ - ١١٧٢ م) على يد صلاح الدين الأيوبي وممثلو الموحدين في تونس (بنو حفص) تمكنوا في سنة ٦٢٥ هـ

١. السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ٥٣/١.

(١١٢٨م) من تأسيس امارة مستقلة، ومثلهم (بني زيان) في مدينة (تلمسان) شكلوا امارة لهم (٦٣٣ هـ - ١٢٣٥م).<sup>(١)</sup>

وظهرت في مراكش الفتن والخلافات التي سببت بروز بعض القبائل ومن بينها قبيلة (بني مرين) القبيلة الجبلية التي تمكنت في سنة (٦٦٧ هـ - ١٢٦٩م) من القضاء على امارة الموحدين، واستولوا أيضاً على مراكش عاصمة الموحدين سنة ٦٦٨ (١٢٦٩م) وهكذا انقرضت دولة الموحدين.

١١٢٨-١١٢١م	أبو عبدالله محمد بن تومرت	٥١٥-٥٢٢ هـ
١١٣٠	عبدالمؤمن	٥٢٤
١١٦٣	أبو يعقوب يوسف الأول	٥٥٨
١١٨٤	أبو يوسف يعقوب المنصور	٥٨٠
١١٩٩-١٢١٣	محمد الناصر لدين الله	٥٩٥-٦١٠
١٢١٤	أبو يعقوب يوسف الثاني المستنصر بالله	٦١١
١٢٢٣	أبو محمد عبدالواحد المخلوع	٦٢٠
١٢٢٤	أبو محمد عبدالله العادل	٦٢١
١٢٢٧	المأمون (يحيى المعتصم)	٦٢٤
١٢٢٩	أبو العلاء ادريس المأمون	٦٢٦
١٢٣٢	أبو محمد عبدالواحد الرشيد	٦٣٠
١٢٤٢	أبو الحسن علي السعيد المقتدر بالله	٦٤٠
١٢٤٨	أبو حفص عمر المرتضى	٦٤٦
١٢٦٦-١٢٦٩	أبو العلاء الواثق بالله	٦٦٥-٦٦٧

## أدب الموحدين الشيعي

الشاعر أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي<sup>(١)</sup>، كان من أبرز رجال الأدب والشعر في عهد الموحدين. له قصائد تبدو فيها معالم التشيع كقوله مادحاً عبدالمؤمن:

لو انها نصرت علياً لم ترد      خيل ابن حرب ساحة الأنبار  
هم أظهروه مع النبي وواجب      ان يتبعوا الاظهار بالاظهار  
ومن قصائده ملحمة في رثاء الحسين عليه السلام وهي لا تختلف عن تلك المراثي التي يعرفها الشيعة تقرأ صبيحة يوم عاشوراء؛ لكنه عبث بها حيث بنى اعجازها على اعجاز معلقة امرئ القيس ونظمها للمنصور الموحي فقال فيها:

الا يا رسول الله صدي توهجا      لمصرع سبط في الدماء تضرجا  
فعطلت جيد اليأس من حلية الرجا      فتعسا لا قوام يريدون لي نجا

١ . بيئته: عاش الجراوي في القسم الأول من عهد الموحدين. وكان من أقرب المقربين إلى يوسف بن عبدالمؤمن، بل كان أنيسه وجليسه كما كان بلبل قصره. حياته: هو من اصل تادليي، ومن بني غفجوم. سكن مراکش، واكثر التردد إلى الاندلس وتوفي في اشبيلية سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م. آثاره: له ديوان شعر؛ وكتاب «صفوة الأدب ونخبة كلام العرب» يعرف بالحماسة المغربية. وهو على نسق الحماسة لأبي تمام.

شعره: يمتاز شعره بانه حسن السبك، شديد اللهجة، قوي العصب، ينقلك إلى أجواء أبي الطيب المتبني، وانك لتلمس فيه روح الشاعر الكبير وقلبه وعنفوانه، من مهابة وزن، وتناغم ألفاظ، واندفاق قريحة، وجيشان عاطفة. والمقدرة على التصرف بالأساليب النظمية.\*

\* - الفاخوري، حنا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ١٦٥، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ /

يقولون لا تهلك أسى وتجمل

ويقول:

أقول لحزن في الحسين تأكدا      تملك فوادي متهما فيه منجدا  
ولو غير هذا الرزء راح او اغتدى      لناديته قبل الوصول مرددا  
عقرت بعيري يا أمراً القيس فانزل

ويقول

وركب إذا جارا هم البرق يعثر      تذكرت فيهم كربلاً فتحيروا  
وغيداء لا تدري الاسى كيف يخطر      بثمت لها ما كنت بالطف أضمر  
فألهيته عن ذي تمائم محول

ويقول:

أما لعهد الهاشميين حافظ      السبب يوم للرسالة غائظ  
على ثكله قلب الكريم محافظ      فيا مهجتي اني على السبب فائظ  
فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

ويقول:

أيا فاسقا قاد الغرور شكائمه      فأورد في صدر الحسين صوارمه  
تهياً ليوم الحشر تجرع علاقمه      فمالك منجى من خصومة فاطمة  
وما أن ارى عنك العماية تنجلي<sup>(١)</sup>

١. الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، المجلد الثالث، الجزء الثاني عشر،

## أهم السمات في عهد الموحّدين

١- تمّ القضاء على الثورات والفتن فنعمت البلاد بحالة من الاستقرار الخيّر.  
٢- نشطت التجارة والصناعة، وتأثر المجتمع المغربي بالمجتمع الاندلسي شديد التأثير، فاشتدّت عناية الامراء بالعمران، فأنشأوا المدن والبساتين والمستشفيات والجوامع...

٣- استدعى الامراء إلى المغرب جيشاً من العلماء والأدباء وشجّعوا العلم والأدب.

٤- كان جيش الموحّدين من أقوى جيوش العالم وكان اسطولهم من اعظم اساطيل الدنيا، وكانت مدنهم من اجمل مدن العالم، وقد استطاعوا ان يجعلوا من ارضهم جنات وارفة الظلال، وان ينظّموا الطُرق، ويوقّروا السعادة للناس.

٥- في عهدهم ظهر ابن طفيل، وابن رشد، والشريف الادريسي، وعدد آخر كبير من العلماء والأدباء الذين سنّف عند بعضهم بعد قليل. وهكذا كان العهد الموحّدي عهد نضوج الثقافة العربيّة في المغرب.<sup>(١)</sup>

يقول روم لاندو: «والواقع ان كثيراً من الخدمات التي أسدتها دولة الموحّدين إلى مراكش هي الثمرة المباشرة للحكم المستنير الذي عرفته البلاد في عهد المنصور وسلفه عبدالمؤمن. ويتمثل جانب من هذه الخدمات، ليس غير، في دمج العناصر البربرية والعربية في الجيش، كما يتمثل في نظام من الادارة الاقليمية ممتاز وطد اركان الدولة ومنحها قدراً من الاستقرار، وفي بعض الروائع المعمارية، مثل الكتّيبية في مدينة مراكش، وبرج جيرالدا في اشبيلية. وفي ظل

١. الفاخوري، حتّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ١٠٥.



الموحدين ازدهرت التجارة مع البلدان الاجنبية، ووقعت معاهدة اقتصادية مع بيزا. وشجع الموحدون ابن رشد وابن طفيل وغيرهما من العلماء الممتازين على العمل والانتاج، وفي مراكش بالذات وضع ابن رشد شروحه لكتب أرسطو، تلك الشروح المؤذنة بانبلاج عصر جديد، والتي قدر لها ان تترك أثراً عميقاً في الفلسفة الغربية بعامة، والسكولاستية Scholasticism المسيحية بخاصة».<sup>(١)</sup>

## الموحدون والثقافة

ومن خير ما وصفت به الدولة الموحدية ما قاله محمد بن تاويت: «نهضت الدولة الموحدية على حلم عظيم أرادت أن تحققه بكل عزم وفي كل ميدان ذلكم الحلم هو الثورة على كل شيء، الثورة على الأوضاع السياسية والاجتماعية، الثورة على مناحي التفكير في العقائد والأحكام والعلوم عامة، الثورة بالتجديد في كل شيء، وباعادة صرح الدولة الإسلامية الكبرى قوياً شامخاً عظيماً مهيباً»<sup>(١)</sup>.

وقال محمد عبدالله عنان في كتابه (نهاية الاندلس): «في ظل دولة الموحدين التي خلفت دولة المرابطين في حكم الاندلس، انتعشت الحضارة الاندلسية والتفكير الاندلسي. وقد نشأ الموحدون كالمرابطين في جهاد الخشونة والتكشف، ولكنهم كانوا اوسع افقاً واكثر قبولاً لثمار التمدن وكان لدولتهم بالاحص صبغة علمية دينية. اذ كان مؤسسها المهدي بن تومرت من ائمة التفكير الديني وابدئ خلفاؤه عبدالمؤمن وبنوه اهتماماً بالعلوم والفنون واطلقت حرية التفكير والبحث، وكانت قد صفت في عهد المرابطين، وافرج عن كتب الغزالي وغيره من مفكري المشرق، وكانت قد طوردت ومنعت في ايامهم بالمغرب والاندلس.

وفي تلك الفترة بالذات اعني في اواخر القرن السادس واوائل القرن السابع الهجري، بلغ التفكير الاندلسي ذروة النضوج وتفجرت ينابيع النبوغ، وظهرت طائفة من اعظم اقطاب العلم والأدب. وكان في طليعة اقطاب العلم في هذا العصر بنو زهر الاشيليون، وعميدهم الوزير والطبيب الاشهر ابو العلاء بن زهر، ثم ولده

١. الأمين، حسن: دولة الموحدين الاسلامية، ص ٧٢.

عبد الملك بن زهر المتوفى سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) وهو المعروف باللاتينية باسم *avenzoar* ويعتبر ابن زهر اعظم طبيب ومشخص في العصور الوسطى بعد أبي بكر الرازي، ويعتبر ابن رشد اعظم طبيب بعد جالينوس، ويعتبر كتابه (التيسير) من اعظم مراجع الطب في العصور، وكان لمؤلفاته التي ترجمت كغيرها إلى اللاتينية في عصر مبكر، اثر عظيم في مسير البحوث الطبية في اوروبا. وظهر إلى جانب هؤلاء عدد من اقطاب الفلاسفة. مثل أبي بكر بن طفيل الوادي آشي المتوفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) وهو صاحب رسالة حي بن يقظان الشهيرة، والفيلسوف أبي الوليد محمد بن احمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨ م) وازدهرت المعاهد العلمية أيام الموحدين بالمغرب والاندلس. وكانت المعاهد الاندلسية في اشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية، يومئذ مجمع العلوم والمعارف الرفيعة في تلك العصور. وكانت مقصد الطلاب من كل فج، وكانت مزودة بالمكتبات التي تضم انفس الكتب والمصنفات في مختلف العلوم والفنون.

وعني الموحدون أيضاً برعاية الفنون واقامت في عهدهم في معظم قواعد الاندلس طائفة من المساجد والصروح العظيمة التي تمتاز بجمالها الفني. وكان يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن من اشدهم شغفاً بالمنشآت الفخمة. ومن آثاره الشهيرة بالاندلس مسجد اشبيلية الجامع ومنارته العظيمة التي بقيت إلى اليوم وحولها الاسبان إلى برج الاجراس لكنيسة اشبيلية العظمى التي اقيمت مكان الجامع، وهي من اروع الآثار الاندلسية الباقية، ويطلق عليها الاسبان اسم «جيرالدا». (١)

## الناقمين على الفلاسفة

١ - حدث في زمن المنصور يعقوب لابن رشد ما حدث من إحراق كتبه الفلسفية وسجنه، وإجباره على الإقامة بمدينة اليسانة بالقرب من قرطبة، فقد كان ذلك لأحد سببين كما علله المؤرخون. وهو أن المتمزتين وحساد ابن رشد قد أهاجوا الدهماء عليه، فرأى المنصور أن يتخذ من التدابير ما اتخذ لتهدأ الضجة، ويسكن الهياج.

وهناك من يرى أن السبب في ذلك أمر شخصي محض أغضب المنصور يعقوب على ابن رشد، وذلك ابن رشد قال عنه في بعض كتبه وهو يتحدث عن الزرافة: «وقد رأيتها عند ملك البربر بمراكش» فأغضبه أن ينعته بملك البربر وهو المنعوت بأمر المؤمنين.<sup>(١)</sup>

٢ - بعض الشعراء كان لهم موقف متشدّد من الفلاسفة؛ من امثال ابن حبّوس<sup>(٢)</sup> نراه يميل إلى المتشدّدين في أمر الدين، ولا يذهب مذهب المتبنيّ وأبي العلاء اللذّين يجعلان الإمامة في العقل، بل يرى ان العقل مقصّر في ما يتعلّق بالغيب، والعقل ينكر كل ما لا يشهد، فيما ان الشرع يخترق ستار الغيب. والدين من الله وهو فوق كل بدعة وكل إلحاد. والفلاسفة، في نظره، عصابة كذب وإفك لا تستأهل إلا ضرب الرقاب:

→

ص ٣٢٤.

١ . الأمين، حسن: دولة الموحّدين الاسلامية، ص ٧١.

٢ . محمد بن حسين عبدالله بن حبّوس، وُلد في مدينة فاس، توفي سنة ٥٧٠ هـ؛ لُقّب بشاعر الخلافة المهدية (الموحّدية).

... خَدَعَتْ بِالْفَاطِطِ تَرَوْقُ لَطَافَةً

فَإِذَا طَلَبْتَ حَقِيقَةً لَمْ تَوْجِدِ

يُلْغِي كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ

وَجَمِيعُ مَسْنُونِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

يَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجَهَالََةَ إِنَّهَا

وَرَقٌّ لِأَغْصَانِ الشَّبَابِ الْأَمْلَدِ

مختارات من شعر ابن حَبَّوس في مهاجمة الفلاسفة:

الدينُ دينُ اللهِ لَمْ يَغْبَأْ بِمَب	ستدعٍ ولم يحفلُ بضلَّةٍ مُلحدٍ
قالوا بنورِ العقلِ يُدْرِكُ ما وراءَ	الغيبِ. قلتُ: قَدِي مِنَ الدَّعْوَى قَدِي
بالشَّرْعِ يُدْرِكُ كُلُّ شَيْءٍ غَائِبٍ	والعقلُ يُنَكِّرُ كُلَّ مَالٍ يَشْهَدِ
مَنْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِغَايَةِ نَفْسِهِ	وهي القَرِيبَةُ، مَنْ لَهُ بِالْأَبْعَدِ
ولقد نرى الفَلَكَ المِيحِطَ، وَعِلْمُ مَا	في ضِغْنِهِ أَعْيَا عَلَى الْمُتَرَصِّدِ
سَعْدُ المَجْرَّةِ بالكواكِبِ دائِمٌ	في زَعْمِهِمْ، وقسِيْهَا لَمْ يَسْعَدِ
مَنْ خَصَّ بالسفليِّ جِرْمَ البدرِ، أم	مَنْ خَصَّ بِالْعُلُوِّ جِرْمَ الفِرْقَدِ
ما شاهِقُ الطودِ المنيْفِ، وإن علا	الابن منزلة الحضيضِ الاوهدِ
وجوازُ عكسِ الامرِ في ذا واضحٌ	للعقلِ، فازدَدَ مِنْ يَاقِينِكَ تَرْشُدِ
ذاك اختصاصٌ ليس يعلمُ كُنْهَهُ	مَنْ لَيْسَ يوصفُ بالبقاءِ السَّرْمِدِ
خَفِضَ عَلَيْكَ، أبا فلانٍ، انها	نُوبٌ تُطالِعُنا، تروخُ وتغتدي
سألتُ علينا للشُّكوكِ جداولٌ	بعد اليقينِ بها، ولَمَّا تَنْفِدِ (١)

## الدين والدولة في فكر المهدي بن تومرت

لم يعرف الفكر العقائدي بإفريقية والمغرب عامة ذلك الازدهار الذي عرفه بالمشرق؛ ذلك لأن العوامل التي أدت إلى نضجه وازدهاره هناك لم تتوفر أمثالها في الديار المغربية، إذ إن هذه الديار لم تشهد التحديات الفكرية الموجهة إلى العقيدة كتلك التي شهدتها المشرق متمثلة في التحدّي المسيحي والثنوي والبرهمي واليوناني وغيرها، فنشأ في سبيل مواجهتها وردّها وإثبات العقيدة الإسلامية علم العقيدة.

ولهذا السبب فإن الفكر العقائدي بإفريقية ظلّ دوماً في موقع التبعية والتقليد لما ينشأ في المشرق من الاتجاهات والمذاهب، وما يحدث فيها من القضايا والتطورات.

فالمعتزلة التي نشأت أوائل القرن الثاني<sup>(١)</sup> تمثل صيغة جديدة في فهم العقيدة تقوم على الحجة العقلية، بلغت في القرن الثالث أوج قوتها، حيث قد استحدثت من الأساليب والطرائق في صوغ افكارها، والبرهان عليها، ونشرها بين الناس ما حقّق لها الغلبة في ساحة الفكر العقائدي، ويكفي ان نذكر في هذا المجال أعلاماً مثل أبي الهذيل العلاف (ت ٢٢٦هـ) وإبراهيم النظام (ت ٢٣١هـ)، وبشر بن المعتز (ت ٢٢٦هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وأبي علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ). وقد وقع المعتزلة في شيء من التغالي في الاعتداد بالعقل والزهادة في النص، وعلى الأخص الحديث الذي سلّطوا عليه مقياساً نقدياً قاسياً أفضى إلى

١. كان ذلك على يد واصل بن عطاء فيما بين سنتي ١٠٠ و ١١٠.

رفض كثير منه، وتأويل جانب آخر بما يناسب الآراء التي ذهبوا إليها. وفي القرن الثالث أيضاً بدأت تظهر بوادر الحركة الفلسفية المتأثرة بالفلسفة اليونانية<sup>(١)</sup>، وقد كانت نزعة تقوم على اعتبار العقل قبل اعتبار الشرع، وإخضاع النص للعقل، وبذلك كانت هذه النزعة تمثل تحدياً أشد من المعتزلة في وجه المتمسكين بالنصوص من أهل السلف.

ثم يأتي التحدي الصارخ للعقيدة الإسلامية عموماً، ولأهل السلف خصوصاً متمثلاً في تلك النزعات الدينية والفلسفية المضادة للإسلام التي كشفت عن نفسها واشتدت مصاولتها للمسلمين في القرن الثالث، وقد اشتركت في هذه الحملة اليهودية والمسيحية، وأديان فارس الثنوية، وعلى الأخص المانوية والمزدكية، وأديان الهند وعلى الأخص البراهمية، وكانت هذه الأديان قد اتخذت لما في الجدل أساليب وطرائق عقلية استقتتها من المنطق اليوناني لسالف اتصالها بالفلسفة اليونانية.

اضف إلى هذه التحديات ما سقط فيه بعض النصيين من الوقوع في فهم حرفي ظاهري للنصوص أدى بهم إلى السقوط في تشبيه وتجسيم غليظين في حق الذات الإلهية، فكان ظهور الأشعرية ببغداد استجابة لتلك الضرورة حيث تقوم على الأصول التالية:

١ - اثبات صفات أزلية زائدة على ذات الله مثل العلم والقدرة والإدارة... وما جاء في القرآن والحديث من الصفات الخبرية الموهمة بالتشبيه والتجسيم، كالاستواء على العرش واثبات اليد والوجه، يقع تأويله بما تدل عليه من السيطرة

١ . من أوائل رواها الكندي (ت ٢٥٥هـ) والفارابي (ت ٣٣٩هـ).

والقدرة والذات. (١)

٢- القرآن كلام الله قديم، وهو صفة من صفات الله. (٢)

٣- أفعال العباد خيرها وشرها من خلق الله والإنسان يكتسبها بالقدرة الحادثة التي خلقها الله فيه.

٤- رؤية الله بالابصار ثابتة في الآخرة.

٥- مرتكب الكبيرة يظل مؤمناً، ولكنه ينال جزاءه عذاباً بالنار.

٦- الحوض والبرزخ والميزان والشفاعة ثابتة الوجود في اليوم الآخر.

في النصف الثاني من القرن الرابع جدَّ عنصر مهم سيكون له أثر واضح في نمو الأشعرية بالقيروان، وذلك هو ظهور القاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ببغداد، وإنما كان الباقلاني عنصراً مهماً بالنسبة للأشعرية بالقيروان لسببين:

الأول: إن الباقلاني يمثل في حد ذاته مرحلة في تطور الأشعرية فهو المؤصل الحقيقي لهذا المذهب، وهو الذي نظَّر المنهج الذي وضعه الأشعري فبدأت الملامح الأساسية للأشعرية تبرز وتتضح وتنضج على يديه، وقد عبر عن هذا المعنى ابن خلدون حينما قال: «وأخذ عنهم (أي تلاميذ الأشعري) القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدَّر للإمامة في طريقتهم، فهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار...» (٣)

الثاني: إن الباقلاني كان مالكي المذهب ويعتبر من أعيانه، حتى إنه قال فيه

١. الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٨.

٢. فرق اتباع الأشعري بوضوح بين جانبين في كلام الله: المعنى النفسي، وقالوا إنه قديم، والأصوات والحروف وقالوا إنها حادثة، والقرآن قديم بالمعنى الأوَّل لا الثاني انظر «الاعتقاد في الاعتقاد» الغزالي ص ٥٨ وما بعدها.

٣. ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٢٩.



بعضهم: «إليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته». راجع القاضي عياض - ترتيب المدارك: ٤/٢٩٤.

في أواخر القرن الرابع الهجري بدأ دفع من تلاميذ الباقلاني الذين أخذوا عليه فقه المالكي وعقيدته الأشعرية يصلون إلى القيروان، ويستقرون بها، وينشرون بها العقيدة على المذهب الأشعري.

ولكن سيطرة الشيعة سياسياً على القيروان وإفريقية في نفس الفترة التي ظهرت فيها الأشعرية وطيلة حوالي قرن ونصف بعد ذلك، أدّى إلى مناهضة الشيعة من قبل الباقلاني، وقد أُلّف في ذلك كتاباً سماه «كشف أسرار الباطنية»، ولا شك انه كان لذلك انعكاس بالقيروان تمثل في مزيد من الضغط على الشيعة وتضييقهم. تأخر دخول الأشعرية بصفة عميقة إلى مصر بعامل الوجود الشيعي بها بعد انتقاله من إفريقية إليها سنة ٣٦١ هـ، فقد ذكر المقرئزي ان الأشعرية لم تنتشر بمصر إلا بعد منتصف القرن السادس على عهد صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩ هـ)، ذلك الذي حفظ في صباه «عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وصار يحفظها صغار أولاده»<sup>(١)</sup> وهي عقيدة أشعرية رُوِّج لها أحد أكبر اعلام المالكية والأشعرية بالمغرب الا وهو محمد بن علي بن عمر المازري.

يمكن أن نعتبر المازري ممثلاً لمرحلة ظهرت فيها بوادر واضحة لنضج الأشعرية وعطائها بأفريقية، فقد بدت في مؤلفاته خصائص هذا المذهب واضحة المعالم، وبانت في آرائه بعمق مقولات الأشعرية في فهم العقيدة. ففي ما وصل إلينا من كتبه، وبالأخص «المعلم بفوائد مسلم» نجده في

مسائل العقيدة يقيم الحجة العقلية وهو يستعمل التأويل في النص: «... يأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها لله تعالى» يقول: «الاتيان هنا عبارة عن رؤيتهم لله تعالى». فالإيمان عنده هو التصديق، ورؤية الله جائزة في اليوم الآخر.<sup>(١)</sup>!!

إلا ان أتباع هذا المنهج في العقيدة بالقيروان لم يخل لهم المجال من المعارضين لهذه الواجهة، بل وجدت بالمدينة منذ وقت مبكر وجهات مخالفة في الفهم العقائدي.

فلقد كان للمعتزلة وجود بالقيروان منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، ولعل ذلك من آثار البعثة التي أرسلها واصل بن عطاء إلى المغرب لنشر الاعتزال بها. كما ظهر الخوارج من الصفرية والاباضية بالقيروان منذ أوائل القرن الثاني للهجرة أيضاً وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا يدخلون القيروان دعاء يمهدون لاقامة دولة لهم في مناطق نائية بعيدة عنها، إلا ان آثارهم بقي لها وجود بالقيروان بعد تكوين تلك الدول.

على ان أثقل وجود للفرق الإسلامية بالقيروان، كان وجود الشيعة التي استطاعت ان تكون الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧ هـ، وقد ألفت هذه الفرقة بثقلها الفكري العقائدي تعززه السلطة السياسية.

إن وجود هذه الفرق كلها في مدينة واحدة، كان مفضياً إلى قيام حوار فكري عقائدي ثري، بلغ ذروته عند ابن عرفة الورغمي في كتاب ألفه في أصول الدين يعتبر من أهم مؤلفاته حيث أصبح مشهوراً باسم «المختصر الشامل»  
لمح ابن عرفة في مقدّمة المختصر إلى المنهج الذي سلكه في هذا التأليف؛

١. عمر النجار، عبدالمجيد: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص ٣٠، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

حيث اعتمد عناصر أساسية ثلاثة هي: الجمع والعرض، والمقابلة، والتعليق.

أ- الجمع والعرض: في كل قضية من القضايا التي يتناولها ابن عرفة يبادر أول ما يبادر إلى جمع عدد من الآراء والأقوال فيها، فيذكر آراء أهل السنة معزوه إلى أصحابها، من أعلام الأشاعرة خاصة، ويذكر آراء الخوارج والشيعة والمعتزلة معزوة إلى الفرق إن كانت محلّ اتفاق أو إلى العلماء إن كانت محلّ اختلاف، وقد يضيف في بعض الأحيان مع ذلك آراء الفلاسفة وخاصة في الكتاب الأوّل، ويتطرق بين الحين والآخر إلى آراء المتصوفة والنصارى واليهود حتى لا ينتهي من المسألة إلا وكل ما قيل فيها أو جلّه معروض بين يدي القارئ على نحو ما جاء في مسألة نصب الامام إذ يقول فيها: «في الأربعين قال أصحابنا والمعتزلة يجب على الخلق نصب إمام وطريق وجوبه السمع إلا أبا الحسين البصري والجاحظ وأبا الحسين الخياط وأبا القاسم الكعبي قالوا: طريق وجوبه العقل. وقالت الاسماعيلية: يجب على الله نصب الإمام المعصوم ليرشد إلى معرفته. وقالت الاثنا عشرية بل يكون لطفاً في أداء الواجبات العقلية واجتناب القبائح العقلية وحافظاً للدين على الزيادة والنقصان. وقال أكثر الخوارج لا يجب نصب الامام إلا في وقت ما. وقال بعض الناس يجب عند ظهور الفتن دون وقت الأمن والعدل، ومنهم من عكس». ابن عرفة: المختصر الشامل، ص ١٩٠.

ب- المقابلة

ج- التعليق

ولابن عرفة طرق شتى في التعليق على الآراء والأدلة، منها المعارضة الشعرية: وذلك كما جاء في الردّ على شاعر الخوارج عمران بن حطان في مدح ابن ملجم لقتله علياً في قوله الشهير شعراً:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا  
إنني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا  
يقول ابن عرفة معقّباً على ذلك: قلت:

يا قولة من كذوب في الحديث أتى

تكذيبه قل له فالصدق برهانا

يا ضربة من شقي قد أراد بها

رب العباد سُخْطاً وخسرانا

إنني لأذكره حيناً فأعلمه

أشقى الخليفة جنياً وانسانا

إن هذه التعاليق المتنوعة في مختلف المواضيع والقضايا تدل على أن ابن  
عرفة كان قيماً على جميع الآراء التي يعرضها مهيمناً عليها.<sup>(١)</sup>

### الإطار الثقافي لفكر ابن تومرت:

ولد المهدي بن تومرت بمنطقة السوس جنوب المغرب الأقصى سنة ٤٧٤ هـ، وارتحل في مستهل القرن السادس إلى المشرق ليقضي ببغداد عشر سنوات في طلب العلم، ثم طوّف في كثير من البلاد الإسلامية في رحلة رجوعه من بغداد إلى مراكش حيث استغرقت تلك الرحلة ما يزيد على أربع سنوات. وقد افاد ابن تومرت في رحلته هذه فوائد علمية وسياسية واجتماعية جمّة هيأته ليقوم بدور المصلح السياسي الديني الفذ.

وفي الجانب السياسي والاجتماعي تمكن ابن تومرت من الاطلاع عن

١. عمر النجار، عبدالمجيد: فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، ص ٥٥.

كتب على أنظمة سياسية مختلفة حيث كانت له لقاءات مع العديد من الأمراء والولاة، وهو ما أكسبه معرفة واسعة بالواقع السياسي للمسلمين.

### طرق إقامة الدولة على الدين:

لقد كانت تحكم بلاد المغرب في هذه الفترة التي رجع فيها ابن تومرت دولة المرابطين التي أسسها يوسف بن تاشفين، وقد قامت هذه الدولة على أساس من العلم الديني حيث كان باني قوامها الروحي أحد العلماء من فقهاء المالكية وهو عبدالله بن ياسين الذي أراد أن تحكم المغرب دولة تسوس الناس بحسب تعاليم الشريعة على مذهب مالك بن أنس.

ورغم قيام الدولة على هذا الأساس الديني، فإن سياستها العامة طرأت عليها بعض الانحرافات في مجال الحكم، وفي المجال الاجتماعي، وقد وقف ابن تومرت على هذه الانحرافات بعد عودته من المشرق، وذلك أثناء تنقله المستمر بين المدن والقرى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وأثناء التقائه بالكثير من العمال والولاة وبأمر الدولة نفسه علي بن يوسف بن تاشفين.

### أ - طريق الإصلاح:

كانت المحاولة الأولى للإصلاح متمثلة في أمر الحكام بالمعروف. ونهيه عن المنكر املاً في ان تنصلح سياستهم بهذه الطريقة، ومما قاله في هذا النطاق مخاطباً الأمير علي بن يوسف في مجلس أحضره فيه للمناظرة: إنما انا رجل فقير طالب الآخرة ولست بطالب دنيا، ولا حاجة لي بها، غير إني أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأنت أول من يفعل ذلك، فانك المسؤول عنه، وقد وجب عليك إحياء السنة، وامانة البدعة، وقد ظهرت بمملكتك المنكرات وفشت البدع، وقد أمرك الله

بتغييرها، وإحياء السنة بها، إذ لك القدرة على ذلك، وأنت المأخوذ به المسؤول عنه، وقد عاب الله تعالى أمةً تركوا النهي عن المنكر فقال تعالى: «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»<sup>(١)</sup>. وقال في نفس المجلس مخاطباً أحد القضاة انتدبه الأمير لمناظرته لما سأله: ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق، المؤثر طاعة الله تعالى على هواه، فأجاب: أما ما نقل عني فقد قلته، ولي من ورائه أقوال، وأما قولك إنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه، وينقاد إلى الحق، فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه، ليعلم بتعزّيه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتضرونه به، مع علمكم ان الحجة عليه متوجّهه، فهل بلغك يا قاضي أن الخمرة تباع جهاراً، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى؟ وعدد من ذلك شيئاً كثيراً. ولكن هذه المواعظ لم تكن لتأتي بشمارها، ولم تكن لتؤدي إلى إصلاح، بل آنها كانت سبباً في طرده، ثم في مطاردته وطلب دمه عقاباً لما اعتبر منه إثارة للفتنة، وتشويشاً على الدولة.

### ب - طريق الثورة:

إزاء هذا الفشل لمحاولة إصلاح سياسة الدولة بإصلاح الحكام القيميين عليها غير ابن تومرت في طريقته تغييراً جذرياً، وعدل عن منهج الوعظ إلى منهج الثورة على الدولة القائمة للاطاحة بها، واقامة دولة جديدة مكانها تقوم على أسس متينة تضمن لها سياسة شرعية في مختلف الميادين.

وقد قسم هذا العمل الثوري إلى قسمين متكاملين: قسم يتعلق بهدم الدولة القائمة وإزالة السياسة غير الشرعية التي تنتهجها. وقسم يتعلق ببناء الدولة

الجديدة التي يهدف منها إلى سياسة الناس بسياسة شرعية قوية.  
أما هدم الدولة القائمة فإنه ابتداءً بحملة إعلامية تبين بتفصيل مظاهر الفساد في سياسة هذه الدولة، ومواطن انحرافها عن التعاليم الشرعية مما يقوم سبباً لوجوب مناهضتها والاطاحة بها ضمن إطار ما فرض على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهؤلاء المرابطون ظهر فساد سياستهم بصفة جميلة في «أنهم سعوا في هدم الدين، وإماتة السنة»، وتمثل ذلك الفساد بصفة تفصيلية في أنهم «تمادوا على الفساد في الأرض وعلى العتو والطغيان، وعلى هلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم، وخراب ديارهم، وفساد بلادهم وسفك دمائهم، واستباحوا أكل أموال الناس بالباطل وأخذ أموال اليتامى والأرامل، وتمادوا كلهم على ذلك، وتعاونوا عليه فرحين مسرورين، لانهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت، حتى اعتادوا الإسراف والتبذير في اللذيذ من الطعام والرقيق من الثياب، والخيل الموسومة».<sup>(١)</sup>

إن هذا الانحراف السياسي في حراسة الدين، وتصريف شؤون الحكم، ورعاية مصالح الناس ليس انحرافاً على مستوى العمل فقط بل له جذور في مستوى التصور العقائدي، وفي مستوى المنهج الذي تفهم به الشريعة.

ففي مجال التصور العقائدي لم يخلص المرابطون التوحيد لله تعالى بل إنهم غلظت تصوراتهم للذات الإلهية حتى سقطوا في التجسيم، ولذلك سماهم المهدي

١. ابن تومرت: الرسالة المنظمة، (ج ١، ص ١٠٦) (منشورة ضمن أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية، ١٩٧٩ م).

بالمجسمين واعتبر منهم ذلك انحرافاً في العقيدة جرت تصوراتهم عليه، وبثوه في الناس، وشجعوا على اعتناقه.

### الأسس الدينية للدولة:

إذا لم يكتب لابن تومرت أن يعيش حتى يطيح بدولة المرابطين. ويمارس عملياً من بعدها سياسة الدولة التي خطط لقيامها، إلا أنه حدد لاتباعه وتلاميذه من بعده أسس هذه الدولة ووصف لهم السياسة الشرعية التي ينبغي أن تقوم عليها، بل إنه بدأ يمارس عملياً هذه السياسة مع مجموعة من الأتباع الذين انضموا إليه واستجابوا لدعوته، فقد كون منهم مجتمعاً صغيراً في بلاد السوس، وجعل يسوسهم بحسب تلك القواعد التي سطرها في كتبه ورسائله بالقدر الذي تسمح به ظروف هذا المجتمع الصغير وأوضاعه خلال العشر سنوات التي قضاها ابن تومرت في مناهضة عسكرية مستمرة لدولة المرابطين.

### أساس العلم الديني:

قد تبين لابن تومرت أن من أهم أسباب الانحراف في سياسة الحكام هو تعريضهم عن صفة العلم الصحيح بالشريعة، فجاءت سياستهم غير مهتدية بنور العلم بل مسيرة بعوامل الهوى والشهوة والمنفعة الخاصة. ولهذا السبب فإن المهدي جعل هدفه الأول تأسيس دولة على أساس من العلم بالشريعة، وكرس كل جهده لتحقيق هذا الغرض.

إن الأساس الأول الذي وضعه المهدي لسياسة الدولة المرتقبة هو أساس عقائدي يتمثل في علم صحيح بالعقيدة الإسلامية، وعمل جاد بمقتضاها، وقد جعل محورياً لهذا الأساس العقائدي حقيقة التوحيد التي تتراجع إليها كل حقائق



العقيدة وتنبع منها كل مسائلها ولذلك فإنه ما فتىء منذ رجوعه يشرح حقيقة التوحيد، وأبعاده، ويقيم عليها الأدلة والبراهين ويدرسها لأتباعه أول ما يدرسه من العلم واضعاً في ذلك رسائل جعل استيعابها أساساً لكل منتم إليه، وأصبحت فيما بعد دستوراً تنبع منه كل تصرفات الأفراد والجماعات، ومن أشهر تلك الرسائل رسالة المرشدة، ورسالة توحيد الباري، ورسالة في أن التوحيد هو أساس الدين.

وقد حدّد مفهوم هذه الحقيقة وأبعاها في قوله: «التوحيد هو إثبات الواحد، ونفي ما سواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت، كل ما يعبد سواه يجب نفيه والفكر به والتبرؤ منه»<sup>(١)</sup>.

إن حقيقة التوحيد كما صورها المهدي وانتصر لها أرادها أن تكون المرتكز الأول لسياسة الدولة التي شرع في تأسيسها وهو ما تؤكد وصيته لأتباعه الذين حملهم مهمة إقامة الدولة من بعده إذ قال لهم: «اشتغلوا بتعليم التوحيد، فإنه أساس دينكم حتى تنفوا عن الخالق الشبيه والشريك، والنقائص والآفات، والحدود والجهات، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسّمه، ومن جسّمه فقد جعله مخلوقاً ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن»<sup>(٢)</sup>.

وتدعيماً منه لهذا المعنى فإنه سمّى الحركة التي قام بها بحركة «الموحدين»، إنطلاقاً من تسمية كل من انضم إليه باسم الموحد. وقد سمّى المرابطين بالمجسمين

١. ابن تومرت: رسالة في ان التوحيد هو أساس الدين، ص ٢٧١ (ضمن مجموع أعز ما يطلب)، طبعة فونتانة، الجزائر، ١٩٠٣م.

٢. ابن تومرت: رسالة إلى الاتباع، ص ٤، ٥، (ضمن كتاب أخبار المهدي للبيدق)، طبعة باريس، ١٩٢٨م.

إشارة منه إلى أن فساد سياسة هذه الدولة إنما هو بسبب انحراف أهلها عن الأصل الصحيح، وهو ما يظهر من ربطه المستديم بين وصفهم بالمجسمين وبين ذكر سائر أخطائهم وانحرافاتهم الأخرى في مجال الحكم والاجتماع.<sup>(١)</sup>

والأساس الثاني الذي وضعه المهدي لسياسة دولته ضمن دعامة العلم هو الأساس المنهجي في فهم الشريعة، ويقوم هذا الأساس على وجود أن يحصل العلم بالأحكام الشرعية انطلاقاً من الأصول المتمثلة في نصوص القرآن والحديث. كما أننا نجده فيما يتعلق بالإمامة يميل إلى بعض آراء الشيعة في القول بالمهدية خاصة، ولكنه ميل في الفكرة العامة أمّا العناصر والتفاصيل فإنها من إنشائه الخاص.<sup>(٢)</sup>

لقد كان لابن تومرت موقف سياسي عملي حيث نهض لمحاربة دولة المرابطين وتأسيس نواة لدولة جديدة هي دولة الموحدّين، فاستدعى منه كل من المقاومة والتأسيس استحداث آراء وتطبيقات اقتضتها الظروف فاشتقتها من الأصول الشرعية بنظر اجتهادي، وتبدو أهم هذه الآراء والتطبيقات في مجالين اثنين:

**أ - الخروج على السلطان الجائر:** تندرج هذه المسألة في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا كانت كافة الفرق الإسلامية تقرّ هذا المبدأ في عمومه فإنها اختلفت في فرع من فروعها وهو الخروج على السلطان الجائر، فذهب البعض إلى المنع وهم عامة أهل السنة، وذهب البعض الآخر إلى الجواز أو

١ . أنظر ما جاء في رسالة «في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين» (ضمن مجموعة أعز ما يطلب: ص ٢٥٨ وما بعدها).

٢ . عمر النجار، عبدالمجيد: فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، ص ٩٧.

الوجوب وهم عامة الشيعة.

وقد كان لابن تومرت موقف نظري وعملي واضح في هذه المسألة حيث تبنى القول بوجوب الخروج على السلطان الجائر وعده من باب الجهاد وقال في الاستدلال عليه: «أجمعت الأمة قاطبة خلفها وسلفها على أن الظالم لا يعان على ظلمه، ولا تجوز طاعة في معصية الله، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... وتحريم طاعة المخلوق في معصية الله معلوم من دين الأمة ضرورة، ولا يحتاج فيه إلى بسط الأدلة»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس النظري تبنى المهدي موقف الخروج على الحكام المرابطين وإعلان الثورة عليهم لما كان منهم على رأيه من الجور والفساد، فجهادهم «قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر لا عذر لأحد في تركه ولا حجة له عند الله، فإنهم سعوا في هدم الدين وإماتة السنة واستعباد الخلق وتمادوا على الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان»<sup>(٢)</sup>.

إن هذا الموقف من ابن تومرت نظرياً وعملياً إذا ما وضعناه في سياق مواقف العلماء من أهل المغرب، وخاصة علماء أهل السنة فإننا نلفيه موقفاً اجتهادياً مخالفاً لذلك السياق، حيث يذهب هؤلاء عادة إلى منع الخروج على السلطان الجائر بعلّة اتقاء الفتنة، وهو ما كان محلاً لنقد شديد وجهه المهدي إلى الفقهاء المغاربة المنتمين إلى المرابطين والذين دعوا الناس إلى طاعتهم والإنقياد

١. ابن تومرت: من رسالة بكتاب أخبار المهدي للبيدق (أبو بكر الصنهاجي)، ص ٩، طبعة باريس، ١٩٢٨م.

٢. ابن تومرت: الرسالة المنظمة، ص ١٠٥ (ضمن أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته) طبعة الجامعة التونسية، تونس.

إيهم فقال لهم: «وقالوا لهم: عليكم السمع والطاعة في كل ما أمروكم به، مع علمهم بأنهم لا يأمرن إلا بالباطل والفساد والضلال، وهلاك الحرث والنسل، وقالوا لهم: تلزمكم طاعتهم في ذلك كله اتباعاً لأهواء الكفرة وافتراء على الله»<sup>(١)</sup>.

**ب - الحكم بالشورى:** لما كثر أتباع المهدي والمنضمون إلى دعوته وأصبحوا يشكلون مجتمعاً صغيراً، حاول المهدي أن يسوس هذا المجتمع الصغير بنظام شوري حفظت لنا كتب التاريخ ملامح عنه، ولكنها لم تحفظ تفاصيله وطريقة عمله.

ويقوم هذا النظام على ثلاثة مجالس شورية مترتبة في الأهمية بحسب المسائل التي تطرح فيها.

فالمجلس الأول سَمَّاه «مجلس العشرة» ويشتمل على عشرة رجال عيّنهم المهدي من خيرة أصحابه، والسابقين إلى نصرته والانضمام إليه. والمجلس الثاني سَمَّاه «مجلس الخمسين» وهو مجلس يشتمل على خمسين رجلاً يمثلون مختلف القبائل التي انضمت إلى دعوته.

والمجلس الثالث سَمَّاه «مجلس السبعين» وهو مجلس يشتمل على سبعين رجلاً من بينهم أعضاء مجلس الخمسين، وعشرون آخرون يمثلون قبائل أخرى. ويبدو أن هذه المجالس كانت تتداول في القضايا المطروحة على الجماعة الجديدة فيما يطرأ عليها في حالة السلم وفي حالة الحرب، وطريقة العمل المتبعة في المشورة هي أنهم كانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين، فإذا جاء دون ذلك أحضروا

١. ابن تومرت: الرسالة المنظمة (ج ١، ص ١٠٥) (ضمن أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته) طبعة الجامعة التونسية، تونس.

السبعين رجلاً، وفيما دون ذلك لا يتأخر أحد<sup>(١)</sup>.

**ج - المؤاخاة والعدالة:** اجتهد المهدي في أن يكون المجتمع الذي أسسه تسود فيه قيم التأخي والعدالة وضلّ يرسخ هذه القيم في اتباعه باستمرار ويستحدث من الوسائل ما يجعلها واقعاً جارياً بينهم:

فكثيراً ما كان يخاطب أصحابه بوجوب التأخي والتواصل فيقول لهم ما بين ما يقول: «وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، وائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر،... وتواصلوا فيما بينكم ولا تقاطعوا وتحابوا ولا تدابروا، واتفقوا ولا تختلفوا، وتطاعوا ولا تنازعوا»، وترسيخاً لهذه القيم كان المهدي يعقد المؤاخاة بين الأفراد والقبائل على نحو ما كان الرسول (ص) يقوم بين المهاجرين والأنصار ربطاً للمودة وترسيخاً عملياً للأخوة، وكذلك فإنه كثيراً ما كان يحذرهم من الظالم والتعادي فيقول لهم من بين ما يقول: «واجتنبوا المحارم، وردّوا المظالم، وتحالّلوا وتغافروا فيما بينكم يفر الله لكم... ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، ولا تخونوا ولا تغدروا»<sup>(٢)</sup>.

١. عمر النجار، عبدالمجيد: فصل في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص ٩٩.

٢. عمر النجار، عبدالمجيد: فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، ص ١٠٠.



**المغرب العربي**

**في المجتمع المعاصر**





## ليبيا

### التسمية:

عرفت أفريقية الشمالية عند اليونان باسم ليبيا. والمؤرخون الأغريق وفي مقدمتهم هيرودت Herodote وسيلاكس Sylax واسترابون Strabon يذكرون سكان افريقية الشمالية باسم الليبيين. وهذه التسمية هي التي يستعملها هوميروس أيضاً في الأوديسة. وقد ذهب بعث الباحثين إلى أن كلمة ليبيا «مشتقة من الكلمة الاغريقية» (Libis) التي كانت تطلق على الريح الجنوبية الغربية. على أن البعض الآخر، وفي مقدمتهم دوبرا Duprat يلاحظ أن الأولى أن تكون هذه الريح هي التي أخذت اسمها من ليبيا، لا العكس - تماماً كما كان الرومان يسمون هذه الريح نفسها بالريح الافريقية.

ولكن اعتقاد بعض المؤرخين المحدثين بأن هذه التسمية اغريقية، يرجع إلى أنهم لم يجدوها في مصادر أقدم من المصادر الأغريقية.

وهذا لا يمنع من أن يكون الأغريق قد أخذوها بدورهم عن قدماء المصريين، أو الفنيقيين، مثلاً.

وكذلك يوجد رأي يقول بأن «ليبيا» ليست تسمية اثنوغرافية، وإنما هي وصف كان يطلق على طبيعة الأرض وجو البلاد المجاورة لمصر من الناحية الغربية.<sup>(١)</sup>

١. العربي، اسماعيل: دولة بني حمّاد ملوك القلعة وبجاية، ص ١١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.

### الموقع وأهم المعالم:

ليبيا ذات موقع استراتيجي هام على البحر المتوسط. وهي تعد جزءاً من الصحراء الكبرى لذلك فمراكز العمران فيها مجرد واحات متناثرة، والزراعة فيها بقع قليلة متباعدة. وأفضل الأراضي الزراعية بها تقع في إقليم طرابلس الذي يقطن فيه ٧٥٪ من السكان. والاقتصاد الليبي يعتمد اعتماداً كاملاً على البترول. ومن معالم ليبيا الهامة الآثار الفينيقية واليونانية والرومانية والاسلامية. ومنها قلعة طرابلس القديمة، ومتاحفها الثلاثة، والمدرج اليوناني الكبير، وأهرامات فزان، وجامع طرابلس وغير ذلك.

### الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب و بربر ٩٦٪.

اللغة: العربية.

استخدام الأرض: المستزرع ١٪، والمراعى ٨٪.

أهم المحاصيل: القمح، الزيتون، التمور، والحمضيات، الفول السوداني.

أهم المعادن: نפט - غاز طبيعي.

أهم الصناعات: التكرير، الأغذية، النسيج، الأسمنت، الجلود.

الثروة الحيوانية: أغنام ٦/٣ مليون.<sup>(١)</sup>

١. كبن، علي: المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقيا، ص ٥٠، دار الوفاء للطباعة والنشر،

الطبعة الاولى، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

## المسلمون في ليبيا قبل الاستعمار الإيطالي وبعده

أقام محمد بن علي السنوسي<sup>(١)</sup> دعوته الإصلاحية بليبيا، وأنشأ بها الزوايا لتكون مراكز لتعليم الدين والصناعة والزراعة، والتدريب على الجهاد. ثم خلفه ابنه محمد عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م وتوفي عام ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م وفي عام ١٩١١ تعرضت ليبيا للغزو الإيطالي، فقاد المقاومة الشيخ أحمد السنوسي، ومعه الشيخ عمر المختار. وعاشت ليبيا مأساة محزنة في ظل الاحتلال الإيطالي حتى عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م حيث اتبع الإيطاليون سياسة الإبادة وقد بلغ عدد القتلى الليبيين خلال السنوات العشر الأولى من الاحتلال حوالي سبعون ألف قتيل، وذلك في المدة من عام ١٩١١ إلى ١٩٢١ حين هبّ الليبيون لمجاهدة المحتل بقيادة أحمد السنوسي، وقد عومل السكان أسوأ معاملة، فألقى بكثير منهم من الطائرات، وهتكت الأعراض، كما سيق العمال والمجنودون إلى الخدمة مع الجيش

١ . يقول الأمير شكيب ارسلان: السنوسية هي طريقة عمل بالسنة والشريعة بدون شرط ولا قصور. مؤسسها سيدي محمد بن علي السنوسي الخطابي من عيون أعيان القرن الثالث عشر للهجرة، أصله من الجزائر من قبيلة مجاهر من جهات مستغانم، جده سيدي عبدالله بن خطاب المجاهري. واطلعت لهم على نسب ينتهي إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما.

أما سيدي محمد بن علي السنوسي فقد كان عالماً عاملاً، كبيراً مجتهداً، خرج من الجزائر عندما احتلها الفرنسيون. وطاف بالبلدان وحج البيت الحرام ولقي كبار الأشياخ، ويظهر أنه رأى القطر الطرابلسي أكثر استعداداً من غيره لقبول دعوته فابتدأ بتأسيس طريقتة في طرابلس وبرقة وغيرها(\*) .

\* . ستودارد، لوثرروب: حاضر العالم الاسلامي، نقله إلى العربية عجاج نويهض، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ١٤٠،

دار الفكر، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م.

الإيطالي في الحبشة والصحراء الغربية. (١)

ولقد أبلى الشعب الليبي بلاءً حسناً في الذود عن وطنه وأوقع بالإيطاليين خسائر فادحة وقلب مخططاتهم رأساً على عقب، فقد كانوا يقدرّون أن يتم الغزو في أسابيع فلم يستطيعوا إتمامه إلا بعد عشرين عاماً كاملة، ولقد كانت إيطاليا تتوق - من كثرة الخسائر - إلى السلم فكانت تلجأ إلى أصدقاء السيد الشريف السنوسي لإقناعه بالصلح، وكان من وسائلها لديه الخديو عباس حلمي الذي أرسل للشريف السنوسي وفداً في الجبل الأخضر سنة ١٩١٣ م. (٢)

دعوة سيدي أحمد الشريف السنوسي إلى جهاد الإيطاليين في  
طرابلس الغرب وبرقه:

المنشور الذي نشره في القبائل

**بسم الله الرحمن الرحيم**

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

انه من عبد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد علي السنوسي الخطابي الحسني الأدريسي إلى كل واقف عليه من عموم المسلمين خصوصاً البلاد التي استولت عليها اعداء الدين.

الحمد لله العزيز الجبار، والصلاة والسلام على من أطل عرّ الدين بالبّتار، وعلى آله الأنصار، القائمين بواجب «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار»، الصادقين معاهدوا الله عليه، الذائقين من حلاوة الشهادة ما احبوا مفارقة النعيم المقيم

١ . محمد مسعود، الدكتور جمال عبدالهادي: المجتمع الاسلامي المعاصر، ٥٠/٢.

٢ . سليمان، الدكتور أحمد السعيد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ٧٢/١، دار المعارف، القاهرة.

للرجوع إليه.

اما بعد اهدائي اطيب السلام، والدعاء لثبات الاقدام بثبات الاقدام، اعلموا «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة... فاستبشرو بيئكم...» وجاهدوا متخذين نصره سيفاً وولايته جنة. واسمعوا ما نهكم به على الوفاء بتسليم المبيع من الوعد بالربح الجسيم، في قوله: «هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين»، واحذروا ما توعد به المماطل من العذاب والتدمير، في قوله: «مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقتم إلى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل. الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير».

واعلموا أن الاجل محتوم، فما خائض المعركة ميت الا به، ولا القصور المشيدة مانعة ملائكة الموت عن ساكنها. فما اصاب لم يكن ليخطيء وما أخطا لم يكن ليصيب، على أن الموت في الجهاد هو منتهى أرب اللبيب، اذ هو الحياة الحقيقية، وكما المنزلة بالرزق في مقام الحضرة الربانية. فلهذا آثره من ينفرد في الدنيا بعز الخلافة على ما هو فيه، فكيف بمن به يكون خلاصه من أسر الاعداء وسبيهم نسائه واولاده وما يحميه.

واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف وأن الشهيد لا يجد الموت الا كالفرس لما هو به مشغوف، يجد ريح الجنة وتراءى له الحور اذا أثنخ. وقد قال

أنس النضر في وقعة أحد: «واها لريح الجنة؛ اني لاجد ريحها دون أحد»؛ ثم انغمس في المشركين حتى قتل.

ولا تصدنكم عن جهادكم كثرة عدد ولا عدد، فان قوة الايمان يتلاشى في جنبها كل عدد، فجموعهم المعسكرة مكسرة وعزما تهم الموثنة مصغرة وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة. وقد وعد الله ناصرته بالنصر والتثبيت، والعدو بالتعس والتشتيت ولا ترتدوا على أذباركم لضعف من بعض أمرائكم، فان المرء لو جاهد الله وحده لصدق وعده وأعز جنده، بل جاهدوا ولو فرة وأثبتوا ولو مرة. فقد كان في الغزوات، يتداول الرايات الجماعات، كلما خبيء(?) امير أخذها الآخر لينال المرام. وفي الحديث: الحث على الجهاد مع كل امام، فلا تنكسرن قلوبكم لقله عدد ولا تجنبوا الضعف مدد، بل ليقاتل أحدكم ولو وحده منتظراً بالنصر وعده. فقد قال تعالى: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله».

فالله عباد الله، خلصوا انفسكم واعراضكم من ايدي الكفار واغسلوا يا ذوي الهمم ملابس مروءتكم من العار، وجاهدوا بالانفس والاموال...  
فلا يوجبن لكم - ما المسلمون فيه الآن - جنباً ولا تقصيراً، «فالله ولي الذين آمنوا»، و«كفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً». واصبروا فان الفرج قريب، وانى ان شاء الله قادم اليكم عن قريب، وعليكم منا اتم السلام.<sup>(١)</sup>

١. حائري، عبدالهادي: همگامی ایران و لیبی بر ضد امپریالیسم، (دو سند تاریخی)، ص ٢٥، ٢٦، انتشارات آموی، مشهد، ١٩٨٠م.

## الموقف الشيعي من النشاط الاستعماري الإيطالي في ليبيا

كانت الاستجابة الشيعية نشطة إزاء الحدث، إذ ما كادت الدولة تتبنى إعلان الجهاد، حتى بادر علماء الشيعة إلى إصدار فتاواهم في وجوب الجهاد ومحاربة الاستعمار الإيطالي.

كما ساهم الشيعة إلى جانب السنة في تشكيل لجان الدفاع عن طرابلس الغرب، وجمع التبرعات، حتى إن الشيخ مبدر الفرعون رئيس آل فتلة تبرّع بمبلغ خمسمائة ليرة، وأعرب عن استعداده للاشتراك في الجهاد رغم أنه كان معتقلاً، وقد أطلقت الحكومة العثمانية سراحه تمييزاً لموقفه.<sup>(١)</sup>

في كربلاء عقد الأهالي اجتماعاً عاماً عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام أقيمت فيه الخطب الحماسية، ثم جرى جمع التبرعات. وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م (١٨ شوال ١٣٢٩هـ) تظاهر ما يقرب من الألفين من أهالي المدينة<sup>(٢)</sup>. وشهدت مدينتا النجف الاشرف وسامراء تظاهرات جماهيرية أقيمت فيها الخطب الحماسية، ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود.<sup>(٣)</sup>

كما اهتم الشعر الشيعي بالاحتلال الإيطالي، ونظم علماء الشيعة القصائد السياسية التي تبين أبعاد التحدي الاستعماري وواجب المسلمين إزاء المشاريع الاستعمارية كان من هؤلاء العلماء الشيخ محمد باقر الشيبلي والشيخ علي

١. الوردي، الدكتور علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ١/١٨٨.

٢. شبر، حسن: تاريخ العراق السياسي المعاصر، ٢/١١١.

٣. عمر نظمي، الدكتور وميض جمال: شيعة العراق وقضية القومية العربية، مجلة المستقبل العربي آب - تشرين الأول ١٩٨٢م.

الشرقي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وغيرهم من علماء وشعراء الشيعة. وأرسلت الحوزة العلمية في النجف السيد مسلم زوين وعزيز بك قائمقام النجف إلى ليبيا لدراسة إمكانية الاشتراك في الجهاد.

### **فتوى المرجعية في النجف الأشرف بإعلان الجهاد المقدس ضد الغزو**

#### **الإيطالي لطرابلس الغرب سنة ١٩١١م.**

أصدر الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ عبدالله المازندراني و شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ علي رفيش والسيد محمد سعيد الحبوبى والسيد مصطفى الكاشاني والشيخ حسن صاحب الجواهر والشيخ محمد حسين القمشة والسيد علي التبريزي ومحمد آل الشيخ صاحب الجواهر ومحمد جواد الشيخ مشكور والشيخ جعفر ابن المرحوم الشيخ عبدالحسن وغيرهم من العلماء، أصدروا الفتوى التالية:

#### **بسم الله الرحمن الرحيم**

إلى كافة المسلمين الموحدين وممن جمعتنا وإياهم جامعة الدين والإقرار لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين.

السّلام عليكم أيّها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الإسلام.

لا يخفى عليكم أنّ الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الإسلام وثغوره مما قام إجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه. قال الله تعالى: (أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هذه جنود إيطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها، وخرّبوا عامرها وأبادوا أبنيتها وقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها. مالكم تبلغكم دعوة



الإسلام فلا تجيبون، وتوافقكم صرخة المسلمين فلا تغيثون؟ أنتظرون أن يزحف العدو إلى بيت الله الحرام وحرّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام ويمحوا الديانة الإسلامية والدولة العثمانية عن شرق الأرض وغربها. وتكونوا معشر المسلمين أذلّ من قوم سبأ.

فالله الله في التوحيد. الله الله في الرسالة. الله الله في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين، فما بعد التوحيد إلا التثليث، ولا بعد الإقرار بمحمد (ص) إلا عبادة المسيح، ولا بعد إستقبال الكعبة إلا تعلق الصليب، ولا بعد الأذان إلا قرع النواقيس، فبادروا إلى ما افترض الله عليكم من الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا، وأجمعوا كلمتكم، وابدلوا أموالكم، وخذوا حذركم، وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، لئلا يفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متناقلون.

فليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

وأصدر السيد كاظم اليزدي فتواه بوجوب الدفاع عن طرابلس الغرب ضد الاحتلال الإيطالي ومواجهة التحدي الاستعماري الذي تتعرض له بلاد المسلمين.

وقد حاول علماء الشيعة نشر الوعي السياسي على أكبر قاعدة من الأمة الإسلامية. وذلك من خلال عرض مواقفهم في صحافة الدولة العثمانية. ولهذا المشروع الإعلامي أهميته السياسية آنذاك، نظيراً لعدم اهتمام الدولة بالشيعة، واتباعهم سياسة طائفية جعلت الشيعة بعيدين عن دورهم الحقيقي في كيان الدولة. وعلى هذا فإنّ علماء الشيعة أرادوا كشف حقيقة موقفهم الإسلامي من أجل حث المسلمين كافة على التفاعل مع الدولة في مواجهة النشاط الاستعماري

الذي يستهدف المسلمين بلا تمييز. وضمن هذه الاتجاه أرسل الشيخ الخراساني والسيد إسماعيل الصدر والشيخ عبدالله المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني وشيخ الشريعة الاصفهاني، البرقية التالية إلى الصحف التركيّة في اسطنبول:

(ظهرت منذ سنوات فكرة استيلاء إيطاليا وروسيا على طرابلس وإيران، واستعباد المسلمين من أهلها وإذلالهم، وعملت الدولتان على فتح تلك الأراضي الإسلامية المقدسة.

ومهما أمعت الدولتان اللئيمتان في تقطيع الممالك الإسلامية إرباً إرباً، فإنّ تمسك المسلمين بدينهم الحنيف كفيل بارجاعهما خائبتين خاسرتين).<sup>(١)</sup>  
 كما أرسل كل من الشيخ الخراساني، والشيخ عبدالله المازندراني، والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ محمد حسين المازندراني برقية إلى السلطان العثماني محمد رشاد في ١٧ ذي الحجة ١٣٢٩هـ تدعوه إلى التصدي لمواجهة المشاريع الاستعمارية والتخلي عن سياسة المهادنة معها. وهذه البرقية تعكس قوة موقف علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، وحجم تفاعلهم مع مشاكل البلاد الإسلامية، لأنهم يشخّصون أبعاد المشروع الاستعماري بدقة، للدرجة التي يأخذون فيها على السلطان العثماني عدم اهتمامه المطلوب بالمخاطر التي يتعرض لها العالم الإسلامي نصت البرقية على مايلي:

(إلى المقام المقدس ملك المسلمين السلطان محمد الخامس خلّد الله ملكه.

١. فياض، الدكتور عبدالله: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، ص ٢٧ - ٢٨ وقد نشرت هذه البرقية في جريدة (النجم الأشرف) في عددها رقم (٣٠) الصادر بتاريخ ٢٣ ذي الحجة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رُوعَ العالم الإسلامي نتيجة لتعرض بلادهم للغزو من جميع الأطراف. نحن بصفتنا رؤساء المذهب الجعفري الذي ينتمي إليه ثمانون مليوناً من المسلمين من سكان إيران والهند وسائر المناطق الأخرى، وقد اتفقنا وحكمنا بوجوب الجهاد لغرض الدفاع والهجوم، ونرى أنّ عموم المسلمين مكلفون بإراقة الدماء لصيانة دين محمد(ص)، وأنّ ذلك العمل فرض عين. ونعرض على أعتاب الملك حامل الأمانات المقدسة، وخادم الحرمين الشريفين، وخليفة الإسلام، ونطلب منه ألا يتضايق من إعطاء لواء النبي(ص) إلى المسلمين الذين سيتقاطرون من أنحاء العالم للدفاع عن بلادهم. وأن محافظة السياسة الأوروبية قد ولى، ونسترحم بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة إعطاء الأمر).<sup>(١)</sup>

وفي هذا السياق، أصدر الشيخ علي آل بدر القطيفي (١٢٧٨ هـ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٦١ م - ١٩١٥ م) كراساً تحت عنوان (دعوة الموحدين إلى حماية الدين) طبع في النجف الأشرف عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)، وقد تحدّث فيه المؤلف عن النشاط الاستعماري المكثف الذي تتعرض له أقاليم العالم الإسلامي في ليبيا وإيران، وأشار إلى حلقات السياسة الاستعمارية التي سيطرت فيها الدول الأوروبية على الهند والسند والأندلس وتونس ومصر والبحرين وعمان وغيرها من بلاد المسلمين. ووجّه الشيخ القطيفي أنظار المسلمين إلى أنّ المشروع الاستعماري لم يتوقف بعد، وأنه يستهدف أقاليم إسلامية أخرى.

ودعا الشيخ القطيفي المسلمين للدفاع عن طرابلس الغرب وتحريرها من دنس الغزاة وإلى موقفه هذا أشار الشاعر الخطي بقوله:

١. فياض، الدكتور عبدالله: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ص ٢٨ - ٢٩.

ودعوتك العصماء اسّ بنائه  
 قضيتها شبت بحجرك يافعاً  
 ولما رأيت الخضم أوغل في الحمى  
 ترقص اضلاع المنابر داعياً  
 ومث شهيد الحق تحت لوائه  
 وان لم توزعك القنا والبواتر  
 ولم يكتفي المجاهد القطيفي بخطاباته الحماسية المؤثرة بل كتب الرسالة  
 التالية يثبت فيها بالادلة الشرعية وجوب مكافحة المستعمرين الطليان وغيرهم،  
 والحفاظ على أمن الديار الاسلامية وقد فرغ من رسالته يوم ٢٥ شوال ١٣٢٩ هـ.

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً بل جعلهم ملعونين  
 اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً و صلى الله على نبيه الذي أرسله داعياً للحق  
 ودليلاً، وعلى آله الاطهار وصحبه الأخيار بكرة وأصيلاً...<sup>(١)</sup>

لقد سعى علماء الشيعة إلى تصعيد حالة التصدي للاستعمار الغربي، ف عقدوا  
 مؤتمراً ضخماً في الصحن الكاظمي الشريف لتعبئة الجماهير ضد التحديات  
 العسكرية الاستعمارية في ليبيا وإيران. ووجهت لجنة المؤتمر عدة بيانات إلى  
 الكثير من الشخصيات والهيئات الإسلامية تستنهض فيها المسلمين لمواجهة  
 التحدي الاستعماري، وتدعوهم إلى العمل المكثف من أجل حفظ البلاد  
 الإسلامية. وفي بيان أصدره الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة  
 الأصفهاني والسيد اسماعيل الصدر والشيخ عبدالله المازندراني والشيخ

١ . القطيفي، الشيخ حسن آل بدر: مشروعية الجهاد ضد الغزاة الايطاليين، ص ٣٨٥، مجلة  
 الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، اكااديمية الكوفة، هولندا، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

محمد حسين المازندراني، وذلك في صفر ١٣٣٠ هـ (شباط ١٩١٢م) جاء فيه:  
(نلفت أنظار جميع أهل التوحيد وكافة المسلمين بأن الإسلام والمسلمين لم  
يصلوا في أية فترة من الفترات، مثلما وصلوا إليه في هذه الفترة من الزمن. إنَّ  
المصائب التي يمر بها الإسلام اليوم تعتبر من أشد المصائب.. وإنَّ الضربات التي  
يتلقاها العالم الإسلامي اليوم هي من أشد الضربات...

فمن جهة امتدت يد الظلم الإيطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب، حيث  
تسلب أموال الأهالي ويتعرض النساء والأطفال إلى القتل. ومن جهة أخرى تقوم  
القوات الروسية بتصويب نيران مدفعتها ضد الضعفاء والعجزة في تبريز...  
واستناداً إلى ذلك وبالنظر إلى هجوم الكفار، فقد قررنا نحن خدمة الشرع  
المنير مع جميع العلماء الأعلام من كربلاء والنجف وسامراء، وحسب مسؤوليتنا  
الشرعية التجمع في الكاظمية عسى أن نجد حلاً لانقاذ المسلمين من ظلم  
الأجانب وعدوانهم، وإذا لم يتمكن المسلمون في أقطار العالم الذين يعيشون في  
ظل حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوانهم فيما كانهم تقديم المساعدة عن  
طريق إيداء التضامن معهم...) (١)

١. الحسن، سليم: دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص ٦٠، مركز الغدير للدراسات  
الإسلامية، الطبعة الأولى، قم، إيران، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

## المساهمات الشعرية في الحرب الطرابلسية لنخبة من أعلام الطائفة وشعرائها الكبار

(١) حرب المجد والشرف - للشيخ عبدالمحسن الكاظمي

لا يصدق السيف ما لم تصدق الهممُ

بالساعد القتل يمضي الصارم الخدم<sup>(١)</sup>

إذا الهامة هبت من مكانها

تمزق الخطب وانجابت بها الغمم<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

أهل العزيمة ليس اليوم يوم ونى

وليس يـحمد بعد اليوم معتزم

هذي طرابلس تدعوكم لنجدتها

فشاطروها الأسى أو تفرج الإزم

أموالكم لم تكن تغلو وأنفسكم

جودوا بها في سبيل الله واغتموا

لا يقعدن بكم قول المريب ألا

لا تنصروا الله إن الله منتقم

١ . الصارم الخدم: السيف القاطع.

٢ . الهامة: الهمة.

فتلك وسوسة الشيطان زينها  
من مسه هوس أو مسه لمم<sup>(١)</sup>  
هبوا سراعاً فأنتم في الندى دفع  
من الغمام وأنتم في الوغى عصم  
إخوانكم في العرى صرعى، ونسوتهم  
مرؤعات، ولا مأوى ولا حرم  
روما أفيقي فكم من سكرة جلبت  
لأهلها من ضرور الخزي ما يصم  
مهلاً بني الغرب لا تطغى أنوفكم  
على أباة متى أنف طغى خطموا  
حسبتم أن مجد الشرق محتضر  
وأن فتياه الأبطال قد هرموا

(٢) طرابلس الصامدة

للسيد عبدالمطلب الحلبي

بني العرب البيض الكرام الأطايب  
نهوضاً لحرب الكفر من كل جانب  
وزحفاً إلى طرد العدى في كتائب

يضيق بها وسع الفلا والسباسب

أيها الغرب منك ماذا لقينا      كل يوم تثير حرباً طحونا  
تظهر السلم للأنام وتخفي      تحت طيِّ الضلوع داءاً دفيناً  
كم دمء معصومة قد سفكتم      وهتكتم هناك عرضاً مصوناً

\* \* \*

قل لإيطاليا التي جهلتنا      بثبات الأقدام هل عرفونا  
سل طرابلساً التي نزلوها      كيف ذاقوا بها العذاب المهينا



(٣) بعد حرب الطليان والبلقان<sup>(١)</sup>

للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

سل لدى الحرب ألسن النيران  
أفيرجو الاسلام لقيان سلم  
يتشكى «المرآكشي» اعتصاباً  
واذا ولولت (طرابلس) في الغر  
ايها المسلمون هبوا فليس الـ  
قد دهاكم ويل فماذا التماذي  
جاءكم جارف من الغرب تيا  
عن صنع الانسان بالانسان  
(بعد حرب الطليان والبلقان)  
وكشكواه يشتكى (العثماني)  
ب أتاه العويل من (إيران)  
موت الا حياتكم بهوان  
وأناكم سيل فماذا التواني  
ريهدّ البنا وأس المباني

\* \* \*

واذا ما اليدان لا تدفع الضيم  
فأولئى بالقطع تلك اليدان

١ . مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، ص ٤٠٩، اكاديمية الكوفه، هولندا، ١٩٩٠م -

(٤) من وحي الحرب الطرابلسية

للشيخ محمدرضا الشيبلي

«من الحرب إلى الحرب»

بَكَرْتُ عَلَيْكَ تُرَيْكَ هَوَّلَ المَوْعِدِ

حَزْبُ تَرُوحُ بِنَا وَأُخْرَى تَغْتَدِي

مَاذَا يُرَجِّئُ مِنْ وَرَاءِ حَضَارَةِ

عَمِي البَصِيرُ بِهَا وَضَلَّ المَهْتَدِي

«درس الام»

أَبْنَاءَ (رُومَةَ) مَهْلًا إِنَّ فَعَلْتَكُمْ

فِي الشَّرْقِ فَعَلَّةَ أَنْذَالٍ وَأَقْزَامِ

هِيَهَاتَ لَا يَتَخَلَّى عَنِ (طَرَابُلُسِ)

فِي الغَرْبِ مِنْ حَرْسُوهَا وَهِيَ فِي الشَّامِ

يَا قَاذِفِينَ «طَرَابُلُسًا» بِنَائِرَةِ

وَطَالِبِينَ لَهَا تَنْوِيرِ أَفْهَامِ

أَلَا حَمَلْتُمْ لَهَا آلَاتِ مَعْرِفَةِ

كَمَا حَمَلْتُمْ لَهَا آلَاتِ إِغْدَامِ

مَا خَلْفَ الغَرْبِ فِينَا مِنْ حَضَارَتِهِ

إِلَّا بَوَاعِثَ إِرْهَاقٍ وَإِرْغَامِ

(٥) فخر ووعد - للشيخ محمد باقر الشبيبي<sup>(١)</sup>

فيا اي طاليا اعتقدي بانّا      سننشرها بأجنحة الظليم  
ونضرب بالسيوف لكم رقابا      ونحمي بالدفاع حمى الحرّيم

---

١ . مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، ص ٤١٦، اكاڤمية الكوفة، هولندا، ١٩٩٠م -

(٦) خفق الهلال

للشيخ عبدالعزيز الجواهري

سَدَّ الثغور بعزمة الإسكندر

جيش يقاد من النهى في جوهر

\* \* \*

فتيات رومة نظمي درر البكا

سمطاً يزان بلؤلؤ متنثر

وصفى القلائد للرجال مدامعا

وذرى تـمائمهم مكان الجوهر

(٧) صروف الدهر - للشيخ علي الشرقي

هل واجدٌ لصروف الدهر ما أجدُ  
هيهات لا أحدٌ يقوى ولا أحدٌ (١)  
(رفيف الأرواح) (٢)  
كيف أصبحت أفصحي يا بلادي  
فيك ما يعقد الرطاب الفصاحا  
أسكونُ كما هدأت مساءً  
أم ضجيجٌ كما انتهت صباحا  
ملأتُ أهلك الفضاء عجيجاً  
لست أدري هَلا هلاً أم نباحا

\* \* \*

ما (لروما) فلا استوى عرشُ روما  
قتلت ذيلها وعجتُ نباحا  
نطحت (برقة) وبرقةً واحاتُ  
من النخل ما عرفن النطاحا  
أبني العرب لا براح عن الحرب  
وإلا عن الفخار براحاً  
ورمال الصحراء لا ترهبُ  
الأشباح إنْ جُلنَ جيشه ورواحا

١. أحد الثانية - يقصد بها جبل أحد - وفي الشطر جناس.

٢. نظمت عام ١٩١١م حين هاجم الايطاليون طرابلس الغرب وبرقة.

## (٨) من كربلاء إلى طرابلس الغرب

للحاج محمد حسن ابو المحاسن الجناحي الكربلائي

المولود سنة ١٢٩٣ هـ. تسنم وزارة المعارف العراقية في ٣ كانون الأول

عام ١٩٢٣م وكان من المساهمين في ثورة العشرين سنة ١٩٢٠م، توفي يوم ١٣

ذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ.

شارك الحاج محمد حسن ابوالمحاسن مشاركة نابضة بالحس والانفعال في

معركة طرابلس وله في ذلك قصيدتان الأولى نظمها سنة ١٣٣٠ هـ وعبر فيها عن

نكبة العرب والمسلمين بالمأساة التي تعرضت لها البلاد اللبية فراح يذكر بأمجاد

العرب وعزتهم ويحثهم على النهوض والوحدة بوجه العدو الغربي واستعرض فيها

معاهدة الصلح فندد بها واعرب عن استيائه منها وهذا بعض ما جاء في قصيدته:

بكم بنى الدين حتى استقام وأصبح ركن هداه ركينا

واخضعتم فيه كل الشعوب فرساً وروماً وهنداً وصينا

فعودوا لنصرته مثلما بدأتم بنصرته منجدينا

وهذي طرابلس لا تزال تكابد بالجهد حرباً طحونا

وكنتم إلى صلحنا والسيوف تأبى لنا الصلح والمسلمونا

فإن طرابلس للمسلمين جميعاً يحامونها اجمعينا

وقصيدته الأخرى عنوانها «كأس العطب» فقد نظمها في رجب سنة ١٣٣١

هـ ونشرتها جريدة (الرياض) البغدادية وما جاء فيها: (١)

شربت إيطاليا كأس العطب  
حدثتها كذباً آمالها  
انها حرب الصليب انبعثت  
أيها الشرق انتبه من نومه  
ما أراك اليوم إلا مغنماً  
في طرابلس بأسيف العرب  
انها تبلغ بالحرب الأرب  
فابعثوها وهي ترمي باللهب  
ضجت الأعصر منها والحقب  
عاد مقسوماً ونهباً ينتهب

## احتلال ليبيا

وفيما كان علماء الشيعة يمارسون نشاطاتهم المكثفة في تعبئة الرأي العام ضد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية، كانت الدولة العثمانية تواجه أزمة جديدة. فقد بدأت الدول البلقانية تتفق سراً لإعلان حرب جديدة ضد العثمانيين. مما اضطر الحكومة العثمانية إلى عقد صلح مع إيطاليا تنازلت فيه عن طرابلس وبنغازي لإيطاليا، على أن يحتفظ السلطان العثماني بحق تعيين الموظفين الدينيين وبعض الصلاحيات الدينية البسيطة الأخرى.<sup>(١)</sup>

لكن هذا الإجراء لم ينفع الدولة العثمانية. فقبل يوم واحد من توقيع معاهدة الصلح مع إيطاليا، شرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الأسود في ١٧ تشرين الأول ١٩١٢ (٦ ذي القعدة ١٣٣٠هـ) بالهجوم على العثمانيين، وبدا بدأت حرب ضروس تعد من أشنع الحروب في ضراوتها وفي المآسي التي نتجت عنها.<sup>(٢)</sup>

لم تنته متابعات علماء الشيعة للغزو الاستعماري بنتائج الحوادث والتطورات السياسية، إنما واصلوا جهودهم من أجل حث الرأي العام الإسلامي على وعي وتفهم أبعاد التحدي الاستعماري، ورصد ملامح السياسة الاستعمارية في البلاد الإسلامية بأشكالها وأنماطها المختلفة.

فلقد نظر علماء الشيعة إلى المشاريع الاستعمارية على أنها معركة حضارية

١. الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ١٩١ - ١٩٢.

٢. الوردي، الدكتور علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ١٥١/٣.



طويلة يراد من ورائها السيطرة الشاملة على العالم الإسلامي، وليست مجرد وقائع حرية محدودة بالجغرافيا والزمن.<sup>(١)</sup>

وقد تخلصت ليبيا من الاستعمار الإيطالي ونالت استقلالها في

١٩٥١/١٢/٢٤ م.

وفي عام ١٩٦٩ م قاد معمر أبو منيار القذافي انقلاباً عسكرياً حكم بعده

ليبيا لمدة تزيد عن ربع قرن.<sup>(٢)</sup>

---

١. الحسن، سليم: دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص ٦٢.

٢. لَبْن، علي: المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقيا ص ٥١.

## قراءات جديدة للعقيد القذافي عن الدين الإسلامي والشيعة

### أ - الشريعة الإسلامية:

يقول العقيد القذافي في حديث له مع جمع من شيوخ القراءات عام ١٩٧٨م: «ما يسمى الآن بالشريعة الإسلامية.. هذا لا يمكن أن ينسب للدين. من منكم يقول أن الكلام الخاص بالشريعة كلام المذاهب.. ان هذا الكلام ديني؟ ليس دينياً»<sup>(١)</sup>.

«أنا أعتبر الشريعة الإسلامية مذهب فقهي وضعي، شأنه شأن القانون الروماني، قانون نابليون.. وكل القوانين الأخرى التي وضعها الفقهاء الفرنسيون أو الطليان أو الانجليز أو المسلمون»<sup>(٢)</sup>.

«لا تريدون كتاباً أخضر.. لا تريدون كتاباً عمله واحد مسلم، لا تريدون المسلمين يأتون بحل للمشكل الاقتصادي والمشكل السياسي، لا تريدون الشرق ينهض، لا تريدون الثقافة الإسلامية تقدم للناس حلاً في هذه المشاكل عندكم شك فينا.. طيب مزق الكتاب الأخضر نحن مشكوك فينا.. ما فيش.. مخالف للدين مزقه.. نحن نحل المشكل الاقتصادي.. يأتي واحد يقول لي: ما فيش حل

١ . الصادق، الدكتور عبدالله: تجربة القذافي في اطار الموازين الإسلامية، ص ٨، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م. نقلًا عن كتاب «خطب وأحاديث القائد الدينية» اصدر ادارة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة. ص ٢٣١.

٢ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٢٣٣.

للمشكل الاقتصادي بعد الكتاب الأخضر إلا المذهب الماركسي المبني على  
الاحاد. خلاص.. جيب المذهب الماركسي». (١)

«يا سيدي.. اجتهد، في كل حاجة، وقل لي هذا انتاج مادي وضعي. أنا  
نحترمك. ونقول الحمد لله على أن مسلماً، وثقافته اسلامية، عمل لنا حلاً مادياً،  
وحلاً للقضايا الوضعية، الدنيوية البعيدة عن الدين. لكن لا تقل هذا دين، أنا لا  
أعرف أن فيه كتاب دين إلا القرآن». (٢)

### ب - القرآن الكريم:

يقول العقيد القذافي في ندوة الحوار الاسلامي المسيحي في طرابلس  
«المصدر الصحيح في الجانب الاسلامي هو القرآن وأؤكد أن اعتقادات المسلمين  
لا تنطبق مع القرآن الآن؟! فهناك عدد كبير جداً من المسلمين يعتقد أن الحرب بين  
المسلمين والمسيحيين أو بين المسلمين واليهود هي جهاد مقدس. وهذا ليس  
صحيح كما يقول القرآن. ذلك أن الجهاد يكون بين المؤمنين وبين الكافرين. أما  
بين مؤمن ومؤمن فليس هناك شيء اسمه جهاد». «ومادام المرجع الصحيح هو  
القرآن. فإن أول حقيقة نستطيع أن نؤكدها هنا أن الجهاد ضد أهل الكتاب، مفهوم  
خاطيء». (٣)

### ج - الاجتهاد:

يقول العقيد القذافي في الخطبة الشهيرة في مدينة جادو يوم ١١ يوليو

:١٩٨٠م

١ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٢٣٩ .

٢ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٢٤٠ .

٣ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ١٠٠ - ١٠١ .

«القرآن يقول: «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء» يعني أن الله يكلم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ويقول له الذين فرقوا دينهم... عملوا هذا شيعة وهذا سنة. هذا مذهب كذا وهذا مذهب كذا.. هذه المذاهب عبارة عن أحزاب حزب مالك، حزب أباض، حزب حنبل، وقال لهم أنت لست منهم في شيء يا محمد، هؤلاء ليسوا أتباعك ولا لك أية صلة بهم وليس لهم أية صلة بك... «ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون» هؤلاء المشركين هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.. الشيعة والسنة.. الخ... هذه صفات المشركين.. الله يقول هذا الكلام).<sup>(١)</sup>

### د - التاريخ الهجري:

يقول العقيد القذافي في حديثه بمناسبة بدء العام الهجري ١٣٩٩ هـ. «... هناك أحداث تاريخية، وهامة جداً تخص الاسلام.. أعتقد أنها أهم من الهجرة.. منها وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفاة الرسول هذه تماثل ميلاد عيسى عليه السلام كان يجب أن يكون التأريخ، إذا أردنا أن نؤرخ بهذه الأحداث. كان الأفضل أن نؤرخ بوفاة الرسول، وأن نقول مرت كذا سنة على وفاة الرسول، فمن الأحداث الهامة وفاة الرسول حتى ثبت في التاريخ، أو نسجل للبشرية تاريخاً حتى بعد ملايين السنين أن هناك رسولاً هو خاتم النبيين قد توفى منذ كذا، أو مرت على وفاته هذه السنون أو هذه القرون. وهذه جديرة بأن نؤرخ وفاة الرسول، مثلما كان ميلاد عيسى معجزة جديرة بأن نؤرخ.. وبدأ التاريخ الميلادي، أي ميلاد عيسى عندما نقول ١٩٧٨ م، معنى ذلك أنه قد مرّ على ميلاد عيسى عليه

١. الصادق، الدكتور عبدالله: تجربة القذافي في إطار الموازين الاسلامية، ص ٢١، من سلسلة (كل الحقيقة للشعب «٥») بإشراف نخبة من المثقفين الليبيين.

السّلام ١٩٧٨ عاماً»<sup>(١)</sup>

ويستأنف العقيد الفذافي حديثه في مناسبة الهجرة فيقول: «ولا أعلم كيف أقر المسلمون هذا؟ (يعني ربط التاريخ بالهجرة) وأعتقد أن عمر بن الخطاب قد فرضه فرضاً. ومعروف أن عمر بن الخطاب.. كما وصفه لنا التاريخ.. أنه ديكتاتور عادل. هو أمير. فهو الوحيد الذي سمي أميراً بمعنى أنه حاكم وأمير. وهو ديكتاتور ولكنه ديكتاتور عادل... ان عمر بن الخطاب، الذي قال هذا العام يسمى عاماً هجرياً. هذا رأيه هو، لكن رأينا نحن.. نحن نرى.. نقدر أن نقول: «أن الهجرة ليست مهمة لهذه الدرجة، وأن الأهم منها هو فتح مكة، وأهم منها وفاة الرسول»<sup>(٢)</sup>.. «ولذلك فإني أريد أن أفرض عليكم تاريخاً آخر هو وفاة الرسول»<sup>(٣)</sup>.

١. خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٢٩٠.

٢. خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٣٠٠-٣٠١.

٣. السجل القومي: المجلد العاشر ص ٣٩٦.

## رئيس المجلس الشيعي الاعلى في لبنان سماحة العلامة السيد موسى الصدر في سفره إلى ليبيا

أسباب زيارة ليبيا:

بتاريخ ١٤/٣/١٩٧٨م بدأت إسرائيل اجتياح جنوب لبنان، واحتلّ جنودها المنطقة الواقعة جنوبي نهر الليطاني، وشرّد أهالي هذه المنطقة. وبالرغم من قرار مجلس الأمن الدولي، بتاريخ ٣٠/٣/١٩٧٨ بوجوب انسحاب إسرائيل وإحلال قوات دوليه في المنطقة لمساعدة الحكومة اللبنانية على إعادة بسط سلطتها الفعلية عليها، إلا أن الانسحاب الاسرائيلي تمّ ببطء على امتداد ثلاثة أشهر، وبقيت إسرائيل مسيطرة على طول المنطقة المحددة بعمق ١٠ كلم تقريباً، داخل ارض الجنوب اللبناني.

هذا العدوان دفع الإمام السيد موسى الصدر إلى القيام بجولة على الدول العربية يعرض فيها حقيقة الأوضاع في الجنوب، ويطلب تدخلها من أجل حفظ هذه المنطقة ومساعدة لبنان على الخروج من محتته وإبعاده عن ساحة الخلاف العربي، داعياً لعقد «مؤتمر قمة عربي مصغر» للبحث في مشكلة لبنان، يضم بعض الدول العربية، (كما جاء في حديثه إلى صحيفة «أخبار الخليج» البحرانية، الذي نشرته صحيفة النهار اللبنانية بتاريخ ٢٤/٧/١٣٧٨).

السفر إلى ليبيا:

بعد أن تعاظمت الأخطار في الجنوب، وأصبحت تُنذر بأوخم العواقب،

ليس على لبنان وحده على على المنطقة العربية كلها، وبعد أن قام الإمام الصدر بجولة إلى بعض الدول العربية، مبتدئاً بسوريا، فالأردن فالسعودية، فالجزائر.

سافر الإمام إلى ليبيا يوم الجمعة الموافق ٢٥ آب ١٩٧٨م، يرافقه الشيخ محمد يعقوب، والصحفي عباس بدر الدين «صاحب وكالة أخبار لبنان» في زيارة رسمية متفق عليها مع السلطات الليبية.

وكان في عداد مودعيه في مطار بيروت، القائم بالأعمال الليبي محمود بن كوره، ولدى وصوله إلى مطار طرابلس الغرب، استقبله عن السلطات الليبية رئيس مكتب الاتصال الخارجي أحمد الشحاتي.

أقام الإمام الصدر ورفيقاه في فندق الشاطيء بطرابلس الغرب، ولوحظ أن وسائل الإعلام الليبية، أغفلت الإشارة إلى قدوم زائرها الرسمي الإمام الصدر، لدرجة أن القائم بالأعمال اللبناني في طرابلس الغرب، لم يعلم بوجوده هناك، الا عندما اتصل به عباس بدرالدين بتاريخ ٢٨ آب ١٩٧٨م.

ومنذ وصول الامام الصدر إلى ليبيا وطيلة الأيام اللاحقة لم يرد منه أي اتصال هاتفي أو رسالة أو خبر لأحد في لبنان وذلك خلاف عادته في أسفاره. وكذلك حال رفيقيه علماً بأن الصحفي بدرالدين، سحب الإمام الصدر في هذه الزيارة من أجل تغطية أخبارها في وكالته.

بعد أن تأخرت عودة الإمام الصدر ومن معه إلى ليبيا، وبعد أن ظل الاتصال بهم منقطعاً منذ دخولهم الأراضي الليبية، وبتاريخ ٦/٩/١٩٧٨م تمّ إبلاغ القائم بالأعمال الليبي في بيروت، محمود بن كوره عن الإمام الصدر، وعدم ورود أخبار منه، أو معلومات عن وقائع زيارته للجماهيرية الليبية ومكان وجوده.

وبتاريخ ١٠/٩/١٩٧٨م، أبلغ الأمر ذاته إلى رئيس الحكومة اللبنانية،

الدكتور سليم الحص، الذي استدعى فوراً القائم بالأعمال الليبي في بيروت، وطلب منه معلومات رسمية على وجه السرعة، فقدم المعلومات المطلوبة في اليوم الثاني، ومفادها أن الإمام الصدر ورفيقه غادروا ليبيا مساء ١٩٧٨/٨/٣١، على متن طائرة شركة إيطاليا (الرحلة ٨٨) متجهين إلى روما.

ظهر يوم ١٩٧٨/٩/١٢ م، استوضح الرئيس الحص الرائد جلود، رئيس الحكومة الليبية هاتفياً في الموضوع، وبعد استمهال أجاب جلود مكرراً الجواب الرسمي السابق، ومضيفاً أن الإمام لم يكن راضياً، ولم يبلغ السلطة بسفره ولذا تعذر وداعه رسمياً.<sup>(١)</sup>

---

١ . شرف الدين، حسين: الإمام السيد موسى الصدر، الإخفاء، مركز الإمام موسى الصدر للإبحاث والدراسات، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.



## تونس

كانت تونس تعرف في عهد الدولة الرومانية باسم توناس (Tunés) ومنه جاء لفظ تونس، وانتحلوا له ماشاءوا من التأويل حتى أن ياقوت صاحب معجم البلدان حشره في المثلثات فقال: إن نون تونس تُضمّ وتُفتح وتُكسر، وقد ساعدهم على ذلك جواز اعتبار لفظ تونس من مشتقات الأَنس، الأمر الذي تفاءلوا منه خيراً، ونوّه به المؤرخون والأدباء السابقون والآخرون، من ذلك الأبيات المعروفة التي مطلعها:

فتونس تونس من جاءها وتدركه حسرة حيث سار

وممن أفاض القول عن نشأتها ومبادئ عمارتها وذكر خيراتها وبركاتها، الشّريف الإدريسي في كتابه *نزهة المشتاق*، ألفه سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م للملك (روجير) صاحب صقلية.

والشريف الادريسي، هو: ابو عبدالله محمد بن الادريسي، وقد يعرف بالشريف الصقلي المولود سنة ٤٩٣ هـ (١٠٩٩ - ١١٠٠) والمجهول سنة الوفاة.

وإن آل الشريف الادريسي كانوا من أعقاب ادريس مؤسس دولة الأدارسة، استقروا أولاً في صقلية ثم نزع من نزع منهم إلى سبتة حيث كان هذا البلد منبئاً للشريف الأدريسي منه انطلق في سياحاته إلى المشرق والمغرب ثم استقر من جديد في صقلية؟

وقد عبّر عن غربته الطويلة وتنقله بين البلاد، وحياة القلق التي كان يحيها بين حل وترحال بهذه الأبيات الجميلة:

ليت شعري اين قبري؟	ضاع في الغربة عمري
لم ادع للعين ما تشتاق	في بر وبحر
وخبرت الناس والار	ض لدى خير وشر
لم اجد جاراً ولا دا	راً كما في طي صدري
فكأنني لم أسر	الا بميت أو بقفر

لقد ظلت خريطة الادريسي المرجع الوحيد لكل المؤلفين في الجغرافيا فعلية اعتمدوا ومنها استمدوا. وهي الخريطة التي نظم اجزاءها وجمع قطعها المستشرق الالمانى «كونراد ميللر» ثم طبعها لأول مرة سنة ١٩٢٨م طبعة ملونة فاخرة. (١)

## تونس

تمثل الجمهورية التونسية القسم الشرقي من المغرب العربي في شمال أفريقيا. يحدها من الغرب: الجزائر، ومن الجنوب الشرقي ليبيا ومن الجنوب الغربي الصحراء. وتربطها بالجزائر سلسلة جبال الأطلس. وتبلغ مساحة تونس ١٢٥١٨٠ كيلومتر مربعاً وأهم مدنها: مدينة تونس العاصمة والقيروان و صفاقس وسوسة وبنزرت وقابس والمهدية وتوزر ومساكن والمنستير والقلعة الكبرى وماطر وباجة والسكاف.<sup>(١)</sup>

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب وبربر ٩٨٪.

اللغة: العربية.

أهم المحاصيل: قمح - زيتون - عنب - حمضيات - خضراوات - شوفان.

أهم المعادن: فوسفات - حديد - نفط - رصاص - زنك.

أهم الصناعات: تكرير - فوسفات - حديد - نسيج - سكر - زيت الزيتون -

أسمدة.

الثروة الحيوانية: الأغنام ٦/٥ مليون.

الموقع وأهم المعالم: موقع تونس هام بالنسبة لاستراتيجية البحر المتوسط

حيث تقترب السواحل الشمالية الشرقية لتونس من جزيرة صقلية وجنوبي

١. الأمين، حسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، ٩/١٢.

إيطاليا في منتصف البحر المتوسط.

من معالم تونس الهامة الشواطئ الرملية، والمناخ المعتدل، والبساتين الجميلة، وجامع الزيتونة، وجامع القيروان، والجامع الكبير بصفاقس، والغابات التي بلغت مساحتها تسعة آلاف هكتار. ويبلغ عدد أشجار الزيتون بتونس حوالي ٣٥ مليون شجرة، وتنتج سنوياً حوالي ١٥٠ ألف طن فاكهة. أما مصنع الحديد والصلب هناك فينتج حوالي ٣٥٠ ألف طن سنوياً.<sup>(١)</sup>

الدولة	النفوس	نسبة المسلمين	المذهب الأكثر	نسبة الإمامية	غير المسلمين
تونس <sup>(٢)</sup>	٩/٦٤٥٥٩٩	٪١٠٠	مالكية	٪٢/٥٠	يوجد فيها اباضية

١ . عبد الهادي، الدكتور جمال: المجتمع الإسلامي المعاصر، ب / ص ٥٢.

٢ . الكرباسي، محمد صادق محمد: الحسين والتشريع الإسلامي، الجزء الثاني، ص ١٠٢، المركز الحسيني للدراسات، لندن.

## الوجود الشيعي في تونس

أسس أبو عبدالله الشيعي دولة الممهدين للمهدي في تونس، فانتشر التشيع في أرجائها. وفي سنة ٢٩٧هـ دخل عبدالله المهدي إلى القيروان وبويع بالخلافة. ثم أخذ الفاطميون يوطدون أركان دولتهم فأسسوا عاصمتهم الجديدة في تونس سنة ٣٠٨هـ وأسموها المهديّة واستطاعوا أن يخضعوا لسلطانهم كافة بلاد المغرب بعد أن قضوا على دولة الخوارج الإباضية (الرستمية) في تاهرت (الجزائر) ودولة الخوارج الأخرى الصفرية في سجلماسة (المغرب الأقصى). وقد ازدهرت الحضارة العربية في هذا العهد في تونس من جديد ونشطت النهضة العلمية وانتشرت المعاهد الثقافية<sup>(١)</sup>؛ لا سيما في مدينة المهديّة، وهي مدينة ساحلية كانت عاصمة للبلاد في عهد الفاطميين بنى مسجد في القرن الرابع الهجري، وعلى غرارهِ بنى جوهر الصقلي الجامع الأزهر بالقاهرة.<sup>(٢)</sup>

وقد نزل يحيى بن إدريس من ملوك المغرب بعد أن زال ملكه ببلد المهديّة مختفياً في سنة ٣١٠هـ (٩٢٢م) إلى أن توفّي سنة ٣٣٢هـ (٩٤٣م) وقدم للقيروان القاسم بن محمد بن الحسن الحجّام الفقيه العلوي المشهور في سنة

١. الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ٩/١٢.

٢. كمال حسين، محمد: انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم، ص ٨٤، دار الفكر العربي، القاهرة. الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

وبانتقال الخلفاء الفاطميين إلى مصر صار المغرب ولاية تابعة لمصر يدير شؤونها أمير بربري اسمه بلكين بن زيري بن مناذ الصنهاجي وبذلك قامت الدولة الصنهاجية التي آل بها الأمر إلى الارتباط ارتباطاً صورياً بمقر الخلافة وبالاستقلال الكامل أحياناً.

ولقد استنجد الملك الحسن بن علي الصنهاجي بعبد المؤمن بن علي رأس الدولة الموحدية في المغرب الأقصى لإنقاذ تونس من أيدي الفرنج وكان عبدالمؤمن في ذلك الحين قد أخضع لسلطان المغرب الأقصى كما ضم إلى مملكته بلاد الأندلس فاستجاب لاستنجد الصنهاجيين وسار محتلاً في طريقه المغرب الأوسط وبعد أن استولى على المناطق الداخلية سار إلى مدن الساحل وطردها النورمان فتم له أمر البلاد سنة ٥٥٥ هـ وهكذا تأسست دولة مترامية الأطراف تضم أقطار المغرب الثلاثة ودامت أكثر من سبعين سنة.

والدولة الموحدية هذه قامت على أسس شيعية واتجاه شيعي وكان أديها أدباً شيعياً لاسيما الشعر. وما وصلنا من شعر شعراء تلك الدولة يرينا إلى أي مدى كان تشيعهم عريقاً أصيلاً.

وجاء الحفصيون الذين هم فرع من فروع الموحدين وهم ينتمون إلى أبي حفص يحيى بن عمر الهنتاني وهو أحد القائمين بدعوة عبدالمؤمن بن علي والمشيدين لملكه. وكما يعبر أحد المؤرخين التونسيين فقد كان لأبي حفص هذا: الصوت الأعلى والمقام الأسنى في دولة عبدالمؤمن وأبنائه من بعده وهو الذي

١. ابن الخوجة، محمد: صفحات من تاريخ تونس، ص ١٤٧، تحقيق: حمّادي السّاحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.

رفع راية الموحدية بالأندلس وأيد سلطانهم بتلك الناحية. فلما توفي سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) تداول أبناؤه الرئاسة وتقلبوا في الإمارة بأسبانيا والمغرب وأفريقيا مع جماعة من بني عبدالمؤمن. ولما أفضت الخلافة للناصر وأحمد نار الثورة التي أوقدها يحيى الميور في نصب - بولاية أفريقيا - أبا محمد عبدالواحد الحفصي نائباً عنه سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٧ م). واستتب من ذلك الحين أمر البلاد التونسية بيد الولاة الحفصيين إلى أن أعلنوا استقلالهم بها وانفصلوا عن المملكة الموحدية بالمغرب سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م).

وقد اتسعت المملكة الحفصية حتى شملت طرابلس والجزائر ومراكش ثم شاهدت الدولة الحفصية عهداً مضطرباً دام حوالي مائة سنة. وفي أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري عادت البلاد إلى وحدتها القديمة وساد الأمن وتدعمت أركان الدولة من جديد. ولكن في أواخر القرن التاسع الهجري لم يبق في سيادة الحفصيين غير مدينة تونس وما جاورها. وقد شهد القرن العاشر ذاك النزاع الكبير بين الأسبان والأتراك للتحكم في البحر المتوسط والسيطرة عليه. وقد ابتدأ نفوذ الإسبان يمتد إلى سواحل المغرب بعد أن طردوا العرب من الأندلس. بينما ظهر في شرق البحر المتوسط بعض القواد الأتراك مثل بابا عروج واخيه خير الدين الذين كانوا يعملون باسم السلطان العثماني. وهكذا أصبح العثمانيون والاسبان يتسابقون للاستيلاء على سواحل تونس بعد أن عجز أمراء بني حفص عن رد هجماتهم وسقطت مدينة تونس سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٩ م) بيد خير الدين وخطب فيها للسلطان العثماني فأصبحت ولاية تابعة للسلطنة العثمانية وجزءاً من ممتلكاتها في شمال أفريقيا الممتدة من الجزائر حتى مصر.

وكان في جملة الأسارى المقبوض عليهم في فتح تونس الأخير الأمير

(محمد بن الحسن) الحفصي فأرسل إلى الاستانة وبقي فيها معتقلاً إلى أن قضى نحبه. وبموته انقطعت السلالة الحفصية بعد أن حكمت ما يقرب من ثلثمائة سنة. وليس في أيدينا شيء عن تشيع الحفصيين سوى ارتباط أصولهم بالموحدين ارتباطاً وثيقاً - كما تقدم - مما لا يعطينا سوى الاستنتاج فقط ويقول محمد بن تاويت من مقال له في مجلة دعوة الحق، متحدثاً عن الموحدين ونهاية دولتهم: «... ولكن النشاط تحول إلى تونس مرة أخرى وتجددت الدولة بالحفصيين منها. ولا نستبعد أن يكون ابن الآبار (الشيوعي) كتب لهم (درر السمط) - وهو كتاب في رثاء الحسين - وهي آخر ومضة للتشيع في هذه الدولة. إلى أن كانت دولة السعديين، فعاد المنصور إلى هذه النعمة في أشعار بلاطه التي تردت في مولديات القشتالي وعبدالواحد بن أحمد وأبي الحسن الشياظمي. وقد جازى المنصور سعيد الماغوس بالآلاف على شرحه لدرر السمط...

ويقول أحمد بن أبي الضياف صاحب كتاب (إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الامان)، المولود سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م والمتوفى سنة ١٢٦١ في كتابه المذكور:

«وأهل أفريقية يدينون بحب علي وآله يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم، جبلة في طباعهم، حتى ان نسوانهم عند طلق الولادة ينادون: (يا محمد، يا علي). وكان الإمام الشاذلي رضي الله عنه يقول لأصحابه: إذا اشتد عليكم كرب فقولوا: يا محمد يا علي» (انتهى).<sup>(١)</sup>

بعد هذا التقرير الذي قدمناه من الوجود الشيعي في المغرب العربي وفي تونس بالذات والتي كانت لها جذور عميقة وممتدة في المجتمع المغربي

١. الأمين، حسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، ١٢/١١.



نرى الكاتب المعاصر الدكتور سعد الغراب ينكر هذا الشيء بقوله: «والجدير بالذكر أن بلاد المغرب الاسلامي وافريقية بصورة أخص وضعت نفسها على الصعيد التاريخي العام في اطار سني إذا ما استثنينا الثورات الخارجية التي اندلعت خاصة في القرن الثاني الهجري والحركة الاعتزالية والدعوة الشيعية وهذه الحركات مرتبطة بأوضاع سياسية واجتماعية وثقافية يعسر شرحها هنا لكن الرأي السائد انها رغم التباين الموجود بينها - لم تكن لها جذور عميقة وممتدة في المجتمع المغربي».(١)

---

١ . الغراب، الدكتور سعد: العامل الديني والهوية التونسية، ص ٣٦، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

## انتشار الشرف بإفريقيّة وظهور خطّة نقيب الأشراف بتونس

يقول الأستاذ محمّد بن الخوّجة: «اعلم أن الكلام على انتشار الشرف بإفريقية، وهي البلاد التونسية، يدعو بادىء ذي بدء للتعريف كيف ظهر الشرف بين الناس من ذريّة الحسن والحسين ابني عليّ وفاطمة بنت رسول الله (ص). ذلك أن الخليفة الرّابع عليّاً ابن أبي طالب، كرم الله وجهه، خرج بعد أن بويع له بالمدينة المنورة إلى الكوفة وأخذها دار خلافته، وبها استشهد في سنة ٤٠ للهجرة، ثم كان ما كان من تنازل ابنه سيّدنا الحسن عن الخلافة ورجوعه لسكنى المدينة، وظهور نسله هنالك بالحجاز. وأمّا أخوه سيّدنا الحسين، فقد خرج أيضاً بعد بيعة يزيد إلى العراق واستشهد هناك بكر بلاء.

وأما بنو سيّدنا الحسن؛ فكانوا ينزحون إلى المغرب، وبذلك تكاثروا به كتكاثر أبناء سيّدنا الحسين بالمشرق، وكان مقصدهم للمغرب الأقصى، إذ كان سكّانه من محض البربر، غالبية عليهم السّداجة، وليس فيهم متعصّب لدولة، فكان من رأي إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، اختيار الاستيطان بينهم في حدود سنة ١٧٢هـ، كما تكاثر فريق منهم بالأندلس شيئاً فشيئاً.

وممّا يذكر على الألسن، مع توفّر الدواعي على نقله، وجود بيوت تونسية قديمة منتسبة للشرف، منها بيت العواني، أشرف القيروان. سمعت من بعض ممن

أثق بهم أن ييدهم رسماً عتيقاً في ثبوت شرفهم ممّن شهد فيه من علماء القيروان الشيخ أبو محمد عبدالله بن أبي زيد رحمه الله في أواسط القرن الرابع، فعلّ جدّهم وفد لإفريقية في زمن العبيديّين، لأنّهم من الأشراف الحسينيين، والنّاس مصدّقون في أنسابهم فحسبنا الاكتفاء بذلك. هذا حديث انتشار الشّرف النبويّ بطريق البضعة المطهرة في الشّرق والغرب باختصار، ولو تكلفنا الإطالة بأكثر من ذلك لضاق عنه مجال هذه التّبذة، فلنكتف بما قدّمنا»<sup>(١)</sup>.

أما نقابة الأشراف، وهي من الخطط الإسلامية ذات الشّأن، وصاحبها هو التّقيب أي العريف، تسند إليه أمورهم ويدير مصالحهم. ويشترط في صاحب التّقابة العامّة ما يشترط في القاضي، ويشترط في صاحب التّقابة المخصّصة أن يكون من أهل ذلك النّسب، وأن يكون أكثرهم فضلاً، وأجزلهم رأياً، حاوياً لجميع المآثر والفضائل، جامعاً لأسباب الشّرف، سليماً من التّقائص، نجيباً، يقظاً، عالماً، نبيلاً، فهيماً، نقّي العرض، حفاظاً للمروءة، عارفاً بالأنساب، مميّزاً لأخلاقها، وبما يجب لأهل البيت، وهذه الشروط تتضمّن غالباً تقاليد ولايتهم، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتاب روض البلاغة، وكتاب صبح الاعشى. وممّا لا خلاف فيه أنّ خطة التّقابة لم تكن موجودة في القرون الثلاثة الأولى، وإنّما كان حدوثها أواسط المائة الرابعة في الدّولة العباسية للمحافظة على شعائر أهل النّسب الزّكيّ كما أشار له في كتاب الأحكام السلطانية.

كان الاصطلاح في القديم شمول لفظ الشّرف لكلّ بني هاشم، وهو مسمّى الآل عند جمهور الفقهاء، ثمّ وقع الاصطلاح في مصر على تخصيص الشّرف بآل سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، من سيّدتنا فاطمة ابنة رسول الله (ص)؛

وبه استمر اصطلاح المتأخرين، وكانت نقابة النقباء في بيت الشريف الزينبي، والخطة الثانية خُطّة نقيب العلويين، ويسمى نقيب الطالبين، وجعلوا لنقيب النقباء النظر العام في تولية نقباء البلدان، مثل نقيب البصرة، ونقيب الكوفة. (١)

وأما ظهور هذه الخطة بإفريقية، يعني تونس، أنّ خُطّة نقيب الأشراف كانت موجودة في الدولة الحفصية؛ إذ كانوا يكرمونها ويغدقون عليهم بالإحسان ولاسيما في عهد السلطان أبي عمرو وعثمان في المائة التاسعة، ولكن سمعتها ورسوخها إنما كان في عصر الدولة العثمانية بتونس ابتداء من أواخر المائة العاشرة، ناهيك أنّهم جعلوا لنقيب الأشراف مزية الجلوس مع شيوخ المجلس الشرعي بمجلس الباشا عند حضورهم لفصل التوازل بدار الباشا، تبرّكاً بالنسب الشريف. وأول من عثر على اسمه مذكوراً من نقباء الأشراف في بعض الرسوم، هو الشريف الشيخ حسن الهندي في سنة ١٠٢٣هـ وهو الجدّ الجامع لآل بيتي الشريف ومحسن الموجودين لهذا الزمان بتونس. وممّن وقع الوقوف على ذكره ممّن تولّى النّقابة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، الشريف الشيخ الحاج أبو القاسم بن محمد القرشي، كان نقيباً للأشراف في سنة ١٠٢٧هـ ثم الشريف الشيخ محمد بن المختار في سنة ١١٠٠هـ ثم الشريف الشيخ أبو الفضل قاسم في سنة ١١٣٦هـ وأما في القرن الثالث عشر، فقد سهّل الله جمع أسمائهم بطريقة مطرّدة من سنة ١٢٠٦هـ إلى هذا اليوم، كما تراه من حلقات هذه السلسلة الذهبية:

الشيخ عبد الكبير الشريف	توفي سنة ١٢٠٦هـ
الشيخ محمد بيرم الثاني	توفي سنة ١٢٤٧هـ
الشيخ محمد بيرم الثالث	توفي سنة ١٢٥٩هـ

الشيخ محمد بيرم الرابع	توفي سنة ١٢٧٨ هـ
الشيخ الطاهر بن عاشور الأوّل	توفي سنة ١٢٨٤ هـ
الشيخ العربي البشيرى	توفي سنة ١٣٠٤ هـ
الشيخ محمد الشّريف	توفي سنة ١٣٠٧ هـ
الشيخ أحمد الشّريف	توفي سنة ١٣٣٧ هـ
الشيخ محمّد حمدة الشّريف	

كتب على ختمه بيتين من نظمه، وهما قوله: (١)

أدعوك ربّي باسمك اللّطيف      ومن أتى بالشرع والتّكليف  
امن برشد عبدك الضّعيف      محمد بن أحمد الشّريف  
وحول منزلة الشرف والأشراف في تونس ذكر الشيخ حلول الجزيري في  
كتابه المسمّى «الفوائد الفاخرة لزاد الدنيا والآخرة» في صفحة ٧٨ نقلاً عن تاريخ  
ابن ضياف أنه لما نزل الوباء بتونس اجتمع شيوخ العلم بجامعة الزيتونة وقرروا أن  
يجمعوا أربعين شريفاً ويكون اسمهم محمد ويدعون لرفع الوباء فجمعوهم  
فأنقذهم الله بسببهم ورفّع الوباء. (٢)

١ . ابن الخوجة، محمد: صفحات من تاريخ تونس، ص ١٥٥ .

٢ . التيجاني السّماوي، محمّد: كُّلّ الحلول عند آل الرّسول، ص ٣٢٩، دار المجتبى، بيروت،  
الطبعة الأولى، ١٤١٦/١٩٩٥م.

## العمامة الخضراء

### بتونس

من الأزياء التونسية، انتشار العمامة الخضراء المتوجة لرؤوس الكثيرين من الشيوخ، كناية على التحاقهم بالنسب الزكي، وعنواناً على ثبوت شرفهم في نظر العامة.

أول ظهور العمامة الخضراء كان بمصر على عهد الملك الأشرف أبي المعالي زين الدين شعبان بن حسين بن حمد بن قلاوون، وكانت في البداية عبارة عن مجرد علامة خضراء تضاف لعمائم الأشراف. قال في بدائع الزهور للمؤرخ محمد بن إياس: «ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة وفيها رسم السلطان (شعبان بن حسين) بأن السادة الأشراف قاطبة يجعلون في عمائمهم شطفات خضر حتى يمتازوا عن غيرهم، وتعظيماً لقدرهم، فنودي لهم في القاهرة بذلك، فامتثلوا أمره المتدارك». وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن المزين الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس      خضر كأعلام على الأشراف  
والأشرف السلطان خصصهم بها      شرفاً لنعرفهم من الأطراف

وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب:

عمائم الأشراف قد تميّزت      بخضرة رقت وراقت منظرها  
وهذه إشارة أنّ لهم      في جنة الخلد لباساً أخضرا  
لاسيما وأنّ اللون الأخضر ممّا تنشرح له الصدور، وهو في عرف أهل أوروبا

يرمز للرجاء وآمال الخير، وعندنا معشر المسلمين أنه من لبوس أهل الجنان، قال تعالى: «عليهم ثياب سندس خضر».

وممن لم يستحسن مشروعية هذه البدعة عند ظهورها الشيخ شهاب الدين بن جابر الاندلسي، وفي ذلك يقول:

جعلوا لأبناء النبي علامة  
إن العلامة شأن من لم يشهر  
نور النبوة في كريم وجوههم  
يغني الشرف عن الطراز الأخضر  
ومما لا خلاف فيه أن العمامة الخضراء كانت كثيرة الانتشار بتونس وأعمالها في القرن الثاني عشر، ولا سيما بالمدن المعروفة بكثرة الأشراف، كبلد مساكين، وعلى قياسها بلد صفاقس التي لم يزل لها تعلق وثيق بالعمامة الخضراء لهذا الزمان. أمّا في أواسط القرن الثالث عشر، كانت العمامة الخضراء بتونس من الأشياء المستلفتة للأنظار بكثرة انتشارها بين الناس، وبالتالي أخذ أمرها في التناقص والتراجع إلى أن صارت من اللبوس النادرة حتى في الأوساط المعروفة بصحة النسب الزكي، بحيث إن حاملها بتونس كانوا يعدّون على الأصابع في مبادئ هذا القرن الرابع عشر.

ومن أشهر بيوت الشرف لهذا الزمان بهذه الديار، هم آل بيتي الشريف، ومحسن، أئمة جامع الزيتونة، وكان سلفهم ممن يعتم بالعمامة الخضراء، وكلهم من ذرية الشريف الشيخ حسن الهندي الذي كان نقيباً للأشراف بتونس في سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م، وفيهم يقول القاضي الشيخ أحمد بن الخوجة الأول:

ألا إن نور الله بعد محمد  
بنو بنته الأطهار من وصمة الحقد  
وكلهم سيف فرنده لامع  
ولكنما الأسياف أشرفها الهندي  
ويروي لنا التاريخ أن الفقيه أبا السعود العمادي ممن استحسن ابتداعها -  
أي العمامة الخضراء - ولقد سئل في ذلك فأجاب بما يعتمد في الموضوع مع

الفتوى بصحة الشرف من جهة الأمّ، وإليك نص السؤال والجواب:

السؤال - هل ثبوت الشرف من جهة الأمّ صحيح أم لا؟ وهل هو بمنزلة الشرف من جهة الأب أم لا؟ وهل لمن شرفه من جهة الأمّ أن يضع العلامة (العمامة الخضراء) التي يتمييز بها عن العامة أم لا؟ وما دليله وما تعليقه افتونا مأجورين؟

الجواب - نعم ثبوت الشرف من جهة الأمّ صحيح معتدّ به شرعاً، واجب قبوله شرعاً وعرفاً، فإن ثبت لامرأة أنها شريفة صحيحة النسب كان أولادها لبطنها ذكوراً أو إناثاً أشرفاً ثابتاً شرفهم من قبلها مع قطع النظر عن آبائهم وإن كانوا أرقاءً أو عتقاء لا يضرهم ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم ويثبت لهم من السيادة ما ثبت لها، وتعيّن تمييزهم على غيرهم ممّن لا شرف لهم بوضع العلامة خوفاً من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامة. فمن كان أمه شريفة ثبت الشرف له ولأولاده ونسله وعقبه، وانتظم في سلك الأشراف، والأدلة على ذلك كثيرة يضيق عنها المقام ويكفي الإشارة إلى بعضها، وهو أنّ جميع الأشراف الموجودين الآن (المائة العاشرة) في مشارق الأرض ومغاربها إنّما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء من جهة السيدين الجليلين، الحسن والحسين، وهما إنّما ثبت لهما الشرف من جهة والدتهما رضي الله عنها لا من جهة سيّدنا عليّ وإلا كان أولاده من غيرها كابن الحنفية أشرافاً، فليس خفياً أنّ علماءنا جعلوا في ذلك قياساً منطقياً من الضرب الأوّل من الشكل الأوّل مركباً من صغرى وكبرى، وبيان صغراه من عشرة أوجه، وأما كبراه فلم تحتج إلى بيان وتحرير نظمه أنّ الولد بضعة من الأمّ والأمّ بضعة من أبيها، فكيف لا يثبت له ما ثبت لها، ولهذا حكمنا بشرف الحسن والحسين. (١)



## التأثير الشيعي على الأدب التونسي

علمنا فيما مضى إن التشيع حظّ رحاله في تونس من خلال الدول الشيعية التي تعاقبت عليها؛ وإن المفاهيم الشيعية الأصيلة ترسخت في أعماق الشعب التونسي ومن ضمنها التحلي بالأعمال البطولية التي تجعل على هامهم أكاليل المجد والعزّة والكرامة مستقاة من ذكرى ثورة الأمام الحسين عليه السّلام.

ذَكَرَاكَ ذَكَرَى بَاقِيَهُ	عَبَّرَ الْخَوَاطِرَ سَارِيَهُ
ذَكَرَاكَ مَجْتَمَعُ الْعَزَائِمِ	فِي الْقُلُوبِ الْوَاعِيَهُ
ذَكَرَاكَ مُخْتَشِدٌ مَنْ	الْأَمْجَادَ تَزَخَّرُ دَاوِيَهُ
ذَكَرَاكَ ذَكَرَى الصَّبْرِ فِي	نَارِ الْكِفَاحِ الْكَأْوِيَهُ
فِيهَا نِضَالٌ هَائِلٌ	فِيهَا مَآسٍ دَامِيَهُ <sup>(١)</sup>

وهذه العقيدة القربانية جعلت الشاعر يحتفل احتفالاً شديداً بأعمال الشهادة

في سبيل الوطن فيقول:

أَلَا إِنَّ الدَّمَ الْمُهْرَاقَ مَهْرٌ	لِكُلِّ كِرَامَةٍ فِي الْكُونِ تُسَدِي
دَمُ الشَّهْدَاءِ إِرْهَاصٌ يَنَادِي	بِأَنَّ اللَّهَ لِلْبَاغِيِ تَصَدِّي <sup>(٢)</sup>

نعم في صخب الحياة القلقة التي تعيشها الأمم، ينبري الشعراء فيطلقون كلمة وحيهم ليوقظوا العيون الغافية، ويهتفون في أعماق تلك الأمم ليثيروا أصالتها

١ . للشاعر مصطفى خريف (١٩٠٩ - ١٩٦٧م) ولد في نفطة ونشأ في العاصمة التونسية وأتم

دراسته في جامع الزيتونة. آثاره: ديوان شعر بعنوان «شوق وذوق».

٢ . الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٥٨٨.

ونبوغها، ويفجّرون القوى الكامنة في وجدان الأمة لتنبعث منه طاقات التغيير، ومعطيات الكرامة والعزة. هذا ما فعله الشابي<sup>(١)</sup> عندما فتح عينيه على وطن يتخبّط في قيوده، وادرك ان الأرض التونسية، ان لم يزلها صوت يحمل النبوة الحسينية، لن ترتعش فيها نبضات العزة.

إذا الشَّعْبُ يوماً أراد الحياةَ      فلا بدَّ أن يستجيب القَدْرُ  
ولا بدَّ لـلـيْلِ أن يَنجـلـي      ولا بدَّ للقيـدِ أن يَنكسِرَ  
إنها إرادة الشعب، فعلى الشعب ان يريد الحياة، وأن يريدها حُرّةً كريمة، فيستجيب القَدْرُ، لأنه لا يخيب صوت شعب يريد الحياة والكرامة... والذين لا يعشقون الحياة الكريمة يندثرون كالهباء في مهبّ الرياح.

وَمَنْ لم يُعانقهُ شوقُ الحياةِ      تبخَّرَ في جوّها وأنـدَثَرُ  
كذلك قالت لي الكائناتُ      وحدّني روحها المُستتِرُ  
وَمَنْ لا يُحبُّ صعودَ الجبالِ      يَعِشُ أبـدَ الدهرِ بينَ الحُفْرِ<sup>(٢)</sup>  
ومن هذا المنطلق يخاطب الشاعر نزار قباني تونس الخضراء قائلاً:

١. ابوالقاسم الشابي (١٩٠٩ - ١٩٣٤م)

وُلد ابوالقاسم الشابي في الشايبة احدى ضواحي توزر. وفي سنة ١٩٢٠م التحق بجامعة الزيتونة.

آثاره: اشهر آثاره ديوانه «أغاني الحياة» كما ترك لنا كتيباً بعنوان «الخيال الشعري عند العرب» وآثاراً أخرى لا تزال مخطوطة.

٢. الفاخوري، حتّاً: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٥٧٧.

## تونس الخضراء

ماذا أقول؟ فمي يفتش عن فمي  
من أين يأتي الشعر.. حين نهارنا  
سرقوا أصابعنا.. وعطرَ حروفنا  
من أين أدخلُ في القصيدة يا تُرى  
فمن الخليج إلى المحيط قبائلُ  
أمشي على ورق الخريطة خائفاً  
أتكلم الفصحى أمامَ عشيرتي  
لولا العباءاتُ التي التفؤوا بها  
يتقاتلون على بقايا تمرّةٍ  
قُبلاتهم عربية.. مَنْ ذارأى  
يا تونسُ الخضراء، كأسِي عَلَقَمُ  
وخريطة الوطن الكبير فضيحةٌ  
والعالم العربيُّ.. إمانعةٌ  
والعالم العربيُّ يخزن نفظه  
والناسُ، قبل النفط أو من بعده  
يا تونسُ الخضراء.. كيف خلاصنا  
من ذا يصدّق أن مصر تهوّدت

والمفرداتُ حجارةٌ وترابٌ...  
قَمْعٌ.. وحين مساؤنا إرهاب  
فبأي شيء يكتُبُ الكُتّابُ؟  
فالقول فوضى، والكلام ضبابُ  
بطِرتُ.. فلا فكرٌ ولا آدابُ  
فعلى الخريطة كلُّنا أغراب  
وأعيد لكن ما هناك جوابُ  
ما كنتُ أحسبُ أنّهم أعراب  
فخناجرٌ مرفوعةٌ وجِرابُ  
فيما رأى، قُبلاً لها أنياب  
أعلى الهزيمة تُشربُ الأنخابُ؟  
فحواجرٌ.. ومخافرٌ.. وكلابُ  
مذبوحةٌ.. أو حاكمٌ قصابُ  
في خصيته.. وربُّك الوهابُ  
مستنزون.. فسادةٌ ودواب  
لم يبقَ من كُتُب السماء كتابُ  
فمقام سيدنا الحسين يبابُ

## مفكرون تونسيون خدموا التراث الشيعي

### ١- الدكتور محمد التيجاني السماوي

من خيرة المستبصرين في القرن العشرين، يبلغ من العمر خمسين عاماً، داعية ومفكر إسلامي، ومن الذين أسسوا حركة الإخوان المسلمين في تونس خلال الستينات، أنهى دراسته في جامعة الزيتونة العريقة، عمل في سلك التدريس ١٧ عاماً، وحصل على شهادة الماجستير في المقارنة بين الأديان من جامعة باريس، وعلى شهادة الدكتوراه في نهج البلاغة للامام علي عليه السلام، وهو الآن بصدد الحصول على الدكتوراه الدولية حول أطروحته (التفكير الإسلامي في نهج البلاغة)، له عدة مؤلفات حول نهج البلاغة، ومؤلفات أخرى منها: (١)

#### أ - نَمَّ اهْتَدَيْتْ

«ثم اهتديت» كتاب أهل البيت. تحت هذا العنوان تحدث الدكتور التيجاني قائلاً: «إنَّ لأهل البيت كرامات ملموسة حتى في أيامنا وكم نسمع من هنا وهناك بعض الشيعة يتكلمون عن الكرامات التي عاشوها أو شاهدوها بفضل أهل البيت عليهم السلام، كيف لا وهم أئمة الهدى وأعلام الورى ومصاييح الدجى. فأين الوهاية الجاحدة لهذه الحقائق الدامغة وأين المسلمون الذين حجوا أنفسهم لمعرفة هذا الحق وهذا ما يذكرني بأخذ علماء الزيتونة عندنا في تونس وهو الشيخ جلّول الجزيري رحمة الله وقد منَّ الله عليه بالإستبصار عن طريقي

وقد كتب كتابه الأخير وذكر فيه حادثة الغدير وبيعة أمير المؤمنين، وفضائل أهل البيت وكرامتهم على الله وحدثني رواية أن تونس العاصمة أصابها قحط ومجاعة حتى كاد يهلك الناس ورغم أنهم صلّوا صلاة الاستسقاء عدة مرّات ولكن منعت السماء وجفت الأرض فجاء الناس يشتكون إلى أحد الصالحين وهو العلامة الشيخ ابراهيم الرّياحي وطلبوا منه أن يدعو الله لعلّه يستجاب. فقال لهم اجمعوا لي مائة رجل من الأشراف<sup>(١)</sup> لأصلي بهم صلاة الإستسقاء، فجاءه مائة رجل من الأشراف فصلّوا صلاة الاستسقاء فلم يكملوا صلاتهم وكان الحرّ شديداً فإذا بالمطر ينزل كأفواه القرب وتواصلت ثلاثة أيام وسالت الأودية بغزارة حتى خافوا من الغرق. هذه كرامات أهل البيت في كل زمان وفي كل مكان.

وأنا بعدما اهتديت إليهم بحمد الله تعالى وكتبتُ كتابي الأول «ثم اهتديت»

لم أكن أتصور أنه سيلقى هذا القبول وهذه الشهرة.

وبهذه المناسبة لا بأس بذكر طريفة ألفتني إليها الأخ العزيز والعالم الجليل الدكتور أسعد علي عندما زرته في بيته بالمرّة في دمشق وكنا نتجاذب أطراف الحديث وسط مجموعة من محبّيه ومريديه وهو أديب كبير فذكرني بأمر انشرح له صدري قال لي: قرأت كتابك «ثم اهتديت» وعرفتُ سرّ الكتاب قلتُ متعجباً وما سرّ الكتاب؟ فقال: إنك لما دخلت لأول مرّة في ضيافة سيدنا موسى الكاظم وقلت: اللهم ارحمه إن كان من الصّالحين فعمل هو بقول الله تعالى، وإذا حُيِّتُم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها، فلما حيّيته بقولك اللهم ارحمه، حيّاك هو بأحسن منها فقال اللهم إهده، فاستجاب الله له وهداك فكان بعد ذلك هذا الكتاب

١. الأشراف في تونس - وكما ذكرنا سابقاً - هم السّادة من نسل الشرف الذي ينحدر من نسل النبي عن طريق علي وفاطمة الزهراء عليهما السّلام.

وهو سرّ نجاحه.

وهذه حقيقة آمنتُ بها ودخلتُ في قلبي وآمنتُ أنّ أهل البيت سلام الله عليهم هم السرّ وراء نجاح الكتاب بلا شك فما لقيت إنساناً إلاّ وأبدى إعجابه للكتاب فقد طبع أكثر من عشرين طبعة وقد تُرجم إلى سبعة عشر لغة في العالم، وقد اهتدى به إلى الحق آلاف من المسلمين في كل بقاع الدنيا بالخصوص في أفريقيا السوداء حيث لا يوجد هناك شيعة والمسلمون يعيشون على الفطرة بدون خلفيات مذهبيّة»<sup>(١)</sup>.

وقال التيجاني عرفاً نفسه في كتابه «ثم اهتديت» تحت عنوان «دعوة أصدقاء للبحث».

كان التحوّل بداية السعادة الرّوحية إذ أحسست براحة الضّمير وانشرح صدري للمذهب الحق الذي اكتشفته أو قل للإسلام الحقيقي الذي لاشك فيه؛ وغمرتني فرحة كبيرة واعتزاز بما أنعم الله عليّ من هداية ورشاد.

ولم يسعني السّكوت والتكتم على ما يختلج في صدري وقلت في نفسي: لا بدّ لي من إفشاء هذه الحقيقة على الناس «وأما بنعمة ربّك فحدّث» وهي من أكبر النعم أو هي النعمة الكبرى في الدنيا وفي الآخرة، و«الساكت عن الحق شيطان أخرس»، «وليس بعد الحق» إلاّ «الضلال».

ودعوت أربعة أصدقاء من الأساتذة العاملين معي في المعهد كان إثنان منهم يُدرّسان التربية الدينيّة والثالث يدرّس مادة العربية والرابع كان أستاذ الفلسفة الإسلاميّة. لم يكن أربعتهم من قفصة بل كانوا من تونس ومن جمال وسوسة، دعوتهم إلى البحث معي في هذا الموضوع الخطير وأشعرتهم بأنّي قاصر

١. التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: كُّلّ الحُلُول عند آل الرسول، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

عن إدراك بعض المعاني وقد اضطربت وتشككت في بعض الأمور، وقبلوا المجيء إلى بيتي بعد إنهاء العمل، وتركهم يقرأون كتاب المراجعات على أن مؤلفه يدعي أشياء عجيبة وغريبة في الدين، وقد استهوى الكتاب ثلاثة منهم أمّا الرابع الذي يدرس اللغة العربية فقد قاطعنا بعد أربع جلسات أو خمس قائلًا: «إنّ الغرب الآن يغزو القمر وأنتم ما زلتُم تبحثون عن الخلافة الإسلامية».

وما أن أتممنا الكتاب خلال شهر واحد حتّى استبصر ثلاثتهم وقد أعنتهم كثيراً للوصول إلى الحقيقة من أقرب الطرق بما تكوّن عندي من سعة الاطلاع خلال سنوات البحث وذقت حلاوة الهداية واستبشرت بالمستقبل وأخذت أدعو في كلّ مرّة بعض الأصدقاء من قفصة والذين كانت تربطني بهم حلقات الدرس في المسجد أو العلاقات المنحزّة من الطرق الصوفية وبعض تلاميذي الذين كانوا يلازموني وما مرّت سنة واحدة حتّى أصبحنا بحمد الله عدداً كبيراً نوالي أهل البيت، نوالي من والاهم ونعادي من عاداهم، نفرح في أعيادهم ونحزن في عاشوراء ونعقد مجالس تعزية.

وكانت أولى رسائلتي التي تحمل خبر استبصاري إلى السيّد الخوئي بمناسبة عيد الغدير إذ احتفلنا به أوّل مرّة في قفصة، وقد اشتهر أمري لدى الخاصّ والعامّ بأنّي تشييعت وأنّي أدعو إلى التشييع لآل بيت الرسول (ص) وبدأت الاتّهامات والإشاعات تروج في البلاد، على أنّي جاسوس لإسرائيل أعمل على تشكيك الناس في دينهم وبأنّني أسبّ الصحابة وبأنّني صاحب فتنة إلى غير ذلك.

وفي تونس العاصمة اتّصلت بالصديقين راشد الغنوشي وعبدالفتاح مورو وكانت معارضتهما لي عنيفة جداً وفي حديث دار بيننا في بيت عبدالفتاح، قلت يجب علينا كمسلمين مراجعة كتبنا ومراجعة تاريخنا وضربت لذلك مثلاً صحيح

البخاري الذي فيه أشياء لا يقبلها عقل ولا دين.

وثارت ثائرتهما قائلين لي: من أنت حتى تنتقد البخاري؟ وبذلت كل جهدي من أجل إقناعهما بالدخول في البحث العلمي الموضوعي فرفضاً ذلك. ازدادت على أثره حملة الإشاعات ضدنا من قبل البعض وبثوا في أوساطهم إشاعات غريبة بغية إبعاد الناس عني وإحاطتي بطوق العزلة - سامحهم الله تعالى - .

وبدأت العزلة من بعض الشبان ومن الشيوخ الذين يتبعون الطرق الصوفية وعشنا فترات قاسية غرباء في ديارنا وبين إخواننا وعشيرتنا ولكن الله سبحانه أبدلنا خيراً منهم فكان بعض الشبان يأتون من مدن أخرى يسألون عن الحقيقة فكنت أبذل قصارى ما في وسعي لإقناعهم بحقيقة منهج أهل البيت (ع) وبالواقع التاريخي فاستبصر عدد من الشبان في العاصمة وفي القيروان وفي سوسة وسيدي بوزيد وكنت خلال رحلتي الصيفية إلى العراق مررت بأوروبا حيث التقيت بعض الاصدقاء في فرنسا وفي هولندا وتحديث معهم في الموضوع فاستبصروا والحمد لله.

هذا وقد تعددت زياراتي للنجف الأشرف ولعلماء النجف في مناسبات كثيرة، كما أعطاني السيد الخوئي الذي كنا نقلده وكالة للتصرف في الخمس والزكاة وإفادة المجموعة المستبصرة عندنا بما تحتاجه من كتب وإعانات وغير ذلك، وقد كوّنت مكتبة مفيدة بها أهم المصادر التي تخصّ البحث وتجمع كتب الفريقين وتحمل إسم مكتبة أهل البيت (عليهم السلام) وقد أفادت الكثيرين والحمد لله.

وزاد الله فرحتنا فرحتين وسعادتنا سعادتين فقبل حوالي خمسة عشر عاماً



سَخَّرَ لنا الله الكاتبَ العامَ لبلدية قفصة فوافق عليّ تسمية الشارع الذي أسكن فيه باسم شارع الإمام علي بن أبي طالب (ع)، فلا يفوتني هنا أن أشكر له هذه اللفتة المشرفة، فهو من المسلمين العاملين وله ميل كبير ومحبة فائقة لشخص الإمام علي وقد أهديته كتاب المراجعات، وهو يبادل مجموعتنا حباً وتقديراً واحتراماً فجزاه الله خيراً وأعطاه ما يتمنى. (١)

### ب - لأكون مع الصادقين

الكتاب الثاني للدكتور التيجاني، يقول في المقدمة: أما بعد فقد لقي كتابي الأول «ثم اهتديت» قبولا حسناً لدى القراء الأعزاء الذين أبدوا بعض الملاحظات المهمة وطلبوا المزيد من التوضيح في المسائل التي اختلف فيها المسلمون سنة وشيعة حتى تُرفع الحجب ولا يبقى هناك غموض لمن أراد التحقيق والوقوف على جلية الأمر.

فألقتُ هذا الكتاب بنفس الأسلوب ليسهل عليّ الباحث المنصف أن يصل الى الحقيقة من أقرب طرقها كما وصلتُ إليها من خلال البحث والمقارنة وأسميته على بركة الله «لأكون مع الصادقين» لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وليس هناك أصدق من محمد وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام. (٢)

١. التيجاني السّماوي، الدكتور محمد: ثمّ اهتديت، ص ٢٠٥، ص ٢٠٨، مؤسسة الفجر، لندن.

٢. التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: لأكون مع الصادقين، ص ٢، مؤسسة البشري، باريس.

### ج - فاسئلوا أهل الذكر

يقول الدكتور التيجاني: أقدم كتابي هذا «فاسئلوا أهل الذكر» وهو جملة من الأسئلة مع الإجابة من خلال مواقف وتعاليم أئمة أهل البيت سلام الله عليهم - عسى أن يستفيد منها المسلمون في كل البلاد الإسلامية. (١)

ويضيف قائلاً: ولما ألهمني الله لكتابة «ثم اهتديت» ولقيت تشجيعاً من عديد من القراء والباحثين، ثم أردفته بالكتاب الثاني «لأكون مع الصادقين» والذي لقي هو الآخر قبولاً حسناً، مما شجعتني على مواصلة البحث والتنقيب فكتب الجزء الثالث «فاسألوا أهل الذكر» دفاعاً عن الإسلام وعن نبي الإسلام لإزالة الشبهات التي ألصقت بحضرته المقدسة وكشف المؤامرة التي دبرت ضده وضد أهل بيته الأطهار. (٢)

### د - الشيعة هم أهل السنة

يقول الدكتور التيجاني: هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي المسلمين الباحثين، يدور في فلك الكتب الثلاثة السابقة عسى أن ينتفع به بعض المثقفين والباحثين عن الحق ليعلموا أن الفرقة المستهدفة والتي تسمى بـ «الشيعة الإمامية» هي الفرقة الناجية، وأنهم - أي الشيعة - هم أهل السنة الحقيقية، وأقصد بالسنة الحقيقية السنة المحمدية التي صدع بها نبي الإسلام بوحي من رب العالمين. (٣)

١. التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: فاسئلوا أهل الذكر، ص ٩، مؤسسة الفجر، لندن.

٢. التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: الشيعة هم أهل السنة، ص ١٠، شمس المشرق،

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٣. المرجع السابق.

## هـ - إعرف الحقّ

مما لا شك فيه أن الإسلام طرح أتم وأكمل المشاريع الحضارية لقيادة الحياة والبشرية خاصة!

منها حرية الرأي حتى في قبول الإسلام (لا إكراه في الدين)، وكذلك مبدأ الحوار السياسي الحضاري حتى مع الأنبياء (عليهم السلام) ومطالبتهم بالمعجزة وأيضاً مبدأ السؤال... وغيره.

ومن خلال هذا الواقع انبرى الدكتور التيجاني السماوي إلى قضية التساؤل لما يجده بين ما هو تقليد وتعصب وتطبيق لمذهب ما، حسب ما تقتضيه نظرة أصحاب ذلك المذهب، وبين واقع الإسلام فبدأ بالسؤال ومن ثم بالحوار للوصول إلى الاقتناع الحر<sup>(١)</sup>!

## و - إتقوا الله

هذه محاورة جرت بين الدكتور محمد التيجاني السماوي في تونس مع بعض علماء السنة.<sup>(٢)</sup>

## ز - فسيروا في الأرض فانظروا

يقول التيجاني السماوي: هذا الكتاب... هو عبارة عن مذكرات جمعتها

---

١ . التيجاني السماوي، الدكتور محمد: إعرف الحقّ، ص ٧، دار المجتبي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٢ . التيجاني السماوي، الدكتور محمد: إتقوا الله، ص ٧، دار المجتبي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

طيلة ثلاثين عاماً فيها الخير والشر، فيها الحلو والمرّ، فيها الكرّ والفرّ وفيها الأخذ والعطاء... قسّمت الكتاب إلى جزأين تناولت في الأول رحلاتي في البلدان العربيّة وفي الجزء الثاني رحلاتي في البلدان الإسلاميّة والغربيّة، علماً بأن كلّ البلدان التي ذكرتها في رحلاتي زرتها أكثر من مرّة وقد تعدّد الزيارات إلى بعضها بالعشرات. (١)

### ج - كلّ الخلول عند آل الرسول

---

١ . التيجاني السّماوي، الدكتور محمد: فسّروا في الأرض فانظروا، ص ٦، دار المحجّة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢- الهاشمي بن علي رمضان (التونسي)

مؤلف كتاب

الصحابة في حجمهم الحقيقي

### المولد والنشأة:

ولد الأخ الهاشمي بن علي بمدينة قابس عام (١٩٨٦م) في أوساط عائلة مالكية المذهب.

يحمل شهادة الاستاذية في اللغتين الانكليزية والايطالية كما انه يحسن اللغة الفرنسية بالإضافة الى لغة الأم العربية.

له كتابات ادبية ومقطوعات شعرية.

وهو الآن يواصل علوم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما له

مؤلفات بعد اعتناقه لمذهب اهل البيت (ع) هي:

أ- حوار مع صديقي الشيعي.

ب- الصحابة في حجمهم الحقيقي. مطبوع. مركز الابحاث العقائدية في قم.

### كلمة لأهل السنة:

يقول: (الواقع أن هناك مسألة مهمة نلفت النظر إليها وهي خوف بعض اخواننا السنة من مطالعة كتبنا حتى ان البعض منهم يشتريها ويحرقها كما سمعت!! من يخالف من قراءة كتاب فلن يبلغ الغاية لا في الدين ولا في الدنيا إقرأوا كتبنا فإن كنا ضالين فها توارى برهانكم وارشدونا الثواب وإن كنا على الحق فتعالوا إليه وإن كان مرا).<sup>(١)</sup>

### ٣- أحمد الحزامي صالح

#### المولد والنشأة:

ولد الأخ احمد الحزامي صالح بمدينة مارت عام ١٩٧٣م في تونس. وقد نشأ معتقاً للمذهب المالكي، باعتبار أن عائلته تعتنق هذا المذهب. تجدر الإشارة إلى أنه كان مبلغاً للمالكية في الضواحي التابعة لمدينته.

#### البداية:

يروى الأخ أحمد الحزامي صالح قصة استبصاره فيقول: (في عام ١٩٨٥م تقريباً كنت أجالس أحد المؤمنين وصادف ذلك في عشرة شهر محرم، فسخر البعض من أحد الشيعة لحزنه في هذه الايام - ولم أكن سمعت شيئاً في السابق عن الشيعة - فدفعني هذا الامر للاستفسار، فسألت أخي فقال: الشيعة هم الذين يعبدون الامام علي بن أبي طالب، فتعجبت من ذلك وتألمت وقلت في نفسي هل يوجد من يعتقد بهذه الخرافات؟! فصرت أنفر منهم وأتجنبهم.

في عام ١٩٨٧م تحسنت علاقة أخي بهذا الشيعي، ومن خلال هذه العلاقة استطاع أن يؤثر على أخي ويقنعه بأحقية مذهب التشيع خلال أشهر، وخلال تلك الفترة كنت أمارس التبليغ للمذهب المالكي فرأيت كتاب عنوانه (الخلفاء الراشدون) عند أخي، فسألته عن ذلك الكتاب، فأجابني: أنا شيعي فسخرت منه وذكرته بكلامه السابق، فأخذ يشرح لي وقائع ويعرفني بامور لم يكن هو نفسه عالماً بها وبعدها أعطاني كتاب (المراجعات) وهذا الكتاب درسته بتعمق وهنا

وقعت في حيرة!!!

ثم تعرفت على شيعي آخر وحصلت منه على محاضرات اسلامية مسجلة للشيخ المالكي والشيخ الوائلي فتبلورت الفكرة في ذهني أكثر فأكثر ثم طالعت كتاب (مؤتمر علماء بغداد) فزاد يقيني ودامت هذه الفترة حدود الـ (٦ أشهر) وهكذا اعتنقت مذهب التشيع وأيقنت انه هو المذهب الحق خصوصاً في التعدييات.<sup>(١)</sup>

---

١ . آل قطيط، هشام: المتحوّلون حقائق ووثائق، ص ٥٣٧.

٤ - محمد العربي التونسي

الملقب (أبو محمد)

مواليد ١٤/٦/١٩٥١م، جرجيس (الجنوب التونسي).

الدراسة: الابتدائية في العاصمة تونس وكذلك الإعدادية والثانوية. وفيها

أكمل دراسة كلية الفنون الجميلة.

نشأ نشأة صوفية وتأثر بطريقة الشيخ إبراهيم الرياحي (عبدالسلام الأسمر

في ليبيا) (برقة) حيث ينتمون إلى القطب الصوفي والكبريت الأحمر (محي الدين

بن عربي).

اعتنق التشيع عام ١٩٨٠م. (١)



٥- محمد أحمد القابسي التونسي

شاعر و أديب تونسي معاصر، عُني بالشعر الحديث ونظم فيه فيبرز ولمع نجمه في بلدان المغرب العربي.

### الكتابة بدم «الحسين»

البحر... البحر...

هل يغسل ثانية مدائنكم الخائنات  
أم يظل رأس الحسين منها لا يخرج!..

الثلج

حين يهمل ياتي معه الدم

كصوت الريح

كطعم الحقد

كحد السيف

يأتي الثلج أحمر... أحمر!!

فابحثوا بينكم عن القاتل

ابحثوا تحت القمصان بين الترائب

في حوائت القبائل

«كلكم تضعون العمامات»

فأين الخارج منكم

من «الداخل»؟!

أظل أكتب بدم «الحسين»

وأصفق للمستحيل!!<sup>(١)</sup>

١ . الطريحي، محمد سعيد: أجراس كربلاء، ص ٤٥، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى،

## الجزائر

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب و بربر ٩٩٪.

اللغة: العربية - الفرنسية - لغة البربر المحلية.

أهم المحاصيل: قمح - عنب - زيتون - حمضيات - فواكه - تمر. وينمو الزيتون فيها برياً، ويبلغ إنتاجه نحو ٣٠٠ ألف طن سنوياً.

أهم المعادن: نفط<sup>(١)</sup> - غاز - حديد - فوسفات - ويأتي الحديد في مقدمة المعادن، وهو من النوع الجيد، يليه الفوسفات والبتروول والغاز الطبيعي.

أهم الصناعات: صناعات خفيفة - غاز طبيعي - مناجم - صناعات كهربائية وكيميائية - تكرير - أغذية - غزل و نسيج - تعدين - حفظ الأسماك.

الثروة الحيوانية: بقر ١/٧ مليون، أغنام ٣ مليون. ويحتل الرعى وتربية الماشية المرتبة الثانية في اقتصاد الجزائر.

أهم المعالم: الشواطئ الجميلة، والجبال المتوجة بالخضرة، والغابات التي تصل مساحتها إلى حوالي ثلاثة ملايين هكتاراً. وتنقسم الجزائر إلى قسمين رئيسيين، القسم الشمالي وهو يتبع البحر المتوسط، ويمتد من البحر حتى جبال أطلس، أما القسم الثاني فهو صحراوي ويمتد من جبال أطلس الصحراوية حتى الحدود الجنوبية.<sup>(٢)</sup>

١ . بدأت تحتل مكانة بين الدول المنتجة للبتروول اعتباراً من سنة ١٩٥٧م. وصل إنتاجها من الغاز الطبيعي الى ١/٥ مليون مترمكعب في اليوم الواحد تصدره كله بناقلات خاصة عبر البحر المتوسط\*

\* دائرة المعارف الشيعة، حسن الامين، ٦٦/١.

٢ . كَين، علي: المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقيا، ص ٥٤.

## إن للباطل جولة.. وللحق جولات

ثارت فرنسا ضد لويس السابع عشر، وحطمت الباستيل الذي اعتقل الظلم فيه احرار فرنسا..

ان الحقيقة المرة المؤلمة تؤكد بأن الفرنسيين قد جعلوا من الجزائر كلها «باستيلا» كبيراً اعتقلوا فيه احرار الجزائر وساموهم فيه سوءالعذاب يقتلون ابناءهم ويحرقون ويهلكون الحرث والتسل فيه!!<sup>(١)</sup>

---

١. بحري، يونس: دماء في المغرب العربي، ص ٨، دار النشر للجامعيين، بيروت.

## الشيعة في الجزائر

الدولة	النفوس	نسبة المسلمين	المذهب الأكثر	نسبة الإمامية	غير المسلمين
الجزائر	٣١/٧٨٧٦٤٧	٩٩٪	مالكية	١/٩٨٪ <sup>(١)</sup>	١٪ مسيحي ويهود، ويوجد فيها إباضية. <sup>(٢)</sup>

انتشار الشيعة في الجزائر - في العصر الحاضر - قامت على مرحلتين: الأولى - كانت على يد المدرسين العراقيين الشيعة؛ حيث استبصر الكثير من أهالي الجزائر على يد المدرسين الشيعة العراقيين والذين وفدوا إلى الجزائر للعمل في مدارسها الثانوية. وكان من المستبصرين سماحة العلامة الشيخ زاوي محمد إمام مسجد عمر بن الخطاب الواقع في (٦ شارع العبان عز الدين - تلمسان)، حيث أخذ الشيخ زاوي محمد - على عاتقه - وبكل نشاط بنشر المذهب الشيعي الاثني عشري.

ولما علمت السلطات الجزائرية بنشاط المدرسين العراقيين<sup>(٣)</sup> ضيّقت

١ . الكرباسي، محمد صادق: الحسين والتشريع الاسلامي، ١٠٢/٢، المركز الحسيني للدراسات، لندن، الطبعة الاولى، ١٤٢١هـ .

٢ . نسبة الإباضية فيها تأتي بعد عثمان.

٣ . وقد نقل لي احد المدرسين العراقيين القادمين من الجزائر إلى دمشق بان الرئيس الجزائري الأسبق احمد بن بله خطب مرة في المحافظة الساحلية ومدح فيها عبدالرحمن بن ملجم المرادي قائلاً: يجب نصب تمثال من ذهب لعبد الرحمن لشجاعته إذ انه أوقف الحروب الداخلية بين العرب باغتياله علي بن أبي طالب!!

الخناق عليهم واضطرتهم إلى مغادرة الأراضي الجزائرية بإيعاز من موالين لأحمد بن بلّة.

الثانية - كانت عليّ يد المفكر التونسي الكبير الدكتور محمد التيجاني السماوي ممثل آية الله العظمى السيّد الخوئي هناك.

يقول الدكتور التيجاني في الرحلة الجزائرية: المعروف عن الجزائر أن فيها بعض القبائل العربية التي هي من الخوارج يسكنون في واد مزاب وبعضهم يسكن جزيرة جربة في تونس ويُعرفون بالأباضية، وقد حدثني بعض المسؤولين في العراق أن الرئيس الأول للجزائر أحمد بن بلّة لما زار العراق في الستينيات سأل عن قبر عبدالرحمان بن ملجم الخارجي<sup>(١)</sup> الذي اغتال الإمام علي بن أبي طالب فحدّره المسؤولون العراقيون بأن الشيعة في العراق سيقتلونه لو علموا منه ذلك»<sup>(٢)</sup>.

يقول التيجاني: وصلتُ مدينة تيارت واتجهت إلى العنوان باحثاً عن منزل السيّد عبدالجواد، تعرفت عليّ ولده سعيد والذي أعلمني بأن والده يشتغل بالتدريس في الجامعة وركب معي في السيارة ليوصلني إلى الجامعة، ...

وبعد نصف ساعة وصلنا إلى مدينة المعسكر التي تبعد عن تيارت مسافة قليلة، وما إن وصلنا إلى البيت حتى ارتفعت الزغاريد، ثم بدأت المكالمات الهاتفية والاتصالات السريّة وبدأت الوفود تأتي مثنى وثلاث ورباع وما هي إلّا

١ . ولا عجب في ذلك وان الفضائيات كانت تعرض صور الرئيس احمد بن بلّة - من بغداد - قبل سقوط صدام حسين وهو يشترك في تأييد صدام عند صناديق الاقتراع؛ تأييداً لصدام الذي قتل مئات الألوف من شيعة العراق.

٢ . التيجاني السماوي، الدكتور محمّد: فسروا في الأرض فانظروا، ص ١٢٩، دار المحجّة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

ساعة أو ساعتين حتى اجتمع في البيت أكثر من أربعين رجلاً... وما أقبل الليل إلاّ - وقد اكتمل عدد الشباب إلى سبعين أو يزيد عرفتُ واحداً منهم واسمه الحسيني سبق أن زارني في باريس واعطيته بعضاً من كتبي، وهو يملك مع بعض شركائه مطبعة ابن باديس في مدينة تيارت.

ألقيت كلمة وجيزة بالمناسبة رحبتُ فيها بكلّ الحاضرين وشكرتهم على عواطفهم وحسن استقبالهم واعتذرت لهم عن الأتعاب التي سببتها لهم، ثم حمدت الله سبحانه وتعالى أن جمعنا على طاعته وقد ركبنا سفينة النجاة بموالاتنا واقتدائنا بمحمّد وآل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في وقت كثرت فيه البدع وأصبحنا كالغرباء وسط أهلنا وذوينا.

ثم فتحنا باب الحوار والأسئلة فسألوني عن كلّ شاردة وواردة عن كلّ صغيرة وكبيرة وأجبت في ما أعلم وامتنعت عمّا ليس لي به علم.

كما علمتُ من خلال الحوار بأنّ أغلب الحاضرين قد استبصروا من كتاب «ثم اهتديت»، وهم ينقلون هذا الكتاب بنسخ الصور ويكلفهم أربعين ديناراً للنسخة الواحدة، وهم بأشدّ الحاجة إلى مزيد من الكتب لأنّ الشباب المثقّف من جماعة عبّاس مدني وعلي بالحاج بدأوا يتشيّعون لمذهب أهل البيت وهم متعطشون لقراءة «ثم اهتديت».<sup>(١)</sup>

وفي هذا الصدد كتب السيّد عامر الحلّو في كتابه (وقفه مع كتاب حول الشيعة وما يعتقدون) في الصفحة (٣٥) حول ظاهرة تشييع بعض العلماء والمثقفين قائلاً: لقد انتمى إلى مذهب الشيعة الإمامية في السنوات الماضية ولا يزال كثير من إخواننا أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى أذكر منهم على سبيل المثال:

١. التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: فسروا في الأرض فانظروا...، ص ١٣٨.

الأستاذ الدكتور محمد المغلي وهو ابن عم المفكر الجزائري المعروف مالك بن نبي صاحب كتاب الظاهرة القرآنية وغيره. وهو أستاذ علم الاجتماع في جامعة بروكسل في بلجيكا وقد إلتقيته في أحد المؤتمرات الإسلامية وحل ضيفاً عندي في داري بدمشق ثلاثة أيام وذلك عام ١٩٨٢م وقد أخبرني أنه تشيع لأهل البيت (ع) وأنه على مذهب الشيعة الإمامية.<sup>(١)</sup>

## المغرب

### الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب وبربر ٩٩٪، ويهود ٢/٠٪.

اللغة: العربية - لهجات بربرية - الفرنسية.

استخدام الأرض: المستزرع والقابل للزراعة ١٨٪ والمراعي ٢٨٪، والغابات ١٢٪.

والمغرب هي أكثر بلاد الشمال الإفريقي نماء، حيث تستقبل السهول الخصبة والسفوح قدراً وافراً من الأمطار.

أهم المحاصيل: القمح - الحمضيات - الزيتون - الخضراوات - الصمغ العربي. وينمو الزيتون بكميات وفيرة تصل إلى حوالي ٨ مليون شجرة. ومن أشجار الغابات هناك الأرز والزان والبلوط والصنوبر.

أهم المعادن: كوبلت - منجنيز - فوسفات - رصاص - نفط - حديد - زنك. وتؤلف المعادن ٤٠٪ من صادرات المغرب، وتولد الكهرباء من مجارى الأنهار الهابطة من جبال أطلس. ويوجد بالمغرب ٧٥٪ من احتياطي فوسفات العالم.

أهم الصناعات: مناجم - معالجة صخور الفوسفات - الأغذية - الجلود - نسيج.

الثروة الحيوانية: ماشية ٣/٣ مليون - أغنام ١٦/٥ مليون.

الموقع وأهم العالم: تتمتع بموقع جغرافي ممتاز على مفترق الطرق بين



أوروبا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية والبحر المتوسط والمحيط الهندي. كما تتمتع بشبكة ممتازة من الطرق التي تربطها بالدول المجاورة. (١)

مساحته: ٦١٠/٠٠٠ كلم مربع.

عاصمته: الرباط.

موقعه الجغرافي: شمال غرب أفريقيا.

حدوده: من الغرب المحيط الأطلنطي ومن الشرق الجزائر ومن الشمال

البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب موريتانيا.

---

١ . عبد الهادي محمد مسعود، الدكتور جمال: المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقيا،

## الشيعة في المغرب

الدولة	التفوس	نسبة المسلمين	المذهب الأكثر	نسبة الإمامية	غير المسلمين
المغرب	٣٠/٧٥٠٦٨٦	٩٩٪	مالكية	٢/٩٧٪	١٪ مسيح ويهود <sup>(١)</sup>

يقول الدكتور التيجاني في الرحلة المغربية: عرفت الشعب المغربي في بساطته وانفتاحه في عمق عقيدته وتمسكه بالدين، في صدق إخلاصه وولائه لما فيه راحة السلالة الطاهرة والنسل الشريف وأسماء محمّد، علي، فاطمة، حسن، حسين، قد يفوق عددها في المغرب كلّ ما هو موجود في البلدان العربية الأخرى. ولاحظت كذلك أن الذين يسمّون أولادهم بهذه الأسماء فإنهم يحترمونهم فلا يسبّوهم ولا يقولون لهم كلمات بذيئة أبداً فالأشراف عندهم شيء مقدّس أكثر من كلّ الدول العربية الأخرى كما أن المغاربة يعظّمون شعائر الله تعظيماً كبيراً فالمساجد والجوامع والزوايا ومقامات الصالحين عندهم كثيرة جداً وهم يحتفلون بالأعياد الإسلامية وبيالغون في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي يطول كامل الشهر، على عكس السعوديين الذين يحرمون الاحتفال به ويزعمون بأنّه بدعة.

والمغرب من أجل ذلك حافظ على طابعه الإسلامي السنّي في المذهب ولكنّه يقرب من الشيعة في معتقداته فهو، لا يقدّم على أهل البيت أحداً وكذلك

١. الكرباسي، محمد صادق محمد: الحسين والتشريع الاسلامي، الجزء الثاني، ص ١٠٥.

يحزنون في شهر المحرم وفي أيام عاشوراء وخصوصاً في اليوم العاشر بالذات تراهم لا يشتغلون ولا يتزيّنون وإنما ترى البعض منهم يقدّمون التعازي فيما بينهم ويذكرون ماثر أبي عبدالله الحسين سيّد شباب أهل الجنة.

والوهائيّة لم تجد في المغرب رواجاً كبيراً لحبّ المغاربة اللّامتناهي للعترة الطّاهرة وكلّ من انحدر منهم فهم دائبون على التوسّل إلى الله وجعلهم الواسطة المنجيّة من عذاب الله.

لكلّ هذه الأسباب ترى المغاربة يحبّون ملكهم جلالة الحسن الثّاني لأنّه من نسل السّلالة الطّاهرة التي انحدرت من عليّ وفاطمة والحسن والحسين فالعائلة الملكيّة أصلها حسني من أولاد سيّدنا الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام.<sup>(١)</sup>

يقول الاستاذ نجيب زيبب عندما أراد تأليف كتابه «دولة التشيع في بلاد المغرب»: وعزمت على التنفيذ وبدأت في تدوين الأفكار والملاحظات وتعيين المراجع التي يمكن الاستناد إليها في هذا الموضوع وكان أول ما ذهبت إلى مكتبة الناصر في تطوان وأقولها بكل صدق أنني لازلت أشكر للأخ بن الناصر صاحب المكتبة حسن استقباله لي حيث وضع بتصرفي جميع ما عنده من كتب التراث، كما لازلت أشكر الأخوة المغاربة وأخصّ بالذكر منهم السادة الأساتذة (عبدالرحمن الزر والي ومحمد الصوردو) من أساتذة التعليم الديني هناك. كما أشكر الأخوة الجزائريين وأخصّ بالذكر منهم الأساتذة علي مرحوم ومحمد المقدّم عليّ ما قدموه لي من مساعدة وما أفادوني به من معرفة وعلم وإطلاع تحصّلت عليّ

١. التيجاني السّماوي، الدكتور محمد: فسروا في الأرض فانظروا.. ص ١٧٣.

معلومات كثيرة كان المؤرخون والكتّاب قد أضربوا صفحاً عنها.<sup>(١)</sup> ويقول الصحافي المغربي ادريس الحسيني في كتابه (الانتقال الصعب في المذهب والمعتقد): لدينا قرابة مع الادارسة. فهم ابناء عمنا، لأنهم «حسينون» بينما نحن «حسينون». حظيت بولادة ميمونة، بمدينة «مولاي ادريس» وهي مدينة صغيرة، تقع قرب «وليلي» مدينة رومانية قديمة. واسم المدينة على «ادريس» وهو بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، حيث جاءها لاجئاً بعد انفلاته من قبضة العباسيين على اثر معركة «فخ»، ولم يكن المغاربة ليزهدوا في واحد يحمل شرف بيت النبوة، اذ سرعان ما تنازلوا له عن الحكم فصار حاكماً للمغرب. وله الآن فيها ضريح - مثل ما لابنه ضريح في مدينة «فاس» - .

تُشدُّ إليه الرحالُ، ويُنظَّمُ حوله «البربرُ» خلال كل سنةٍ، موسماً، ملأه الأهازيج والأفراح!

ومنذ ذلك العهد، لم يكن المغرب يحمل نصبا لتراث آل البيت (ع). إن «الشمة» العلوية اوجدت فيه مع الدولة الادريسية، ومع نفوذ الفاطميين، وحتى الموحدين.<sup>(٢)</sup>

ويجيب الصحافي المغربي ادريس الحسيني على سؤال طرحته مجلة «المنبر»: كيف هو وضع الشيعة في المغرب وما هو تاريخهم؟ يقول الحسيني: إنني أرى المغرب بلدا ذا ثقافة شيعية فالسادة الأشراف هنا

١ . زيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٧.

٢ . الحسيني، ادريس: الانتقال الصَّعب في المذهب والمعتقد، ص ١٥ منشورات أنوار الهدى والاعتصام، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ.

مكانتهم محترمة ولأئمة أهل البيت عليهم السلام وتحديداً علي وفاطمة والحسين عليهم السلام مكانة خاصة جداً في وجدان المغاربة لا يوجد في المغرب من يناصبهم عداً إن أكبر الدول الشيعية في التاريخ الإسلامي تأسست بالمغرب لقد تأسست هناك دولة الأدارسة والفاطميين والموحدين. هل تعلم أن في التصور المغربي التقليدي أن علياً عليه السلام مرفوع إلى السماء؟ هل تعلم ان المغاربة يسمون قوس الرحمن «حزام فاطمة الزهراء» ان حكاية علي عليه السلام قاطع رأس الغول وكثير من الحكايات الشعبية في بطولة الإمام علي عليه السلام شحن بها ذهن المغاربة منذ نعومة أظفارهم أما عن المتشيعين فإنني أراهم مغاربة والمغربي شخص منفتح ومتسامح بطبعه. (١)

## شرفاء مراكش

من ٩٥١-١٣١١ للهجرة (من ١٥٤٤-١٨٩٣ ميلادية)

«هم من أولاد فاطمة ابنة رسول الاسلام ونسل الحسن بن علي بن أبي طالب لذا لقبوا سلسلتهم بـ (الشريف) وجمعها شرفاء.» هذا ما قاله استانلى لين بول<sup>(١)</sup>.

«كان يقال للحكومة التي تلى أمر المغرب الأقصى منذ منتصف القرن العاشر الهجري (سلطنة فاس) وعاصمتها التي لم تتغير منذ ذلك التاريخ هي مدينة مراكش التي حرف الأوربيون اسمها فصار Maroc، وتقع هذه البلاد في الزاوية الشمالية الغربية من إفريقية وتحدها من الشرق الجزائر ومن الجنوب المستعمرة الإسبانية المسماة ريودة أورو الواقعة بالصحراء الكبرى ويحدها البحر من الشمال والغرب وترفع الأسرة الحاكمة هناك نسبها إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه ولذلك فهم يلقبون بالأشراف وتسمى عائلتهم عموماً بالأشراف الحسنية وتنقسم الدولة الشريفة إلى شعبتين تسمى الأولى بالأشراف السعدية؛ وأما الشعبة الثانية فهي شعبة الأشراف الفلالية Filali أو أشراف سجلماسة وكلمة فلالية نسبة إلى واحدة «تافلالت» التي نشأوا فيها». هذا ما قاله الدكتور احمد السعيد سليمان<sup>(٢)</sup>.

١. لين بول، استانلى: طبقات سلاطين الاسلام، ص ٦٠.

٢. السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ١/٩٢.

### دولة الأشراف السعديين (٩١٥ - ١٠٦٩هـ)

كان هؤلاء السعديون يدعون أن أصل سلفهم من ينبع النخل من أرض الحجاز وأنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم. قالوا والسبب في قدوم سلفهم من الحجاز إلى المغرب أن أهل مدينة درعه من مدن المغرب الأقصى كانت لا تصلح ثمارهم وتعترتها العاهات كثيراً، فقيل لهم لو أتيتم بشريف إلى بلادكم كما أتى به أهل سلجماسة لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم فأتى أهل درعة بالمولى زيدان بن أحمد مضاهاة لأهل سلجماسة فعادت عليهم بركته وهذا القول هو المعروف المتداول عند الكافة وأن خالفه بعضهم وأما سبب تسميتهم بالسعديين فمن قبيل التفاؤل بأيامهم لا غير<sup>(١)</sup>. وأول ملوكهم القائم بأمر الله أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن، وكان مبدأ امره بالسوس وقت أن أحاطت به البرتغال واستولت على شواطئه وقد استحكمت شوكته وقتئذ لعدم وجود أمير تجتمع عليه كلمة الاسلام في تلك البلاد، فلذلك اجتمع الناس على أبي محمد هذا وبايعوه، فانتدبهم لمقارعة البرتغال فقاموا معه جميعاً (٩١٧) فمكثه الله من التغلب على البرتغال وطردهم من البلدان فقويت شوكته وعظم سلطانه وزادت محبة الناس فيه وعظم قدره، وكانت وفاته (٩٢٣هـ).

### دولة الاشراف السجلماسيين

قال النسابون ان نسب هذه الدولة متصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان بعض العلماء يقول ما ولي المغرب بعد الادارسة أصح نسباً من شرفاء

١. سُرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُول المغرب، ص ٧٤.

تأفيللت أي سجلماسة وأصلهم من ينبع النخل من أرض الحجاز. وكان اول من دخل منهم المغرب المولى حسن بن قاسم في أواخر المائة السابعة في أوائل الدولة المرينية، وقيل ان سبب مجيئه الى سلجماسة اعلاء قدر الدولة المرينية لانها لما أتت رفعت قدر الاشراف واحترمتهم ولم يكن بسجلماسة أحد من آل البيت الكريم وكان حسن المشار اليه متصفا بالصلاح والزهد وله مشاركة حسنة في كثير من العلوم. وبقي بين أهل سلجماسة يعظهم ويهديهم إلى طريق الرشاد حتى وافته منيته ولم يخلف الا ولداً واحداً كان يدعى المولى محمد بقي مكرماً منظوراً اليه بعين الوقار والاحترام هو وأولاده من بعده إلى أن كان منهم المولى ابوالحسن علي الشريف. (١)



## الأشراف السعدية

١٥١١-١٥١٧م	أبو عبدالله محمد القائم بأمر الله	٩١٦-٩٢٣هـ
١٥١٧-١٥٣٩	أبو العباس أحمد الأعرج	٩٢٣-٩٤٦
١٥٤٤-١٥٥٧	محمد الأوّل الشيخ المهدي	٩٥١-٩٦٤
١٥٥٧-١٥٧٤	مولاي عبدالله الأول الغالب بالله	٩٦٤-٩٨١
١٥٧٣-١٥٧٨	مولاي محمد الثاني المتوكل على الله	٩٨١-٩٨٦
١٥٧٥-١٥٧٨	أبو مروان عبدالملك الأول	٩٨٣-٩٨٦
١٥٧٨-١٦٠٢	مولاي أحمد المنصور الذهبي	٩٨٦-١٠١٢
١٦٠٢-١٦١٣	مولاي المأمون	١٠١٢-١٠٢٢
١٦٠٨-؟	زيدان - لوحده -	١٠١٦-؟
١٦١٣-١٦٢٤	مولاي عبدالله الثاني	١٠٢٢-١٠٣٣
١٦٢٤-١٦٢٧	مولاي عبدالملك الثاني	١٠٣٣-١٠٣٦
١٦٢٧-١٦٥٤	محمد الثاني الشيخ الأصغر	١٠٣٦-١٠٦٤
١٦٣٠-؟	الوليد	١٠٤٠-؟
١٦٣٥-؟	محمد الثالث	١٠٤٥-؟
١٦٥٤-١٦٥٩	مولاي أحمد العباس	١٠٦٤-١٠٦٩

## شرفاء الفلالية

١٦٦٤م	مولاي الرشيد بن الشريف بن علي	١٠٧٥هـ
١٦٧٢	أبو النصر مولاي إسماعيل السمين	١٠٨٣
١٧٢٧	أحمد الذهبي	١١٣٩
١٧٢٩	مولاي عبدالله	١١٤١
١٧٥٧	محمد الأول	١١٧١
١٧٨٩	يزيد	١٢٠٤
١٧٩٢	سليمان	١٢٠٦
١٧٩٥	هشام	١٢٠٩
١٨٢٢	عبدالرحمن	١٢٣٨
١٨٥٩	محمد الثاني	١٢٧٦
١٨٧٣	مولاي الحسن	١٢٩٠
١٨٩٤	مولاي عبدالعزيز	١٣١١
١٩٠٨	مولاي الحفيظ	١٣٢٦
١٩١٢ - ١٩٢٤	مولاي أبو المحاسن يوسف محمد بن يوسف الحسن بن محمد	١٣٣٠ - ١٣٤٣

## المملكة الشريفة المغربية

### السلطان محمد بن يوسف سلطان المغرب الأقصى

ولد في فاس (عاصمة المغرب الأقصى القديمة) ووالده السلطان يوسف بن مولاي الحسن، سليل أشرف تافيلات الحسينيين، وقد أسسوا دولتهم في المغرب الأقصى سنة ١٦٦٤ وأصلهم حجازيون هاجروا من ينبع، ويلقب السلطان منهم بلقب الخلافة، ويخطب باسمه على المنابر ولم يعترفوا بخلافة العثمانيين ولم يقروها.

توفي والده السلطان يوسف يوم الخميس ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧ على أثر رجوعه من فرنسا بعد رحلة رسمية رحلها إليها ومرض في خلالها، وخلف ثلاثة أولاد ذكور: إدريس وهو الأكبر، وقد أوصى له أبوه بولاية العهد من بعده، وحسن وحمادة وهو الأصغر.

ورأى ولاية الأمور الفرنسيون أن مصلحتهم تقضى بإصعاد حمادة الصغير إلى العرض. فأخذوا له البيعة من العلماء ورجال الدولة والأمراء وفي جملتهم الأميران حسن وإدريس وذلك يوم الجمعة ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وتسمى السلطان الجديد باسم محمد الثالث، وأذاع الفرنسيون على أثر ذلك أنهم أيده لأنه يعرف اللغة الفرنسية ويحب فرنسا.<sup>(١)</sup>

١. محمد سعيد، أمين: ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، ص ٤٤١، مكتبة مدبولي، القاهرة،

كان عمره آنذاك سبع عشرة سنة<sup>(١)</sup> وكان ليناً على ما يبدو، خجولاً، لا يحتمل أن يكون صعب المراس، ولكن اتخاذه غير المرتقب للقرارات وتفكيره الثاقب حولت الشاب الوديح إلى رجل حازم، وجعلت وداعته الفرنسيين يتوهمون أنه الرجل الذي يبحثون عنه للدور الغامض كعاهل في ظل الحماية فشرعوا يوجهون له الإطراء. ولم يتوقع أحد ان الرئيس الفرنسي سوف يدعوه بعد عشرين سنة إلى نقض المعاهدة التي كانت سبباً في إجلاسه على العرش وإثارة أخطر نزاع عرفته بلاده في تاريخها الحديث. حيث بدأت بوادر الحماية مع توقيع اتفاقية ١٩٠٤م من لدن فرنسا وبريطانيا والتي تتمتع هذه الأخيرة بمقتضاها بحرية التصرف في مصر، على أن تحذو فرنسا في المغرب حذوها، ثم لم تلبث هذه الأخيرة أن وقعت مع اسبانيا اتفاقية مماثلة تضمن لاسبانيا مصالحها في المغرب.

وعندما عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في ١٩٠٦م ضمن بعض الحقوق المغربية ولكنه جعل استيلاء الاستعمار الفرنسي على المغرب أمراً لا مناص منه.<sup>(٢)</sup> ومع ما عرفته سنوات الاستقلال من انشقاق سياسي ومن كثرة المشاكل حاول الملك أن يظل وفياً لمبادئه الأساسية فرفض الإصغاء لنصائح أصدقائه بمواجهة الحملات التي كانت تشنها بعض العناصر اليسارية ويقول دائماً: «لقد كنت مقتنعاً فيما مضى بخطأ الفرنسيين وبأنني على صواب في مطالبتي

١. كان همّ المغاربة في تلك الظروف أن يكون السلطان من الأسرة الملكية وسليل الرسول(ص).

٢. لاندو، روم: محمّد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته، ص ١٢، تعريب: ليلي أبو زيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

بالاستقلال، وبما أن الحق كان إلى جانبي فقد انتصر الحق كالعادة. وأنا اليوم موقن بأن الذين يحاولون القضاء على النظام الملكي على خطأ كبير وانني غير مخطيء بوجودي على رأس هذا النظام وبما أمنحه للمغاربة من حرية في الرأي، وسيظهر الحق مرة أخرى ويعلم هؤلاء أنهم كانوا على ضلال. ومع ذلك فإنني لن أحارب أي مغربي إلا إذا خرق القانون لأن المغاربة أبنائي».

وحين التحق محمد الخامس بالرفيق الأعلى في ١٩٦١م أدرك الجميع ما كان له من مزايا عظيمة. أدركوا تقواه وإنسانيته وعدله وحزمه في الشؤون العامة وعاطفته الجياشة في حياته الخاصة. لقد صنع استقلال المغرب لهذا وضعه القدر في صفوف العظماء، وأحله في قلوب شعبه مكانة لم يحتلها غيره فيما مضى<sup>(١)</sup>. وخلفه ابنه الملك الحسن الثاني ومن ثم عبدالله.

نقل لي الأستاذ المرحوم الدكتور صلاح الصاوي نقلا عن صديقه المغربي الأستاذ المرحوم علال الفاسي بأن جلالة الملك محمد الخامس كان يحضر مجالس الغزاء للأمام الحسين عليه السلام عند قبر إدريس الأول.

١. توفي محمد الخامس يوم الأحد ٢٦ فبراير ١٩٦١م على أثر عملية جراحية أجريت له في مصحة القصر الملكي بالرباط لاستئصال الجدار الأنفي.

## حركة المجاهدين في المغرب

سألت الصحافية الفرنسية «كريستين أوكرانت» (Christine O'krent)

في برنامج تلفزيوني بعنوان «ساعة الحقيقة» الملك الحسن الثاني:

- ما رأيكم في الشيعة يا جلالة الملك؟

وأجاب على الفور: كُنَّا نحن والشيعة أخوة طيلة أربعة عشر قرناً ولم يعكّر

صفو هذه الأخوة إلا حركة المجاهدين في المغرب.

حركة المجاهدين في المغرب:

تعتبر حركة المجاهدين في المغرب إحدى الفصائل المتطرفة للحركة الدينية المسلحة، والتي نشطت في أواخر الستينات في إطار الردّ على تنامي الحركة الوطنية والديمقراطية المغربية المعارضة للنظام، وطبقاً لما تدعيه صحافة حركة المجاهدين، فإن الحركة تأسست في أواخر عام ١٩٧٠م على أيدي عبدالعزيز النعماني وآخرين من «الإسلاميين»، الذين ظهرت أسماؤهم في ملف قضية اغتيال عمر بن جلون أحد قادة الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في المغرب عام ١٩٧٥م.

ويبدو أن حركة المجاهدين قد مارست نشاطاتها تحت أسماء مختلفة وأحياناً بدون أن تعلن نفسها مما تسبب في تداخل سياساتها وممارساتها مع سياسات وممارسات المنظمات الإسلامية الأخرى، وبخاصة منظمة الشبيبة الإسلامية التي يقودها عبدالكريم مطيع.

وفي السنوات الأخيرة أخذ اسم حركة المجاهدين وزعيمها عبدالعزيز النعماني يتم تداولهما بشكل منفصل عن المنظمات الإسلامية الأخرى وقياداتها، وبالخصوص بعد أن أخذت الحركة تصدر مجلتها «السرايا» اعتباراً من

عام ١٩٨٤م، حيث كشفت عن اتجاهاتها وتحالفاتها الإقليمية والدولية. واستناداً إلى ما أعلنته الحركة، فإن برنامجها السياسي يمكن تلخيصه في نقطتين: أولاً، الإطاحة بالنظام الملكي. وثانياً، إقامة جمهورية إسلامية على النمط الإيراني، وبطبيعة الحال، فإن المنظمة ترتبط بعلاقات وثيقة مع إيران والجزائر، ويشار إلى أن الأخيرة تقوم بتدريب وتسليح عناصر حركة المجاهدين وتسريهم إلى المغرب للقيام بعمليات إرهابية وقد تم بالفعل اعتقال عدة مجموعات إرهابية تابعة لحركة المجاهدين في المغرب، وقد أعلن عن اعتقال أهم هذه المجموعات في آب / أغسطس ١٩٨٦م، حيث تمّ تقديم ثلاثة عشر معتقلاً إلى المحاكمة، كما تم تقديم تسعة آخرين أعضاء المنظمة الفارين خارج البلاد أمام المحكمة ذاتها، وذلك استناداً إلى التهم التالية:

- العمل على قلب نظام الحكم الملكي واستبداله بجمهورية إسلامية على النمط الإيراني.

- توزيع منشورات من مجلة «السرايا» تحتّ على الفوضى.

- المسّ بشخص الملك.

- تنظيم خلايا والحث على التظاهرات مما يمسّ بالنظام والمعتقدات.

- تزوير وثائق واستعمالها.

واستناداً إلى هذه التهم، فقد حوكم المعتقلون والأعضاء الفارون لحركة المجاهدين وفقاً لمنطوق المادة (٢٠١) من القانون الجنائي المغربي أمام غرفة الجنايات في محكمة الاستئناف بمراكش، التي أصدرت أحكاماً بالسجن تتراوح ما بين عام وثلاثين عاماً على ستة عشر شخصاً.

وكانت السلطات المغربية قد اعتقلت في آذار / مارس ١٩٨٤م اثنين من

«المسلمين المتطرفين» هما محمد حاجي ومحمد العوان اللذين اعترفا بانتسابهما إلى حركة المجاهدين التي يقودها عبدالعزيز النعماني المقيم في باريس، كما كانت السلطات قد اعتقلت آخرين من أعضاء الحركة في سنوات سابقة دون الكشف عن حقيقة انتمائهم للحركة أو الإعلان عن انتمائهم إلى منظمة الشبيبة الإسلامية ومحاكمتهم على هذا الأساس وقد كشفت الاعتقالات التي تمت لأعضاء حركة المجاهدين أن غالبية أعضاء الحركة من العناصر الشابة من الفئات العمالية والشعبية في المدن المغربية، بمن فيهم الذين أدينوا باغتيال عمر بن جلون عام ١٩٧٥م.

تصدر الحركة مجلة «السرايا» الناطقة باسمها، وتشن «السرايا» حملات عنيفة على السلطة المغربية وخصوصاً على الملك الحسن الثاني، وتتهمه باغراق البلاد بالفساد والظلم والقمع، وتدين من خلال تحليلاتها السياسية الموالية للغرب التي ينتهجها النظام وتدعو للإطاحة به.

يقود الحركة عبدالعزيز النعماني الذي كان يشغل وظيفة مفتش في جهاز التعليم المغربي، ويقيم في المنفى، وهو محكوم بالإعدام في قضية بن جلون، ويشارك في قيادة الحركة النكادي محمد.<sup>(١)</sup>

١ . سارة، فايز: الأحزاب والقوى السياسية في المغرب، ص ١٦٣، الناشر رياض الزيس للكتب والنشر، لندن.



## مفكرون مغربيون خدموا التراث الشيعي

١- السيد ادريس الحسيني المغربي

مؤلف كتاب (لقد شيعني الحسين عليه السلام)

السيرة الذاتية:

الكاتب والصحافي: إدريس بن محمد بن أحمد بن قدور العشاق الحسيني الإسماعيلي. أصوله اسماعيلية تنحدر من إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

من مواليد نكسة ١٩٦٧ بمدينة مولاي إدريس وهي مدينة صغيرة من عمالة مكناس سميت بهذا الاسم نسبة إلى ادريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

نشأ وترعرع في ثلاث مدن في المغرب: القصر الكبير - مكناس - الرباط . ويعزي هذا الانتقال المتعدد إلى ظروف والده الموظف في وزارة الفلاحة. متزوج ولم يرزق حتى الآن. تلقى دراسته الابتدائية والاعدادية والثانوية بالمغرب قبل الانتقال إلى مذهب التشيع تاركاً مذهب التسنن وقبل السفر إلى المشرق العربي حيث الالتحاق بالحوزة العلمية بالشام.

له عدة مؤلفات:

أ- لقد شيعني الحسين عليه السلام.

### أ - لقد شيعني الحسين عليه السلام

يقول السيد ادريس الحسيني المغربي في كتابه «لقد شيعني الحسين (ع)»: ما إن خلصت من قراءة «مذبحة» كربلاء، بتفاصيلها المأساوية، حتى قامت كربلاء في نفسي وفكري ومن هنا بدأت نقطة الثورة، الثورة على كل مفاهيمي ومسلماتي الموروثة، ثورة الحسين داخل روحي وعقلي. يومها ناديت، وقد انسكبت من عيني دموع حزينة، حزينة ورقيقة، قلت والقلب تتمزقه الأحزان: (١)

عظمت فانت عظيم المقام      عظيم فأبشر بنصر السما  
علوت فصرت بافق الجلال      عظمت فخافت جسور الوغا

### ب - الخلافة المغتصبة (أزمة تاريخ أم أزمة مؤرخ؟)

ويقول السيد الحسيني: لو كانت احداث كربلاء وحدها لكفت في فضح حقيقة الفكر الاموي، ولأبانت عن طبيعة النفاق الذي بقي ردحا من الزمن يتفاعل داخل نفوس بني أمية يترقب لحظة الانتصار، ليعبر عن قسوته وخشوته ضد البيت العلوي... ولم يعد بعد واقعة كربلاء ما من شأنه أن يضرب الرؤية، ويعتم الطريق... فالدماء التي أهرقت في الطف كافية لإعطاء صورة حقيقية لمن شاء ان يعتبر... ولم يبق بعد ذلك من شك في الأمر الا عند من طبع الله على قلبه، وأرداه في غواية النواصب وتجار الخلافة. (٢)

١ . الحسيني، إدريس: لقد شيعني الحسين (ع)، ص ٣١٣.

٢ . الحسيني، إدريس: الخلافة المغتصبة، ص ١٨٥.

## ٢- السيد محمد الكثيري المغربي

مؤلف كتاب

(السلفية بين أهل السنة والإمامية)

اكتوى المؤلف الكثيري وهو باحث مغربي مختص في علم الاجتماع الديني بنار الاختلافات التي شغلت أبناء الصحوّة الإسلامية وأدت إلى تخبط عقائدي وفقهي تمثل في أزمة من مظاهرها الانقسام وتكاثر الفرق والتكفير فعقد العزم على مواصلة مسيرة البحث لمعرفة أسباب هذه الأزمة ونتائجها وقرر السفر إلى الشرق حيث يجد المراجع والمصادر الخاصة بالمذاهب الإسلامية.

فألف كتابه من قسمين كبيرين:

القسم الأوّل يبحث في السلفية

والقسم الثاني يبحث في (أهل السنة والإمامية في مواجهة السلفية).<sup>(١)</sup>

## شعراء شيعة من المغرب

### ١ - صفوان بن إدريس المرسي

هو صفوان بن إدريس المرسي، انه شاعر من بلاد المغرب اشتهر برثائه للحسين (ع) كان شاعراً بارعاً وثائراً بليغاً، له قصائد مشهورة ومأثورة في حق الحسين (ع) وأهل البيت (ع) وعرف عنه انه قال: لو مدحت آل البيت (ع) لبلغت أُملي. فكان أن تصدّى لهذه المأثرة العظمى فعكف على مدحهم ورثائهم وله عاطفة متدفقة لا توصف وصفاء فطرة وسلامة معتقد، حيث ارتشف منهله العذب الرقراق من محيطه (المغرب) المحيط الذي ساقه الحب والولاء لآل البيت وقلما تجد في تلك المناطق من لا يكنّ لأهل البيت (ع) قداسة وتكريماً.

وللشاعر ابن باديس قريحة سيالة وشاعرية متوقدة حسينية حيث يقول:

أبكي الحسين، وانت ما أبكاك	ايه حمامة خيريني، انني
أكرم بفرع للنبوة زاكي	أبكي قتيل الطف فرع نبينا
بدمائه نضوا صريع شكاك	ويل لقوم غادروه مضرجاً
لم تنتقص ليث العرين الشاكي	أيزيد لو راعيت حرمة جده
هيهات لا ومدبر الافلاك	أتروم ويملك شفاعه من جدّه
ما الله شاك ولات حين فكاك	ولسوف تنبذ من جهنم خالداً

ويقول راثياً الحسين (ع):

واسكب غمام الأدمع	أومض بـبرق الأضلع
فهو مكان الجزع	واحزن طويلا واجزع

وانثر دمء المقتلين  
وابك بدمع دون عين  
قضى لهيفاً فقضى  
ريحانة الهادي الرضا  
تألمأ على الحسين  
إن قلّ فيض الادمع  
من بعده فصل القضا  
وابن الوصي الأنزع

ولد سنة ٥٦٠ هـ و توفي سنة ٥٩٨ هـ ولم يبلغ الاربعين وله بيتين رائعين  
في طلب الشفاعة من الرسول(ص):  
يقولون لي لَمَّا ركبت بطالتي  
أعندك ما ترجو الخلاص به غدا  
ركوب فتى جمّ الغواية معتدي  
فقلت نعم عندي شفاعة أحمد  
وله تصانيف ومؤلفات كثيرة. (١)

## ٢- ابن جبير المغربي

وزاد ابن جبير عليه سناءً بذكر أسماء أهل البيت عليهم السّلام مسوقة بحب  
حبيب الله ومصطفاه حين قال:  
أحب النبي المصطفى وابن عمّه  
علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا  
هم أهل بيتٍ أذهب الرجس عنهم  
وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا  
موالاتهم فرض على كلّ مسلم  
وحبهم أسنى الذخائر للأخري (٢)

١. .... : من كل قطر شاعر للحسين، ص ٤، صحيفة عاشوراء، السنة الثالثة عشر، محرم الحرام

١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٢. مجلة رسالة الثقلين، ص ٦، العدد الثاني، السنة الأولى.

## موريتانيا

### الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب - بربر - سود.

اللغة: العربية - الفرنسية - توكوليور - فولا.

أهم المحاصيل: حبوب - خضراوات - تمور - صمغ عربي

أهم المعادن: حديد - يورانيوم - صخور معدنية - وصادرات الحديد تمثل

٩٥٪ من الدخل. ويعد اليورانيوم من أهم الخامات المعدنية. بالإضافة للبتروول الذي اكتشف حديثاً.

الثروة الحيوانية: أغنام ٦/٩ مليون، ماشيه: مليون رأس.

الموقع وأهم المعالم: تقع موريتانيا في إقليم الساحل الصحراوي؛ لذلك فإن

الزراعة فيها مقصورة على الواحات المتناثرة، ووادي السنغال، الذي هو شريط ضيق، لا يزيد عرضه عن ٥٠ كم، ويقدم هذا الوادي ٨٠٪ من الإنتاج الزراعي.

ويعمل ٩٠٪ من السكان بالرعي، وتعتبر موريتانيا همزة الوصل التاريخية بين

العرب وإفريقيا. ومن معالم موريتانيا الإسلامية: مدينة شنقيط العريقة بمبانيها

وتاريخها، ومسجدها القديم، والمتحف والمكتبة التي تحتوى على أندر

المخطوطات، وأطلال دولة المرابطين في أوزوعى، كما أن لموريتانا شاطئها

العظيم برماله الناعمة، ومناخه المعتدل، وبها حوض «آراعين» للطيور المائية.<sup>(١)</sup>

١. كُتِبَ، الاستاذ علي: المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقيا، ص ٦٦.

## الازهر والحوزات في قم ومشهد والنجف مسؤولة عن حل المشاكل المذهبية

حول التحديات التي تواجه العالم الاسلامي، والهوية الثقافية لبلدانه حاورت «العالم» وزير الثقافة الموريتاني الاستاذ محمد سالم محمد علي الذي مثل بلاده في المؤتمر العالمي للدعوة الذي عقد في القاهرة اخيراً:

✽ ما تقيمكم لاعمال مؤتمر الدعوة؟

المؤتمرات تعتبر فرصة هامة للتعارف بين أبناء العالم الاسلامي يتم فيها تبادل المعلومات وتدارس قضايا المسلمين وطرح مشكلاتهم وتلمس الحلول لها. ولكنها، للأسف الشديد، تحولت إلى بؤر للتوتر وبدلاً من الوصول إلى رأي واحد تنقسم الآراء وتقوم الاطراف المشاركة في المؤتمرات بعمل محاور خارج قاعات المؤتمر وترجم إلى مواقف مضادة لبعضها البعض.

✽ وقضية تكفير طائفة من المسلمين اليس لك رأي فيها خصوصاً

وأنها اثرت في المؤتمر؟

هذه القضية من المهارات السياسية التي تحدث وستحدث في المؤتمرات فنحن نعرف جميعاً ان الشيعة مسلمون وان الخلافات معهم في الفروع لا الاصول مثل اختلافات مذاهب اهل السنة انفسهم وكم عانينا من تلك الخلافات بين الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية حتى وصلت الامور إلى ان الزواج كان يتوقف على المذهب. والآن ندفع من جديد إلى خلافات مذهبية لا تفيدنا بل

ستفيد اعداء الاسلام أنفسهم. ألم نقرأ التاريخ الاسلامي ألا نريد ان نتعظ من الماضي كيف نكفر ثلث الامة وكيف تحولنا السياسة الى وحوش مفترسة نلتهم بعضنا البعض والعدو يتربص بنا من كل جانب. كيف ندعو للاسلام ونحن لم نصلح من امورنا أنفسنا؟

ولا أدري كيف يردد البعض من العلماء نصوصا املاها عليهم الساسة. فالاجدر بنا ان نترك الامور إلى اهلها ان الخروج من هذا المأزق في يد كل من الازهر كرمز لأهل السنة والحوزات العلمية في قم ومشهد والنجف الاشرف فان لها من التأثير الروحي ما يحل كل المشاكل المذهبية.

✽ مصداقا لكلامكم فقد قام الازهر في الستينات في عهد شيخه المرحوم محمد شلتوت باصدار فتوى تؤكد ان الشيعة من المسلمين وان الخلافات بينهم وبين اهل السنة في الفروع مثل التي بين مذاهب السنة. بل كانت هناك لجان للتقريب في الازهر.

هذا ما يؤكد وجهة نظري ان مفتاح حل القضية في يد الازهر وقم ومشهد والنجف الاشرف وعليها التحرك لحل تلك القضية الخطيرة. (١)

١ . محمدعلي، محمد سالم: موريتانيا لم تصح.. لانها لم تغف، ص ٣٢، مجلة العالم، العدد،

٢١٧، لندن، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.



## مدن شيعية تاريخية

زوالة: هي زويلة، مدينة بالقطر التونسي على نحو ثلاث مراحل من صفاقس وهذه المدينة بناها بنوا عبيد حين بنوا المهديّة، فخصوا المهديّة لانفسهم وحشمهم واعيان جندهم واسكنوا زويلة هذه سائر الناس، ولما ارتحل المعزّ إلى مصر بعد فتحها ارتحلت معه طائفة من أهل زويلة هذه فاليهم ينسب الباب والحارة التي بالقاهرة اليوم.<sup>(١)</sup>

المهديّة: وقد أنشأها عبيدالله المهدي - وبه سميت - على ساحل البحر، وانتقل إليها من رقادة التي كانت مقر الدولة الأغلبية. ومنذ خلفت المهديّة رقادة صارت مقر الدولة ومركز السلطان، وبقيت محتفظة بهذه الصفة إلى أن حلت محلها مدينة تونس في عهد الموحدين، وقد أخرجت المهديّة طائفة من الشعراء والأدباء ذكر بعضهم ابن رشيق في كتابه «الروضة الموشية في شعراء المهديّة».<sup>(٢)</sup>

١. ... : كتاب نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، ص ٥٩، مطبعة الفنون المصورة، بوسكا، العرائش (المغرب) ١٩٤٠م.

٢. طه الحاجري، الدكتور محمد: مرحلة التشيع في المغرب العربي، ص ١٣.



## فهرس المحتويات و المندرجات

٧	مقدمة المؤلف .....
١١	افريقيا السوداء (اقتصادها محطم والحل بعيد) .....
١٢	اوضاع المسلمين بقارة إفريقيا .....
١٥	تصنيف الدول الإفريقية الإسلامية من حيث الموقع .....
١٦	اولاً: دول شمال إفريقيا الإسلامية .....
١٧	معلومات تفصيلية عن السودان .....
١٧	الموقع وأهم المعالم .....
١٨	الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .....
١٩	جمهورية السودان (التسمية) .....
٢١	السودان ومشكلة الجنوب في ظل الاستعمار البريطاني .....
٢٣	الشيعة في السودان .....
٢٥	أهل البيت (عليهم السلام) في الوجدان الشعبي السوداني .....
٣١	أهل البيت (عليهم السلام): تراث المسلمين في السودان .....
٣٢	(١) الولاء الديني والسياسي .....
٣٣	(٢) بعض الاسماء المنتشرة في السودان .....
٣٣	(٣) الطرق الصوفية .....
٣٥	(٤) انتساب بعض القبائل لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) .....

- ٣٨ ..... (٥) الثقافة الشعبية
- ٣٩ ..... (٦) الشيعة نواة التصوف السوداني
- (٧) تضامن الشعب السوداني واستنكارهم ورفضهم لاغتيال عالم أهل البيت (ع)
- ٤١ ..... السيد مهدي الحكيم
- ٤٥ ..... المؤسسات الشيعية
- ١ - جمعية آل البيت الخيرية
- ٥٠ ..... ٢ - جمعية الثقلين الخيرية
- ٥٦ ..... مفكرون سودانيون استبصروا وخدموا المذهب الشيعي بمؤلفاتهم
- ٥٦ ..... الشيخ النيل عبدالقادر ابوقرون
- ٥٦ ..... الشيخ محمد الريح حمد النيل
- ٥٧ ..... الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني
- ٦٥ ..... المحامي عبدالمنعم حسن
- ٦٧ ..... المحامي محمد علي المتوكل
- ٦٩ ..... الأستاذ محمد الفاتح
- ٧٠ ..... الطائفة الختمية وآل البيت (عليهم السلام)
- أ - نشأة الختمية
- ٧١ ..... ب - الأصول الفكرية لطائفة الختمية
- ٧٤ ..... جدل حول مصحف فاطمة (ع) أثير في جريدة «آخر خير» السودانية
- ٧٨ ..... المهدي والمهدية في قارة افريقيا
- ٨٥ ..... المهدي المنتظر (عج) في الكتاب والسنة
- ٨٦ ..... المهدي المنتظر (عج) في الكتاب

- المهدي المنتظر (عج) في السنة ..... ٩٠
- من علائم الظهور ..... ١٠٣
- ١- إختبار البشر بالفتن والكوارث ..... ١٠٥
- ٢- تقسيم الكوارث ..... ١٠٧
- ٣- الرغبة في معرفة الكوارث وماذا ينجم عنها ..... ١١٠
- ٤- أخبار الغيب ..... ١١٧
- ٥- من أخبار الغيب: افتراق الأمم ..... ١١٨
- ٦- نقض عرى الإسلام كلها والناقضون ..... ١٢٠
- ٧- المهمة الكبرى للمهدي المنتظر (عج) ..... ١٢٤
- ٨- التشكك بأحاديث المهدي (عج) ..... ١٢٧
- ٩- المسائل المهمة المتعلقة بساعة الظهور ..... ١٣٣
- ١٠- الحرب العالمية الثالثة في ظل النظام العالمي الجديد ..... ١٣٧
- المهدي والمهدية في السودان ..... ١٥٨
- نصوص غير منشورة للسيد الافغاني عن المهدي السوداني ..... ١٦٧
- المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) ..... ١٨٥
- جغرافية المغرب
- مدلول (المغرب العربي) ..... ١٨٨
- الأرض المغربية ..... ١٨٩
- الشعب المغربي ..... ١٩٠
- سبب دخول البربر أرض المغرب ..... ١٩٢
- الشيعة في المغرب العربي ..... ٢٠١

- ٢٠٢ ..... الامام الصادق (عليه السلام) والدعوة الشيعية في المغرب
- ٢٠٣ ..... التشيع يسبق إدريس إلى المغرب
- ٢٠٨ ..... لماذا التركيز على المغرب؟
- ٢١٠ ..... كيف بدأ الإمام الصادق عليه السلام دعوته هناك؟
- ٢١٤ ..... المراحل التي تم فيها الإلتشار
- ٢١٧ ..... كيف عمل الحلواني وابن سفين على نشر التشيع؟
- ٢٢١ ..... الامام الصادق (عليه السلام) من أئمة المسلمين
- ٢٢٧ ..... تاريخ الدعوة الشيعية في المغرب العربي
- أخبار فخر وخبر يحيى بن عبدالله وأخيه إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الادارسة  
بالمغرب العربي ..... ٢٣٦
- ادريس بن عبدالله (أدريس الأول)
- ٢٤٣ ..... إدريس بن عبدالله يُكوّن أول دولة شيعية في بلاد المغرب
- ٢٤٩ ..... ادريس بن ادريس (١٧٧ - ٢١٣هـ)
- ٢٤٩ ..... ادريس الثاني (١٩٢ هـ / ٨٠٨م)
- ٢٥١ ..... محمد بن ادريس (٢١٣ - ٢٢١هـ)
- ٢٥٣ ..... علي بن محمد بن ادريس (٢٢١ - ٢٣٤هـ)
- ٢٥٤ ..... يحيى بن محمد بن ادريس (٢٣٤ - ٢٥٠هـ)
- ٢٥٥ ..... يحيى بن يحيى (٢٥٠ - ٢٩٢هـ)
- ٢٦١ ..... نهاية دولة الادارسة
- ٢٦٩ ..... ملاحظات وآراء حول الدولة الإدريسية
- ٢٧٠ ..... الأهداف التي قصدها دولة الأدارسة

- ٢٧١ ..... نتائج قيام الدولة الأدرسية.
- ٢٧٣ ..... مدن إدرسية.
- ٢٧٦ ..... تاريخ سلسلة الأدرسة كما ذكرها استانلى بول.
- ٢٧٧ ..... دولة الممهدين للمهدي المنتظر (عج).
- التخطيط الأولى لبناء الدولة الشيعية
- ٢٧٨ ..... أبو عبدالله الشيعي .
- ٣٣١ ..... الإباضية في المغرب .
- ٣٣٣ ..... نقد آراء الإباضية .
- ٣٥٩ ..... الدولة الفاطمية .
- ٣٦١ ..... دولة العبيدين بالمغرب الأقصى (٣٠٥-٤٢٧ هـ).
- ٣٦٦ ..... عبيدالله المهدي .
- ٣٦٨ ..... القائم بأمر الله .
- ٣٧٨ ..... المنصور بالله .
- ٣٧٩ ..... المعز لدين الله .
- ٤٠١ ..... من المناسبات الإسلامية في عهد المعز لدين الله .
- أ - عيد الغدير، غدیرخم
- ٤٠٣ ..... عيد الغدير وشعراء الفاطمية .
- ٤٢٤ ..... من المناسبات الإسلامية في عهد المعز لدين الله .
- ب - ذكرى عاشوراء
- ٤٢٦ ..... ذكرى عاشوراء وشعراء الفاطمية .
- ٤٣٥ ..... الجوامع والمساجد في عهد المعز لدين الله .

أ- الجامع الأزهر

- ب- جامع القرافة..... ٤٣٧
- الفاطميون والزيريون وغيرهم..... ٤٣٨
- دولة بني زيري الصنهاجيين..... ٤٤٠
- العقيدة الإسماعيلية (لمحة تاريخية)..... ٤٤٦
- الدراسات الإسماعيلية..... ٤٤٧
- الأسس التي بُنيت عليها العقيدة الإسماعيلية..... ٤٤٨
- الأئمة الإسماعيليون منذ بدء الخليقة..... ٤٦٧
- أخبار الأئمة الإسماعيليين الأطهار..... ٤٧٤
- النزارية والمستعلية..... ٤٨٤
- لمحة عن سمات البهرة ونشاطها..... ٤٩٣
- لمحة عن سمات «الآغاخانية» ونشاطها..... ٥٠٢
- دولة الموحدين..... ٥١٧
- أدب الموحدين الشيعي..... ٥٢٦
- أهم السمات في عهد الموحدين..... ٥٢٨
- الموحدون والثقافة..... ٥٣٠
- الدين والدولة في فكر المهدي بن تومرت..... ٥٣٤
- المغرب العربي في المجتمع المعاصر..... ٥٥١
- ليبيا (التسمية)..... ٥٥٣
- الموقع وأهم المعالم
- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية..... ٥٥٤



- ٥٥٥ ..... المسلمون في ليبيا قبل الاستعمار الإيطالي وبعده
- ٥٥٩ ..... الموقف الشيعي من النشاط الاستعماري الإيطالي في ليبيا  
فتوى المرجعية في النجف الأشرف بإعلان الجهاد المقدس ضد الغزو  
الإيطالي
- ٥٦٠ ..... المساهمات الشعرية في الحرب الطرابلسية لنخبة من أعلام الطائفة وشعرائها  
الكبار
- ٥٦٦ ..... رئيس المجلس الشيعي الأعلى في سفره إلى ليبيا
- ٥٨٢ ..... تونس
- ٥٨٥ ..... الوجود الشيعي في تونس
- ٥٨٩ ..... انتشار الشرف بإفريقيّة وظهور خطّة نقيب الأشراف بتونس
- ٥٩٤ ..... العمامة الخضراء بتونس
- ٥٩٨ ..... التأثير الشيعي على الأدب التونسي
- ٦٠١ ..... مفكرون تونسيون خدموا التراث الشيعي
- ٦٠٤ ..... الجزائر (الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية)
- ٦١٨ ..... إن للباطل جولة.. وللحق جولات
- ٦١٩ ..... الشيعة في الجزائر
- ٦٢٠ ..... المغرب (الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية)
- ٦٢٤ ..... الشيعة في المغرب
- ٦٢٦ ..... شرفاء مراکش
- ٦٣٠ ..... دولة الأشراف السعديين (٩١٥ - ١٠٦٩ هـ)
- ٦٣١ ..... دولة الأشراف السجلماسيين

- ٦٣٥ ..... المملكة الشريفة المغربية.
- ٦٤١ ..... مفكرون مغربيون خدموا التراث الشيعي.
- ٦٤٤ ..... شعراء شيعة من المغرب.
- ٦٤٦ ..... موريتانيا (الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية).
- ٦٤٧ ..... الازهر والحوزات في النجف مسؤولة عن حل المشاكل المذهبية.
- ٦٤٩ ..... مدن شيعة تاريخيه.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- اتعاظُ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلُفا: تقي الدين أحمد بن علي المقرزي، تحقيق محمّد عبدالقادر أحمد عطا، الجزء الأوّل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.
- ٢- إتقوا الله: الدكتور محمد التيجاني السماوي، دار المجتبى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.
- ٣- اثبات الامامة: أحمد بن ابراهيم التيسابوري، (مقدمة التحقيق للدكتور مصطفى غالب) دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.
- ٤- أجراس كربلاء: محمد سعيد الطريحي، المجموعة الأولى، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.
- ٥- احتمالات نهاية الكون: قسم التأليف والترجمة، مؤسسة الإيمان ودار الرشيد، بيروت، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
- ٦- الأحزاب والقوى السياسية في المغرب: فايز سارة، الناشر رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن.
- ٧- أخبار فتح: أحمد بن سهل الرازي (القرن الرابع)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٥ م.
- ٨- أخبار فتح وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله (ع): أحمد بن سهل الرازي، تحقيق عبدالرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت (ع)

- للدراستات الاسلاميه، صعده، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٩ - أخبار المصلوبين وقصص المعذّبين في العصرين الأموي والعباسي: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.
- ١٠ - الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- ١١ - أربع رسائل اسماعيلية: عارف تامر، دار ومكتبة الحياة، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٧٨ م.
- ١٢ - أربعة كتب اسماعيلية:؟، تصحيح ر. شتروطمان (المجمع العلمي غوتينغن)، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ١٣ - الأرجوزة المختارة: القاضي النعمان ابن حيون المغربي التميمي، تقديم الدكتور عارف تامر وشرح وتحقيق الدكتور يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٤ - الأزهر في الف عام: الدكتور محمّد عبدالمنعم خفاجي، الجزء الأوّل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٥ - الاسلام والعرب: روم لاندو، نقله إلى العربية مُنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ م.
- ١٦ - الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي: حسن الأمين، مركز الغدير للدراسات الاسلاميه، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٧ - الأصول من الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، المجلد الأوّل، دار صعب ودار التعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ.
- ١٨ - الأطلس الاقتصادي للعالم الاسلامي: الدكتور عبدالرحمن حميدة، دار

- الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٩ - إعرف الحق: الدكتور محمد التيجاني السّماوي، دار المجتبى، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٢٠ - الأغالبة: محمود عبدالرزاق، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، ١٩٧٢ م.
- ٢١ - الأغالبة نظامهم الإداري والسياسي: محمد المسعود الشامي، الدار التونسية، ١٩٧٠ م.
- ٢٢ - الإمام السّيد موسى الصدر، الإخفاء: حسين شرف الدين، مركز الإمام موسى الصدر للابحاث والدراسات، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٢٣ - الامام المهدي (محمّد أحمد بن عبدالله ١٨٤٤ - ١٨٨٥ م): الدكتور محمد سعيد القدّال، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٢٤ - الامام المهدي عند أهل السّنة: مهدي الفقيه ايماني، الجزء الأول، مكتبة اميرالمؤمنين (ع) العامة، اصبهان، ايران، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.
- ٢٥ - انتشار الاسلام في افريقيا: محمد علي الهمشري، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢٦ - إنتشار الاسلام في إفريقيا في العصور الوسطى: الدكتور فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٢٧ - انتشار الاسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم: محمد كمال حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦ م.
- ٢٨ - الإنتقال الصّعب في المذهب والمعتقد: ادريس الحسيني، منشورات أنوارالهدى والاعتصام، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٢٩ - بصائر الدرجات الكبرى: محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي،

طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٤.

٣٠- بنور فاطمة اهتديت: عبدالمنعم حسن، دار المعروف للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٣٢- تاريخ الأدب في المغرب العربي: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٣- تاريخ الجزائر العام: عبدالرحمن الجيلالي، الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت، طبعة سادسة، ١٩٨٣م.

٣٤- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك الهلالي الميلي، الجزء الثاني، مكتبة النهضة الجزائرية، ١٣٥٠هـ.

٣٥- تاريخ الدعوة الإسماعيلية: الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

٣٦- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة: الدكتور أحمد السعيد سليمان، الجزء الأول، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.

٣٧- تاريخ دول المغرب: الميرالاي إسماعيل سرهنك، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٣٨- التاريخ الفاطمي السياسي: الدكتور إبراهيم رزق الله أيوب، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣٩- التاريخ الفاطمي الاجتماعي: الدكتور إبراهيم رزق الله أيوب، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- ٤٠- تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر: الدكتور إسماعيل أحمد ياغي، الجزء الثاني، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ٤١- تاريخ العالم العربي المعاصر: الدكتور إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٤٢- تاريخ العرب السياسي في المغرب: الدكتور سعدون نصرالله، دارالنهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٤٣- تجربة القذافي في اطار الموازين الاسلامية: الدكتور عبدالله الصادق، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- ٤٤- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار؛ لابن غلبون (المتوفى ١١٥٠هـ)، مؤسسة الكتب الاسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٤٥- تطوّر الفكر التربوي الأباضي في الشمال الإفريقي (من القرن الأوّل حتى القرن العاشر الهجري): الدكتور عبدالرحمن عثمان حجازي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٤٦- تنبؤات نوستر اداموس: نوستر اداموس، ترجمة جميل حمادة، وزارة الثقافة والاعلام، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان.
- ٤٧- ثمّ اهتديت: الدكتور محمد التيجاني السّماوي، مؤسسة الفجر، لندن.
- ٤٨- ثورات العلويين وأثرها في نشوء المذاهب الاسلامية: مهدي عبدالحسين النجم، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- ٤٩- الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات: أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (ت: ٦٩٧هـ)، مطبعة حجرية، القاهرة، ١٨٨٤م.
- ٥٠- حاضر العالم الإسلامي: لو ثروب ستو دارد، ترجمة عجاج نويهض، المجلد

- الأول، الجزء الثاني، دارالفكر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٥١ - الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية: محمود إسماعيل، دار القلم، بيروت.
- ٥٢ - الحسينيون في التاريخ: محمد الساعدي، الجزء الأول، مطبعة النجف، النجف الاشرف، ١٣٧٥ هـ.
- ٥٣ - الحشاشون حُكَّام الموت: دكتور رحاب عكاوي، دار الحرف العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٥٤ - الحضارة المغربية عبر التاريخ: الحسن السائح، الجزء الأول، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ١٩٧٥ م.
- ٥٥ - الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ٥٦ - حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر: المحامي أحمد حسين يعقوب، دار الملاك، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ٥٧ - حقيقة مصحف فاطمة (ع) عند الشيعة: أكرم بركات العاملي، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٨ - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين، المجلد الثالث، الجزء الثاني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٥٩ - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين، الجزء الرابع، بيروت، ١٣٩٣ هـ.
- ٦٠ - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين، المجلد العاشر.
- ٦١ - دائرة المعارف الحسينية (الحسين والتشريع الاسلامي): محمد صادق



- الكرباسي، الجزء الثاني، المركز الحسيني للدراسات، المملكة المتحدة، لندن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٦٢ - دراسات في تاريخ بلاد المغرب (من الفتح العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري): دكتورة سامية توفيق عبدالله، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٣ - دراسة في الفكر الإباضي: عمر بن الحاج محمد صالح، مكتبة الاستقامة، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
- ٦٤ - دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام: القاضي النعمان ابن حيّون المغربي، المجلد الأول، (مقدمة التحقيق) آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ٦٥ - دماء في المغرب العربي؛ يونس بحري، دار النشر للجامعيين، بيروت.
- ٦٦ - دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار: سليم الحسني، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ايران، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٦٧ - دولة بني حمّاد ملوك القلعة وبجاية: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.
- ٦٨ - دولة التشيع في بلاد المغرب: الأستاذ نجيب زبيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣هـ.
- ٦٩ - دولة مالي الاسلامية: الدكتور إبراهيم على طرخان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٧٠ - دولة الموحّدين الاسلامية: حسن الأمين، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- ٧١- الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٧٢- ديوان تميم بن المعزّ لدين الله: تميم المعزّ لدين الله، تحقيق محمد عبدالعظيم بدر وإبراهيم عطا فرج، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٦م.
- ٧٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني، الجزء ٢١، منشورات دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية.
- ٧٤- رسالة افتتاح الدّعوة: القاضي النعمان ابن محمد، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
- ٧٥- الرّسالة الجامعة: أحمد بن عبدالله، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
- ٧٦- الرسالة المنظمة: ابن تومرت (منشورة ضمن أشغال المؤتمر الأوّل لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية، ١٩٧٩م).
- ٧٧- سرائر وأسرار النّطقاء: جعفر منصور اليمن، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
- ٧٨- السودان والنيل بين مطرقة الانفصال والسّندان الإسرائيلي، عايدة العلي سريّ الدّين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
- ٧٩- الشجرة المباركة في أنساب الطّالبيّة: فخرالدين الرازي، تحقيق السيّد مهدي الرّجائي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٩ هـ.
- ٨٠- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار (مقدمة الكتاب): القاضي النعمان التميمي المغربي، الجزء الأوّل.
- ٨١- الشيعة والإسماعيلية: سليمان ظاهر، تحقيق موسى حسين صفوان، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

- ٨٢- الشيعة هم أهل السنة: الدكتور محمد التيجاني السماوي، شمس المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٨٣- صفحات من تاريخ تونس: محمد ابن الخوجة، تحقيق حمّادي السّاحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- ٨٤- طبقات سلاطين الاسلام: استانلي لين بول، الدار العالمية، مطبعة البصري، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٨٥- الطريقة الختمية في السودان ١٨٨١ - ١٩٥٥: طارق أحمد عثمان، الطبعة الأولى، دار مطبعة جامعة افريقيا العالمية للطباعة، ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ.
- ٨٦- طلوع الشمس من مغربها علم للساعة: فريد قبطني، دار البراق، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٨٧- ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة في ظل إمامة المهدي المنتظر (عج): الميرزا محسن آل عصفور، مكتبة الريف الثقافية، البحرين، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٨٨- العالم في المستقبل (جهان در آينده): محمد حسن الموسوي الكاشاني، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ٨٩- العامل الديني والهوية التونسية: الدكتور سعد الغراب، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
- ٩٠- عبيدالله المهدي: الدكتور عارف تامر، دار دمشق ودار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ.
- ٩١- عقْدُ الدرر في أخبار المنتظر: يوسف المقدسي الشافعي، تحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، انتشارات مسجد مقدس جمكران، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- ٩٢ - علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب: الدكتور حسن خضيرى أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الاولى.
- ٩٣ - عندما أصبحت مصر عربيّة إسلامية: الدكتور محمد عمارة، دارالشروق، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٩٤ - عيد الغدير في عهد الفاطميين: الدكتور محمد هادي الأمينى، مؤسسة الآفاق، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٩٥ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبدالحسين أحمد الأمينى، الجزء الرابع، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- ٩٦ - فاسئلوا أهل الذكر: الدكتور محمد التيجاني السماوي، مؤسسة الفجر، لندن.
- ٩٧ - الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ: محمد علي القطب، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٩٨ - الفتن: نُعيم بن حمّاد الخُزاعي المروزي، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٩٩ - فتنٌ في عصر الظهور الشريف: عبدالحليم الغزّي، الناشر، المؤلف، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ.
- ١٠٠ - الفرق الاسلاميّة في الشمال الأفريقي: آفرد بل، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار المغرب الإسلامية، طبعة ثانية، ١٩٨١م.
- ١٠١ - فسيروا في الأرض فانظروا: الدكتور محمد التيجاني السماوي، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ١٠٢ - فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب: عبدالمجيد عمر التّجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

- ١٠٣- فهرسة الكتب والرسائل: اسماعيل بن عبدالرسول الاجيني المجدوع،  
حققه وعلّق عليه: علي نقى منزوي، مكتبة الأسدى، طهران، ١٩٦٦م.
- ١٠٤- في تاريخ المغرب والأندلس: الدكتور أحمد مختار العبادى، دار النهضة  
العربية، بيروت.
- ١٠٥- في ظلال القرآن: سيّد قطب، المجلد الثانى، الجزء الخامس، دار الشروق،  
بيروت / القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- ١٠٦- قصص الانبياء: علي محمد علي دخيل، دار المرتضى، بيروت، الطبعة  
الاولى، ١٩٩٩م.
- ١٠٧- قصة النهاية وعلامات الساعة الصغرى والكبرى: عمارة محمد عمارة،  
مكتبة ابن كثير، الكويت، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ-  
٢٠٠٢م.
- ١٠٨- قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم: مؤلف: مجهول، الجزء  
١٩- ٢٠.
- ١٠٩- قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية والمغرب: عادلة على الحمد، دار  
ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ١١٠- الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)،  
تحقيق تغايرد بيضون ونعيم زرزور، الجزء الثانى، دار الكتب العلمية، بيروت،  
١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- ١١١- كتاب اثبات النبوات: أبو يعقوب السجستاني، حققه عارف تامر، بيروت،  
دار المشرق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- ١١٢- كتاب افتتاح الدّعوة: الفاضى النعمان ابن حيون المغربى التميمى، دار

- الأضواء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١١٣ - كتاب الاقتصار (مقدمة الكتاب): القاضي النعمان ابن حيون المغربي التميمي، تحقيق الدكتور عارف تامر، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١١٤ - كتاب الكشف: جعفر منصور اليمن، تحقيق مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١١٥ - كتاب نبذة العصر في اخبار ملوك بني النصر، مطبعة الفنون المصورة، بوسكا، العرائش، (المغرب) ١٩٤٠ م.
- ١١٦ - كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة: القاضي النعمان ابن حيون المغربي التميمي، تحقيق محمد شريف علي اليمني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١١٧ - كُـلّ الحلول عند آل الرسول: محمد التيجاني السماوي، دار المجتبي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١١٨ - كلمة الإمام المهدي (عج): السيد حسن الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١١٩ - لأكون مع الصادقين: الدكتور محمد التيجاني السماوي، مؤسسة البشرى، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٧٨ م.
- ١٢٠ - المتحولون (حقائق ووثائق): هشام آل قطيط، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ١٢١ - المجتمع الاسلامي المعاصر. (ب) أفريقيا: الدكتور جمال عبدالهادي، دارالوفاء، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٥ م.

- ١٢٢ - المجتمع المغربي مقوماته الاسلامية والعربية: الدكتور ابراهيم أحمد العدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.
- ١٢٣ - المجدي في أنساب الطالبين: علي بن محمد العلوي العُمري النسابة، تحقيق أحمد الدامغاني، مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ.
- ١٢٤ - محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته: روم لاندو، تعريب: ليلى أبو زيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٢٥ - المخلص بين الاسلام والمسيحية: باسم الهاشمي، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٢٦ - مراجعات اسماعيلية: الدكتور عارف تامر، دارالأضواء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ١٢٧ - مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية: الدكتور محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٢٨ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين المسعودي، الجزء الثالث، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٢٩ - المسيح في الاسلام: ميشال الحايك، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.
- ١٣٠ - المسيح المنتظر ونهاية العالم: عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، دارالسلام، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٣١ - المسيح الموعود(ع) والمهدي المنتظر(ع): يوسف محمد عمرو، دار المؤرّخ العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- ١٣٢ - المصاييح في إثبات الإمامة: أحمد حميد الدين الكرمانى، تحقيق مصطفى غالب، دار المنتظر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٣٣ - مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال: عبدالرحمن الرافعى بك، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م.
- ١٣٤ - المُعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبدالواحد بن علي المراكشي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٣٥ - المُعزّز لدين الله: عارف تامر، دارالجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١٣٦ - مقدمة كتاب شرح الاخبار للقاضي النعمان: محمّد حسين الحسيني الجلالى، المجلد الأول، منشورات دارالثقلين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٣٧ - ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم: أمين محمد سعيد، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- ١٣٨ - الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر (عج): ابن طاووس الحسينى الحسينى، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ١٣٩ - من شيخ أزهرى إلى شيخ الأزهر (الأزهر إلى أين؟!)، دار الاعتصام، القاهرة.
- ١٤٠ - النظام العالمى الجديد والقرن ٢١، فريدا عزيز، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٤١ - نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان: محمد محمود المندلاوى، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.



- ١٤٢ - نهاية العالم متى وكيف؟ ميشال مراد، دار المجاني، بيروت.
- ١٤٣ - النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبدالشافى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٤٤ - الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالى إفريقيا: محمد ماهر حمادة، الجزء السابع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
- ١٤٥ همگامى ايران وليبى بر ضد اميرىاليسم: عبدالهادى حائرى، (دو سند تاريخى)، انتشارات آموى، مشهد، ١٩٨٠ م.
- ١٤٦ - اليوم الآخر ونهاية الزمان: الدكتور خالد صناديقى، منشورات علاء الدين، دمشق، الطبعة الاولى، ٢٠٠١ م.
- ١٤٧ - يومُ الخلاص: كامل سليمان، مؤسسة انصار الحسين (ع) الثقافية، طهران، ١٩٩١ م.
- ١٤٨ - اليوم الموعود بين الفكر المادى والدينى: محمد الصدر، الجزء الرابع، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

## المجلات والصحف

- ١٤٩ - أساس الدعوة فى الإسلام، مجلة العالم، العدد ٣٢٥، لندن، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٥٠ - الاسماعيلية.. من هم؟ وأين هم؟، مجلة الموسم، العددان ٤٣ - ٤٤، هولندا، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٥١ - اغتيال العلامة السيد مهدي الحكيم فى الخرطوم، مجلة العالم، العدد ٢٠٦، لندن، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- ١٥٢ - الأمام الصادق من أئمة المسلمين: متفكر احمد، مجلة الهادي، العدد الأول، السنة الثالثة، قم، ايران.
- ١٥٣ - أهل البيت (عليهم السلام): تراث المسلمين في السودان، مجلة أهل البيت، العدد (١)، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٥٤ - البهرة بعث جديد في الهند لحضارة إسلامية عربية عريقة: محمد حسني زكي، مجلة العربي، العدد ٢٠٢، الكويت، ١٣٩٥ هـ.
- ١٥٥ - تراث المسلمين في السودان: الطيب أحمد حسن، مجلة أهل البيت، العدد (١)، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٥٦ - حركة التشيع في المغرب ومظاهرها: الدكتور عبداللطيف السعداني، مجلة الموسم، العدد التاسع عشر، هولندا، ١٩٩٤ م - ١٤١٤ هـ.
- ١٥٧ - حقائق تاريخية عن الاسماعيليين: حسن الأمين، مجلة الثقافة الاسلامية، العدد التاسع عشر، دمشق، ١٤٠٨ هـ.
- ١٥٨ - دولة الأدارسة العلوية في بلاد المغرب: علي الشمري، مجلة النبأ، العدد ٣٦، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- ١٥٩ - شيعة العراق وقضية القومية العربية: الدكتور وميض جمال عمر نظمي، مجلة المستقبل العربي، ١٩٨٢ م.
- ١٦٠ - الشيعة نواة التصوف: أحمد محمد كاني، مجلة العالم، العدد ٢٠٩، لندن، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٦١ - طائفة البهرة الإسماعيلية: محمد سعيد الطريحي، مجلة الموسم، العددان ٤٣ - ٤٤، هولندا.
- ١٦٢ - علي في الوجدان الشعبي السوداني: محمد حسن قرشي، مجلة الموسم،

العدد (٢-٣)، هولندا، ١٩٨٩م.

١٦٣ - قبيلة الركابية بالسودان: الدكتور محمد عثمان علي، مجلة الموسم، العدد الخامس عشر، هولندا، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٦٤ - قراءة في كتاب: الامام المهدي من المهد إلى الظهور: أحمد البغدادي، مجلة النبأ، العدد (٥١)، السنة (٦)، ١٤٢١هـ.

١٦٥ - مشروعية الجهاد ضد الغزاة الايطاليين: الشيخ حسن آل بدر القطيفي، مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، اكاديمية الكوفة، هولندا، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٦٦ - مقالات غير منشورة للأفغاني: حسن الشامي، مجلة العالم، العدد ٧٨، لندن، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٦٧ - من الثورة المهدية إلى الاستقلال: محمد الحسيني، مجلة العالم، لندن، العدد ١٣٠، ١٤٠٦هـ.

١٦٨ - من كل قطر شاعر للحسين، صحيفة عاشوراء، السنة الثالثة عشر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦٩ - موريتانيا لم تصح.. لانها لم تغف: محمد سالم محمد علي، مجلة العالم، العدد ٢١٧، لندن، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٧٠ - المهدي المنتظر كونية العدالة وعدالة التكوين: محمد محسن العيد، مجلة النبأ، العدد (٥١) السنة (٦) شعبان ١٤٢١هـ.

١٧١ - نصوص غير منشورة: حسن الشامي، مجلة العالم، العدد ٧٧، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٧٢ - الوهم المنتظر: محمد عبدالخالق، مجلة «الأهرام العربي»، العدد ٣١١،

القاهرة، السنة السادسة، ١٤٢٤هـ.

١٧٣ - هل آن الأوان لظهور المهدي (ع): فتح الله الحيفاوي، مجلة الجذور، العدد التاسع عشر، شركة الجذور لنشر الصوتيات والمرئيات، نيقوسيا، قبرص، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٧٤ - مجلة العالم، العدد (٣)، لندن، ١٤٠٤هـ.

١٧٥ - مجلة العلم، العدد ٣٥٤، لندن، ١٤١١هـ.

١٧٦ - مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، اكاديمية الكوفة، هولندا، ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ.

١٧٧ - مجلة الموسم، العددان ٤٣ - ٤٤.

١٧٨ - مجلة رسالة الثقلين، العدد الثاني، السنة الأولى.

١٧٩ - مجلة رسالة الثقلين، العدد الرابع، السنة الأولى.